المآثر السلطانية

(تاريخ إيران و حروبها مع روسيا)

في نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر الميلاديين



تأليف : عبد الرازق بيك الدنبلي

ترجمة : محمد سيد أبو زيد

مراجعة و تقديم : عبد الحفيظ يعقوب حجاب

745

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومى للترجمة

" المآثر السلطانية "

(تاريخ إيران وحروبها مع روسيا)

" فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين "

تأليف : عبد الرزّاق بيك الدُنْبُلى
ترجمة : محمد سيد أبو زيد
مراجعة وتقديم : عبد الحفيظ يعقوب حجاب

المجلس الأعلى للثقافة
٢٠٠٥

جمعدارى

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٧٤٥
- المآثر السلطانية
- عبد الرزّاق بيك الدنبلى
- محمد سيد أبو زيد
- عبد الحفيظ يعقوب حجاب
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

مآثر سلطانية

تاريخ جنگهای ايران و روس

عبد الرازق مفتون دنبلى

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084 .

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

تقديم المراجع

يطيب لي أن أقدم للمكتبة العربية كتاباً قيماً عن تاريخ إيران وحروبها مع روسيا وباقى الدول المجاورة لها في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين. وفي الحقيقة أن أهمية كتاب "المآثر السطانية" فى الوقت الحاضر بوصفه مصادر التاريخ الإيراني فى العصر القاجارى الأول بالطبع تنبع من أهميته ومكانته التي حازها في وقته وعصره، وذلك أولا : على المستوى الداخلي من قبل ولاة الأمر فى إيران الذين اهتموا به إلى درجة طباعته فى العام نفسه الذى انتهى المؤرخ فيه من تأليفه، وثانيا : على المستوى الخارجي، فلأنه كان يمثل تاريخ الأسرة القاجارية الحاكمة فى إيران فى تلك الفترة وعلاقاتها مع دول العالم؛ فقد ترجمه إلى اللغة الإنجليزية - وكما يقول إداورد براون - السير هار فورد جنس بريتش تحت عنوان "تاريخ الأسرة القاجارية"، ونشره فى لندن عام ١٨٣٣م الموافق ١٢٥٠هـ ق. ومع تلك الأهمية السابقة، فلا شك أن لكتاب "المآثر السلطانية" أهمية تاريخية كبيرة من نواح متعددة ولأسباب مختلفة، فمثلاً يقول الباحث والمحقق الإيرانى المعاصر غلام حسين صدرى أفشار، عن أهميته ما يلى :

"إن كتاب "المآثر السلطانية" وبناء على الاعتراف الضمنى لمؤلفه، هو تاريخ رسمى وقانوني ودستورى، ومع هذا الوضع، فهو جدير بالاعتبار الخاص؛ لأن مؤلفه كان شاهداً على الأحداث ، وكثير من ذلك الذى دونه رآه بنفسه أو سمعه من شهود العيان وحققه، ومن هذا المنطلق يمكن أن يكون كتاب "المآثر السلطانية" وثيقة فعالة وجادة فى مقابلة ومقارنة الوثائق التاريخية المتعلقة بحروب إيران وروسيا."

وبالإضافة إلى هذا، فمن جانبنا نرى أن أهمية هذا الكتاب التاريخية والأدبية تتمثل فى الآتى :

١ ـ أنه من أهم الآثار التاريخية فى العصر القاجارى الأول؛ إذ إنه يحتوى على تاريخ الأسرة القاجارية ونشأتها ومرحلة تأسيس الدولة على يد أغا محمد خان القاجارى وتاريخ سلطنة فتح على شاه القاجارى ومآثره، وأعمال ولى عهده حاكم مملكة أذربيجان عباس ميرزا وحروب إيران مع كل من روسيا والدولة العثمانية وذلك حتى عام ١٢٤١هـ ق الموافق ١٨٢٧م.

٢ ـ كما أنه واحد من أهم المؤلفات التاريخية التى اهتمت بتسجيل وقائع المعارك والحروب الإيرانية الروسية التى وقعت فى الفترة من عام ١٢١٩هـ ق وحتى عام ١٢٤١هـ ق (١٨٠٤ م : ١٨٢٦ م)، وحيث إنه يحتوى على سجل كامل ووصف دقيق لهذه المعارك استقاه المؤرخ من الوثائق الرسمية للدولة ، حيث كان يعمل كاتب ديوان ولى العهد ومؤرخه الرسمى، ومما سمعه من شهود العيان الذين حضروا تلك المعارك.

٣ ـ أنه أثر تاريخى مهم يحتوى على تاريخ إيران فى العصر القاجارى الأول من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية وبداية نهضة إيران فى العصر الحديث وانفتاحها على العالم الخارجى مع الدول المجاورة لها والدول الأوربية.

٤ ـ أنه يُمثل صورة حية لحالة النثر الفارسى التاريخى وتطوره ونهضته التدريجية فى تلك المرحلة التى عُرفت بمرحلة البعث أو العودة الأدبية إلى الأسلوب القديم.

٥ ـ أنه كتاب متميز ومتفرد باحتوائه على كل هذه الموضوعات المتنوعة والمهمة والتى قد لا توجد مجتمعة فى مصدر تاريخى آخر باللغة الفارسية أو بغيرها، ولهذا يُعتبر "المآثر السلطانية" من المصادر والمراجع الأساسية والمهمة للتاريخ الإيرانى فى العهد القاجارى الأول وخاصة عهد السلطان فتح على شاه وولى عهده عباس ميرزا.

عبد الحفيظ يعقوب حجاب

تصدير المترجم

فى الربع الأخير من القرن الثانى عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر الهجريين (أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين)، كان يعيش فى إيران مؤرخ وأديب وكاتب وشاعر وهو **عبد الرزّاق بك بن نَجَفقُلى خان بن شهبازخان الدُنْبُلىُّ** النسب الخوئى الأصل التبريزيُّ المسكن والمتخلص فى شعره بـ "مفتون".

وُلِدَ عبد الرزّاق الدُنْبُلى فى بلدة "خوى" التابعة لأذربيجان الإيرانية فى سنة ١١٧٦هـ ق، وقد عاش حتى العاشرة من عمره تحت رعاية والده بتبريز الذى كان حاكمًا عليها ، وبعدها عاش لمدة عشر سنوات أخرى رهينة بشيراز فى بلاط كريم خان الزندى، ثم عاش لفترة أربع سنوات أخرى بإصفهان فى أسر على مرادخان الزندى، ولم يشغله فى شيراز وإصفهان طوال هذه الفترة سوى تحصيله للعلم والأدب ومجالسته للعلماء والاشتغال بالتأليف.

وفى الرابعة والعشرين من عمره أى فى نهاية عام ١١٩٩هـ ق، رجع عبد الرزّاق الدُنْبُلى من غُربته إلى موطنه الأصلى فى خوى وتبريز باحثًا عن مُلْكْ أبيه وأجداده فوجد أن الفرصة قد فاتته، وكان قد اختار من قبل طريق العلم والأدب والتأليف، فانزوى فى مراغة وتبريز لفترة يمارس الكتابة والتأليف.

وبعد أن إستقر حكم إيران لفتح على شاه القاجارى (١٢١٢هـ ق)، دخل عبد الرزّاق الدُنْبُلى فى خدمة عباس ميرزا ولى العهد وحاكم مملكة أذربيجان، ومنذ عام ١٢١٨هـ ق وحتى وفاته فى عام ١٢٤٣هـ ق، ظل عبد الرزّاق الدُنْبُلى بتبريز يعمل فى ديوان ولى العهد كاتبًا ومؤرخًا ، وقد لاقى من الرعاية والعناية الكثير فى بلاطه حتى

أضحى من كبار رجال ذلك العهد ومن كبار مؤرخى الدولة القاجارية ومن أشهر كُتَّاب النثر فى ذلك العصر وأيضاً من رواد العودة إلى الأسلوب الأدبى القديم.

وقد عاصر عبد الرزَّاق الدُنبُلي ، فترات من أهم فترات إيران التاريخية، فقد عاصر عهد كريم خان الزندى وأعقابه (١١٦٣هـ ق : ١٢٠٩هـ ق)، ثم عهد آغا محمد خان القاجارى مؤسس الدولة القاجارية (١٢٠٠هـ : ١٢١١هـ ق)، ثم أغلب فترة الحكم الطويلة لفتح على شاه القاجارى (١٢١٢هـ ق : ١٢٥٠هـ ق) وهذه الفترات تذخر بالكثير من الحروب والأحداث المهمة فى تاريخ إيران خاصة ، ومنطقة الشرق الإسلامى عامة ، وقد دون عبد الرزَّاق الدُنبُلى أغلب هذه الأحداث كما أرخ للقاجاريين منذ بداية ظهورهم وحتى أحداث عام (١٢٤١هـ ق) فى كتابه " المآثر السلطانية " ـ موضوع الترجمة ـ وذلك بأمر السلطان فتحعليشاه القاجارى وولى عهده عباس ميرزا.

وقد كتب عبد الرزَّاق الدُنبُلى فى كثير من الموضوعات والمجالات، فله فى النظم والنثر الكثير من المؤلفات التى لم تحظ بالعناية الكاملة ؛ لأن أغلبها ربما قد ضاع وما طُبِعَ منها إلا القليل.

والمصدر الذى بين أيدينا الآن هو كتاب " المآثر السطانية " الذى دون فيه عبد الرزَّاق الدُنبُلى مجموعة من الأحداث التاريخية المهمة فى تاريخ إيران وخاصة فترة حكم السلطان فتح على شاه القاجارى التى كان لها أثر كبير على مجريات الأمور فى إيران فى العصور التالية حتى وقتنا هذا. فمن هذه الأحداث المهمة مثلاً مجموعة الحروب التى وقعت بين إيران القاجارية وروسيا القيصرية فى تلك الفترة وخاصة منذ عام ١٢١٩هـ ق وحتى عام ١٢٤١هـ ق.

ومن هنا كان اختيارى هذا الكتاب لترجمته ونقله إلى اللغة العربية والتعليق على ما جاء به، حسبما تسمح الضرورة والحاجة.

أرجو أن أكون قد وفقت فى نقله وترجمته إلى العربية نقلاً أميناً، والله ولى التوفيق...

د / محمد سيد أبو زيد

ترجمة نص كتاب " المآثر السلطانية "

فى العهد المبارك

مهد ملك الدنيا الواسعة، ملك الملوك، صاحب القران[1]، السلطان فتح على شاه القاجارى، وبفرمان نائب السلطنة والخلافة ولى عهد إيران الأمير الموفق عباس ميرزا، طُبِعَ هذا الكتاب المستطاب (المستحب) المسمى بـا "لمآثر سلطانية" من مؤلفات بلاغة الحُجج، فخر المحققين مولانا عبد الرزّاق بيك الدنبلى، فى دار الطباعة بدار السلطنة تبريز، فى شهر رجب سنة ألف ومائتين وإحدى وأربعين هجرية قمرية.

(١) صاحب القران : لقب جديد أطلق على فتح على شاه بعد اللقب السابق (خاقان كشورستان) (يعنى الخاقان المستولى على الممالك) وذلك بمناسبة مرور ثلاثين عاما على سلطنته ، وقران بمعنى عملة تساوى عشرة تومانات ، وقد ضربت هذه العملة الجديدية بهذه المناسبة . (انظر : دولاوران كمنام ايران زان يونير ، ترجمة ذبيه الله منصورى ، ص ٦١٩) .

المقدمة

إن التوقيعة الملكية الغراء الممجدة، التى تفوح برائحة الورد والعنبر الطيبة على ساحة الأرض من عطر طرة جماله، والديباجة البديعة البيان الممدوحة التى تُزين أيضاً أُذن وعُنق الفلك من شعاع جواهره الرصيعة، موشحتان ومزينتان باسم مسمى الملكية. وحيث خُلِقَ جسد آدم الطاهر من حفنة تراب باقتضاء الحكمة البالغة فى دار صنع لاريب فيه، وبعد أربعين صباحاً من تخمير وتشريف اليد الإلهية وشآبيب الرحمة على تلك التربة، سُمِح لِلئلاء الروح، وهي الجوهر المُجرد من تطرق الحوادث وسنوح السوانح، بتزيين العالم واستحسان حكمه في قالبها الحيواني، ولأنه [أى الله عز وجل] أعطى إذن الحُكم لأعاظم ملوكه فى مُلك البدن، وعَمَّر ذلك القصر الملكوتي بوجود عشرة خدام لكل بدن من ذوى المفاخر الذين يدعون قواه الباطنية والظاهرية، التى تُفتح عقود الأسرار بغلبة المعرفة وتمييز الحق من الباطل، وتُظهر طائر فهمه بجناح التجرد على شرفة إيوان الزاهدين. وثاني تلك الأثنية والمحامد أنه عمر تحفة سيد الكائنات وتاج الموجودات وناثر بلاط ملك الأولياء وفخر الأوصياء وآله وأولاده[1]، الذين هم السحاب المُمطر والأسود الغادرة وكواكب السماء وشموس الرفعة وباعثو وجود النجوم والأفلاك ومزينو عرش الماء والطين حتى أرضت ريح الصبا فى كل سحر صانعَ العطور والبلبل من عشق الورد.

أما بعد، فاليوم، الجواهر المجردة والمنزهة فى زهو وتباه ، وأصحاب محافل القدرة فى سعادةٌ وسرور، وذرات عالمْ الأكوانْ فى سعة وانبساط، والكل يبحث عن إكمال السبيل والطريق معًا، ويسبحون ويهللون بأن مُوجد النفوس والعقول وصانع

(١) يقصد المؤرخ الرسول وآله من أولاد ابنته السيدة فاطمة الزهراء ، مع العلم بأن المؤرخ عبد الرزاق الدنبلي شيعى اثنا عشرى متعصب . (المترجم)

الإبداع والتكوين (الخلق) قد وضع ساحة الأرض مزخرفة ومُزينة تحت إمكان (قدرة) سلطان السلاطين بطل الماء والطين[٢] ، وبأن مُبشرِ الرحمة ومُنشرِ الرأفة فتح أبواب العيش والراحة (ص ٣) وأبواب السرور والأمن في وجه العالمين، والدنيا والجنان والأرض الخالدة للشاهنشاه (ملك الملوك) الأعظم مالك رقاب الأمم كسرى الترك والعجم، حاكم بني آدم، الجالس على العرش الكسروي، الزاهد ذي القلب المشمس، سماء ظل عرش الخلافة، كرسي إقبال الشمس، جمال نور القمر، كمال الشمس، عدم زوال أساس العظمة، ظل الحشمة، أساس الشوكة، زينة الدولة، نُصرة الحرب، جنة المحفل، عظمة الدولة، هدوء وراحة السلطنة، سماحة سلوة الطبع، فصاحة اللغة، بلاغة البيان، شرف الحسب، أدب النسب، رفعة الفَلَكْ، منعة طاقة الأرض، ضياء صدر النجوم، بقاء الشعب، وفاء الشباب، المرآة الصافية للقلب، وصول الأجل للعدو، حصن الأمل للصديق، حُسن العمل للمذنب، راحة المتألم، فتوح البطل المقيد؛ ففي اللحظة التي يُظهِرُ فيها يده الإلهية تكون الدنيا بأسرها غريقة في النعمة والنعيم، وفي اللحظة التي يضغط فيها بقدم السطوة تكون الدنيا بأسرها شعلة نار الجحيم. فانظر إلى العرش المرصع، العرش المعظم في إيوان السلطنة بين عالم الروح وروح عالم العلة غاية خلقه جوهر بحر علمه وبصيرته. [بيت ترجمته] .

إنه حضرة فتح علي شاه الذي وجوده من الأزل

والذي فاضت به روح القدس والأرواح المطهرة

والذي لازال ظلال إقباله على مفارق الأنام إلى يوم القيام، فسبحان الله! فما عدم الوعي هذا والفكر غير الناضج وعدم التعقل، وكيف تُشرح أوصافه ؟ وتعداد محامد أخلاقه على الألسن ومن بينها نشر الرحمة وبشر عطف وحب حضرته والتي وضعها منةً على أهل أذربيجان، وفتح باب الدولة وأعطى صلات النعمة لابن الملك حاكم الدنيا باسط العدل ابن السلطان المظفر، وجعله حامي الإسلام وملجأ الأنام وأساس أمل الخواص والعوام، وهو جمشيد مملكة الشمس ومؤسس العدل وأنوار

(٢) يقصد السلطان فتح علي شاه القاجاري . (المترجم)

الشمس ومحبة الملائكة وطلعة البحر حاكم خاتم الطين جواهر البحر سلطان السلاطين منجم الرأفة والإحسان نائب السلطنة الياقوت المتلألئ لذلك المَنْجَم ملك الملوك خاتم جمشيد اللائق بالإقبال الأمير المُتمكن المُزين للعرش (ص ٤) الذى يَهتز العصر من دولته وقدرته، والفتنة من سياسة هذا المعفى رءوس فى عتبة فلك الحضرة كالأرض، والقلوب طاوية للطريق بإرادة هذا الحاكم والسياسة الملكية لملك المُلك ونزاهة النفس الملكية لابن الملك الحر [بيت ترجمته] .

حضرة الشاه عباس ذلك الذى فى الإيوان يده كالبحر تحمل الذخائر

• والأمل هو البقاء حتى الزمان والرضا للقمر والنجوم، ولئلا تكون آفة الزوال لهذه الدولة، ولئلا تصل عين الكمال [عين الحسد] إلى هذه الشوكة بمحمد وآله الأمجاد. [بيت ترجمته] .

ساحة العالم على هذا النسق وأمر العالمين على هذا الرونق

١ - شرح أحوال الطائفة القاجارية

ما إن وصل الفرمان من إيوان السلطنة الخالدة إلى العبد الفقير حاوى الأوراق عبد الرزّاق بن نجفقلى، بأن يقوم - وعلى الرغم من عدم الفصاحة والاستطاعة - بتدوين وقائع الأحوال الميمونة، وبأن يجعل محاسن آثار الدولة الخالدة القرار تاج افتخار أخبار السلف. فجذب هذا العبد، وبمفاد أن المأمور معذور، حبل التدوين والإيضاح لمختصر من مآثر عهد الهمايون ووقائع أحوال وأوضاع الدولة المتزايدة يومًا بعد يوم، دون مبالغة الكتبة والتصنع فى الكلام والتطويل المُمل والإيجاز المُخل، وأخرجَ على صفحة البيان، بمعاونة سنون الأقلام، وقائع أحوال وأوضاع الحضرة العلية السلطانية وكيفية غزوات وحروب ولى العهد حامى الخلافة، وقد سُمّى هذا الكتاب باسم " المآثر السلطانية ".

وفى افتتاح الحديث رُبِطَ نظم الكلام بشرح أحوال الطائفة القاجارية الجليلة، وسلسلة نظم الحديث مرتبطة بمعرفة حسب تلك الطائفة ونسبها التى شعارها الشهامة. فالطائفة الجليلة الكسروية النبيلة هى من أعزة وأجلة أتراك جلائر، وجلائر من نيرون، وسابا نويان من جلائر، وسرتاق بن سابا، وقاجار بن سرتاق نويان. وقد كان من بين طوائف الأتراك القاجارية ثلاث طوائف، واحدة من سلدوس، وواحدة من تنكفوت، وواحدة من جلائر. فتلك التى من سلدوس لم تأت إلى إيران، وتلك التى من تنكفوت طائفة تابعة بحد ثلاثين أو أربعين بيتًا انضمت إلى سائر طوائف المغول وصارت من بينهم بلا اسم ولا رسم، وتلك التى من جلائر صارت صاحبة الدولة والشوكة، وكانت المنطقة الممتدة من شاطئ نهر "جيحون" وحتى حدود " الرى " تحت [ص ٥] حكم وفرمان سرتاق، وكان معززًا بأمر أباقاخان بتربية أرغون خان على النحو الذى سيرد ذكره قريبًا، وقد وجد أرغون تربيته ورعايته. وكانت مملكة سرتاق المختصة به من "قزل أغاج مغان" وحتى حدود "نيسابور"، وكان يقيم فى جرجان، وقد كثر نسله فى جرجان ومازندارن. وفى عهد غازان خان والسابق عليه كان (قاجار) من الألف الخاصة المقربة من "تومان تايجو"، وبعد ذلك سلم غازان خان لابن تايجو

الحراسة (الشرطة)، وفوض إلى قاجار بـ تومان تايجو، وأظهر له غاية العزة والاعتبار، وكانت ولاية أبيه في يده.

وقديماً لقِّب أولاد جلائر بـ "كويانك" وهي بلغة الختائيين عبارة عن الحاكم الكبير أو الملك، وكانت لهم جناح ميسرة جيش طوفان القيامة وراء جنكيز خان، وقد عُرفوا واشتهروا بفتح القلاع وتحطيم العدو وقهر الأسود ومصارعة الخصوم ، وفي عهد جنكيز خان كان كبيرهم "موقلي كويانك"، وفي عهد "أوكتاي قاآن" كان "بوغول كويانك" على مكانة أبيه وكان يُظهر آثار الشهامة. وفي عهد "قبلا قا آن" كان "هتون نويان"[1] أميراً كبيراً منهم [من آل جلائر] وقد صار أيلوكه بن بروك قدان من قوم جلائر مفتخراً ومعززاً بفرمان جنكيز خان بمنصب (أتابيك) معلم " أوكتاي قا آن " ومربيه مع الجيش الذي لانهاية له والذي كان تحت ظل رايته، وأتابيك بمعنى المعلم والمربي ، وأعطى (أوكتاي قا آن) للأمير أرغون، الذي كان من الأمراء العظام، عبودية وخدمة أيلوكه الذي كان تابعًا لأمره ونهيه ومنصتًا أذنه على فرمانه، ولما كان الأمير أرغون رجلاً فصيحًا وعاقلاً وشجاعًا ارتفع أمره وتفوق على مراتب الأقران والأكفاء.

وفي عهد "منكو قا آن" كان "منكسار نويان" من جلائر كبير المحكمين (بزرک يارغوتشيان) وهي بمعنى أمير الديوان ومستجوب المذنبين، وكان يضع حكم الياصا في قراره. وقد جاء إلى إيران أروق وبوقا من أبناء كلاي مع هولاكوخان وكانا ملازمين عبودية أباقا خان، وقد صارا أميرين عظيمين بتربية ذلك الملك عالي الجاه .

وكان لسرتاق نويان بن سابا نويان، الذي كان أمير الأمراء في خراسان ومازندران في عهد طفولة (ص ٦) أرغون خان، ولد اسمه قاجار، الذي (جاء) منه نسل القاجاريين، وأصبح بداية تناسل وتكاثر هذه السلسلة الجليلة في مازندران وإستراباد وخراسان من أولاد قاجار.

(١) نويان : كلمة مغولية بمعنى أمير وقائد الجيش ولقب قائد الجيش عند المغول والترك . (انظر لغت نامه: علي أكبر دهخدا ، جلد ٤٨ ، تهران ١٣٤٦ هـ.ش ، ص ، ٩١١)

وعندما وُجدت الفرصة وأُغير على أسرة جنكيزخان، أُرْسِلَتْ زوجة جنكيز خان التي كانت حاملاً بجوجي، عند أونك خان، ولما كان لأونك خان الصداقة والمحبة مع يسوكاي بهادر والد جنكيز خان من قديم الأيام فكان يدعو الابن له، وكان ينظر لتلك السيدة بعين الرحمة بوصفها عروس ابنه، وكان لاحترامه لها موضع الاعتبار، وقد بذل الشفقة والعطف بشأنها. وقال له الأمراء إنه كان يجب أن تسترد السيدة، فأجاب بأنها عروسي[1]، ولايليق النظر عليها بعين الخيانة، وقد رأى جنكيز خان منه مثل هذه الرجولة والإنسانية ورأى من أونك خان مراعاة الحقوق القديمة والكاتب الكبير. وأُرْسِلَ سابا نويان والد سرتاق وهو جد قاجار، الذى كان محرم أسرار وموضع نظر اعتبار الملك مسخر العالم القهار، إلى أونك خان لطلب السيدة، فنظر أونك خان إلى سابا نويان نظرة احترام وإجلال واعتبر مقدمه تكريمًا له وسلم إليه زوجة جنكيز خان وصار عازمًا على العبودية. ومن المصادفات أن أمسكت بالسيدة آلام الوضع فى الطريق، وأتى جوجى إلى الوجود، ولأن الطريق كان مليئًا بالمخاوف ولايوجد مجال للتوقف والتجهيز والترتيب للمضجع والألبسة، فعجنوا قدرًا من الدقيق وأخذوا الطفل الواصل حديثًا (الرضيع) إلى العجين وأحضروه إلى الحضن ونقلوه باحتياط كامل عند الأم حتى لاتتألم أعضائه ولايتوجع، ولهذا السبب وضعوا له أسم "جوجى" وهو يعنى أنه أتى إلى الوجود فجأة.

ولما انقضت دولة جنكيزخان وشوكة المغول، حكم فى إيران لفترة الشيخ حسن نويان وابنه السلطان أويس من طائفة جلائر اللذين كانت لهما قرابة مع السلطان غازان والسلطان محمد خدابنده، ومآثرهم مذكورة ومدونة فى كتب التواريخ.

والقصة أن الطائفة القاجارية كانت مشهورة بالشهامة والصرامة، وفى أيام سلطنة الشاه إسماعيل الصفوى[2] والشاه (ص ٧) طهماسب كان أهل الطائفة مفتخرين

(١) عروسى : صحيحها عروس ابنى ، ويقصد ابن صديقه .

(٢) كانت الطائفة القاجارية مثل الطائفة الأفشارية إحدى القبائل التركية التى اعتمد عليها الصفويون فى ثورتهم وتأسيس دولتهم . (انظر :.The Cambridge Histroy of Islam. vol. 1. P. 431)

بجلائل الأمور كقيادة الجيش وحكم الحدود، وكانوا مفتخرين ومعززين فى ساحة العالم بعلو الهمة والروعة ، وعندما وصلت نوبة السلطنة إلى الشاه عباس الماضى الصفوى، شغله الفكر بسبب كثرة وعُدة تلك الجماعة، فَفَرَّقَ جمعهم، ورَحَّلَ جمعًا منهم إلى مرو حجز به مواجهة الأُوزبك وكلف جمعًا آخر على كنجه وإيروان، وعين جمعًا ثالثًا فى إسترآباد التى كانت موطنهم الأصلى فى مواجهة الأتراك لحماية ثغورها.

٢ - بيان أحوال الجد الأعلى الخاقان فاتح البلاد فتح على خان

أخذ الجد الأعلى الخاقان "سليمان المكانة "(١) جمعًا من طائفة "يموت"، وذهب بهم إلى قلعة "مبارك آباد". ومن بوابة أصلمس بك قاجار برناك رئيس الحرس، الذى كان على معرفة تامة به، دخلوا القلعة، وهجموا على محمد خان التركمانى ووزيره ميرزا أحمد وأفنوا كليهما. وبعد هذه الحال، أخذ أمر ذلك المحظوظ فى الارتفاع، فحكم مدينة إستراباد دار إمارته، وفى ذلك الأوان كان شكر بك وأسمه الكردى جهان بيكلو، الذى كان قد استعلى فى فندرسك ورامیان، كان تعديه وإجحافه يزيد عن الحدود والنهاية ، وكان يرتكب قتل جمع من الأشراف فأسرع القادة القاجاريون إلى خدمة تلك الحضرة (فتح على خان) بسبب مشاهدتهم لهذه الأحوال، وطلبوا قبول ولاية وإمارة حضرته ، فتجنب حضرته هذا الأمر ، وفى النهاية أجلس فضل على بك شامبياتى ومحمد حسن خان قراموسالوا ومحمد تقى بك سركشيك مع سائر العظماء والرؤساء حضرته على مسند الإمارة ، وصاروا فى ركاب النائب فتح على خان سالكين وادى النصرة والاقتدار من أجل إبعاد شكر الكردى ، وأذاقوه سم الممات بضربة السيف الحاد بعد معارك وحروب كثيرة ، وكانوا قد جعلوا فى فمه شربة الحياة اللذيذة الطعم أمر من الحنظل ، وأطلقوا سراح حياته من سجنها . وبعد هذه الأحوال ، أساء فضل على بك ومحمد تقى بك النية فى حق النائب فتح على خان ،

(١) يقصد تشبيهه بنبى الله الملك سليمان بن داود عليهما السلام . (المترجم)

فلقيا جزاءهما ووصلا إلى زاوية العدم ، وتوجه النائب فتح على خان - بعد طرد الخصوم واستئصال (ص ٨) الحاقدين - إلى تهيئة شئون إستراباد وتوابعها وما حول ذلك الإقليم الذى هو كإرم العامرة[1].

٣ - ذهاب فتح علي خان القائد إلى إصفهان من أجل صد الأفغان ومعاونة الشاه سلطان حسين الصفوى :

نظرًا للإخلاص والمودة التى كان يكنهما [فتح على خان] للأسرة الصفوية ، فقد أسرع مع ألف شخص من الشجعان القاجاريين والمصارعين الجلدين من أجل طرد أفغان قندهار الذين كانوا مشغولين بمحاصرة إصفهان ، ووجد الشاه سلطان حسين الصفوى محاصراً بالأفغان ، فكان يقود كل يوم المعارك البطولية والحملات الشجاعة ، وكان يرسل إلى الشاه فى إصفهان الغنائم والبيارق الكثيرة، وقد أشار الأمراء الذين لا عقل لهم ولا رأى، على الشاه الطيب ، بأنه يجب أن يعتبر هذا الأمر من التأييدات الإلهية ، وبأن يبرزوا بإعجاب بطولاته فى حضرة الشاه ، وأن يجعلوه قوى القلب ، راسخ القدم بالإنعامات الوافرة والخلاع الفاخرة ، وقد كان هو نفسه من داخله مستعداً لحرب الأفغان، فيقومو بطرد أعداء الدين والدولة . ومن سوء التدبير- مثلما عرضوا إلى الشاه - أن الطائفة القاجارية جمع شعارهم الجلادة وأنهم أسود غابة الحرب ، وأن فتح على خان أيضًا يضع أقدامه ادعاءً للنشاط فى ميدان الشجاعة ويرفع راية الاستعلاء فى ميدان فوضى البلاد وعندئذ يُصبح موضع الإعجاب والإحسان فى مقابل هذه الخدمات والبطولات ، فيصعب ضبط عنانه . وقد نالت أقاويل هؤلاء الحمقى إعجاب الشاه سلطان حسين الصفوى ، الذى كان يوم الدولة الأسود وسوء حظها وغلبت على طالعه آثار الذلة والنكبة، فلم يعتنِ بأمر القاجاريين ولم يعتمدْ

(١) إرم العامرة : يقصد تشبيه إستراباد بإرم ذات العماد التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى الآية رقم (٧) سورة الفجر . (المترجم)

عليهم . ورد النائب فتح على خان على أفعالهم وأقوالهم بعدم قبولها ، وصار قلبه المؤمل مجروحًا ، ويئس مما آل إليه أمرهم . وسلك طريقه إلى دياره . واستولى الأفغان على إصفهان ، ووصل إلى هناك ما وصل ، وذهب الفوج الكبير إلى طهران بإشارة أشرف الأفغاني ، وجعلوا ملك الري بسبب الظلم وعدم الحساب مثل مدينة الري. واستقبل النواب فتح على خان الأفغان في "إبراهيم آباد" وفي " ورامين " بالجيش المقترن بالنصر ، ووقع بينهما القتال والصراع من الظهر حتى المساء ، وفي المساء أسرع الجيشان إلى ثكناتهما . وفي الليلة نفسها وصل إلى النواب فتح على خان الخبر [ص ٩] بأن الشاه طهماسب - الذي كان قد أرسلوه إلى الخارج قبل خضوع إصفهان من أجل إيجاد وسيلة للأمر- ذهب إلى مازندران في سنة ألف ومائة وسبع وثلاثين باحثًا عن العز والشرف في بلدة أشرف، فحرك النواب فتح على خان لواء الهجوم من إبراهيم آباد بسبب المودة التي كانت مع الأسرة الصفوية ، وعرض عليه الدخول في خدمته ، فوقع اللوم والإعراض من أمراء الشاه طهماسب بسبب عودة النواب فتح على خان ، وأنوا قلب الشاه طهماسب بالوشاية والوقيعة ، ونقض فتح على خان عزمه بسبب سماعه لهذا الكلام ، وسلك طريقه إلى إستراباد ، وسعى الأمراء بالوساوس والشكوك الكثيرة عند الشاه طهماسب بأن يتجهز بصفوفه للقتال مع القائد فتح على خان في مدينة أشرف بمازندران، ووقعت الحرب السلطانية ، وسقط قتلى بلا حصر ، وتفرق الأمراء - الذين لا عقل لهم ولا رأى - كل في زاوية ، ووقع الشاه طهماسب أسيرًا في يد القائد مقبوضًا عليه ، ولم يبتعدْ فتح على خان مرة أخرى عن إظهار المحبة والإخلاص وقام بتقديم مراسم التعظيم والتكريم له ، وحمل الشاه عالي الجاه إلى إستراباد ، واحتشد الجيش العظيم وتوجه إلى خراسان في ركاب الشاه طهماسب ، وأدخل الأرض المقدسة إلى دائرة الخضوع ، وفي تلك الأوقات حضر نادر شاه (نادر قُلي)[1] عند الشاه طهماسب ، واعتبر أن النواب فتح على خان مُخل لشأنه وأمره ، فقعد لحضرته في كمين الإزاحة والوقيعة ، ومهد لذلك مع جمع من الأمراء المتقلبين في الرأى . وفي الرابع عشر من شهر صفر سنة ألف

(١) يقصد نادرشاه الأفشاري وكان اسمه في ذلك الوقت (نادر قُلي) . (المترجم)

ومائة وتسع وثلاثين أزاح (نادر قلى) فتح على خان من بينهم . وعلى النهج الذى كان عليه حاز ترقيات عظيمة في أقل فترة ، وأخرج الأفغان من إصفهان وشيراز ، والروم (العثمانيين) من نهاوند وأذربيجان ، والروس من جيلان ، وقاد الجيش لإخضاع بلاد الهند . وبدون تفكير عن هذا وذاك العذر قتل الشاه طهماسب وأرسله إلى فتح على خان في وادى العدم .

٤ - في بيان كيفية أحوال الخاقان ساكن الجنة محمد حسن خان :

كان للنواب فتح على خان ولدان رفيعا الجواهر ، أحدهما الخاقان ساكن الجنة محمد حسن خان [ص ١٠] والآخر محمد حسين خان الذى ودع الدنيا الفانية فى طفولته ، وكان محمد حسن خان وهو خلفه الأعظم وفيروزة فلكه الذى تحت خاتمه يتربى ويتنشأ بعض الأوقات فى إستراباد وبعض الفترات وسط طائفة التركمان . وفى يوم من أيام الشباب وبداية نضارة روضة الحياة تنازع وتصارع على سراب راكض مع محمد زمان بك ابن محمد حسين خان قراموسالو ، فتوجه إلى أحشام التركمان مهمومًا منكوب القلب، وأعد جمعًا من الترك والتركمان وذهب إلى إستراباد واستولى على المدينة ، وفر محمد زمان بك الذى كان قد نُصِّب نيابة عن أبيه فى المدينة ، ووصل هو نفسه إلى بهبودخان . وفى تلك الأوقات كان بهبودخان قائدًا وحاكمًا لمنطقة إستراباد ومازندران من قبل نادرشاه الأفشارى ، وكان مستقرًا فى ساحل "أتك" مع ستة أو سبعة آلاف شخص . فشحذ القائد سيف القتال وتوجه إلى إستراباد ، وعلى ساحل نهر جرجان أعد ميدان القتال والحرب وهُزِم من نزاع لم تُعْقد نهايته وهرب . ووصل هذا الخبر إلى نادرشاه فى الموصل ، فعين محمد حسين خان القاجارى ، وذهب محمد حسين خان مع جيش بهبود خان وأهل إستراباد إلى المدينة وخربها وأقام قمم المنارات من رءوس أهلها ، وقتل جمعًا من الطائفة القاجارية . ولم يجدْ محمد حسن خان المجال للقاء والانتقام ورجع إلى الصحراء مرة أخرى ، حتى اختل قصر وجود نادرشاه بسيف الأتراك الهتاك . ورجع حضرة محمد

حسن خان من صحراء تركمانية إلى إستراباد ، وجعلها مقر الدولة ، وأخضع جيلان ومازندران تحت سيطرته ، وجهز ما يقرب من عشرين ألف جندى .

والمشهور أن نادرشاه كان يقول لحسن على خان معير الممالك: " إنه كان قد قيل إن الياقوت كان قد رؤى أربعة عشر مثقالاً والذى لم أره ، وقيل: إن الياقوت أربعة عشر مثقالا محمد حسن خان، الذى فلت من أيدينا" .

والخلاصة ، أن يوم ظهور دولة وإقبال محمد حسن خان كان فى ازدياد ، إلى أن توجه كريم خان الزندى إلى إستراباد مع أربعين [ص ١١] ألفًا من المشاة والفرسان جمعهم من الألوار والبختياريين . فكان محمد حسن خان يرسل الجيش إلى الخارج ، وكان يحضر أفواجًا تلو الأفواج من جيش الألوار مقبوضًا عليهم . وفى خلال أربعين يومًا صار خمسة عشر ألف شخص من تلك الجماعة تافهين ولا قيمة لهم فى يد صاحب التاج القاجارى ، وكانوا يقدرون غيرهم بعشرة أو اثنى عشر ألف شخص مقيد وأسير ، وقد قُتِلَ شجاع الدين خان الزندى بسيف الشجعان المظفرين ، وترك كريم خان الزندى متاع المُلك وأثاثه وعتاده الحربى والمدفعية والمدافع الصغيرة (الهاونات) ولوازم السلطنة ، وحمل رحله عن شاطئ إستراباد ، وحرك جواده السريع إلى جانب إصفهان ، وصار المكسب الذى لاحدود له من نصيب كسرى ذى الجناب العالى . ووجه [محمد حسن خان] إرادة السفر إلى العراق وتحرك من إستراباد إلى أشرف بمازندارن ، وفى تلك الأوقات التى كان كريم خان الزندى فيها فى إستراباد ، كانت جماعة لاريجانى قد انضمت مع جيش الألوار مُعلنة الخدمة والإخلاص ، وبعد عودة كريم خان لووا رأس الطاعة ودقوا طبول العصيان والتمرد ، فأمر حضرة السلطان بتعيين محمد ولى ميرزا مع مقيم خان الساروبى حاكم مازندران - الذى كان عظمة فى العفة ورجولة فى الغيرة وعلو الهمة - لصد [جماعة] لاريجانى ، وذهب الجيش إلى آمل بمازندران ، وقبل أن تقع تلك الحرب مع جماعة لاريجانى ، وضع محمد ولى خان بناء السلوك السيئ فى ولاية آمل بسبب سوء النفس وشرورها ، وأطلق يده على شرف ونسوة وأطفال شعب آمل .

ولم يحتملْ أهل مازندران حركات محمد ولى خان ، فقبضوا عليه وحبسوه ، وتجمعوا وذهبوا عند مقيم خان وأمّروه عليهم وقرعوا طبول العصيان بصوت عالٍ ، وأقاموا فى سارى وأعجبوا واغتروا بانفسهم ، فتمرك حضرة السلطان من "أشرف" بلا متاع ولاعتاد وهجم على مقيم خان وأهل مازندران ، وخر مقيم خان من قدميه بسبب إصابته بمدفع الهاون وتم أسره . وتفرق أهل مازندران وفروا إلى الغابة ، وأُحْرِقَ مقيم خان فى النار بأمر السلطان ، وأمر بمصادرة وأخذ أموال بعض معارف مازندارن ، ودفعوا عشرين ألف تومان بالضرب على يد المحصلين [ص ١٢] الأشداء ونجوا ، وقُتِلَ بعضهم .

٥- مجيء شاه بسندخان الأفغانى بغرض اخضاع إستراباد ، وهزيمته من حسين خان القاجارى والأبطال المظفرين ، وإخضاع جيلان وقزوين ، والقتال مع كريم خان الزندى وإخضاع إصفهان :

لقد وجد أحمد شاه الإبدالى حاكم قندهار مقدرة لاتحصى ، فقام بالسيطرة على خراسان ، وبعد السيطرة على الأراضى المقدسة ، أعطى لشاه بسندخان الأفغانى خمسة عشر ألفًا من الأفغان وقدموا إلى سبزوار عازمين إستراباد ، فرحل إبراهيم خان البغايرى وعيسى خان الكردى وعلى خان القليجى وعدد آخر من حكام خراسان بأهاليهم وعشائرهم وقدموا إلى الدامغان. فأصدر النواب السلطانى محمد حسن خان أمرًا بالقيادة لمحمد حسين خان الدلويي القاجارى، الذى كان من أعظم الأمراء، ومعه حكام خراسان وأربعة عشر ألفًا من الأبطال لطرد شاه بسندخان . وبعد التقاء الفريقين ، وقعت الهزيمة على الجيش الأفغانى ، ولم يستطعْ شاه بسندخان ضبط عنان نفسه حتى عند أحمد شاه. وبعد هذا الفتح المُبين تحرك النواب محمد حسن خان من مازندران بجيوش بحر الصخب واصطف للحرب مع كريم خان ، وأسر محمد خان بى كله الزندى، الذى كان السيف قد قطع رجله بمقدار

الكف فاشتهر بـ بى كله[1]، وهو من شجعان العصر ، ولم يكنْ أحدُ أشجع وأجرأ منه بعد كريم خان الزندى، ومعه سبعون شخصًا من الأمراء الزنديين ، وأرسلهم إلى مدينة "سارى" واستولى على إصفهان ، وتصادف التقاؤه مع كريم خان الزندى فى "كلرن أباد"، وهزمه، وموقعة "كلرن آباد" شائعة ومنتشرة على لسان أهالى إصفهان حتى الآن.

٦ - مقاتلة النواب محمد حسن خان مع آزادخان الأفغانى وإنزال الهزيمة به :

استولى آزادخان الأفغانى على أذربيجان، وجعل مقره ومأواه فى "آرومية" ، فتوجه السلطان محمد حسن خان للسيطرة على أذربيجان ، وتوجه آزادخان مع عشرين ألف شخص من الأفغان إلى ميدان القتال وأقدم على معركة الابتلاء والمحنة . ولأن مملكة الأفغان كانت فى أرومية، وكانوا يظهرون الجلادة والعناد فى قمة الشرف ، فانسحب جيش السلطان من أمامهم ، واغتاظ حضرة السلطان من مشاهدة هذا الحال [ص ١٢] ، ودفع الجيش إلى الميدان ، وضغط بقدم الجرأة والجلادة فى ميدان الشجاعة ، وألحق بالأفغان الهزيمة الفاحشة . وفر آزادخان ومعه عدد من المقربين تجاه " تفليس ". وقام السلطان عظيم الشأن بجمع شتات الأفغان ، فَرَحَّلَ ألف أسرة من الأفغان والأوزبك وأرسلهم إلى مازندران عن طريق جيلان ، وأسرع هو مع حشد كثيف وجيش فى قوة الجبل من العراق إلى فارس ، وحاصر كريم خان الزندى فى شيراز ، وفى تلك الحالة ، رفع جمع من الأمراء القاجاريين رأس المخالفة وأظهروا أسلوب الخلاف والنفاق ، فتفرق واضطرب معسكر بتلك العظمة ، وأدار النواب محمد حسن خان عنانه من شيراز إلى مازندارن . وفى سنة ألف ومائة واثنتين وسبعين ذاق طعم الشهادة على يد اثنين أو ثلاثة من الطائفة

(١) بى كله : تعنى فى الفارسية المعوق ، المعوج ، ناقص القدم . (المترجم)

القاجارية ، فأدخل وقوع هذه الواقعة السرور على كريم خان الزندى ، وصار حدوث هذه الحادثة سبباً لتفوقه وغلبته . [بيت ترجمته]

رفعوا التاج لقوم من مفرق الرأس * وعقدوا لقوم الجواهر على الجبين

وأصبح بلده [كريم خان] العراق [العجمى] أمناً، وساق جواد التطاول إلى مازندران وطبرستان ، وشتت بلاد إستراباد التى كانت دار إمارة تلك الأسرة الجليلة ، وفسخ حبل ذلك العقد من بعضه بيده الجسورة ، ونثر لآلئ الجوهرة الفريدة فى بحر الملكية بيد العداوة والحقد . فاستقر بعض من ذلك اللؤلؤ الأرى فلك الخلافة فى دار السلطنة قزوين ، وسمح للبعض الآخر بالإقامة فى دار العلم شيراز ، واحتفظ هو لديه بحضرة بطل العالم أبى النصر محمد شاه وأبى الفتح والظفر حسين قُلى خان، اللذين شبا كلاهما فى صدف واحد وكانا أولاد محمد حسن خان[1] ، أحدهما فلك المنزلة وهو العم الأكبر للحضرة العلية [فتحعليشاه القاجارى] وثانيهما توءم الشهامة وهو الوالد. وكان [كريم خان] يستعين بهما فى جلائل أمور العالم ، وكان يعثر على المعونة من رأيهما الرزين ، وكانا جالسين فى سرير السلطنة وفى حرم مشورة الأنس . وقد توجه النواب حسين قُلى خان إلى إستراباد بإذن كريم خان ، ولمدة عامين كان جوادإستعلائه سريع الحركة وخفيف العنان وسيف انتقامه رامياً بالنيران ، وجعل الذين خالفوا والده جميعهم طُعمة للسيف الحاد ، وأعلن العصيان مع كريم خان [ص ١٤] وأخذ ملك المُدن [حسين قُلى خان] محمد خان سوادكوهى بحملة واحدة من صاحب الروح . ولما كان حضرة الحق جلا وعلا [الله جل جلاله] قد أناط راحة بلاد العباد فى عالم الكون والفساد بوجود ملجأ العالم هذا، ورفع راية صاحب الدين والعدل والإنصاف هذا الملك كسرى صاحب العالم فى مضمار القضاء على يد حفظة الأرض والسماء الأطهار ، ففى ليلة الخميس الثامن عشر من شهر شوال سنة ألف ومائة وخمس وثمانين هجرية زين وأنار الحضرة العلية [فتحعليشاه] ،

(١) فى الأصل الفارسى محمد حسين خان وصحيحها محمد حسان خان . (المترجم)

جمشيد الشوكة مُدرك راية الإسكندر ، ساحة الدنيا من شعاع وجود السعادة المزين ، ووضعت مرضعة الدولة ثدى السعادة على فمه ، وعقد مربى القدرة تميمة السلطنة والجوهرة الفريدة على ساعده المبارك ، وتلا قراء أدعية عالم القداسة عبارة: وإن يكاد على جماله مع كماله من أجل صد عين الكمال والحسد . ونثر مدبرو أمر بلاط القضاء والقدر دراهم الشمس ودنانير القمر على قمة رأس الهمايون ودماغه الميمونة من أجل بعثرتها ، وصار مسمى تلك الشجرة سرو حديقة الدولة وبرعم روضة السلطنة والخلافة بالاسم المبارك لجده الأمجد فتح على خان طاب ثراه . ولما مضت عدة سنوات على هذا ، فقد انقضى زمن حياة النواب حسين قُلى خان بسبب مؤامرة بعض الأشخاص من تركمان "يموت" .

٧ - بيان فتوحات ومراتب الخاقان المغفور له محمد شاه بعد موت كريم خان الزندى على سبيل الإجمال من وضع سياق هذا الكتاب حتى استشهاد حضرته :

في يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر صفر سنة ألف ومائة وثلاث وتسعين هجرية جذب كريم خان الزندى سم الممات من يد ساقى الأجل ومات ، فأطلق الخاقان المغفور له محمد شاه العم الحاكم ملجأ الدين العنان من الحصن الحصين شيراز إلى ناحية إقليم دار المرز[١] وإستراباد ، ووضع السعيد الموفق قدمًا على سرير السعادة والنجاح ، وأهلك الأعداء وعمَّر الولايات وأصلحها .

والخلاصة من مآثره وهو خاتم مكارم الأخلاق وطريق السعادة واليقظة وإرادة البرق وهي من آثار شعار السلطنة، هى أن الخاقان المغفور له تحرك سريعًا مع الأخوان رفيعي الشأن جعفر قُلى خان ومهدى قُلى خان وبعض [ص ١٥] الأقارب

(١) دار المرز : أى دار الحدود ويقصد بها مازندارن . (المترجم)

والمخلصين من شيراز إلى إصفهان في مسافة ثلاثة أيام ، ومن هناك أداروا العنان واندفعوا إلى مقربة من مازندارن ، وفى طهران لحق بالركب أبدال خان كردجهان بيكلو ورؤساء سائر الأكراد مع عشيرتهم وجماعتهم الذين كانوا مقيمين في منازل الري وإصفهان ، أما الإخوة الآخرون لحضرته في إستراباد فجاءوا إلى مازندران مع جمع بسبب خبر وفاة كريم خان واستقروا في بلدة "بارفروش" . وفي البداية ابتهجوا لبشرى تحرر الخاقان المغفور له ، وفى النهاية وقفوا بالنفاق والعناد بسبب فتنة بعض الحساد ، ووضعوا العوائق في طريق الأخ المحظوظ ، وعينوا جمعًا لمنع وصول الخاقان المغفور له إلى "سواد كوه" ، وبهذا انفصل بين ركاب حضرته وبين أخيه الآخر رضا قُلي خان الذى فر إلى مازندران وأظهر مسلك عدم الوفاء ، فبعث الخاقان المغفور له بـ جعفر قُلى خان إلى مرتضي قُلى خان وأعطاه رسالةً " بأنه على الرغم من البُعد لعدة سنين ، فلو لم يكن لهم رغبة في ملاقاتنا ، فشوق الاضطرابات متعلق بنا ، وحتى الآن لم يصدرْ ولم يظهرْ من جانبنا الأمر الباعث على هذا التجنب والملل والموجب لعدم الرغبة هذه والقيل والقال وأنه كان يجب أن نُحذِّر من الخلاف والنفاق وأن نسلم إلى الوفاق والاتفاق".

والخلاصة ، أن هذه النصائح لم تفدْ مرتضي قُلي خان وأصر على العناد وانتهى الأمر إلى النزاع بين الإخوة واشتعلت الحرب بينهم، وانفصل رضا قُلي خان عن مرتضى قُلي خان وذهب إلى بلدة بارفروش ووقعت الهزيمة على مرتضى قُلى خان ، وذهب الخاقان المغفور له إلى بلدة بارفروش ، وأراد على مرادخان [الزندى] إخضاع مازندران ، وبتحريض من جماعة لاريجاني الذين انضموا إليه ، عين جيشًا جرارًا من الألوار والزنديين ، فلاقوا الهزيمة الفاحشة من الخاقان المغفور له ورجعوا إلى طهران . وقصد الخاقان المغفور له إصفهان فوضع رضا قُلى خان مرة أخرى لبنة الفساد بالأسلوب السرى ، فكلف الخاقان المغفور له على أمره جعفر قُلى خان ، فلم يجد رضا قُلى خان [ص ١٦] مأمنًا ودخل مضطرًا في خدمة الأخ عالي الجوهر ، وتعهد بألا يحوم حول الخلاف . وأمر الخاقان المغفور له بالعفو المقرون بالإغماض عن تقصيره ، وتحرك لإخضاع إصفهان ، وقدم إلى مقربة من طهران ، وكلف جعفر قُلى خان بفوج من الجيش على قزوين . وفي منزل "دولاب" كلف مهدى قُلى خان أخاه

الأصغر باستمالة جماعة لاريجاني . وفر رضا قُلي خان بعد رحيله من المعسكر الهمايوني وانضم إلى جماعة لاريجاني في "فيروز كوه" و"دماوند" ووضع لبنة إثارة الفتنة والفساد ، فأدرك الخاقان المغفور له أهمية صد العدو الداخلي ، وانعطف صوب مازندران . وفي أثناء توقف الخاقان المغفور له على مقربة من طهران تلاقى مرتضى قُلي خان ورضا قُلي خان مع بعضهما وسلكا طريقهما إلى جعفر قُلي خان الذى كان راجعًا من قزوين عازمًا خدمة الأخ ، ومن هناك كُلِفَ على أمر رضا قُلي خان وهزمه في بلدة "كجور" وقبض عليه وأحضره إلى خدمة الخاقان المغفور له . وأرسل مرتضى قُلي خان مصطفى قُلي خان مع عدد من الغلمان إلى خدمة الخاقان ، وأعلن الندم . وتوجه الخاقان المغفور له إلى سارى ، ومن هناك إلى بارفروش وتوقف بها ، وكلف جعفر قُلي خان ومصطفى قُلي خان بإخضاع جيلان ، وقرر لرضا قُلي خان استمالة أهالي لاريجاني ، فطغى ذلك الجهول مرة أخرى لتلون مزاجه وسواد فطرته ، وأظهر علامات العصيان . وفي شهر ذى الحجة المحرم سنة ألف ومائة وخمس وتسعين هجرية قدم [رضا قُلي خان] إلى بلدة بارفروش على حين غِرة ، وحاصر مبنى ديوان الحضرة العلية ، ولتجاوزه عن الحد في العصيان قبض على الخاقان المغفور له وأرسله خلف الأغلال . فتجمع على الفور بسبب سماع هذه الأخبار جعفر قُلي خان ومرتضى قُلي خان وعلى قُلي خان وسائر الأمراء والحكام القاجاريين ، واندفعوا إلى رضا قُلي خان ، وهزموه بعد دفعتين من القتال والجدال ، [ص ١٧] وقتلوا أعوانه وأنصاره وأمراءه وجنده ، واختار هو الفرار على القرار ، وذهب إلى العراق [العجمى] ، وانضم إلى على مراد خان الزندى ، وبقى عنده لفترة ، وأظهر معه عدم الوفاء ، وانفصل عنه ، وذهب عند صادق خان الزندى في شيراز ، وبعد فترة سلك معه أيضًا طريق عدم الوفاء ، وفر من شيراز إلى خراسان ، وتوفى في مشهد المقدسة .

والقصة ، أنه بعد هروب رضا قُلي خان ، جعل الخاقان المغفور له الإخوة كل على قدر مرتبته موضع عطفه ورعايته ، ولكن مرتضى قُلي خان لم يحضُرْ العطاء الفياض بسبب فتنة هذا أو ذاك ، فأرسل الخاقان المغفور له رسالة له " بأن المصلحة هكذا تقتضى بأن نتفق نحن الإخوة مع بعضنا ، وأن نتواجه بالصدق والصفاء مع بعضنا في الخفاء والعلانية أيضًا ، وأن نزيل غبار الأعداء المعفرين " ، ولم يقبل ثانية

معنى الاتفاق والاتحاد ، وأعد مرتضى قُلي خان خندقًا (كمينًا) على بعد نصف فرسخ من "على آباد" ، وأطلق يده بقطع الطريق . فكُلِّفَ رضا قُلي خان القاجارى على رأسهم بأمر الخاقان ، وأخذوا الكمين بحملة واحدة ، وقام الخاقان المغفور له بمحاصرة مرتضى قُلي خان فى قلعة سارى ، وانضم جعفر قُلي خان من " تنكابن " إلى خدمة الأخ المحظوظ . وبعد معارك كثيرة وحروب ونزاعات لاتحصى ، دخل مرتضى قُلي خان في العجز ، وخرج وقابل الأخ ، فعفي الخاقان المغفور له عن جرائمه وأنعم عليه بإسترباد وتوابعها ، وعطف على ملازمى ركابه .

وبعد تهدئة أمور لأريجان وسارى ، قام بأمر ولاية سمنان ، ومن هناك تحرك صوب الدامغان وبسطام ، وسلك كبار تلك المناطق سبيل الانقياد والخضوع ودخل نادر خان عرب في الخدمة ، وصار موضع العطف والرعاية ، ومنح جعفر قُلي خان منطقة "بسطام" كإقطاعية ، ومنطقة "سمنان" لعلى قُلي خان كإقطاعية أيضًا . وبادر خان محمد خان القاجارى بالخدمة ، وبتعهده تشرف مرتضى قُلي خان مع جمع من الأمراء القاجاريين بخدمة الأخ ذائع الصيت . وأصدر الخاقان المغفور له الأمر لمرتضى قُلي خان [ص ١٨] بأن يتوجه صوب رشت وجيلان ويستولي عليهما ، فذهب مرتضى قُلي خان مع الجيش العظيم إلى جيلان ، ودخل هدايت خان فى النزاع والقتال ، وطلب الأمان بعد خمسة وأربعين يومًا ، وأرسل الهدية وقبل الخدمة . واستدعى الخاقان المغفور له مرتضى قُلي خان إلى الركاب ، وتوجه من مازندران إلى ناحية إسترباد . وفى سنة ألف ومائة وسبع وتسعين [هـ.ق] لم يحتملْ هدايت خان حرارة المقاومة ، وفر إلى شيروان .

ونزل الخاقان المغفور له محل الإجلال ، بعد وصول الأموال الديوانية من جيلان والانتهاء من أعمال قزوين وسلطانية وزنجان وكوران دشت ، وتوجه من هناك إلى سلطانية ، وفي فصل الخريف عطف بعنانه إلى مازندران ، وفي ربيع العام التالى توجه إلى قلعة طهران وحاصرها وكان على مراد خان الزندى في همدان ، فعين مراد خان الزندى على مازندران ، فعين الخاقان المغفور له جعفر قُلي خان له حتى يهزمه ، وتفرق جيشه واضطرب ، ورحل على مراد خان فى أثناء هذه الأحوال من

إصفهان إلى شيراز ، واستولى على قلعة شيراز بعد تسعة أشهر من الحصار ، ودمر صادق خان الزندى وأباده مع أولاده وأعوانه وأنصاره ، وحرم أبو الفتح خان بن كريم خان من زينة الإبصار . وبعد الانتهاء من مهام تلك المناطق رجع إلى إصفهان ، وازدهر أمره تمامًا ، وأخذ فى التحرك مع الحشد والحشم الكامل بقصد إخضاع مازندران وإستراباد ، واستراح فى طهران ، وعين جيشًا من كل ناحية ، وكلف ابنه شيخ ويس مع جمع من الأمراء والجيش لإخضاع إستراباد ، وخربت مازندران بسبب اعتداء جيش الزنديين والألوار ، وتوقف شيخ ويس خان نفسه فى سارى ، وعين محمد ظاهر خان الزندى مع فوج مهاجم على إستراباد . وفى أثناء ذلك ، اختلف مرتضى قُلى خان ومصطفى قُلى خان مع الخاقان المغفور له ، وانضموا إلى شيخ ويس خان ، وذهبوا إلى إستراباد بالاتفاق مع محمد ظاهر خان ، وحاصروا إستراباد لمدة شهر واحد ، فعين الخاقان المغفور له فرقًا من الأبطال [ص ١٩] الإستراباديين والقاجاريين لسد الطرق والشوارع ، وأغلقوا طريق المرور والعبور والمؤن على شيخ ويس خان وجيشه اللامتناهى ، فحدث وسط معسكرهم قحط وغلاء شديد ، وتفرق معسكر بتلك العظمة وقُبض على محمد ظاهر خان وقُتل ، ولم يحتملْ ويس خان حرارة المقاومة وحيث كان متوقفًا في سارى مع الأمراء والجنود وفر وانضم إلى على مراد خان فى طهران ، ورجع مرتضى قُلى خان أيضًا ، وقصد جانب على مراد خان . وفى بلدة "قم" سمع بخبر وفاة على مراد خان [الزندى] فأسرع من هناك إلى رشت عن طريق قزوين ، وتوقف فترة فى ذلك المكان ، وذهب إلى "حاجى طرخان" ، ولاذ بملكة روسيا كاترين (يكه ترينه) ، وظل يعيش فى تلك الحدود حتي ودع الدنيا الفانية، وأحضروا نعشه إلى إيران.

والحاصل، أنه بعد هزيمة شيخ ويس خان ومقتل محمد ظاهر خان ، كان على مراد خان سيىء الحال بسبب مرض الاستسقاء ، فساء حاله أكثر لوقوع هذه الأحوال ، فتوجه من طهران إلى مقربة من إصفهان ، وبالقرب من إصفهان خلت جواهر روحه من قالب الجسد . وقَدِمَ جعفر خان الزندى أخوه من أمه - الذى كان ابن صادق خان الزندى ، وكان مكلفًا على حدود الكردستان وخمسة - من

زنجان إلى إصفهان ، ورفع راية الاستعلاء والاستبداد ، واتكأ مكان أخيه على مسند العظمة .

وفي الرابع عشر من ربيع الأول سنة ألف ومائة وتسع وتسعين ، تحرك الخاقان المغفور له من إستراباد صوب العراق ، واستولى أولاً على مدينة " قم " ، وتوجه من هناك إلى كاشان ومنها إلى إصفهان ، وأسرع رؤساء وحكام العراق [العجمي] بالتشرف في الخدمة ، ولم يحتملْ جعفر خان الزندي حرارة المقاومة في إصفهان ، وذهب إلى شيراز ، وتحرك الخاقان المغفور له إلى بدو صحراء بختيارى وفراهان وكزاز ، وفرق كمينهم في محل " كهيز " ، وصار جمع كثير منهم طعمة لسيف المجاهدين .

وفي عام ألف ومائتين وواحد قاد الجيش إلى جيلان ، وأخضعها تحت سيطرته ، وجعل أحد الغلمان من هدايت خان هدفًا لرصاصة بندقيته في أثناء فراره من أنزلى إلى باكويه ، وأحضر رأسه إلى خدمة الخاقان المغفور له . [ص ٢٠] وفي سنة ألف ومائتين واثنتين ، فقأ الخاقان المغفور له عين على خان حاكم "خمسة" في إصفهان بسبب خيانته ، وكلف الجيش بنهب طائفة بختياري ، وذهب جعفر خان الزندي من شيراز إلى يزد ، فلاقى الهزيمة الفاحشة من مير محمد خان الطَبَسي ، ورجع إلى شيراز ، واغتر مير محمد خان ، وقدم إلى إصفهان ، فكلف الخاقان المغفور له جعفر قُلي خان بتأديبه ، وفي ناحية رودشت بإصفهان حمي وطيس معركة القتال والنزاع فيما بينهما ، وبعد أداء المعارك العظيمة ، هُزِم مير محمد خان ، وفر إلى طبس ، وقصد الخاقان المغفور له فارس ، وذهب حتى "مشهد مادر سليمان" ، ومن هناك رجع إلى إصفهان ، ومنها عاد إلى طهران .

وفي سنة ألف ومائتين وثلاث ، قُتل جعفر خان الزندي على يد أبناء أعمامه ، وهكذا كتب عليه القضاء ، وكان قد كلف ابنه لطف علي خان بإخضاع مملكة اللار ، فرجع من هناك ، وأحضر قتلة الأب ، وقتلهم ، وتوجه الخاقان المغفور له لإخضاع فارس ، وعلى مقربة من شيراز تجهز لطف على خان مع عشرين ألفًا من الألوار والفُرس ، وعقد الأمر على المواجهة والمقاتلة ، وبالقرب من مسجد " بردى " بشيراز ،

نظم الخاقان المغفور له الصفوف وعبّأ الألوف ، وبعد ساعة من الكر والفر ، لقى جيش فارس الهزيمة بالقتال الجلد لجعفر قُلى خان ، وفر الضعفاء والمشتتون إلى مقربة من قلعة شيراز ، وأُسر ثمانية عشر ألفًا من المشاة وقبض على جمع من أمراء لطف عليخان ، وفى هذا العام لم يتيسرْ إخضاع شيراز ، وتوجه الخاقان المغفور له إلى دار مُلك الأنس والسرور (طهران).

وفى سنة ألف ومائتين وأربع (١٢٠٤ هـ.ق) ، أراد إخضاع أذربيجان ، وكانت نهاية العام الذى تهيأ فيه لذهن صادق خان الشقاقى العزم على المقابلة مع الخاقان عالى الجناب ، فأغار الخاقان المغفور له فى إحدى الليالى على مسافة أربعة وعشرين فرسخًا وخرب "سراب" بهجمة واحدة ، وأشعل نيران الإغارة والسلب فى تلك المناطق ، وأحرق بيوت ذلك المكان ، وفر صادق خان الشقاقى وذهب إلى قراباغ ، وانضم إلى الركاب فى تبريز مصطفى قُلى خان حاكم قراجه داغ [ص ٢١] وحسين قُلى خان الدنبلى حاكم خوى ، وأخذ من كل واحد منهما البيت والرحل والرهينة ، ونصبهما على حكومة ولايتيهما كما كانا ، وبالإضافة إلى ذلك جعل حسين قُلى خان الدنبلى حاكمًا لتبريز ، وخاف محمد قُلى خان الأفشارى حاكم أرومية ، وفر إلى "محال إشنو" ، فكلف محمد خان عز الدينلو مع ثلاثة آلاف شخص على أرومية ، وحمل ملكه ودولته ، ونقلهما إلى معسكر الهمايون ، ولحق محمد قُلى خان الأفشارى بمعسكر الهمايون بعد اطمئنانه ، وفى أثناء ذلك الوضع ، وصل خبر ثورة لطف على خان ، فتوجه الخاقان المغفور له من أذربيجان إلى العراق ، وكيفية هذه الأخبار على سبيل الإجمال: هو أن لطف على خان خرج من شيراز مع عشرين ألفًا من الفرسان والمشاة ، ووصل حتى قرب " قمشة " ، وكان الحضرة العلية زحل المنزلة الخاقانية ولى عهد الخاقان المغفور له ، السلطان فتح على شاه متوقفًا فى مرج " كندمان " بأمر الخاقان المغفور له ، وأراد لطف على خان محاربة الحضرة العلية ولى العهد فى " سميرم " ، وفى الليل بدل عبد الرحيم خان الشيرازى وبإشارة أخيه الحاج إبراهيم خان وصواب رأيه - حقوق لطفى على خان بالعقوق والعصيان ، وثاروا فى معسكر لطف على خان ، وترك لطف على خان معسكره ، وفر إلى شيراز مع مائتى شخص ، وأغلق الحاج إبراهيم خان الشيرازى أبواب القلعة ، ومنعه من دخول شيراز ، وهام

لطف على خان على وجـهه مـهـمومًـا ومـحزونًا فـى أطراف وبرارى شـيـراز ، وعرض الحـاج إبـراهيم خـان كـيـفـيـة مـا حـدث على بلاط الخـاقـان ، وطلب قـائدًا ، فـعـين على شيراز مصطفى خان الدلويى القاجارى مع ميرزا رضا قُلى منشى نوائى وثلاثة آلاف شخصا ، وبعد القدوم إلى شيراز ، ضبط ميرزا رضا قُلى الجواهر الكثيرة للفرسان والمشاة والذخائر والكنوز العـديدة ، وأرسلهـا إلى إصـفـهـان ، وولى لطف على خـان وجهه تجاه ميناء " ريك "(١) ، وهناك جهز نفسه ، وعاد صوب شيراز ، فـأطلع الحاج إبراهيم خـان مـصطفى خـان ، وأخـبره بـهذا الوضـع ، وهـجم هو عليـه مـع سبـعـمـائة فارس ، [ص ٢٢]، وضـغط لطف على خان فى مقابل قدم الثبات ، وأوشك أن يأسر مصـطفى خان ، وفى النـهاية نجـا من تلك المـعركة بجـهد ومحاولة شجاعة ، وبعد [وصول] تقرير الحـاج إبراهيم خان ، كُلف جان محمد خان الدولويى مع جمع كثيف من الركاب إلى شيراز ، وتقاتل لطف على خان فى ذلك الوقت ومعه جمعه الذى كان يصل إلى الألفين ، فى مسجد بردى مـع جان مـحمد خـان ، وانتصر ووقع بعض من الحكام أسرى فى ذلك المكان .

وفى سنة ألف ومائتين وست (١٢٠٦ هـ.ق) عزم الخاقان المغفور له على إخضاع شـيـراز من طـهـران ، وفى منزل "إيرج" ، أغـار لطف على خـان ليـلاً على مـعـسكر الهمايون ، ولم ينجزْ عملاً ، وفر من الديار سائرًا على قدميه وقام الحاج إبراهيم خان الشيـرازى مع أعيـان فـارس وأشرافهـا بالاستقبال ، ودخل الخـاقـان المغفور له قلعة شيـراز ، وقـام بترحـيل أولاد كـريم خـان وعلى مـراد خـان ولطف على خـان وسـائر الأكابر والأمراء الزنديين ، وأرسلهم قرب مازندران وإستراباد .

وفى سنـة ألف ومـائتين وسـبع (١٢٠٧ هـ.ق) خضـعت جميع مناطـق كرمان وبم ونرمـاشير تحـت قيـادة النـائب فتح على شاه ولى عهده ، وأصـدر الأمر بتخريب قلعة شـيراز ، التى كانت من منـشـآت كريم خان الزندى ، وتوجـه إلى تأديـب ومـعاقـبة

(١) ميناء إيرانى على الخليج والعاصمة المركزية لمنطقة « حياة داود » والتى تقع فى القسم الساحلى المجاور لمحافظة « بوشهر » . (انظر لغت نامه : على أكبر دهخدا ، جلد سوم ، ص ٤٣٥٨ .)

[طائفتي] يموت وكوكلان ، فقتل وأسر جمعًا كبيراً منهم ، وأقام قمم المنارات من رءوس تلك الجماعة .

وتوافق سنة ألف ومائتين وثمان (١٢٠٨ هـ.ق) عزمه على إخضاع خراسان والتي ترتبط بقصة ثورة أهالي كرمان ، وإخضاعها ، والقتل الشامل لذلك الإقليم العامر كعمران "إرم" ، وتفصيل هذا الإجمال ذلك : وهو أن لطف علي خان وبعد أن هام على وجهه كثيراً ، فر من طبس إلى قاين ، وهناك تسمى خفية بـ "سر مجيب" ، وحمل أهالي كرمان وحاكمها مرتضى قُلي خان الكرماني وملا عبد الله بيشنماز[1] لطف علي خان مع عدد من أعمامه وبني أعمامه وعدة أشخاص من الزنديين الذين لا نهاية لهم إلى كرمان ، واستجابوا للثورة والتمرد ، واتحد معهم أيضًا جمع كثير من أفغان بم وسيستان، فهجم بسرعة الخاقان المغفور له من طهران بغرض صد هذه الفتنة ومعه الجيش الكثيف وبهدف [ص ٢٣] إخضاع كرمان ، وبعد النزول إلى أطراف قلعة كرمان ومحاصرة ذلك المكان ، أمر بحفر خندقٍ عميقٍ حول المدينة ، وفي أطراف القلعة أقام بروج الأبطال في مواجهة بروج المدينة ، وانشغل الطرفان ليل نهار بالتجهيزات الحربية ، وفتحوا ثغرة من الداخل والخارج ، وطالت مدة الحصار إلى خمسة أشهر ، وانكشف القحط والغلاء في وسط القلعة حتى إنه خرج من المدينة تسعة آلاف شخص ولم يأت بالنفع أيضًا من أجل الباقين وتشرف حكم قدر القضاء بالنفاذ ، بأن حمل الأمراء والجيش بالهجوم ، وأخضعوا القلعة بالقهر والغلبة ودمروا أهالي ذلك المكان بالسيف الفالق للصخور . وفي يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ألف ومائتين وتسع هجرية (١٢٠٩ هـ.ق) ، قاموا بالهجوم والإغارة ، وصعدوا إلى البروج واحتلوا المدينة ، وأطلقوا يد القتل والإغارة إلى درجة أنهم ظنوا أن لطف علي خان أصبح من بين القتلى ، وكان لطف علي خان في قلعة كرمان ، وفي أثناء الليل أخذ طريق "بم" وهو متوجع مع عدة أشخاص من الخدم والحشم ، وتتبع السيستانيون جواده في ذلك المكان ، ورموه في التراب ، وقيدوه ،

(١) بيشنماز : تعني في الفارسية « إمام الصلاة » . (المترجم)

وأحضروه إلى خدمة الخاقان المغفور له ، وبعد إعمائه ، أرسله إلى طهران ، فقاموا بقتله ، وكما قتل من أهالي كرمان خلقًا بلا نهاية ، وأجرى جدولاً دمويا من دماء الكرمانيين ، وانتقلت مرة أخرى إلى الخاقان المغفور له قطعتان وهما من جواهر والد الخاقان المغفور له والمسميتان بـ تاج ماه (تاج القمر) ودرياى نور (بحر النور) ، اللتان كانتا عند لطف على خان مع سائر المجوهرات الأخرى .

وفى سنة ألف ومائتين وتسع [١٢٠٩ هـ.ق] ، قام بالرحيل إلى أذربيجان ، ووجه همته لإخضاع قراباغ والقبض على إبراهيم خليل خان جوانشير ، وفى هذا العام لم يتيسر إخضاع قلعة "بناه آباد" المشهورة بـ "شوشى" ، ومن هناك رفع راية الحرب بغرض إخضاع الكرجستان . وعلى الفور أنزل الهزيمة بأركلى خان والى الكرجستان ، ودخل قلعة تفليس ، فوقعت فى أيدى الجنود أموال طائلة وما يقرب من خمسة عشر ألفًا من الفتيات عرائس القمر والغلمان فضى اللون والنساء حمر الخدود ، ومسح أركلى خان طريق كاخت وكارتيل ، وتوقف الخاقان المغفور له تسعة أيام [ص ٢٤] فى تبريز ، وتوجه إلى كنجه ، وقاد ولايتى شكى وشيروان للطاعة ، وفر مصطفى خان الشيروانى إلى "كوه فت" ، ورجع الخاقان المغفور له إلى دار الخلافة طهران .

وفى سنة ألف ومائتين وعشر هجرية [١٢١١ هـ.ق] جلس [على العرش] ووضع التاج على الرأس ، وبهدف إخضاع خراسان ، رفع راية النصر مع الجيش العظيم ، وفر نادر ميرزا حفيد نادر شاه الأفشارى ، بن شاهرخ ميرزا إلى قندهار ، وتعلق بأولاد تيمور شاه الأفغانى ، وبعد وصول الخاقان المغفور له إلى مقربة من مشهد المقدسة الرضوية ، أخضع قلعة مشهد بسهولة ، وقبض على شاهرخ ميرزا ، وطلب منه الخزائن النادرية التى كانت تحت تصرفه ، وبعد ذلك أعطى الجواهر ، ومرض وتوجه إلى عالم الآخرة .

وفى سنة ألف ومائتين وإحدى عشرة هجرية (١٢١١ هـ.ق) ، قاد الجيش إلى أذربيجان ، وكان فى خدمته النواب الأمير عباس ميرزا والأمير محمد قُلى ميرزا وحسين قُلى خان وسليمان خان ، وقصد هادفًا إخضاع قلعة شوشى ، وأصدر الأمر

لحسين قُلي خان وسليمان خان والحاج إبراهيم خان الشيرازي وجمع من الأمراء بالتوقف في أدينه بازار[1] ، والتي كانت قريبة من القلعة -- على رأس المؤن والأمتعة والتجهيزات الحربية ، وعبر هو نفسه مياه نهر أرس وقت الرياح ومعه جمع من الجنود وصادق الشقاقي الذي كان قد اطمأن منذ عام مضى ودخل في الخدمة وتشرف بالقرب والمنزلة ، فاضطرب إبراهيم خليل خان وأصبح في حيرة من خبر تحركه (الخاقان) ، وغادر القلعة الحصينة ، وسلك طريق الفرار تجاه الداغستان ، وصار الخاقان المغفور له داخل القلعة بدون مانع للدخول والخروج ، واستولى على الأثاثات والأمتعة الكثيرة والخزائن التي لاتحصى من الأرمن والمسلمين .

ولأن كل إقبال في عقبه زوال وكل ربيع في عقبه شتاء ، ففي ليلة السبت الواحد والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام [سنة ١٢١١ هـ.ق] والقريبة بطلوع الصبح الصادق ، أخطأ شخصان أو ثلاثة من الخدم وغلمان بلاط زحل وهم شجرة العداوة الخبيثة ، التي نمت وترعرعت ثمارها منذ أوائل عهد الصبا وتباشير الطفولة في مسقى الدولة السلطانية ، فبسبب بطشه وسفكه الدماء وشدته ، ولخوفهم على أرواحهم [ص ٢٥] التي كانت معرضة للهلاك في غد تلك الليلة ، عزموا على قتله ، وأسرعوا إلى مخدعه ، فوجدوه نائمًا ، وجعلوه شهيداً بطعنة خنجر السرور عالي الجوهر ، ولوثوا ثوب النوم الكسروي بالدم ، ولأن هذا العمل ظالم وجسارة عظيمة ، فلم يكن يدركه عقل العقلاء ، لأنه صدر فجأة من أولئك الجهلة التعساء ، وأخذوا التاج والقبعة المرصعة مع باقي الأمتعة والأثاث السلطاني مثل الأساور المجوهرات والسيف المرصع المدمر للعدو وصندوق المجوهرات وغيره ، والذي كانت كل حبة منه زينة صدور وأكتاف سلاطين العهود ، وكل قطعة منه ثروة منجم البحر ، وحملوها خفية ، ونقلوها عند صادق خان الشقاقي ، وأقروا له بالواقعة المُرعبة والمكروهة ، وفي البداية لم يصدقها ، وعندما وضعوا الأمتعة الملكية أمامه ، تيقن من وقوع الإقدام العجيب ، واستولى على جميع الأمتعة ، ومع مصاحبة هذا الحال ، أشرقت الشمس ، واطلع

(١) أدينه بازار : تعني في الفارسية : سوق الجمعة وهي اسم نهر على حدود إيران مع روسيا [مع حدود جمهورية أذربيجان الحالية] . (انظر لغت نامه ، على أكبر دهخدا ، جلد يكم ، ص ٤٦ .) .

الأمراء والجنود الذين كانوا حاضرين في القلعة على تلك الواقعة المؤلمة للنفس ، فصاروا غرقى في بحر الاضطراب ، ولم يوقفوا آلة العمل ، وأسرعت كل جماعة إلى صحراء وجبل ، وبعد اطلاع محمد حسين خان القاجارى رئيس الحرس وميرزا رضا قُلى كاتب الممالك على هذا الخبر ، قدموا إلى غرفة نوم الغنى العادل ، وشاهدوا جسده الشريف - الذى كان زينة العرش - كسفينة سابحة في بحر الدماء ، ورأوا استحالة نقل البدن الشريف ، وحملوا تلك اللآلئ والجواهر الثمينة التي كانت باقية على المكان بسبب الدهشة والحيرة ، وركبوا مع جمع من قادة الجيش ، وقصدوا مكان العرش عن طريق نخجوان ومراغه ، وتفرق المعسكر العظيم بسبب انتشار هذا الخبر ، وأزال حسين قُلى خان وسليمان خان وجمع من الأمراء والحكام - الذين كانوا في ركاب الأمراء - وسائل ومتاع السفر والاستعدادت الحربية ، وسلكوا برأسهم الطريق إلى مكان العرش ، وابتعد الحاج إبراهيم خان الشيرازى مع فوج من الزعماء ورؤساء حملة البنادق المازندرانيين عن ملازمة الأمراء ، وساروا إلى مقربة من طهران عن طريق أردبيل وزنجان ، وبالقرب من أردبيل لحق بهم نجف قلى خان شاهسون مع الفرسان وطائفته ، والخلاصة ، فقد وصل الأمراء [ص ٢٦] وحسين قُلى خان وسليمان خان ومن كان مرافقهم من الجيش بأنفسهم إلى دار السلطنة طهران عن طريق رشت ، ووصل آخرون من طرق أخرى عبر طى الجبال والوديان بمشقة بالغة وصعوبة تفوق الحد والعد ، واستراحوا بالقرب من القلعة ، وأذعن حراس القلعة - الذين كان أكثرهم من أهالى مازندران - لأمر ونهى ومشورة وصلاح الوزير آصف النظير ميرزا محمد شفيع - الذى كان معزولاً من العمل في تلك الأوقات ، وكان قد نصب مكانه الحاج إبراهيم خان الشيرازى - وذلك طبقًا لصلاح الحال ووصية الخاقان ساكن الجنة ، واتحدوا مع ميرزا محمد خان الحاكم العسكرى لطهران ، ومنعوا جميع الأمراء والجنود من الدخول إلى طهران ، فأحكم الأمراء والجنود مضطرين أوتاد خيام الإقامة في خارج الحصار الممتد ، ووضعوا عيونًا للمراقبة والانتظار من الداخل والخارج على طريق قدوم الخاقان الموفق ، وقدم إلى العراق على قُلى خان أيضًا - الذى كان في إيروان بعد سماعه بالواقعة المحزنة للأخ - مع الفوج الذى كان معه عن طريق خوى ومراغة وتبريز ، وحلق بصقره الملكى

على قرية "على شاه عوض" وهى من أرياف منطقة شهريار وهى واقعة على مسافة فرسخين من طهران ، وتخيل بخيال الأجنحة المحلقة أنه انطلق بنفسه فى مصيدة الاقبال ، وألقى برحل الإقامة فى المكان نفسه . وبعد عدة أيام عادت الروح من جديد لقلوب الأمراء والجنود الميتة من بشرى تحرك راية ملك الملوك المطرزة بالنصر من دار العلم شيراز .

٨ - ذكر فتنة صادق خان الشقاقى :

ولما سلم قتلة الملك ساكن الجنة الأمتعة الملكية إلى صادق خان ، توجه إلى المعسكر الكبير فى أثناء الخروج من قلعة شوشى ، واحتفظ عنده بأولئك البلهاء محترفى الخيانة والسفهاء معوجى الفكر ، وعبر نهر أرس مع جمع من الأكراد الشقاقيين الذين كانوا حاضرين عنده ، واجتمعت عنده جيوش المعسكر الملكى المتفرقة خوفًا على أرواحها ، وتعقب المعسكر الكبير ، ووصل إلى "سراب" الخربة ، وقام بإعداد لوازم الأمر ، متعللاً فى الظاهر بحجة إطلاق سراح [ص ٢٧] زوجته وابنه من قلعة قزوين ، وفى باطنه أنه عقد على جبينه عصابة عصيان ملك إيران بهوسه الفج بالمنزلة العالية للتاج والجواهر ، وجمع طائفة الشقاقيين الذين كانوا منتشرين من ناحية سلدوز ومراغه وتبريز حتى حدود أردبيل ومغان ، وحرك أحد إخوته إلى ولاية تبريز ، والأخر إلى ولاية قراجه دا غ ، ورفع هو الراية قرب العراق ، وعندما وصل إلى قزوين ، أغلق أهالى ورؤساء ذلك الإقليم أبواب القلعة فى وجههم ، وفتحوا البنادق بالقذف ، وأظهروا الرجولة والشجاعة على البرج والحصن من أجل السمعة والعزة ، وفى تلك الأثناء أرسل بعضًا من رؤساء نكبة أمره إلى قرى قزوين متظاهرًا تحت اسم جمع المؤن ، وأذكوا فتنة المخمورين ، وخربوا مساكن الفقراء ومنازل الأهالى ، وفى أقل مدة اكتسحوا أطراف وضواحى قزوين بالنهب والإغارة ، وهجموا على كل ناحية ، وأشعلوا نيران الأنانية والحقد بدون رحمة فى كل جانب ، وأحرقوا كل ما وجدوه فى كوخ كل مسكين من زاد أو سُنْبُلة .

والقصة ، أنه في أوقات الإقامة ، أغاروا على القلعة كرتين أو ثلاث كرات ، وقُتل وأُسر جمع كبير من الطرفين ، وأصر صادق خان على إشعال الحصار ، وكان رؤساء قزوين يعلقون حصول هذا القصد على صد الأمراء القاجاريين له وعلى غلبة السلطان ذى الآثار الفريدونية (فتح على شاه) عليه، وتمسكوا بالتسويف والتمهيل ، وظلوا ينتظرون قدوم موكب الخاقان المؤيد الموفق ، وفى مناطق أذربيجان كان قلب أهل قراجه داغ أيضًا مثل الشقائق كالدم ومكتويًا بالنار بسبب ظلم أخيه جعفرخان ، وفاض كأس الرغبة لشعب تبريز من ألم تعدى وتحدى الأخ الآخر محمد على سلطان ، فاستولى أوباش تبريز على منزل أخيه ، وكانوا يحملون نصيبهم من الأموال المسلوبة والغنائم المنهوبة من جيش الملك المقبور فى الجنة ، وكان الرؤساء وأصحاب الفطنة والأذكياء ينسحبون إلى ذيل العزلة ، وكانوا ينتظرون وصول الفرج والفرج .

[ص ٢٨] وفى أوقات إقامته بقزوين كلف (صادق خان) أخويه من تبريز وقراجه داغ لتخريب قلعة خوى ، التى كانت فى ذلك الحال خالية من رؤساء الجيش ، وجمعوا أيضًا جمعًا كثيرًا من الرعايا والفدائيين والترك والتاجيك وأصحاب الحرف والصنائع من تبريز وقراجه داغ ووجهوهم إلى خوى .

٩ - ذكر وصول خبر استشهاد السلطان السعيد إلى المسامع العلية لملك الأفاق ، وتحرك موكبه الهمايونى من فارس إلى العراق :

عندما عرضت الواقعة المحزنة للغم الذى لا نظير له على عاكفى الحضرة السنية الجليلة فى دار العلم شيراز ، اقترن الغم والملل بالخاطر المبارك للخاقان ذى الإقبال العالى ، ولأنه كان منهكًا فى ذلك الحال فى أثناء الارتقاء إلى ذروة عرش الفلك ، فلم يراع تقديم مراسم العزاء ، وعلى الفور أخذ [طائر] العُقاب فى الإقلاع وهو قابضًا على راية النصر ، من هذه الديار خالدة الآثار عازمًا دار السلطنة طهران ، فوجدت القلوب المرتجفة الطمأنينة من عزم الشاه الجديد على العرش الجديد ،

فإذا كان لحسين قُلي خان مجالٌ للفساد فى ضمير خياله ، فإنه فى الظاهر قد فلت من يده الأمر ومن قدمه قوة التصرف ، ودون إرادة منه لجأ إلى ظل مرحمة السلطان ، وحمل إلى جبل الحلم وبحر القلب ، وحصل على شرف تقبيل البساط خارج طهران ، وقد خلى الأمر أيضًا من يد على قُلى خان بمجرد قدوم الخاقان المسعود ، بسبب مشاهدة حربة البأس والسطوة الخاقانية على الرغم من أنه كان يتخيل نفسه فاتح الدنيا ، فأصبح عاجزًا وملازمًا للأرض ، وبفرمان الشمس جوزاء الأعلام أحضره غلمان بهرام الانتقام إلى موطئ السرير المشبه بالعرش ، وبعد عدة أيام وبسبب ظهور خيانته قُيدت خطى وجود رؤيته عن الإبصار بحكم ملك الملوك ، وقبع صامتًا فى زاوية داره ببلدة بارفروش ، ولأن متكأ الرئاسة وسرير عرش الحكم متعب من قدم الفَلَك ، فقد ادعى خاقان العصر المساواة فى استعلاء وافتخار مع متكأ الشمس . [بيت ترجمته]

كان الحُسن على مكانه ، فجلس هذا الكسروى　　　كى يجلس كل شخص الآن على مكانه

وقد غضب (فتح على شاه) من جرأة جماعة شقاقى الخسيسة ، فأمر أولاً : بتعيين حسين خان القاجارى رئيس فرقة الغلمان ومعه فوج موج البحر على هذا الإقليم من أجل طمأنة أهالى قزوين ، [ص ٢٩] وفى خلال هذه الأحوال سمع محمد ولى خان القاجارى - الذى كان مكلفًا من قبل الخاقان المغفور له بحراسة قلعة مشهد المقدسة الرضوية - بخبر الواقعة الموحشة ، فتحرك من هناك ، وتشرف بتقبيل الركاب الكسروى المقدس ، واعتبر الخاقان الفاتح للبلاد أن قدوم الجنود المظفرين من جملة المؤيدات للإقبال الذى لازوال له ، وتفاءل خيرًا وعندئذ أمر بجمع قادة الجيش ومقربى عتبة بلاط زحل ، وفتح أبواب الخزائن ، وجهز جيشًا محاربًا شجاعًا ، وجزم العزم على محاربة الخصم قليل الحزم[1] ، وأصدر الأمر حتى ضربوا الخيمة الخارجية والخيمة الكبيرة على طرف الصحراء ، وأخذت الراية التى هى فى شكل الأفعى - فى التحرك ناحية قزوين بقصد معاقبة المتمردين وبالقرب من قزوين رتب

(١) يقصد : صادق خان الثقافى . (المترجم)

الميمنة والمسيرة والقلب والجناح والمؤخرة والكمين ، ونهض أيضًا صادق خان من رأس الشقاق والنفاق فى مواجهة سلطان الأفاق ، ووضع الأبطال الرجال من كلا الطرفين أقدام الجرأة فى مضمار الجلادة ، واشتعلت نيران الحرب والضرب ، ومع أن الجيش الكردى ضغط بقدم الجلادة فى أول وهلة حتى وصلوا إلى تقديم أسباب ولوازم التضحية والفداء ، لكنهم وجدوا سيف الشجعان الفولاذى المحطم للعدو أحكم من سد الإسكندر(١) ، فارتدت وجوه المشبهين بيأجوج فجأة عن مواجهة الأسود الغادرة ، وحمل صادق خان الهزيمة وهرب ، وصب غبار الخذلان على رأس السمعة والشرف ، وهجم الجيش السلطانى على رأسهم ، وخضب أشواك ونباتات صحراء القتال بدمائهم ، ومع الأمل بأن إخوته من وجه الجزم والعلم قد استولوا على حصن خوى ، وأحكموا حصار تبريز أيضًا ، وصل إلى سراب حتى يلجأ إليهم وقت الضرورة ، ولكن قبل هذه الواقعة ، اطلع إخوة حسين خان الدنبلى الصغار على نية إخوة صادق خان ، ولما كان حسين خان الدنبلى فى ذلك اليوم فى قزوين ، وكان جعفر قُلى خان ملتزم الركاب المقترن بالنصر ، وكان الفريق الدنبلى منفصلاً الواحد عن الآخر منذ وقت تفرق جمع المعسكر الملكى ، وكانوا مثل سفينة [ص ٣٠] ، بلا ربان ، فاجتمعوا ، وتقابلوا فى مرند مع إخوة صادق خان وجيوشهم ، ومن يمن الحظ المنتصر للك الملوك المؤيد ، ودون أن يحتاجوا إلى ترتيب اليمين واليسار ، وبحملة واحدة ، أنزلوا بهم الهزيمة الفاحشة ، ولم يتباطأ إخوة صادق ، وبسرعة كاملة ، فروا إلى مقربة من قلعة تبريز ، ومسحوا فى سرعة تامة مسافة أربعة عشر فرسخًا فى ساعتين ، ووصلوا إلى تبريز ، ومن المصادفات العجيبة أنه فى اليوم نفسه – الذى كان صادق خان قد فلت فيه عنانه من الجيش المظفر – لقى فيه إخوته أيضًا الهزيمة ، وارتعدت تبريز بين الحصار لمدة يومين أو ثلاثة كما لو كانت قلبًا مضطربًا كالزئبق ، والتحق الأخوان وهما فى غاية الاضطراب بصادق خان فى سراب ، ولأن حبل جمع الأكراد الشقاقيين ذوى الأصل السيئ قد صار متفسخًا ، وارتسم شاهد

(١) ويسمى أيضا بسد يأجوج ومأجوج . (المترجم)

الفتح للخاقان فاتح البلاد ، فقبض غلمان الملكية على قتلة الخاقان ساكن الخُلد ، وأحضروهم إلى الخاقان فاتح البلاد ، وبأمر ملكى تمت محاكمتهم . [بيت ترجمته] .

لم يمنح الله مطلقا الموت وقد كتبه على أولئك العبيد

ونظراً للأخطاء الممنوحة للفلك الدونى وأبو العجائب الفلك المقلوب ، كانت قد وقعت أمتعة وأثاث السلطنة من يد قتلة الخاقان ساكن الجنة إلى يد صادق خان ، فصدر منشور قضاء العدل من ديوان الخاقان سليمان ذى الخاتم فى صحبة إبراهيم خان عز الدينلو لاسترداد اللآلئ الثمينة ، وصارت ساحة الخلد المعجزة منطقة "زنجان" منبعًا لعين الحيوان ومنبتًا للورد والريحان ، وكتب صادق خان عُذر الشفاعة والاعتراف بالذنب متضرعًا فى عريضة إلى بلاط ملجأ العالم ، وسلم أمتعة وأثاث السلطنة إلى إبراهيم خان ، وبعد قدوم إبراهيم خان إلى الركاب المستطاب ، صدر من بلاط صاحب العالم حكم العفو عن جرمه وخطئه ، ورشُح لحكومة "كرمرود" و"سراب" .

وفي أثناء توقف الموكب المُظفر في زنجان وصلت عرائض العبودية المتوائمة من أمراء وحكام أذربيجان ، وصارت أحوالهم جميعًا مقترنة بالعواطف الملكية الكريمة ، وسعد محمد خان الإيروانى - [ص ٣٠] الذى كان فى الركاب المقدس - بحكومة منطقة "تشخور سعد" ، وافتخر إسماعيل خان القاجارى فى مرافقته بحراسة قلعة إيروان ، ورُفعت رأس جعفر قُلى خان الدنبلى - الذى كان يصل إلى محل الحضور الباهر النور قبل أقرانه من الفدائيين - بحكومة دار السلطنة تبريز وخوى ، وأيضًا كُلف بمنشور القضاء من المكان نفسه حسين قُلى خان عز الدينلو القاجارى من أجل إحضار نعش الخاقان المغفور له من عند إبراهيم خان حاكم قراباغ ، وأخذ اللواء المزركش بالنصر فى التحرك من زنجان إلى دار السلطنة طهران ، وتوجه نظام الدولة سليمان خان تجاه دار الحدود رشت بهدف تنظيم شئون جيلان .

وفى الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ألف ومائتين واثنتى عشرة (١٢١٢ هـ.ق) ، صار عرش السلطنة محسوداً من عامرة الكرم الزجاجى ، وبعد عدة أيام من الاستقرار فى مركز الدولة ، وصل نعش السلطان ساكن جنة عليين مع حفظة القرآن وقراء الألحان الداودية الأذربيجانية وجمع من العظماء والأعيان إلى دار الخلافة ، واستقبل الخاقان فاتح البلاد مع الأمراء والجنود المحفة المحفوفة بالمغفرة ، وفارت الدموع من حدقة عين السلطان والأمراء والجنود كسيول المياه ، ووضعوا المتوفى فى صندوق منقوش بالذهب ، وصدر الأمر لمحمد على خان القاجارى مع ميرزا موسى رئيس المنجمين والملا مصطفى القمشهاوى وإبراهيم خان عز الدينلو والقراء والحفاظ بالتوجه إلى المشهد المقدس بالنجف على ساكنها من التحية آلاف التحف[1] ، فأسرع سليمان باشا والى بغداد بالاستقبال ، وأجرى لوازم التعظيم والتكريم ، ومن هناك نُقل النعش المطهر إلى النجف الأشرف ، ودفن فى تلك الأرض الطاهرة كالكنز .

١٠- ذكر جلوس اليمن المأنوس الخاقان فاتح البلاد على عرش السلطنة ، وتزين تاج الخلافة بظل كسرى فريد المنزلة :

فى ربيع "عام الفأر"[2] سنة ألف ومائتين واثنتى عشرة هجرية ، زين كسرى صاحب عرش جمشيد - الذى دائمًا مراد فلكه الأسد الأبلق زينة تلك الرياح ومراد الدنيا والآخرة جوادين راكضين فى ركابه المنتسب للظفر - تاج الخلافة [ص ٣٢] من مفرق ظل رأسه ، وفى ساعة - والتى كانت ساعات سعده الرهين وسعود

(١) يقصد : الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه : لأن مدفنه فى مدينة النجف بدولة العراق الحالية . (المترجم)

(٢) يونت نيل : عام الفأر وهى السنة السابعة من التقويم التركى الجغتائى . (انظر المعجم الفارسى الكبير ، إبراهيم الدسوقى شتا ، جـ ٣ ، ص ٣٢٨١) .

الاقترانات بقرينه - وضع الخديوي الذي لا نظير له قدم الفلك الطاحن على كرسي السلطنة ومكان عرش الإجلال ، واتكأ على مسند عرش الإقبال ، وأوصل الملاك المانح للنشاط بشرى الأمن والأمان إلى أذن الشيخ والشاب ، ورأى متمردو الأطراف ورؤساء الآفاق صدورهم وأكتافهم مزينة ومحلاة بخلاع الشمس المشعة من دار خلع الإنعام السلطانية ، فوضعوا طوق العبودية وقلادة الخضوع على أعناقهم ، وسحبوا غطاء الخدمة والفدائية على أكتافهم ، وكنسوا غُبار ساحة الإجلال بأهداب الأدب ، ومن وجه حسن الإخلاص وصفاء العقيدة ، قالوا للجلوس المأنوس : ليكن مباركًا وليكن ميمونًا ، وكانت بيادر الدرهم والدينار من ذيل صاحب الكنز خسرو صاحب العالم موضع حسد وعجب الأوراق المتفتحة وأوراق الأزهار ، فسقطت على كل ناحية من تحريك نسيم الربيع ، وأخلى غلمان شمس الطلعة حاشية قاع البحر من إيثار الذهب والجوهر ، ملئوا جيب ولبة قميص المتشرفين بالحضور السلطاني ، ورفع مقبلو أرض البلاط رأس المباهاة إلى أوج السماء من يمن إلطاف وإشفاق الخاقان ملجأ العالم .

١١- وصول الأمير محمود بن تيمور شاه الأفغاني إلى شرف حضور سلطان الدنيا الواسعة :

وفي الأوان نفسه ، أدرك الأمير محمود بن تيمور شاه الأفغاني شرف حضور فيض صاحب الخزانة الخاقان فاتح البلاد ، وقُدمت له من قِبل سلطان الآفاق مراسم التدليل والعطف ، والتي كانت لائقة بمثل هذا الضيف .

وتوضيح هذا الإيهام وكشف ذلك الإبهام ، هو أن تيمور شاه الأفغاني - ومن أجل استحكام بناء سلطنته - جعل الأمير همايون - الذي كان أكبر أولاده - وليا للعهد ، وأعطاه محل استقلاله واستقراره في دار القرار "قندهار" ، ومنح في فخر الأمير محمود ولاية هراة ونواحيها أما هو فكان يقضي الشتاء والصيف في دار

السلطنة كابُل وبيشاور ، واعتقل إخوته فى قلعة كابل، التى كانت معجزة فى متانتها ورزانتها ، وكان يريح خاطره من [ص ٢٣] فسادهم فى بقاع ذلك الحصار المحصن .

وعندما خلع خلعة السلطنة ، وعبر لطريق الآخرة ، حضر الأمير زمان - الذى كان أصغر من الأمير همايون والأمير محمود - عند والده ، ووضع التاج على رأسه ، ورفع لواء الاستعلاء ، ولم يُدخلْ الأخوان الكبيران رأسيهما تحت طاعته ، فاشتبكت الجيوش فيما بينها، وسالت الدماء ، وفى نهاية الأمر ، وقع الأمير همايون بعد هزيمته فى يده ، وأفقد عينيه من نور الإبصار ، ورحل الأمير محمود والأمير فيروز الأخ الأصغر والأمير كامران ابنه مع عدة أشخاص من أعيان الأفغان ، والتجئوا إلى عتبة العطف والرعاية الحقيقية للسلطان المنتصر ، وبعد قدومهم إلى دار العبادة يزد ، وصلت كيفية أخبارهم إلى منزلة عرش السماء للعرض على عاكفى البلاط الجليل ، فعين السلطان فاتح البلاد إسماعيل أقا المكرى لاستضافتهم وإعزازهم ، وأصدر الفرمانات المشهورة إلى حكام الولايات بأن يكرموا مقدمهم فى كل مكان وبأن يراعوا مراسم الضيافة لهم ، وبعد قدومهم إلى حفل الروض السلطانى المزين وإدراكهم حضور النور الملكى اللامع ، صاروا مجلاة صدأ مرآة خاطره المصقولة برحمته وعطفه وشفقته ، وصدر الحكم لـ تشراغ على نوائى بمواظبة صحبتهم ومداومة تسليتهم ، وأن يُبسط قسماً من الإيوان لمحفلهم وسرورهم .

١٣- ذكر فتنة محمد خان بن زكى خان الزندى فى إصفهان :

ولما طُوى بساط الدولة الزندية على يد قهر البطل ساكن الجنة ، وصار ربيع دولتهم شتاءً ، سكن البادية الفارون من تلك الطائفة ومنهم محمد خان بن زكى خان فى صحراء جرداء ، وطوى مرحلة فى وادى الاضطراب . مصراع [ترجمته]

كل نهار فى منزل وكل ليل فى مكان

وقد صار فضاء الدنيا أضيق من السجن في وجهه ، فكان يعيش أحيانًا في البصرة وأحيانًا على أبواب بغداد خوفًا على روحه ، وكان يراوده في رأسه ودون وعي خيال فج ، وكان يوصل الأزمنة من نهار إلى ليل ومن ليل إلى نهار ، وهو في غاية القلق والاضطراب ، وبعد واقعة السلطان المغفور له وفي أثناء خيانة صادق خان المغرور [ص ٣٤] توجه محمد خان من نواحي البصرة إلى "بهبهان" مع عدد من أقاربه وأتباعه ، على أمل أنه ربما يُشفى ألم مرضه العضال ، فرأى هناك الساعد والمعين الخالي الوفاض ، فذهب بقلب يائس إلى نواحي كازران ، فاجتمعت على أمره طائفة ممستي وهي من طوائف فارس ، فحلق جمع من جيش القيامة ذي الروح السلطانية الحلوة ، والذين كانوا حراسًا لتلك الثغور ، وهزموه ، وفر إلى مقربة من "خبيص" وهو في غاية الاضطراب ، وفي تلك الحدود أيضًا طمع في الإعانة والحماية من الأفغان ، ويئس من مساعدة تلك الجماعة ، وأسرع مع الحسرة والندم إلى مقربة من إصفهان، ومن المصادفات ، أن كان حكام إصفهان وأعيانها في طهران بقصد تقبيل عتبة الخاقان فاتح البلاد ، فهجم أحد إخوة الحاج محمد حسين خان – الذي كان في إصفهان – ودون خوف على تلك الجماعة بدون أن يسأل عن أحوالهم ، فقبضوا عليه ، وتخيل محمد خان من وقوع هذه الواقعة فتحًا في أمره ، فنزل من هناك إلى حديقة "سعادت آباد" وأجتمع على رأسه جمع من الألوار الذين كانوا يقيمون في إصفهان ، ووقع رعايا إصفهان كالقطيع بلا راع في يد أولئك الذئاب المغرورة ، وجمع في مدة يومين أو ثلاثة أيام بلياليها الأمتعة الظاهرة من بضائع وخيول ودنانير ودراهم ، وفوض محمد خان بحكومة إصفهان لميرزا عبد الوهاب المستوفي ، وأطلق يده بأخذ ومصادرة أموال التجار وأغنياء تلك المدينة الخالدة المشهورة .

وعندما عُرض هذا الخبر على الحاكم العادل ، أصدر صاحب الحضرة العلية الظل الإلهي الأمر لحسين قُلي خان القاجاري الدولويي ومهر علي خان داشلو واللهوردي خان عز الدينلو وحسين خان رئيس فرقة الغلمان مع عدد من أجل طردهم ، وبالقرب من "جز" حدث التقاء الفريقين ، ولم تجد تلك الطائفة حيلة سوى

الهرب ، فتعقبهم حسين خان ، وتوجه إلى عامرة سعادت آباد ، التى كانت محل استقرار أولئك القوم المؤسسين على النحس ، وفر محمد خان ورفاقه ، وفى خلال هذه الأحوال قبض يوسف خان البختيارى على نجف خان الزندى - الذى كان فى الحقيقة مضرمًا لنيران هذه الفتنة [ص ٣٥] مع أعوانه وأنصاره ، وسيرهم إلى بلاط صاحب العالم ، فأذاق الخاقان فاتح البلاد أعوانه (نجف خان الزندى) شُربة الهلاك والبوار من رأس نبع السيف البتار . أما هو - الذى كان دائمًا دخانًا فى هواء ، فقد طُويت نخوته وغروره فى طاقة أنفه ، وكُمم فمه بقذيفة المدفع الثعبانية ، وانسحب رستم خان ابن أخيه - عند سماعه بقضية نجف خان - بنفسه إلى محل "سيلاخور" ، التي كانت محل إقامة [طائفتي] باجلان وبيرانه وند ، واحتمى بتلك الطائفة، وخضعت تلك الطائفة لتلك الزمرة السيئة الأصل . وفى ذلك الأوان ، اندفع نظر على خان إلى قلعة باجلان التى كانت مقر محمد خان ، وقبض عليه ، وأراد أن يسيره إلى بلاط ملجأ العالم ، فاتحد المدعو مهدى الباجلانى مع جمع ، وأطلق سراح محمد خان من قبضتهم ، ونهض لإعانته مع أعوانه ، وصار تحالف هاتين الفرقتين باعثًا أكثر على فساد وشر محمد خان وأطلق نيران الفتنة والثورة مرة أخرى على إيوان زحل ، فعُين من جديد من قِبل بلاط المجد والجلال محمد خان القاجارى حاكم كزاز وملاير وحسن خان الفيلى وتقى خان حاكم بروجرد لصد تلك الجماعة ، وبالقرب من سيلاخور اشتعلت الحرب ، وأصيب تقى خان البروجردى بجرح وسط المعارك وولى بوجهه إلى عالم الآخرة .

ولا جرم ، أنه لم يتقدمْ لمحمد خان الزندى شأن ، وسلكت كلتا الجماعتين طريق خلاف طريق الجبل الذى كانتا قد اختارتاه من أجل التحصين والحماية لهما ، وتدريجيا تجمع الغرباء من كل جانب ، وارتفعت ألسنة لهب الفتنة إلى ذلك الحد ، الذى يوضحه القلم بعد هذه السطور ، وقد أُخمدت بمياه السيف المحطم لجيش العدو تحت قيادة محمد ولى خان القاجارى .

١٣ - وقائع سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة هجرية وهى السنة الثانية لجلوس اليمن المأنوس ، وذكر تحرك موكب فاتح العالم إلى مقربة من أذربيجان بقصد تأديب المتمردين :

بعد انقضاء حفل النوروز المُنتصر ، توجه الخاقان فاتح البلاد إلى ساحة الدنيا المضيئة لأداء مهمات المُلك ، ولأنه قد جعل زلال عفوه مطهراً لجرائم صادق الشقاقى فقد جلس على متكأ حكومة سراب وكرمرود بحكم التوقيع [ص ٣٦] الخاقانى الموقع ، وفى تلك الأوقات - التى كان فيها جعفر قُلى خان الدنبلى مفتخراً بولاية تبريز وخوى من مُربى الدولة المطرزة بالخلود - سمح الحضرة العلية الخاقانية له بالانصراف من الركاب ، وقدم إلى تبريز عن طريق مراغه ، فوضع صادق خان لبنة العداوة مع جعفر قُلى خان بسبب خيانته الباطنة والعداوة السابقة التى كانت له معه ، فأحضر هو أيضاً (جعفر قُلى خان) جمعاً ، وهجم على طائفة شقاقى ، وخرب سراب ، ولم يحتملْ صادق خان حرارة المقاومة ، وترك الوطن المألوف ، ولوى عنانه إلى طريق مغان (موغان) ، وقصد من هناك ناحية شيروان ، وكان لفترة فى تلك الحدود مضطرباً الحال وحائراً ومستمراً فى هذا الخيال ، وهو لأن جعفر قُلى خان حُرم من البلاط الخاقانى لارتكابه الخيانة ، ولأن جعفر قُلى خان أخذ النصيب الزائد على القبول من مائدة عوارف الحضرة العلية ، وبسبب ضيق الوعاء سحب رأسه من العبودية التى كانت عين الحرية ، وأدرك صادق خان هذا المعنى ، وفتح عليه طريق المجىء والذهاب وأسرع من شيروان إلى سراب ووضع لبنة الوسوسة مع جعفر قُلى خان ، وتبعهم محمد خان الأفشارى نظراً لانعدامه من العقل وعدم تميزه وفتور رأيه وضعف نفسه - بالتملقات البلهاء والأطوار السفيهة ، وجرأهم خبر فتنة محمد خان الزندى ، وأوصلوا أنغام الخلاف إلى آذان الموالين والمعارضين ، وردوا على خطاب حُراس السلطان وصار كل واحد منهم مهيأ المعيشة فى مروج تبريز وأرومية وسراب مع الجيش الذى كان لهم فى حكم جماعة الغراب وفى مثال السراب ، وتوهموا أن الأمر مهيأ لهم، فدفعوا الغم عن القلب ، ورفعوا لواء العصيان ، وعندما رأى حسين قُلى خان - وهو ابن أخى محمد خان الأفشارى - عمه فى العمى والضلال ، ابتلع

غمه وحزنه ، وسلك طريق الحضرة العلية ، وبعد السماح له بتلثيم العتبة العلية في موطئ سرير عرش الهمايون ، عرض حقيقة الحال ، فعطف عليه الخاقان فاتح البلاد ، وجزم العزم على معاقبة العصاة .

والتجأت يد النواب محمود ميرزا الأفغانى - الذى جاء بالحسرة من جور الزمان وجفاء أخيه زمان ميرزا وظلمه له - بستارة باب القصر الكسروى [ص ٣٧]، واتسعت عين الرجاء من حضرته في استخلاص المُلك الموروث ، وحتى ذلك الوقت لم يترتبْ رأى حلال العقد من أجل نتيجة مطلوبة ، وإن كان مشتاقًا للالتزام بالركاب المستطاب ، لكن تحمل مشاق سفره جاء شاقًا على الطبع المنزه من وجهة رعاية الضيف ، ومع هذا ، كان هواء مقام العرش أحر من قلب العشاق ، وكلفه فى تحمل كامل بالتوقف في كاشان ومشاهدتها وبضيافة أحد خدام (بلاط) زحل المقام ، كي تفتح الأيام رباط الغم عن القلب فى صحراء تلك الديار بصيد (طائر) الحجل الكبير الحجم حتى موعد ضياء شمس الظفر من مغرب السفر في مشرق العزة وبأن تُجلى الليالى فى قصر تلك المدينة صدأ كُربة الغُربة عن مرأة خاطره بمصقل حديث الظرفاء والأشعار الدرية ، وأمر بتعيين محمد ولى خان القاجارى مع فوج من الجيش لقيادة إقليم على شكر ، وإخماد نار فتنة محمد خان بن زكى خان الزندى ، وقرر لحسين قُلى خان الأفشارى بأن يسمح له بالانصراف من بلاط صاحب الدنيا ، وأن يجمع أنصاره من طائفة الأفشار ، وأن يخضع قلعة أروميه ، وأن يقبض على عمه بكل طريقة يعلمها ويقدرها ، وكلف نظام الدولة سليمان خان القاجارى بنقل الجيش ملجأ الظفر ، وأخذت الراية المنصورة في التحرك من خلفه ، ولما صار بعد عدة أيام مرج سلطانية مضربًا بخيام جيش أثار النصر ، سقطت النار فى بيدر استقرار متمردى آذربيجان ، فمن أولئك الثلاثة الخبثاء النفس صادق خان - الذى كان قد اختبر ذهب قلبه لمرات في دار الضرب المعركة برمح الامتحان - لأن مقصوده كان ظهور خيانة جعفر قُلى خان ، والتى صدرت ، فأعرض بوجهه عن مساعدة أعوانه ، وتوسل مضطرًا إلى مسئولى الدولة ، وجعل سليمان خان شفيعًا لذنوبه ، ولم يضع يد الرفض على صدره ، وبكتابة العريضه الممزوجة بالتضرع طلب له العفو والأمان من

الحضرة العلية ، ومن بلاط الشاهنشاه وصل إلى صادق خان حاملاً بشرى جميع الآمال ، نظم [بيت ترجمته] .

هذا بلاطنا فليس هو بلاط اليـــــأس فأنت قاصده حتى لو هزمت منه مائة مـــرة

[ص ٣٨]

وفي منزل "سنك" قبل جيش العتبة المؤسسة على العدل التراب ، وتفسخت عقدة جمع جعفر قُلى خان ومحمد قُلى خان عن بعضها ، وغاص زورق قرارهما في دوامة الحيرة ، ويقلب مجروح ويد الحزن على جرحه ، والغريق يتشبث بكل حشيش[1] ، وخرجا برأسيهما ، فلجأ واحد إلى ديار البطل الرومي وواحد إلى قلعة آروميه عند حسين قُلى خان الأفشارى ، الذى كان قد ذهب إلى آرومية قبل تحرك الموكب المسعود بمعاونة محمد على بك عرب رئيس فرقة الغلمان وبمرافقة طائفة بلباس ، فقبض على عمه ، وأخضع القلعة ، وعرض كيفية الواقعة على موطئ العرش الأعلى ، وعُين منشئ الممالك ميرزا رضا قُلى بالحكم السلطاني لضبط أمواله ومصادرتها، وكلف أشرف خان الدماوندى على حراسة البرج والحصن ، وفي السادس من شهر المحرم صار الموكب المسعود خارج مدينة أروميه المنيرة للعالم عن طريق مراغه وسلدوز ، وسعد القادة وعظماء تلك الأوطان من تلثيم عتبة آثار السدرة وصارت أموال وذخائر وأمتعة محمد قلى خان وأثاث سلطنته التي ضبطت ، من نصيب الجنود المظفرين . وضاع في يوم واحد عن طريق حوادث السلب والنهب الذهب والفضة والخيل والبغال التى كان قد جمعها فى سنوات .

وبعد الانتهاء من مهام أروميه ، توجهت راية معجزة النصر في السابع عشر من شهر محرم الحرام من سلماس إلى قرب خوى . وفى مرج تلك الأرض "خوى" أتت قبة خيمة الملك الوردية اللون مزدانة في مقام واحد مع قمة الفلك الزرقاوى اللون .

(١) « الفريق يتشبث بكل حشيش » مثل عربى ورد هكذا بعبارته العربية داخل النص الفارسي. (المترجم)

١٤- ذكر وصول خبر فساد حسين قُلى خان إلى المسامع العلية لمقربى بلاط خديو الآفاق ، وعودة موكب الهمايون من أجل صده عن أذربيچان إلى العراق :

ومهما كان الضمير المكنون القابل للإلهام للخاقان فاتح البلاد فإنه لم ينظفْ حديقة بلاد أذربيچان من الشوك والحسد والفتنة والاضطراب ومن وجود الفتنة الثائرة فى ذلك المنزل وذلك بمساعدة سيف الظلم الحارق ، ولم يعط الإذن لراية العزيمة بالانصراف إلى ناحية روضة العرش ، ولكنه فى ذلك الوقت ، وصل إلى المسامع العلية خبر فساد حسين قُلى خان [ص ٣٩] الأخ الممتلئ بالجهل ، فانعطف عنان الجواد طاوى الدنيا إلى ناحية العراق [العجمى] بنية صد أهل النفاق .

وتوضيح ذلك الكلام ، هو أن خاقان البلاد الواسعة ، وبعد الانتهاء من أمر صادق خان والعودة إلى دار الملك طهران ، زين مفرق رأس حسين قُلى خان بفرمان ولاية فارس ، وسلمه وفوض إليه القليل من مهام ذلك المكان وناقصه لعدم استقامته ، وبعد الوصول إلى شيراز وفى بداية الأمر كان طوق الإطاعة في رقبته وكان يرفع راية العبودية فى مضمار الخدمة وبعدها وإجمالاً للكلام ، فإنه قد وجد المقدرة والاستعداد ، ولمجرد صلة إخوة الحضرة العلية وقع فى رأسه خيال الاستبداد وسقط فى قلبه الحقد والسوء الذى لا فائدة منه ، وبسبب قلة التجربة وحداثة السن لوى رقبته عن حبل الطاعة ، وصار تحريض جمع من مقربى الخدمة والباحثين عن الفساد فى تلك المملكة إضافةً للسبب والعلة ، وألقى القبض على ميرزا نصر الله ، الذى كان المؤيد فى ذلك المكان حسب حكم ملك الملوك - ومعه جمع من رؤساء فارس - الذين كان يراهم مخلين لهذا الأمر وفى محل الإنكار والرفض له - ووضعهم فى الأغلال الضيقة والسجن ، ومال إلى المشاهدين وأرسل فوجًا من الفرسان للقبض على جان محمد خان القاجارى ، الذى كان فى قلعة " لار " ، فولى جان محمد خان بوجهه من قلعة لار ، وبسبب حركته أسرع الشجعان والفرسان منطلقين إلى جانب العراق .

وبعد سماع هذا الخبر قدم حسين قُلى خان من شيراز مبطئًا ومسرعًا فى تعقبه له ولم يصل إلى غباره ، ووصل هو نفسه إلى كاشان ولم يرض على نفسه أيضًا العودة إلى شيراز ، وصار مضطرًا إلى الاستعداد للعزم نحو العراق والسير إلى العمران ، وأراد إرسال الأمتعة والمؤن والعتاد إلى يزد فى صحبة ميرزا على كرايلى ، وعين غلامه رستم بك شام بيات على حراسة المدينة والمسجونين ، وفى أواسط شهر محرم الحرام ، قدم هو نفسه مع تجمع تام إلى دار السلطنة إصفهان ، وكان يخادع الناس فى الظاهر بهذا الكلام بأن مقصده الحقيقى من هذا التحرك هو تقبيل عتبة الحضرة ، ولم يتفوه بإعلان ما فى ضميره ، إلى درجة أنه لو أن أحدًا من المثرثرين كان يأتى على لسانه اسم كسرى الأنام بعبارة غير مقبولة ، فكان يستل لسانه من قفاه كلون البنفسج [ص ٤٠] ولأنه لم يكن ظاهر المجاهرة بالخلاف مع محمد على خان القاجارى -- الذى كان معينًا على حراسة إصفهان من قبل شهريار العمل الطيب [فتح على شاه] فلم تسر من مدبرى أمر الدولة أيضًا أية إشارة على ردعه ومنعه ، ورأوا سهولة مواجهته ومقابلته على خلاف الإمعان والتفكر ، وبالمصادفة ، خرج محمد حسين خان الحاكم العسكرى لإصفهان وعمال الديوان من المدينة ، واستقروا فى أطراف المدينة ونصبوا العين على طريق وصول الحكم الأشرف ، ومع أن أكثر أهالى شيراز كانوا قد عرضوا وصول حسين قُلى خان إلى إصفهان ، ومرة أخرى أيضًا إلى مرتبة العرش الأعلى ، وفى خوى وصل هذا الخبر الصريح إلى المسامع العلية ، فكلف الخاقان فاتح البلاد سليمان خان ومعه حكام وقواد آذربيجان بالتوقف ، وسار قبلة الأفاق هو نفسه مع جمع من الجيش فى طريق العراق ، وفى محل أرونق تبريز أحضروا محمد خان الزندى مقيد العينين إلى مرتبة العرش وفى البداية أتى أسره بالفأل الحسن .

وتفصيل أحواله على وجه الإجمال ، ذلك أن محمد خان تحصن فى "سيلاخور" مع جمع من طائفة ياجلان ، على النحو الذى وضحه قلم البيان فى السطور السابقة ، وكان قد أغلق طريق المجىء والذهاب على الناس ، ووصل محمد ولى خان - الذى كان مكلفًا بطرده - إلى سيلاخور ، واشتعلت الحرب ، وبعد حروب وصراعات كثيرة ، فر محمد خان مع أعوانه وأنصاره من معركة القتال ، وفى أطراف دزفول وشوشتر أُسر

على يد الخيل الكثيرة ، وبإشارة الوالي حسن خان عُرِّى من حلية الإبصار ، وأحضروه إلى البلاط الكسروى مقيداً بالسلاسل وأطواق الذلة ، وبالحكم المحكم لحاكم العصر سلموه إلى سليمان خان ، وفى منزل كرمرود توجه لملازمة السعادة أبى الفتح خان الابن الأصغر لإبراهيم خليل خان جوانشير الذى كان قد سرى الحكم بإحضاره ، وفى ساحة زنجان تذكر الواقفون فى حضور الخاقان فاتح البلاد بأنه بعد تحرك خسرو الأفاق من خوى إلى العراق تجمع لسليمان خان الديوان حول الخيمة الكبيرة ، ونقلوا جميعًا من الطريق بواسطة على همت خان رئيس قبيلة كليايى وخان باباخان قائد طائفة نانكلى ، ومع هذا كان يكرر القول [ص ٤١] بأن الشغل الشاغل لمزين العرش - [مصراع ترجمته]

لم يكن عملى إراحة القلب

هو أن مولد معاملة الرئاسة يسرى فى شرايين عروقه ، فهو يزين هذه الجنة من أجل إصلاح هذا الفساد ويزيل الخلاف من وسطها ، وتعهد الجميع بالإيمان بأن يعتبروا فى كل حال سليمان خان رئيسًا وكبيرًا عليهم وألا يسوقوا على لسانهم اسمًا غيره فى العظمة ، وبأن يغمضوا العين عن حقوق ولى النعمة وأن يسعوا فى العقوق والعصيان ، وتخيل الخاقان عالى الجانب تلك الغوغاء أقل من صراخ وضجيج الربابة ، وعزم إلى مقصده فى نفس اللحظة .

وفى مرج سلطانية أعد مجلس المشورة مع قادة الجيش وعظماء الجند ، وبعد المشاورة فى الرأى استقر الرأى الأبيض المضىء الخاقانى على ذلك ، وهو بأن يشهر سيف المواجهة عن طريق همدان ودرجزين ، ويجهز أمر المعركة والحرب ، وأن تُزال أشواك وحسد الأشرار من على صفحة العراق ، وتشرف الحكم السامى بالصدور بافتخار محمد ولى خان ، وذلك بأن يقدم مع الجيش عن طريق إقليم على شكر وبروجرد إلى جلبايجان ، وأن يكون مترقبًا لقدوم الموكب المؤيد والحكم المتجدد ، ثم تحركت راية النصر المعجزة من سلطانية ، وصدر حكم القضاء الآمر بتفريق الجيش الذى كان مع سليمان خان ، وفى أحد المنازل وصل هذا الخبر إلى أركان الدولة ، وهو بأن ولى خان - وبعد قدومه من بروجرد طبقًا للفرمان الأشرف إلى أطراف

جلبايجان – سمع بخبر تحرك حسين قُلى خان من إصفهان ، وعلى الرغم من عناية الخاقان فاتح البلاد ، فلم يعتبرْ نفسه أقل من الآخرين ، وذهب عند حسين قُلى خان ، ولأن نغمة معارضة حسين قُلى خان قد وصلت إلى أذن الكبير والصغير بالعراق ، فانتشر هذا الخبر فى إصفهان ، ففارت محبة الأمومة من قلب العين التى تسع الآفاق والقوة المدركة للزمن واختلط أنينه بحزنه ، وأرسل إلى حسين قُلى خان عدة مرات برسائل النصح وبشائر العطف والمحبة ، وأرشده إلى الخدمة والطاعة ، ولم يرتد عن طريق الجهالة ، فلا جرم أن أصبح خاطره العفيف مصاحبًا للملل ولما استقرت الشمس على الهودج فى حجاب السحاب ، واجهه الجيش ليلاً فى منزل [ص ٤٢] "تشاله" فنصحوه ولم يقعْ عليه بالنفع ، فيئست عين الملك والأمة من صلاحه وفلاحه ، فتوجه (حسين قُلى خان) ناحية معسكر الملك ذى العمل الطيب لعل الرحمة تأتى عليه من قِبل حضرته ولا تُقطع الرحمة بسيف التنافر والجدال ، حيث إنه كان يعلم طبع حضرته الكريم وعفوه العميم وقلبه السليم ورأيه المستقيم ، وشاهد الخلوة المختارة مقصورة العفة فى منزل "ساروق" بمنطقة "فراهان" ، وبرؤية قرة العين ظهر صاحب التاج وبدأ من العمل السيئ وانتهى بالقبيح ، وشرح حسين قُلى خان الحكاية ، وتمسك بهذا العذر وهو "بأن أموال مُلك فارس لم تكن تكفى نفقاته على أى وجه ، لذا تجرأ على التحرك بهذا الخلاف والإقدام ، فلو يأمر الخاقان مانح المُلك الذى قلبه فسيح وملكه وسيع ، وفى مقابل هذه النعمة العظيمة – بإضافة مُلك كرمان أيضًا على إقطاعه ، وأن يرعى القلب الصغير من عظمة الهمة ، فسوف لا يبعد عن المنن الكريمة التى لا نهاية لها ، وسوف يضع أيضًا رأسه على خط الطاعة ، وسوف يترك مثيرى الفتنة والهجوم والإغارة " فقال الحضرة العلية فى جوابه ، " بأنه لا توجد مضايقة من جانبنا فى إضافة مُلك كرمان ، وأنه إذا كان له رأى مخالف ، فلا يقطع برأس الرأى الأشراف وصلاح الدولة ، وفى الحقيقة أن ملكى وملكه واحد " واختصارًا للقول ، فإن حسين قُلى خان لم يكتف بكرمان ، وطالب أيضًا بإصفهان ، ولأن لجاجه وسوء مزاجه موجه إلى المهد العالى خاصة وإلى كافة الأطراف عامة ، فقد سد الحضرة الخاقانية عليه طريق حجته ونظرًا للجاجته لوى برأسه إلى حجة أخرى ، فصار واضحًا للجميع ، أن مراده التجهز والإعداد للمعركة ، وليس طلب زيادة المعيشة ،

وفي اليوم التالي ، صدرت الإشارة للجيش حتى يقوموا بتعبئة الصفوف وترتيب الألوف وأن يقرروا أمر تقسيم الملك بلسان السيف المُقَطِع للرءوس وضرب العمود الثقيل ، ووصل إلى عاكفي السدة الجليلة ، أن حسين قُلي خان قد عقد حزام الهمة مع أتباعه المتهورين للمواجهة في " كمره " ، فاشتعلت نار الغيرة بالخديو فاتح البلاد ، وترك الأمتعة والمؤن والعتاد في المنزل نفسه [ص ٤٣] وعين مهدي قلي خان القاجاري والحاج إبراهيم خان الشيرازي على حراسة المعسكر ، وسرت الإشارة للجيش بأن يسير مجرداً ودون عتاد ، ورفع شهريار المطاع مع أبطال الجيش خيمة الجلادة إلى السماء على بعد فرسخين من معسكر حسين قُلي خان .

وفي يوم السبت الثامن والعشرين من شهر صفر المظفر [١٢١٢ هـ.ق] نظموا صفوف الحرب وأرسل الحضرة العلية مرة أخرى من أجل إقامة الحُجة ميرزا موسى رئيس المنجمين إلى حسين قُلي خان يدعوه إلى الطاعة بالرفق والملاطفة ، فانتصح حسين قُلي خان من النصيحة المقبولة وتيقظ من غفلة الوهم والغرور ، وصار الذكي العاقل من سكرة الغرور والتكبر ، وأدرك أن نجم السها معتم في مقابل نجم البيضا(١) ، وأن العصفور ضعيف في مخلب طائر العُقاب ، وتوجه عن أمر الحرب إلى جانب ملك فلك العظمة ، وتشفع بالعفو الخاقاني على هفواته وزلاته ، وجرى إلى الأمام ودون اختيار وقبل ركاب الحضرة العلية ، ولف الخاقان ذو الضمير الصافي يده حول رقبته ، وأخذه من يده ، وأحضره من ميدان الحرب إلى إيوان محفله ، وأحضروا ولي خان - الذي كان قد أعلن العصيان والتمرد كفراناً بالنعمة - إلى الملك ، ومع أنه كان في المحاكمة الأولى ، فقد سرى أيضاً حكم بتأديبه من الجانب الكسروي ، وفي تلك الليلة ظل الجيشان على المكان حتى صباح اليوم التالي ، فنهض جيش معسكر حسين قُلي خان من مكان إلى مكان ، وانضم إلى معسكر الهمايون ، ووفقاً لحكم الخاقان فاتح البلاد ، وصلت الأمتعة والمؤن والعتاد إلى معسكر العالم ، ومن هناك تحرك اللواء المزين بالنصر إلى كمرة ، وصار حكام

(١) نجم السها هو نجم الدب الأكبر ، أما نجم البيضا فهو نجم الدب الأصغر . (المترجم)

ورؤساء العراق وفارس - الذين كانوا متفقين مع حسين قُلى خان - متلذذين من مائدة الإحسان الخاقاني بالولائم المتخمة بفوائد العفو والصفح والإغماض ، وبإذن الملك جوزاء الأعلام خطوا إلى طريق ديارهم ، [بيت ترجمته] .

الملوك متمتعون من الخط والشباب فلا يقسون على ما تحت أيديهم

وعندما وصل هذا الخبر الموحش إلى الأنحاء ، وكان الظن بأن تُعلن الثورة والاضطرابات ، فلا جرم في آن عين عدة أشخاص من الأمراء لتنظيم أمور ومهام الولايات ، وكان من بينهم ، توجه محمد على خان القاجارى - الذى كان فى ذلك الوقت منضما إلى الركاب من إصفهان - [ص ٤٤] إلى حدود فارس ، وسار حسين قُلى خان إلى كرمان ، ونوروز خان عز الدينلو إلى جبل كيلويه وبهبهان ، ووصل الموكب المنصور من كمره إلى دار الإيمان قم ، وبعد زيارة البقعة الطيبة الموسوية ، وفي أواسط شهر ربيع الآخر تباهت دار الخلافة طهران على أوج السماء من مقدم كسرى العصر .

١٦- وقائع أيام الإقامة فى دار الخلافة طهران :

ولما كان قد صدر فرمان أثر القضاء إلى سليمان خان ، " بأنه إذا قبض على علي مت الكليايي وابنه حسين وخان باباى النانكلى - الذين أخذوا مكانًا لهم فى كمين المعارضة ، وخدعوا من وسوسة الناس الجهلاء - فيحضرهم إلى البلاط مقيدى الأيدي ، وسوف يمحو كلية غبار أخطائه وزلاته من علي صحيفة عمله ، وسوف يذوق جرعة من ذلال عفوه" . وبعد استقرار الحضرة العلية في مركز عرش السلطنة ، أحضرهم سليمان خان مقيدى الأيدى إلى طهران ، وجلس هو على سرج الجواد الأصفر السلطانى ، وعرض (قائلاً) [بيتين ترجمتهما]

هذان الشيئان حرضانى على الذنـــــــــــب   وهما الحظ ذو العاقبة السيئة والعقل الناقص

فـلو أنـك تـســــــــتـوجـب أســـــرى   ولو تعــفــو يكـون أفـضل من الانتـــقـــام

وبسبب حرارة عرق خيانه ، فارَ عرق رحمة الشهريار مُعفى الذنب ، وأمر بمجازاة كفرانه بالغفران ، وبعد إعماء على همت وابنه ، صارا كقطع دماء فى مستنقع الأشرار ، وتلاشت أجزاؤهما وأعضاهما فى الهواء ، وعروا خان باباى النانكلى من حلية الإبصار ومعه أيضًا عبد الله خان حاكم زنجان الذى كان قد ظهرت منه عدة خيانات وكان منها إعماء توكل خان ، وقد أعطى ولاية سمنان لحسين قُلى خان ، وعزل ولى خان القاجارى بعيدًا ومهجورًا عن شرف حضوره جزاءً لجحده وكفره .

وفى تلك الأيام ، كان النائب محمود ميرزا الأفغانى - وعلى الوضع الذى وضحته السطور السابقة - مقيمًا فى منزل كاشان طبقًا لحكم خديو العصر ، فدون العريضة بقلم التمنى ، وطلب من مسئولى الدولة تخليص مُلكه الموروث والتوجه صوب مقصوده ، فقبل الحضرة العلية مأمله ، ومنحه الإذن بالانصراف ، وصدرت الأحكام المطاعة بافتخار حكام خراسان [ص ٤٥] ، وذلك بأن يضعوا قدم الجد والكد على طريق الهمة لإعانة ومعاونة الأمير ، وأن يحصلوا على ملكه الموروث ، ويسلموه فى يديه ، ومن ناحية رعاية الضيف عين له مضيفًا حتى يحمله فى عزة إلى دار العبادة يزد ، وسوف تدون كيفية أحواله بعد هذه السطور. وفى خلال هذه الأحوال ، عرض واقفو العتبة الجليلة فى منزلة العرش المشبه بالفلك بأن جعفر قُلى خان الدنبلى هارب كالخفاش من شعاع شمس الإقبال فى أثناء التوقف بآذربيجان ، ومختفى فى ظلمة خبايا جبل " ماكو " ، ويعيش كلاجئ فى حماية أكراد يزيدى وشكاك خوفًا على روحه ، وقد تجرأ جعفر قُلى خان لسماعه بخبر فتنة حسين قُلى خان ، فحمل معه فوجًا من أكراد يزيدى من أملاك "مشير" و"بايزيد"(١) ، ويأمل البحث عن الفساد ، حاصر قلعة خوى ،

(١) مشير وبازيد : مناطق تابعة للدولة العثمانية فى ذلك الوقت . (المترجم)

وألقى بحسين خان الدنبلي حاكم خوى -الذى كان أخوه الأصغر- فى ضيق الحصار ، فعرض حسين خان كيفية ما حدث على البلاط السلطانى ، واستدعى الإمداد والمساعدة ، وصدر الحكم بأن يتوجه إبراهيم خان القاجارى الدولويي مع الجيش الجرار إلى تلك الديار ، وأن يجمع أيضًا عساكر آذربيچان ، وأن يصل بنفسه إلى خوى ، وأن يخلص حسين خان من مخمصة العناء ، فأسرع إبراهيم خان من مكان توقفه في دار الخلافة إلى أذربيچان ، وبالمصادفة انحدر فرسان ومشاة تلك الأرض من جبل غازان إلى خوى ، ولحق به حسين خان أيضًا من القلعة ، وعلم جعفر قُلى خان بالخبر ، وأقدم على المواجهة ، فوقعت حرب عظيمة ومعركة جسمية بينهما من الظهر حتى المساء ، وفى لحظة واحدة سقطت الأجساد من طائفة يزيدى وشكاك على التراب ، وأجروا جدولاً دمويا خارج مدينة خوى فأعرض جعفر قُلى خان بوجهه مع أعوانه عن المعركة مثل حظه ، وتعقبهم الجيش المظفر ، وقتلوا كل من وجدوه ، وصارت الغنائم الكثيرة والخيول الجبلية المقتدرة من نصيب مجاهدى النصر ، ووصل جعفر قُلى خان وبعادته المألوفة وبألف وسيلة إلي مسكن الأكراد ، ووجد الأسرى -الذين كانوا من طائفة دنبلي- الأمان من بلاط السلطان صاحب البلاد بشفاعة حسين خان ، وأسرع أخباد[1] الأكراد إلى دار البوار والهلاك من دم السيف المُطير لشرر النار [ص ٤٦] وخُلِعَتْ الخلاع الفاخرة على قادة الجيش من دار خلع الإنعامات الملكية ، وتزين وسط حزام إبراهيم خان بخنجر مرصع علاوة على خلعة الرأس والصدر ، ووصل الحكم الأشرف إلى النفاذ بأن يتوجه من أجل راحة الرعية وجنود الجيش ، وأن يتوقف هو فى تبريز ، وبأن يعمل بما يصدر من حكم من مكان توقف السلطنة .

(١) أخباد : وردت هكذا في النص الفارسي ، ولم أجد لها معنى لا فى الفارسية ولا فى العربية وأعتقد أن صحيحها كلمة " أخباث " جمع خبيث أو أخبات جمع خبيت وهو الشيء الحقير والخبيث . (انظر: ترتيب القاموس : طاهر أحمد الزاوى ، جـ ٢ ، ص ٤ .)

١٧- ذكر تعمير وتذهيب قبة سيد الشهداء[١] الطاهرة ، وتركيب الباب الذهبي للضريح الفضي لحضرة المعصومة[٢] على أبائها آلاف التحية والثناء :

ولما صارت أبواب الفتوحات المتلاحقة مفتوحة على وجه الإقبال بمقاليد عنايات حضرة الحي الأبدى [الله جل جلاله] لكسرى ذى الدين العادل والاعتقاد الطاهر والفكر الخير ، فقد عقد الهمة على أن يستمد ، في مقابل هذه العوارف والمواهب ، من بواطن سيد الرسل وأئمة السُبل وسلاطين الجزء والكل عليهم السلام[٣] ، حيث إن قبض وبسط أمور بني آدم بأيديهم ، فقد حكم السلطنة وحمى الدنيا على ذلك ، وعندئذ نفذ الحكم بتعمير وتذهيب القبة الطاهرة لحضرة سيد الشهداء ، ولما كان بناء القبة الطاهرة لتلك الحضرة - الذى كان قد تم شكل بنائه بأمر السلطان المغفور له [أغا محمد خان -] قد تشقق من بعضه بسبب تعجيل مشرفي العمل غير الأمناء ، وكان قرص القمر قد تصدأ ذهب سطح قوالبه ، فأسند إلى راع أمين من ديوان قضاء الدين بأن يرفع قبة عرش الرواق ويبني القبة المتينة المحكمة ، التي لا تقبل التصدع بمرور الشهور والأعوام ، وبأن يضيف إلى القوالب الذهب الكامل العيار الذى لا يتغير من غبار تصاريف الليل والنهار .

واليوم ، وبحمد الله سبحانه ، وبفضل المعمارى ذى الرأى الرزين كسرى طاهر الدين ، فإن بنيان تلك الروضة أحكم من السموات السبع [؟؟؟!!!] وقوالبه الذهبية أشرق من الشمس المبنية [؟؟؟!!!!] .

(١) سيد الشهداء الإمام الحسين بن على رضى الله عنهما . (المترجم)

(٢) حضرة المعصومة هى السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق ومرقدها فى مدينة (قم) . (المترجم)

(٣) يقصد الرسول والأئمة الأثنى عشر . (المترجم)

وفي ذلك الوقت أيضًا ، صدر أثر السعادة حكم الهمايون بتذهيب قبة فيض التوائم ، الدرة الطاهرة النبوية والبقعة الطيبة للبضعة الموسوية أى معصومة " قم " ، وسرت إشارة بأنه قبل إتمام التذهيب يُنصب الباب الذهبي على تلك العتبة عُش الجنة ، وبحكم كسرى المربي ، نقل تشرا غ على خان نوائى الباب الشمسي الهنية إلى دار الإيمان قم ، ونصبوه في مكانه ، وتم عمل تذهيب القبة المنورة على النحو المقرر وكما هو [ص ٤٧] حقه ، وقد أُنفقتْ على هذا العمل المبهج النقود الكثيرة والأموال الضخمة ، وبقي هذا الأثر خيرًا في العهد باسم مسمى الخديو الذى في قدرة جمشيد ، وقد صار هذا باعثًا على المزيد من آمال أهل الإسلام ، وقد قام الخواص والعوام بالدعاء للدولة .

١٧- ذكر بعض الأحوال وبناء القصر القاجارى :

لقد اقتضى رأى مزين العالم السلطاني بأن تُبنى قطعة الأرض المملوءة بالتراب - التي كانت واقعة على بعد نصف فرسخ من مدينة طهران - حديقة مثل حديقة الفردوس المليئة بالأشجار والرياحين ، وأن يبنوا على ذروة القمة - التى هى مثل كومة العنبر ، والواقعة فى ذلك المكان - قصرًا واسعًا وجذابًا . فصار حكم القضاء الماضي نافذًا ، لكى يُظهر البناءون والبستانيون فنونهم ، ولكى يقوم سعداء الحظ - طبقًا لأمر الهمايون ، فى ساعة مثل يوم - ببناء حديقة يكون شعاع ورودها كالنار المضرمة بالروح ، وتكون لطافة مياهها الجارية كالدموع الساقطة من عين الحيوان ، ولأن سطوح بعض من القطع لم تكن مستوية ، فقد مُلئت أرضها الوعرة (غير المستوية) بالتراب الناعم ، وأُزيلت قمتها حتى تتساوى مع قريناتها ، وغُرِسَتْ فى كل قطعة منها مختلف أشجار الفواكه والثمار وألوان شتلات الأشجار والرياحين والأزهار لموسمى الخريف والربيع ، وشُيِّدَ على أعلاها عمارة جذابة وقصر كالجنة مشتمل على البروج المحكمة والشُرف والتحصينات الراسخة ، وأنشئوا فى مقابل الإيوان بحيرة واسعة - التى هى مثل عين الشمس - وفى وسطها عين تفور بالمياه الأنصع من مرآة الشمس .

وفي تلك الأثناء ، وصل إلى أذن محرمي الخلوة وخواصي الحضرة ، بأن طائر روح حسين خان الدنبلي سكن في قصر الخالدين ، وبأن جعفر قُلي خان صار داخل قلعة خوى بسرعة كاملة بدعوة من أوباش خوى الذين استولوا على خوى معه ، وجلس مكان أخيه ، وفي مسافة عدة أيام وصلت منه عريضة الضراعة إلى بلاط الخاقان المنتصر " بأنه إذا شملتني ذرات شمس الرأفة الكسروية ، أكون تابعًا ومقتديًا بأخي الأكبر ، وواضعًا هوس الخدمة والفدائية على رأسي " ومع أن عذره ومكره كان قد أصبح مكررًا لمشاهدة كسرى الفلك ، وانعكست صورة أقواله [ص ٤٨] وأفعاله - التي كانت دائمًا مصاحبة للخلاف - في مرآة الضمير المشبه بالشمس ، ولكن ومن أجل إتمام الحُجة ، فقد صدر حكم القضاء المعجزة " بأنه إن يكن صادقًا في إظهار الطاعة ، ومشتاقًا لعبادة الحضرة فيُسير ولده إلى بلاط موطئ الفلك ، وبأن يزيل فتنة سوء الفهم من أجل ظهور حسن الخدمة ، حتى يصير موضع العناية من الحضرة العلية حسب صفاء الإخلاص " . وفي تلك الأيام ، صار حسين قُلي خان مرة ثانية مرتعدًا من سيئات أعماله ، وعزم في الخفاء التوجه إلى خراسان ، ومعه أتباعه ، وبسبب خوفه ، فقد طلب في ذلك اليوم نفسه من الواقفين بقصر حرم الإجلال إرسال الشكوى بأن موارد مال ديوان سمنان غير كافي لي ، وأنه لو يضم ولاية أخرى عليها ، ويوافق على جمع خراجها ، فسوف لا يبتعد عن السجية الكريمة ، فلقى طلبه درجة القبول ، وأشرقت أشعة حكومة كاشان وتوابعها على شُرفة قصر آماله ، ولأنه كان حزينًا ومغمومًا بسبب عدم إنجابه للولد ، فقد صدر الأمر للأمير المحترم محمد تقي ميرزا ، فسار في رفقته إلى كاشان حتى يعيش دائمًا مع عمه كي يسعد قلبه ببنوة الأمير ، فيتخلص من قيد هذا الغم أيضًا ، وصدر الأمر بتفويض ولاية سمنان إلى الأمير الموفق محمد ولي ميرزا ، وجعل ولاية قزوين تحت عناية الأمير النجيب محمد علي ميرزا .

١٨- وقائع سنة ألف ومائتين وأربع عشرة هجرية ، وتحرك موكب فاتح العالم من طهران إلى ناحية خراسان ، وإخضاع نيسابور ، وتدوين أحوال تلك المنطقة :

ولما توجهت شمس العالم المُنيرة بوجهها ضريبة للشرف ، واختفى جيش الشتاء أمام جيش الربيع وانهزم ، حلق طائر عنقاء همة السلطان كسرى مُزين العالم بجناحيه ، بعد انقضاء حفل النوروز بغرض تنظيم مُلك خراسان ، ولأنه في الوقت الذى بعثر فيه الخاقان ساكن جنة عليين [أغا محمد خان] نظم عقد دولة الملك شاهرخ [الأفشارى] كما بعثر حبل عمره ، خرج نادر ميرزا بن شاهرخ من عتبة سلطان العرش الرضا عليه التحية والثناء ، واستظل بظل عطف أفغان هراة ، إلى أن وصل خبر القضية غير المرضية للخاقان [ص ٤٩] المغفور له إلى مسمع القاصى والدانى فى خراسان ، وأصبحت مملكة خراسان خالية من الجيش المنصور ، وكان الخاقان فاتح البلاد منشغلاً بإطفاء نائرة فساد وفتنة صادق خان الشقاقى ، وبتنظيم أمور أذربيجان ، فاغتنم نادر ميرزا الفرصة ، ووصل هو نفسه إلى مشهد المقدسة ، واستراح فى تلك الأرض الشريفة ، ومع أنه أرسل بعد قدومه العرائض المملوءة بالتضرع المشعرة على إعلان العبودية والطاعة إلى مرتبة العرش الأعلى ، ولكن بسبب حركاته وأفعاله لم يكنْ يصل نسيم الصدق والإخلاص إلى مشام أمناء دولة الفلك .

ولما حضر جميع حكام خراسان فى الركاب المستطاب عدا أمير كونه خان حاكم خبوشان واللهيارخان حاكم سبزوار ، طبقًا لفرمان القضاء النافذ ، فأدركوا أيضًا شرف تقبيل عتبة اساس الفلك ، وقبل تحرك الراية المظفرة ، وضع أولاً تاج هلال ولاية عهده على رأس عباس ميرزا ذلك النبت الغض الطرى فى روضة الدولة والإقبال ، والقمر حديث العهد لفلك الشوكة والإجلال ، والذى امتاز عن الكواكب اللامعة فى سماء السلطنة ، والأنجم البراقة فى فلك الخلافة ، بجودة الطبع وكرم وسخاء اليد ودأبه الأدب وعلو قدر الحسب ورزانة العقل والذكاء ، ووضع فى إصبعه خاتم نيابة

السلطنة وولاية العهد المشبه بكوكب المشترى ، وكلفه مع خمسة عشر ألف فارس جرار بالتوجه إلى ناحية أذربيجان ومعاقبة متمردى تلك المنطقة . [بيت ترجمته] .

الجميع مع الرماح فى طابور العمل   والجميع مع السيوف فى أسر العمل

ولما كان الأمير الموفق فى أول ريعان ربيع العمر وأول قيادته للجيش وغلبته للعدو ، فقد صار نظام الدولة سليمان خان القاجارى عابراً فى ركاب الأمير الذى شعاره النصرة بأمر الخاقان الفلك الوقار ، وكما سرى الحكم لإبراهيم خان القاجارى أيضاً - الذى كان متوقفًا فى تبريز بأمر الهمايون - بأن يكون من ملتزمى ركاب الأمير المحظوظ ، وخص بوزارة حضرته سلالة السادات والأشراف ميرزا عيسى - الذى كان ملقبًا بميرزا الكبير ، وكان أسلافه فى أغلب الفترات لهم الاختصاص بوزارة الحكام السالفين ، وعين أيضًا فى تلك الأثناء إبراهيم خان - وهو ابن عم (الملك) شهريار [ص ٥٠] الحر - ومعه جيش تلك الحدود لتنظيم أمر العراق وفارس وصار متوجهًا إلى مرج " كندمان " بأمر خديو الآفاق ، وحضر أيضًا إلى بلاط الفلك المؤسس محمد أغا بن ديوان أفندى من قِبل سليمان باشا ولى بغداد بالهدايا اللائقة والأحصنة العربية الأصيلة ، فصار موضع الاهتمام الخاقانى ، وأذن له بالرجوع . ثم أخذ الموكب المُلجم بالنصر وفى احتشام كامل بالتحرك إلى ناحية خراسان ، وفى منزل دولاب تشرف ابن جعفر قلى خان بتقبيل الحضرة السنية ، وكان قد سرى فرمان بإحضاره ، وقدم حسين قلى خان أيضًا من دار المؤمنين كاشان إلى البلاط المشبه بالفلك ، وتوجه إلى الأرض المقدسة جان محمد خان القاجارى وعباس خان وحسين قلى خان الدولوى مع سبعة آلاف فارس مسلحين بالحراب الحديدية المسكتة للرعد كطليعة الجيش على عادة قيادته ، وضُرِبَتْ الخيام المنتهية بالظفر فى منزل "فيروزكوه" لعدة أيام ، وفى ذلك المنزل سرى الحكم لحسين قلى خان بأن يستريح فى مصيف ذلك المكان الخالد الأثر ، وذلك بسبب العلة الطارئة السوداء التى كانت قد شملت جميع أجزاء أعضائه - فتتحسن علته ، وعن طريق جاجرم وإسفراين ضرب حامل خيمة الهمايون خيام الاحتشام فى محل "بام" ، وفى هذا المنزل عين صادق

خان الشقاقى وحسين خان رئيس فرقة الغلمان مع خمسة آلاف فارس كبهرام بطل الحرب على "تشناران" ، ومن مخزن خاطر خاقان العصر صارت هذه اللالئ اللامعة حلق الأذن والفرمان المسموع لهم ، بأنه حيثما يتقوى ممش خان الكردى بالإشفاق الملكى عليه ، ويبحث طريق البلاط المشبه بالكعبة [؟؟!!] ، ويرتجف عند محرمى محفل الأنس ، فيصبح مختصا بالافتخار ، ويبحث عن درجة الرفعة والتفوق على أمثاله ، أما إذا خسفه الخذلان الأبدى فى لبة قميصه ، فتُغطى عينه كالخفاش عن رؤية شمس السلطنة ، ويحاصرون قلعته ، ويغلقون عليه طريق الخروج والدخول ، ويعرضون كيفية الأحوال على البلاط المشبه بالفلك ، وقد فتحت شقة لواء الفلك الطاحن من تلك الأرض باتجاه نيسابور ، وفى ساحل نيشابور خرج ابن جعفر خان النيسابورى مع رؤساء المدينة [ص ٥١] من القلعة ، وأسجدوا جبهة الإرادة المرغة بالطين على تراب وأرض البلاط المشبه بالفلك .

ولما كان منظور نظره [فتح على شاه] تخليص قلعة مشهد الرضا عليه التحية والثناء ومعاقبة نادر ميرزا، فقد قرر بأن يقوم جمع من المشاة الباعثين للبرق مع الحرس المكلف بالحراسة فى حصن نيسابور، وبأن يقصد الموكب العالى التحرك من ذلك الأقليم الواسع الجميل، وأرسل جعفر خان بيات رسالة فى الخفاء لأبناء أعمامه بأن يضعوا قدم الجلادة فى طريق المخالفة حتى يتمكنوا ولا يعطوا الطريق للجيش المنصور إلى القلعة، وحتى تتيسر فلا يضعوا قدماً على جادة الإطاعة ، وبسبب صدور هذا الأمر، عصت نائرة غضب نار اللهب السلطانى رأس الأسد المتحير، ولأن رحمته سابقة على غضبه، فقد أرسل أولاً إلى القلعة الحاج إبراهيم خان الشيرازى والوزير ميرزا محمد شفيع من أجل إتمام الحجة والبرهان لأهل القلعة ، فأضاءت أنوار نصيحة الناصحين الأمناء ظلمة قلب المدعو حسين قلى بك ، وهو من بنى أعمام جعفر خان، فهدأ أهل القلعة، وأسرع إلى البلاط أملاً فى اللجوء ، وقصد أهالى القلعة مجدداً بادية اللجاج والعناد بعد رحيل حسن قلى بك، فصدر الأمر المقدر بالنفاذ بالإغارة على خارج القلعة ومحاصرة نيسابور، وهجم جيش البحر ذو الموج السليمانى مثل البلاء السمانى على أطراف المدينة، وأحاطوا بالقلعة. وأشعلوا النار الظالمة فى أطراف المدينة ورفعوا راية النهب والغنيمة، فصار جعفر خان مهموماً،

ويهدف استمالة أهالي القلعة سمح بالمساعدة، وأصدر الخاقان فاتح البلاد الأمر لابن [جعفر خان] مع حسين قلي بك بالتوقف في الركاب، وسمح له بالانصراف، ودخل القلعة، وبسبب خيانة النفس، أطلق يده باستعمال آلات الحرب، ففاض بحر قهر الحضرة العلية الظل الإلهي، ووصل الموج إلى الأوج، وبأمر بطل فلك المهابة حطموا طلسم جسم ابن جعفر خان في بعضه بضربة السيف الحديدي، وقطعوا أعضاءه إربًا إربًا [ص ٥٢] وألقوها على ساهرة الأرض، ولونوا الأحجار والطين من دمه، وأرسلوا الرأس واليدين والقدمين التي كانت في الواقع مقطوعة بيد جهل جعفر خان وكانت مليئة بشباب وروح ابنه - إلى والده الجوهر السيئ، وصار حسين قلي بك ابن عمه معززًا بلقب خان ، وزُينت كتفيه وطرزٌ صدره بخلاع الشمس المشرقة. وأصدر (الخاقان) الأمر للجيش بإخضاع قلعة نيسابور، فكانت ساحة قلعة نيسابور في كل صبح مليئة باللهب من نيران المدفعية والبنادق ، فظهرت فتنة يوم البعث لسكان ذلك المكان، وحبسوا القنوات الجارية بيد الظلم ، وضربوا الأشجار المثمرة وخلعوها من جذورها ببلطة الجفاء وسيف الظلم ، وظل أهالي القلعة أسرى لمدة أربعين يومًا في طرة العذاب وعقبات العقاب. وفي النهاية، أتى الأمان من طول الزمان، فأوصلوا التأوهات والصراخ إلى السماء ، وبإدراك ذلك الضرر الذي كان من نتائج أعمال جعفر خان، أرسل المتأوهون والصارخون الحاج روح الأمين، الذي كان من بين فضلاء ومشاهير تلك الأرض، مع واحد من بني أعمام جعفر خان إلى بلاط بطل العصر المؤسس على العدل من أجل طلب الأمان، وتمنوا العفو والصفح وطلبوا المرحمة الملكية ، فقَبِلَ ملتمس أهل المدينة، وكُلفَ الشيخ المعلم "علي أصغر" باستمالة أهل نيسابور ، وبعد وصوله، توجه جعفر خان بوجه المعوذة إلى البلاط ، وجعل جبينه على تراب عتبة حارس كوكب زحل .

وعلاوة على العفو عن تقصيراته، أنعم [الخاقان] عليه بالخلاع المزينة بأشعة الشمس والنور، وجعله مفتخرًا ومتباهيًا بمنشور حكومة نيسابور، وسمح له بالانصراف من بلاط صاحب المعدلة الملكية، وكلف تراب خان البروجردي مع جمع من حملة البنادق من ركاب الهمايون لحراسة نيسابور.

وعلـى الرغم من أن صـادق خـان الشـقـاقى هـو الشـقـاق ذاته وخـيـانتـه لعدة مرات كانت معلومة على رأى مُزين العالم، ولكن بالنظر إلى عدم إضاعة الوقت بسبب أفعاله القبيـحة، فلم يؤخـذ بالمعارضـة والتأديـب، وكلفه بأن يأخذ جيشه [ص ٥٢]، ويلتـحق بجان محـمد خان الـقاجارى، وينـشغل فى مـرافقـتـه بمـحاصرة قلعة مشهد المقدسة، وتوقف حسين قُلى خان بيات فى نيسابور بالنيابة عن جعفر خان، والتزم جعفر خان نفسه الركاب المنتسب للنصر، وأخذ موكب فلك المهابة فى التحرك إلى جانب مشهد المقدسة، وبعد قدوم الجنود المظفرين، تحصن نادر ميرزا بالقلعة، والتف جـيش القيامـة وأحـاط بالقلعـة، وأغـاروا على القرى والمزارع التى تعرضت للنهـب، ونظـراً لصـفـاء عقـيدة الملك طـاهر الدين مع الأئمـة المعصـومين صلوات الله عليهم أجمعين، ومن أجل المحافظة على البقعة الرضوية لم يشرْ [فتح على شاه] بتشديد الحصار حتى لا يتضرر أهالى تلك الروضة عتبة العرش، فوقع نادر ميرزا فى دوامة بحر الاضطراب، وحرك العتاد والوسائل، وصـار باحـثًا عن سـاحل النجـاة، فتـعلق بذيل العـجز والانكـسار، وعرض: "بأنه لو أعرض الملك الذى لاشبيه له عن هذا الحصـار مع هذا العبد المفكر، فإنه لن يتخلى ولن يبعد عن الشفقة اللامحدودة وعن العناية التى لانهـاية لهـا من خـديو العـالم، ومن أجل إحكام قـواعـد الخـدمـة والإخـلاص، سوف يخصص لى واحدة من المتربيات على العفة والحياء بعقد زواج من الأمـيرات التى يعلم الملك صـلاح أمـرها ، وذلك لأن تدليل المجـروحـين ومـعـاونة المـذلولين هى من شـيم الأحـرار"، وأفـتـتـحت تمنيـاته بزينة النجـاح وعلى وجـه أمله أبواب الفلاح.

وفى الخامس عشر من شهر ربيع الأول [١٢١٤ هـ ق] أشرقت أشـعـة قُمير اللـواء المطرز بالظـفـر باتجـاه دار السلـطنة طهـران ، وفى منزل "تشناران" منح لأمـير كونه خـان الخلعـة وسمح له بالانصراف، وسمح للوزير ميـرزا محـمد شـفـيع بإحضار صبيته المرضية إلى مخدع الأمير حسين على ميرزا ، وساروا فى رفقة أمير كونه خان .

وفي منزل "جهان أرغيان"، سمح لجعفر خان بيات بالانصراف إلى مسئولية نيسابور ، ومن هناك ترك الموكب المُزين بالخيول على بعد أربعة فراسخ من "القلعة"، وكانت أول مصادقة أيضًا لصادق خان مع اللهيارخان ، وفشلت المصادقة بينهما ، فقد بسط بساط الحيلة والخداع في حفل التشاور باللعب المزيف ، وطلب له السماح [ص ٥٤] من حضرة الظل الإلهي ، بأن يذهب إلى قلعته قبل وصول الموكب السلطاني ، وبأن يهتم بأداء الواجبات ، وفي النهاية يجمع العلف والهدية، وعند قدوم الكوكبة الجليلة لاينبعث له الخجل والانفعال ، فيرفع الخاقان فاتح البلاد رأسه بمنحه الخلعة الملكية ، وقد عبروا بلسان الإلهام بأن هذا الرحيل ليس هو العودة، فقد ذهب اللهيارخان إلى قلعته ، وهو على نيل الوقاحة بالوجه الذي صار عليه ، ولم يُظْهر جيشًا من القلعة، وأظهر الوجه الأسود . ولما كان العقل المشغول راغب في العودة إلى بيت شرف الدولة، فلم يهتم بكل الأمور ، وارتفعت راية العزيمة من القلعة إلى مكان عرش الدولة، وأعطى لإبراهيم خان شادلو حاكم إسفراين مع سعادة قُلى خان البغايري التشريفات اللائقة، وسمح لكل واحد منهما بالانصراف إلى محله مكرم ، وأوصل آصف الدولة ميرزا محمد شفيع سيدة العصمة إلى معسكر العالم في ذلك المكان ، وفي منزل كلاته حدث توقف لمدة يوم واحد من أجل إراحة جيش ملجأ النصرة ، وفي اليوم التالي انطلقت أعلام الظفر وراية النصر، وضُربت خيام الفلك المزدحم خارج بسطام ، واقترب حسين قُلى خان - الذي كان في عيش وفير وحياة رغدة في فيروزكوه - مسرعًا بتقبيل الركاب المستطاب ، ومن ذلك المنزل نزل إلى الدامغان في إجلال ، وأعطى الإذن لأثاث السلطنة وآلات الحرب بالانتقال من ذلك المكان، وأصدر الأمر بالتحرك بغرض الصيد والتجول في الصحراء والجبال عن طريق "تششمه على"، وكان الخامس عشر من شهر ربيع الآخر عندما منحت الروح إلى الجسد ومنح فيض الربيع مُزين العالم الرونق والنضارة في مرج عرش السلطنة .

١٩- ذكر توجه رايات ولي عهد السلطنة والخلافة الأمير عباس ميرزا إلى ناحية أذربيجان ، وإخضاع قلعة هودر ، وانهزام جعفر قُلي خان :

قبل تحرك الحضرة العلية الظل الإلهي تجاه خراسان على النحو الذى سبق ذكره ، أصدر الأمر لنائب السلطنة والخلافة عباس ميرزا بهدف تأديب متمردى ولايات أذربيجان ، وبعد قدوم الحضرة العلية الخاقانية إلى دار السلطنة طهران ، أوصل المطلعون من ناقلى الأخبار إلى مسامع عاكفى بلاط ملجأ العالم [ص ٥٥] أن الأمير الأعظم ، وبعد حضوره إلى دار السلطنة تبريز، استراح عدة أيام بهدف إراحة الجيش ، ومن هناك نهض إلى مرج "يام"، ولما كان جعفر قُلي خان قد أرسل ابنه إلى بلاط سماء الجاه وذلك بعد وفاة أخيه وقدومه هو إلى خوى، وكان قد صار متعهدًا بالخدمة ومتقبلاً العبودية ، فقد أرسل ولى العهد إليه - وبناءً على تعهداته - واحدًا من ملازمي الحضرة من أجل اختبار أقوال ذلك المخمور بخمر الغفلة، وبشره بإشارة إدراك سعادة الحضور، لكنه أصر على العناد والنفاق، فلا جرم أن استلزم تأديبه ، وشقت الأعلام المنتهية بالنصر طريقها من مرج يام إلى ناحية سلماس بغرض القتال والحرب، وعند تحرك الأمير ذى الجواهر العالية إلى تلك الحدود، علم جعفر قُلي خان بذلك، فترك واحدًا من إخوته فى قلعة خوى ، وذهب هو وسط الأكراد ذوى الأصل السيئ للاستعانة بهم . إعداد جمع الجيش المؤسس على الضلال، وجمع من عسكر أهالى إيروان وطوائف يزيدى وشكاك وسبيكى خمسة عشر ألف شخص، وبدل بحقوق ولى النعمة العقوق والعصيان، وعزم على الحرب، ولما كان الخوف قد حمل بطوائف وأحشام مناطق خوى وسلماس خوفًا من أذى جيش القيامة، وكانوا قد لجئوا إلى الأماكن الحصينة، التى كان من بينها قلعة هودر وهى من قلاع تلك المنطقة وكانت متزاملة فى الرزانة والمتانة مع عمارة الفلك الخالد، وكانت مكدسة بنفائس الأموال ومزدحمة بوجود الأبطال الرجال، وحتى ذلك الزمان لم يكن قد وصل حبل فكر أى من السلاطين العظام على سطحها، فوضع الجيش ذو الكبد الفولاذى وجه

الهمة من الأطراف والجوانب لإخضاع تلك القلعة المحكمة الأساس، ووضعت قلعة الملوك قدمًا في دائرة التمرد بإشارة وترغيب أبدال أغا الكردى السبيكى الذى كان حارسًا لذلك الحصن الحصين والثكنة المتينة من قِبل جعفر قُلى خان، ففتح يده باستعمال السيف والرمح محتميًا باستحكام المكان، وهجم الجيش المسرع كالبرق وأخضع ذلك الحصن المحكم فى لحظة واحدة، وذرى تراب وجود رمادهم فى الريح الظالمة بالسيف القاذف للنار [ص ٥٦] وأذاقوا أكثرهم جرعة الهلاك والبوار، وتبعثرت عن بعضها الأموال التى كان أهالى تلك الديار قد حملوها إلى ذلك المكان لمدة سنوات عديدة، وصارت فى لحظة واحدة عُرضةً للنهب وفرصة للغارة والغنيمة، ولما صار أمر قلعة هودر مهيأً، توجه جيش الظفر المعجزة بوجهه لتأديب المتمردين، وبسبب غاية التهور ومنتهى الجرأة تقدم جعفر قُلى خان إلى أحد المنازل ومعه خمسة عشر ألف رجل وإدارة المدفعية التى كانت معه وكان قد أحضرها من خوى، وصمم على القتال والجدال فى مواجهة الأمير الذى لا شبيه له، وطبقًا لإشارته فتح أهالى تلك القرى المياه لعدة أيام متوالية على صحراء سلماس حتى تغوص قوائم خيل جيش الأمير الباحث عن الحرب فى الوحل والطين، فلا تنجو من تلك الورطة الجسيمة، وفى النهاية ، عادت نتيجة ذلك المكر وتلك الحيلة على جيشه، فقد صارت قوائم مراكب كل واحد – التى غاصت فى تلك الأوحال – فى الحال طعمة للسيف البتار. وخلاصة القول، أنه فى اليوم السابع من شهر ربيع الآخر ١٢١٥ هـ ق وبالقرب من ديلمقان فى سلماس نظم ولى العهد الميمنة والميسرة والقلب والجناح والمؤخرة والكمين مع نظام الدولة سليمان خان القاجارى وإبراهيم خان القاجارى وأحمد خان مقدم الحاكم العسكرى لتبريز ومراغه ورتب الجيش فوجًا فوجًا ، وقدم مبارزو الطرفين قدم الجلادة ، فالتهبت نار الحرب والجدال وارتفعت نار البلاء، وقد ظهرت صورة القيامة فى الدنيا بسبب صدمات وزلازل جيش محشر الرعب. وبسبب النيران المقذوفة من المدافع والبنادق والمدافع الصغيرة (الهاونات) صار [كوكب] الزهرة ماءً على سطح [كوكب] المريخ، وصار جسد [كوكب] زحل كبابًا مشويا .

وفى نهاية الأمر، انتصر جيش نائب السلطنة على المخالفين الأعداء، فلجأ جعفر قُلى خان – بسبب هذه الهزيمة التى وصلته حقًا – إلى قلعة ماكو، وهى من القلاع

المرتفعة في تشخور سعد، وحصل على الأمتعة والعتاد والمدفعية والغنائم الكثيرة، فقام الأبطال بتعقبه، وقضوا على كل من رأوه بالسيف ودون رحمة، وقبضوا على أحياء كثيرين، وأرسلوهم إلى الأمير الموفق، ووجد أمراء الجيش وأمراء البلاط الإنعام والإحسان من هذه الخدمة ، وصارت أبواب الأمن والفلاح [ص ٥٧] مفتوحة على وجه دنيا أذربيجان بسبب ظهور هذا الفتح المشهور ، وقدم الأمير الحريص على ذيوع صيته إلى بلدة خوى، وأصدر الأمر لبيرقلى خان القاجارى الشامبياتى بالتوقف فى ذلك المكان، وتحرك الموكب المنصور من خوى وقدم إلى تبريز ، وكان رعايا وأهالي ذلك المكان قد انفصلوا عن بلدانهم بسبب تنقلات جعفر قُلى خان غير المفيدة، وكان بعضهم قد أُبتلى بالفاقة والفقر، وبسبب إشاعة عدل ومساواة نائب السلطنة تعانقوا مع شاهد الأمن والراحة وعادوا إلى أماكنهم ومساكنهم ، وجاءوا إلى الراحة والهدوء وهم يحمون ظهور بعضهم بعضاً، وعادت المياه إلى وجه قراهم ومزارعهم من بستان معدلة الأمير، وأرسلوا ببشرى هذا الفتح المشهور عريضة إلى بلاط صاحب الدنيا خاقان العصر، فارتدوا الخلع المنسوجة بخيوط الذهب من خزانة إنعام كسرى بن زحل، وشربوا كئوس العناية والرعاية اللذيذة الطعم من خمر مصطبة إحسانه علانية .

٢٠- ذكر مجيء محمود ميرزا مرة أخري إلي بلاط ملجأ الأعاظم، ووقائع أيام التوقف فى دار السلطنة طهران :

ترك محمود ميرزا بعد وصوله إلى دار العبادة «يزد» أخاه الأصغر فيروز ميرزا هناك، وسار هو نفسه إلى ولاية خراسان، وبعد قدومه إلى تلك الحدود، صار أمير حسن خان الطبسى وأمير على خان عرب خزيمة حاكم قاين - طبقاً لحكم الحضرة العلية الخاقانية - عابرين الطريقَ وباذلين الروح فى سبيل إعانته، فعقدوا جيوشهم، وتوجهوا إلى "فراه" عن طريق قاينات وكان خاطر إرادتهم هو أنه لا يجوز لهم التوقف زمنًا فى أى مكان فى طريق إخضاعهم لقندهار واستئصال الأمير زمان، وعندما علم بمقصدهم قيصر ميرزا بن الأمير زمان الذى كان والى ولاية هراة - كلف زمان خان

الدرانى وتيمور خان التيمورى وإسحق خان القرائى بصدهم، فتوجهوا إليهم بالإشارة القيصرية، وبعد تقابل الفئتين مثل الأسد الشرس والنمر الغضبان، دارت نغمة الحرب يدفع الواحد الآخر، وضاقت الأرض على الأرض فيما بينهم بسبب استعمالهم السيف والرمح، ولما كان اشتداد محمود ميرزا من الطالع القوى [ص ٥٨] الأساس للخاقان العادل، فقد وقعت الهزيمة بالقرب من فراه على بناء قصر نجمع قيصر، وقدموا إلى هراة، وانضوى جمع غفير وخلق كثير من الأفغان تحت ظل راية محمود ميرزا، فارتفع شأنه، ومن يمن الإقبال الخالد للخاقان الفريد دخلت فراه أيضاً تحت سيطرته، وصار موفقاً ومحظوظاً، وعين ابنه كامران ميرزا بالنيابة عنه فى فراه، ووضع هو مع أمير على خان والجيش الباحث عن الحرب الزينة على جواد العزيمة وساقه إلى هراة ، ونصب خيام الإقامة خارج تلك المدينة المحظوظة، واهتم بالعمل على محاصرة المدينة لمدة عشرين يوماً، ولم يكشف النقاب عن الوجه من وراء حجاب الفضاء لشاهد التمنى، فبسبب وسوسة وإغواء أعوان قيصر انتشر الأفغان فى جيش محمود ميرزا، وأغاروا عليه، وعندما رأى محمود ميرزا شاهد عدم وفاء الزمن مع أعداء دولته، سلك برأسه طريق الفرار بسبب عجلة الفلك المقلوب وراية إقباله السيئة الطالع ووجهه مخضب بالدم من الدموع الحمراء ، ورحل أمير على خان القايينى بجمعه أيضاً وسار إلى قاين ، وقدم كامران ميرزا أيضاً غير موفق من فراه إلى يزد، وعرض الأحداث على البلاط المشبه بالفلك .

ولما كان جهانكيرخان جلبايجانى قد كُلف على يزد فى العام السابق - الذى كانت فيه راية الفتح قد شقت طريقها صوب خراسان - وذلك بأن يحمل فيروز وكامران ويتوجه بهما إلى ناحية هراة، وذلك حتى موعد قدوم الخاقان فاتح البلاد إلى تلك الحدود، فيقضى بحكم حكام خراسان ويجلسهم على مسند السعادة، ولما حدث توقف الموكب المسعود من أجل إخضاع نيسابور ومحاصرة الأرض المقدسة، فلم ينكشف وجه عروس مرادهم من خلف حجاب الخفاء، ولهذا، فبعد قدوم الموكب الملكى إلى دار السلطنة طهران قدم الأميران إلى البلاط بالاتفاق مع جهانكير خان وصارا آملين فى اللجوء، فأكرمهما حضرة الظل الإلهى، وأمر بتسييرهما إلى دار السلطنة إصفهان بعد استراحتهم عدة أيام من تعب الطريق حيث يقضون عدة أيام فى

متنزهات ذلك الأقليم الجذاب من أجل إزاحة كُربة الغُربة [ص ٥٩] وذلك حتى يقرر رأى مزين العالم موعد اقتضاء تأسيس دولتهم و توفيقهم .

وسلك محمود ميرزا بعد الهزيمة طريق الفرار خارج هراة وسلم عنان اختياره إلى يد مروض القضاء العادل، وفتح عنانه مثل العاصفة في الجبل والصحراء وبكل ناحية ، وبعد عدة أيام قدم إلى مرو وشاهيجان، وسار من هناك إلى بخارا، وضرب يد الالتجاء بذيل شاهمراد الأوزبكي المعروف بـ بيك جان مستظهرا بوحدة الدين والمذهب[1] وآملاً في افتتاح أبواب الدولة، ولأنه أدرك أحواله وبعد فترة أن صورة مساعدته ليست معكوسة كما في مرآة همة نذله، فقد قدم من هناك إلى خوارزم، وبحجة زيارة بيت الله الحرام، وكان لوالي ذلك المكان علاقة الإخلاص والعبودية مع حضرة السلطان فاتح البلاد، فأكرم مقدمه، وقام بتجهيز لوازم الحياة له، وصدر الأمر من الحاكم العادل بالنظر في مراعات جانبه أكثر وأكثر ، وطبقًا للإشارة، نزل بمنزل أصف الحضرة الوزير ميرزا محمد شفيع، الذي بذل أيضًا لوازم الاهتمام في إكرامه واحترامه طبقًا لحكم ملك الملوك الفريد، وفي جميع الأيام صار الحبيب المدلل حارق العدو متمتعًا وموفقًا بأنواع الإحسان من خزانة إنعام الملك. وبالنسبة للحكام الأفغان - الذين كانوا في انخفاض وعلو وشدة ورخاء، وكانوا يطوون طريق الوفاء لحضرته، وكانوا يؤدون مراسم القبول وحقوق الخدمة فقد وصلت إليهم أنواع الرحمة والشفقة الملكية والعطف كل على قدر مراتبهم.

٢١ - مد بساط الفرح والسرور والاحتفال بعرس الأمير حسين على ميرزا :

عندما وضع قرن (خصم) الخريف المخرف قدمًا في الروضة، أطلقت ريح الخريف يدها في نثر سبائك الذهب عن أوراق كروم العنب، وانقضى رأى مزين العالم على ذلك، وهو أن تُمنح صبية خدر العفة - التي انتهى شرح إحضارها بلسان القلم

(١) يقصد المؤرخ هنا أن محمود ميرزا الأفغاني كان سني المذهب كما كان شاهمراد الأوزبكي في حين كان فتح علي شاه القاجاري شيعيا .

المسـكى الرائـحة - الافتـخار بشرف الزوجـية والسعادة الأسرية للهلال الجلى الظهور في سماء المجد والجلال، والصبح باهر النور فى أفق العظمة والإقبال الأمير حسـين علي ميرزا [ص ٦٠] فانتشـرت فى العالم بشرى السرور وخبر الفرحة، وفتح خـازن الجنان أبواب الدلال والنعم على وجـه العـالمين، فتوجـه حكام وأعـيان الولايات من كافة الأرجاء إلى بلاط الخاقان فاتح البلاد، وفى أواسط شهر جمادى الآخر، وبأمر الخاقـان الأعظم نهض القـائمون على الحفل بتزيين الأسواق وواجـهة القصر والمنزل، وزينوا خيام الحجرات الملكية بالصور والتماثيل العجيبة، وعزف بحرارة عازفو المحافل التى على شاكلة محافل الجنة، وكان اللاعبون بالنار يهيجون النار بأيديهم من المشاعل الناثرة للبرق كما لو كان الأسد الشرس وجسم الفيل السكران، وكان لاعبو فنون السحر يأتون بألف لعبة متشابهة مثل مشعوذى الفلك، ولما مضى أسبوع واحد واضحًا ومخفيا للقاصى والدانى بسرور وحسن عيش الحياة، شعر [ترجمته]

ليلة أسـعـد من صـبح الرؤية * والهواء الناثر لعنبر مثل طرة الحبيب

فأحضروا تلك الجالسة فى خيمة العفة - التى كانت قد ربتها قابلة العهد والمشاطة المزينة لوجه الدنيا وراء نقاب الحجاب وحريم الحرمة، تلك البرعمة الملائكية التى قتلها حاجبها فى المرج بسبب الحسد - إلى الإيوان المشبه بالسماء وإلى المخدع المشبه بالبستان للأمير عالى المنزلة، ونثروا على رءوسهم المزينة بالتاج الأطباق الذهبية والفضية المنحوتة من الجواهر الثمينة ودراهم ودنانير الأمراء وعطية عمان. وبعد انتهاء الحفل والفرح، مر الأمراء والأعيان أمام ساء ة قصر الشهريار صاحب البلاد بالهبات الجلية والتحف والهدايا الوافرة، فصاروا مفتخرين بالخلاع الفاخرة ومرفوعى الرأس بالإنعامات الوافرة .

٢٣- ذكر وصول ميرزا مهدى على خان مبعوث حاكم ممالك الهند إلى بلاط كسرى هوشنك[١] المثقف، وحضور سفراء تيبو سلطان حاكم الدكن[٢] :

ولما صارت عظمة سلطنة وفتوحات الحضرة العلية زينة أذن أصحاب خانقاهات عالم الملكوت اتضحت صورة هذه الأنباء فى مرآة الفكر الرزين والتصور الحكيم بعيد النظر لعقلاء دولة الإنجليز الإفرنجية وحكمائها الذين يسترشدون بالعقل والمعرفة فى تنظيم شئون مملكتهم واختراع الصناعات وروائع الفنون، والذين يطورون مراسم الطقوس المسيحية بسبب أبى العجائب الذهن [ص ٦١] المتوهج والفكر الممحص، وذلك لأن الملك (الله) ذا الجلال قد وضع زمام مقدرات شعب إيران فى القبضة المقتدرة للشهريار عالى المقام، وقد فتح أبواب حسن سلوكه وشوكته وجلالته فى وجه الشيخ والشاب، وزين وجه طلعته وإقباله بوشم الخلود، وهذب روضة حظه من الحسك وشوك النقص والعيب، فكان لتجديد العهود القديمة[٣] سيستلزم الوفاق بين الدولتين العليتين، ولا جرم أن سرت إشارة من قبل الملك ذى الجاه الإنجليزى إلى حاكم ممالك الهند -الذي كان قد نشر في أثناء حكمه لواء الاستقلال فى تلك البلاد - بأن يُعين أحد وكلائه للسفارة بالبلاط المشبه بالفلك ومعه روائع تحف الهند وبدائع هدايا مملكة)

(١) كسرى هوشنك المثقف اسم ثاني ملوك الأسرة البشدادية الأسطورية .

(٢) تيبو سلطان : آخر أمراء ولاية « ميسور » الهندية من ١٧٤٩ إلى ١٧٩٩ م ، وكان من أشد أعداء إنجلترا ، عقد صداقة مع فرنسا وتحارب مع إنجلترا وحكام الهند (الراجات) الموالين لهم ، وفي النهاية قتل على يد الإنجليز . (انظر لغت نامه : على أكبر دهخدا ، جلد بنجم ، ص ٦٣٠٢) .

(٣) يرجع تاريخ العلاقات الإيرانية الإنجليزية إلى النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى [العاشر الهجرى] عندما قررت شركة موسكو الروسية التجارة مع فارس وإنجلترا عن طريق روسيا ، وكانت شركة موسكو المذكورة قد بدأت فى إرسال مبعوثيها إلى الشاه طهماسب الصفوى فى سنة ١٥٦٢ م لعقد اتفاقية مع إيران من ناحية ومع روسيا وإنجلترا من ناحية أخرى ، وبذلك كان الإنجليز هم أول ثلاث أمم أوروبية (إنجلترا وفرنسا وألمانيا) فتحوا العلاقات السياسية والتجارية مع إيران . (انظر : The Legacy of Persia : A.J. Arbarry. P. 344)

إنجلترا، وبأن يكتب الرسالة المشتملة على إعلان التهنئة بالسلطنة والمُعربة عن معاني ومضامين المودة، وطبقًا لإشارة الملك عالي المقام قدم ميرزا مهدى على خان الملقب ببطل الحرب المُهاب -الذي كان أصله من ولاية خراسان ومن جملة العقلاء - في أواخر شهر ربيع الأول، وعرض الرسالة والهدايا على نظر الملك الشريف، فصار محل عطف وإشفاق الفكر الأبيض المشرق للظل الإلهى.

وعلى نسق هذه الحال، وصل السفراء الفصحاء من قبل تيبو سلطان ملك دار الملك الدكن ومعهم التحف الجميلة والعديدة التى كان من بينها ثلاثة سلاسل بمقدار محيط جسم الفيل ، وقد صار السفراء موضع شفقة وعطف لا نهاية لهما، وفي الأوان نفسه أقُرعت مسامع أولياء الدولة القاهرة بخبر مقتل تيبو سلطان وانتقال مملكته إلى دولة الإنجليز، فعاد كل واحد من مبعوثيه إلى موطنه الأصلي.

وفى أواخر العام نفسه ضرب اللهيارخان يد التوسل إلى ذيل عفو وصفح كسرى صاحب البلاد، ودخل من باب الالتجاء طالبًا العذر عن ماضيه، وأرسل واحداً من وكلائه الموثوق بهم إلى بلاط صاحب السماء وكان قد التمس أن يعين أحد خدام البلاط لإحضار مربية عفته المستورة - التي كان قد تعهد بإرسالها سابقًا [ص ٦٢] -حتى يوصلها إلى خيمة سراى العزة ، وطبقًا لتمنياته صدر الأمر بهذه الخدمة لميرزا أسد الله مستوفى الديوان الأعلى .

٢٣ - التفويض المالى والإدارى لمملكة فارس وإقليم مازندران إلى الأمير حسين على ميرزا والأمير محمد قُلى ميرزا ، ووقائع أخرى :

كان مقتضى علو همة وسمو فطرة الخاقان فريدون المعدلة ذلك بأن يكون كل واحد من أشبال غابة السلطنة وأقمار أفلاك الجلالة والخلافة -الذين تربوا تربية صحيحة في ظل المظلة الموهومة بالراحة والذين أضاء شعاع التربية الخاقانية على وجنات أحوالهم - ملكًا فى مملكة مستقلة، وأن يكون كل واحد منهم فى إقليم على حده. وعلى هذا وضع نظم مملكة فارس الفسيحة الأرجاء تحت رعاية همة الأمير

شمس اللُقا حسين على ميرزا، وأمر بتعيين حضرة الأمير جمشيد الطلعة محمد قلى ميرزا لإمارة إقليم مازندران الجنة، وافتخر مقرب الحضرة تشرا غ على خان نوائى بمنصب مربى الأمير وبوزارة مملكة فارس، وصار ميرزا نصر الله قرين الإعزاز بوزارة مازندران، وسلك عدة أشخاص من الأمراء القاجاريين فى الركاب المستطاب لكل واحد منهما، ودخلوا بالخدمة والفدائية فى مشاورات الأمور الملكية والخدمات المتفق عليها، وسار الواء الطاحن للفلك من دار السلطنة طهران إلى ناحية دار الإيمان قم بغرض زيارة المضجع الطاهر جوهرة جعبة النبوة والرسالة فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهم صلوات الله الملك الأكبر مزين العالم، وبعد الحضور إلى ذلك المكان المؤسس على الفيض، قام بأداء أركان الزيارة والخشوع ولوازم الاستكانة والخضوع، واستمد من حضرتهم الهمة والتمس الشفاعة وتسلى لعدة ليالٍ متوالية فى تلك البقعة المباركة بتلاوة الآيات وحفظ مواقيت صلوات عزة الدارين واستقامة النشأتين، وسُرت ذيول العجزة والمساكين بسبب الذهب والفضة، وأسَر وأسعد العجزة والعلماء والسادات بالرواتب المقررة والإنعامات المتكاثرة والإحسان الوافر.

وقد سرت الإشارة إلى المعماريين المهرة [ص ٦٣] ومهندسى فكر إقليدس بتعمير البقاع والمساجد التى كانت قد اندرست بشدة بمرور الشهور والأعوام، وتشرف بالنفاذ حكم القضاء ببناء المدرسة الجديدة المعروفة بالفيضية، وتذهيب القبة الميمونة لحضرة المعصومة، وتعمير مسجد الإمام حسن العسكرى عليه السلام، وتجديد دار الشفا، واستراحات القوافل الموقوفة على العتبة المقدسة، والحمام والسوق من أجل الزوار والمجاورين لعتبة ساكنى دار الملائكة، والتى لن يكون فى الإمكان تدوين شرح تلك الأبنية المشبهة بالفلك المؤسس على صفحة البيان وبعد أداء مراسم الزيارة، أمر الخاقان فاتح البلاد بالرجوع من دار المؤمنين «قم» إلى مستقر السلطنة. وكما عاد مظفراً ومنصوراً من السفر ذى الأثر الخير لآذربيجان نور حديقة إجلال الأمراء نصيب بحر النوال النائب ولى العهد عباس ميرزا، فأدرك شرف الحضور موفور السرور الأشرف.

٢٤ – وقـائـع السنة ذات الطالع الميـمـون وهي سنة ألف ومـائتين وخمس عشرة، وتحرك موكب الهمايون إلى خراسان، والأخبار الواردة عن أحوال تلك المنطقة :

بعد انقضاء حفل النوروز، وبينما كان الحضرة العلية السلطانية مع قرينه الطالع الميمون ورفيقة الإقبال المتزايد يوماً بعد يوم في حفل المشورة الخاص بمحادثة إطلاق مقدمة راية الهمايون إلى جانب مملكة خراسان ذات الفيض الظاهر، ففي تلك الأثناء قـدم "طرهـبـاز خـان" الأفـغـانى بإشـارة من الشـاه زمـان ومن قـبل الوزير الأعظم وفادارخان عند اعتماد الدولة الحاج إبراهيم خان، فكانت خلاصة رسالته ونقاوة فكره الفج ذلك بأنه: "لا الشاه زمان يسحب قدماً عن جادة الخضوع والإطاعة، ولا الخاقان فاتح البلاد يحرك جواد مجرة العنان وجيش الشجعان بعزم السفر إلى خراسان" فتغير خاطر شمس المآثر السلطانية بسبب طلبهم، وأعرض وجه الهمايون عن قبول ملتمسهم، وعزم التوجه إلى ناحية خراسان لهم.

وبسبب القرار الذى ورد ضمن الروايات السابقة، صار ازدياد الإشفاق بشأن صادق خان المنافق باعثًا أكثر على الخيانة وأظهرت خيانته يومًا بعد يوم، فكان يتلاعب في مقام احتياله وغدره [ص ٦٤] ومن بينها أنه أغوى ممش خان الكردى، وكان قد يأسه في معاقبته ومصادرته من قبل كسرى الذى في تحمله كالجبل بعلة عدم اقتضاء الوقت، وقبل عدة أيام من ثورته سرت إشارة بالقبض عليه وحبسه، وفي فراش المرض نامت عينه في ذلة عن رؤية العالم مثلما [نامت] عين الفتنة في هذا العهد وودع الحياة، وجاء ساروخان أخوه أحمر الوجه بمشيخة طائفة شقاقي وجاء أخوه الآخر محمد على سلطان بلقب "خان" وقيادة فرسان شقاقي المحبين للشهرة، وعندئذ سمح لطرهبازخان بالانصراف المكرم، ودون في جوابه أن سلسلة العقد الملكية مربوطة برباط الخنجر الحاد وأن عُقدة أمر حمى الدنيا مفتوحة بأنامل السهم والسيف ، ولا بد لنا نحن النواب الهمايون (السلطان) من المطالبة بالمُلك الموروث وإخضاع خراسان، وإذا كان لهم أيضًا ادعاء موجود في ملك خراسان، فقطعه وفصله بلسان السيف الواضح كالشمس وإجابة الرسالة هى السيف والرمح.

٢٥- إرسال حاكم الهند للجنرال ملكم بهادر للسفارة في خدمة الحضرة العلية الخاقانية :

ولما كانت العلاقات والروابط قوية ومتواصلة فيما بين دولتى إيران وإنجلترا منذ قديم الأزل وحتى الآن، فقد كان السفراء والمبعوثون يترددون بينهما، وبناءً على هذا، وفى هذا العام، عين حاكم الهند السابق ماركويس لاردويلزلى (اللورد ولسلى) -الذى كان قد وصل إلى منصب الوزارة- وبإشارة من الملك ذى الجاه الإنجليزى "بريكه ديرجان"(١)، الجنرال ملكم بهادر بسفارة إيران، وكان أصل ماركويس لاردويلزلى من مملكة أيرلنده ومن نجباء تلك المملكة والأسرة العريقة، وكان فى البداية من جملة مستشارى ديوان الشعب الإنجليزى، وبسبب خبرته ونجابة أصله وجوهر ذاته وعلو همته وذكائه وفطنته وفراسته نُصب حاكمًا على مملكة الهند، وبعد فترة أُختص بوزارة دولة الإنجليز.

والخلاصة، أنه لما وصل الجنرال ملكم بهادر إلى ميناء بوشهر، عين الحضرة العلية الخاقانية فتح على خان نورى نائب رئيس القصر الملكى -الذى كان رجلاً خبيرًا وعاقلاً [ص ٦٥] لاستضافته حتى يقوم بأداء مراسم المحبة والضيافة له فى كل ولاية من حدود فارس، وقابل فتح على خان نورى السفير اللبق فى شيراز وقدم معه منسجمًا إلى دار الخلافة طهران.

وفى يوم أسعد من صباح يوم النوروز، استقر الحضرة العلية الظل الإلهى على عرش السلطنة، وتشرف السفير العالم المثقف بالحضور فى مرتبة العرش الأعلى، وبعد عدة أيام مرت من على النظر الأشرف عدة قطع من الماس والمرايا الأوضح من مرايا الحواس ومروحة العود والصندل ونفائس الحرير كهدية، فلاقت شرف إعجابه وثنائه، وطبقًا لإشارة الشهريار الوحيد، اعتبر أمناء الدولة ومسئولو الحضرة مقدم

(١) بريكه دير جان: ورد اسم هذا الملك الإنجليزى فى بعض المصادر الأخرى باسم "جورج ريجنت" أو "جورج السادس" (انظر: إسناد رسمى در روابط سياسى إيران با انكليس وروس وعثمانى، غلام حسين ميرزا صالح، جـ ١، ص ٧٢)

السفير الحكيم العالم غنيمة، فاحترموه، وبسطوا من أجله محفل الضيافة، وفرشوا له موائد النعم المختلفة، ووصل نص الاتفاقية -التى كانت قد تحررت بقلم حاكم الهند والمبنية على ضوابط الاتحاد والمبادئ والعدل - إلى نظر مقربى الحضرة، ووفقًا لتمنيات السفير العالم، حُررت وثيقة المعاهدة بقلم كُتَّاب عطارد من قبل كسرى فاتح البلاد والمقيدة بالقيود نفسها والمتضمنة على العهود نفسها ، وخُتمت بخاتم سليمان خان القاجارى، وسلمت ليد المبعوث.

وخلاصة مضمونها[1] ذلك: أن تكون الدولتان العليتان فى حكم واحد، وبأن تكونا صديقتين مع بعضيهما وعدوتين مع عدويهما، وأنه إذا أظهرت دولة أخرى العداوة والمخاصمة مع واحدة من هاتين الدولتين، تقوم هاتان الدولتان بتنفيذ شروط الاتفاق والمساندة والمناصرة، ويستخدمان فى صد العدو الخارجى وسائل الدفاع والمقاومة والعدوان.

وبعد الانتهاء من مراسم السفارة، تزينت قامات المبعوثين من أعلى إلى أسفل -- كل على قدر مراتبهم - بالخلاع الفاخرة والإحسانات الوافرة، وعين الحاج خليل خان ملك التجار من [قبل] الحضرة ذى الرتبة الفلكية الظل الإلهى ومعه التجهيزات ووسائل الحياة اللائقة بسفارة الدولة المذكورة، ولائقًا برسالة ديار الهند ومبلغًا لرد خطاب حاكم تلك الديار توءم النزاهة والعفاف، وتوجه إلى مقصده بمرافقة السفير، وعما قريب [ص ٦٦] وإن شاء الله تعالى سوف يوضح قلم البيان بالتدوين كيفية أحواله.

(١) تعمد المؤرخ عبد الرزاق الدنبلي هنا عدم الإفصاح عن بنود هذه الاتفاقية حيث كانت تعتبر من أسرار الدولة والحكم واكتفى فقط بعرض مضمونها بطريقة مبهمة وغير واضحة . (المترجم)

٢٦ - ذكر تعيين ولى العهد الأمير عباس ميرزا مع الجيش الطاحن لحجر الجرانيت على منطقة أذربيجان، وتحريك اللواء الملكى الطاحن للفلك إلى منطقة خراسان، وإخضاع قلعة مزنيان، وتأديب اللهيار خان حاكم سبزوار :

أصدر [الخاقان] الأمر بتعيين نائب السلطنة عباس ميرزا مع الجيش المحرق للعالم والمهيأ للفتح وسليمان خان وإبراهيم خان ورضا قُلى خان القاجارى لتنظيم شئون صفحة أذربيجان، وفى هذا السفر انتظمت أمور نخجوان وبعض مهام أذربيجان وشئونها، كما وصل أيضًا إلى أمر أيروان قليل من النظام.

وفى عزمه إلى خراسان، وقبل تحريك اللواء شعار الظفر، حرك يوم الاثنين الثانى من شهر ذى الحجة الحرام فى مقدمة جيش الأبطال إبراهيم خان بن العم مع عشرة آلاف فارس من مرتدى الصولجان وواضعى الخناجر وصار مهدى قُلى خان الدولويى وحسين خان القائد مسرعين فى ركابه، وسرى حكم أيضًا لأمير كونه خان زعفرانلو حاكم خبوشان وإبراهيم خان شادلو حاكم إسفراين بأن ينضما إلى معسكر النواب إبراهيم خان مع الجيوش الثائرة، وبأن يحاصروا قلعة "آق"، وبأن يظهروا فى إخضاع القلعة فى صورة المجاهد المنطلق حتى وصول الموكب المنصور، وبأن يوصلوا إلى مسامع المستحصنين أصوات البعث والنشور من دوى المدافع المدمرة للقلعة.

وفى الخامس عشر من شهر ذى الحجة الحرام [١٢١٥ هـ.ق]، ألقت خيمة الشوكة الملكية بظلها على المرج المضىء للقلب "فيروزكوه" ، وتزاحمت خيام العزة والقدرة فى روضة نمكه لمدة خمسة أيام من أجل استعراض حملة بنادق مازندران وإستراباد، فدكت طبقة القشرة الأرضية من آثارهم.

وقد قرر لحسين قُلى خان بأسبقية محاصرة سبزوار، وقد صار أهالى مزنيان - الذين كانوا يتمنعون فى المواجهة بسبب مستحدثات اللهيارخان وفى رزانة ومتانة القلاع الخيبرية والسد السكندرى - متأملين على استحكام المكان، فاستكبروا عن

طاعة وعبودية الحضرة. وقد أشار الحضرة العلية إلى الجيش نمر العزيمة بإخضاع تلك القلعة، فأحاط حملة البنادق المشعلون للنيران حول القلعة، وبسبب الخوف والرعب من المدافع محرقة اللهب والقذائف [ص ٦٧] المدوية بأصوات النفير والبنادق المولدة للصواعق، جعلوا النهار المتلألئ ظلمةً وسواداً في أعين أهالي القلعة، وفي أقل مدة صارت يد أهل قلعة مزينان قاصرة عن هذا وذاك، فالتجئوا خلف طوق الأمان، وخضعت القلعة المحكمة، ووصل إلى المطيع والعاصي ذلك الذي كان لائقًا من الرحمة والمشقة والرأفة والغلظة، وزالت أموالهم وأمتعتهم المدخرة بنهب وسلب الجنود، وكُلف أقاخان القاجاري مع فوج من الجيش بحراسة القلعة وتوقف بها، وأخذت راية النصرة في التحرك إلى جانب سبزوار، وبعد النزول إلى تلك الديار، صار حسين قُلي خان مكلفًا بإخضاع نيسابور وكان يجاهد في محاصرة ذلك المكان، وشاهد اللهيارخان بعينه صورة الموت في مرآة خاطره، فأرسل ابنته -التي كان أسد الله مستوفي الديوان الأعلى قد رحل لإحضارها، وكان اللهيارخان قد أخر حصول مطلبه حتى ذلك اليوم - داخل حجاب الهودج إلى الحرملك الملكي، وخط وجه العريضة بخط العذر، ولأنه جعل وجهه أسود، فقد صار مستدعيًا وطالبًا ذلك: بما أن حساب العمر قد تجاوز الستين وصار ربيع يوم الشباب مفنيًا على يد خصمه الخريف، فلو يعفو الملك مرحمة العدل عن إحضار هذا العبد الحقير، ولو تعطيه المسمحة الملكية يومين مهلة للحياة يقضيهما على الطاعة في زاوية الإنزواء، فلن يكون بعيداً عن مروءة الجبلة الكريمة وروية القلب الرحيم. نظم [بيت ترجمته]

لو تقــبل فــلا بعــد عن كــرمك * وعــذر الذنب لا يملكه طالب العــذر

ولأن صورة هذه الحكاية كان معناها الغدر والحيلة، فلم يقبلها طبع الملك الحكيم العاقل وأصدر الأمر إلى الجنود بالإقامة بالقرب من قلعة سبزوار، وبتنظيم الغارات وتخريب بقاع تلك الديار ومحاصرتها.

ولما كان اللهيارخان وجعفر خان بيات قد أرسلا -قبل وصول الموكب الملكي إلى تلك المناطق -- وكلاءهما الموثوق بهم عند الأمير زمان الأفغاني من أجل الاستشفاع

إلى بلاط ملجأ العالم خديو الزمان، فقد كانا يضعان أعين الانتظار على طريق قدوم الشفعاء، وكانا يداومان على الثبات في القلعة حتى ذلك الزمان الذى ضاق فيه الأمر علي محصوري سبزوار ونيسابور[ص ٦٨] وكادت تصطدم أقدام صبرهما بالصخر، فوصل ثانية طرهبازخان وبإشارة من الملك زمان ومن قبل وفادراخان بالتحف والهدايا اللائقة إلى بلاط كوكب زحل، وفى أرض سبزوار المرج الأخضر وضع رأسه فى موطئ سرير العرش الملكى الوردى اللون، وحل النؤابة عن وجه شاهد السر، وعرض بلسان المحتاج ما هو دائماً. نظم [بيتين ترجمتهما] .

خراسان ملكك في يد مغيرى الاغتصاب

وفى داخل ملكك يا موسى الذئب حارس للغنم

كانت الحسرة هى أن خازن كنز العرش هو أهريمن(١)

وكان الظلم هو أن حاكم صدر الشرع هو أبو الحكم

"ولكن هناك حفنة من الحقراء وعدة من الأخساء مرتعدين وخائفين بسبب خوفهم على أرواحهم وجزاءً لخيانتهم وهم متخفون وراء أسوار خراسان، فلا قدرة لهم جديرة بقتال شهريار الفلك ولا طاقة ولا مقدرة لهم فى مقابل بحر الجيش اللامحدود، فلو يقبل الخديو الذى دينه الرحمة شفاعة هذا الفكر الخير، فيفتح العقدة عن أعمال المفسدين بأنامل عفوه، وبعد انعطاف العنان المظفر إلى ناحية مكان العرش، سيجعلهم هذا مريد الخير بالألطاف الملكية يسيرون إلى البلاط المشبه بالفلك مرتاحى القلب ودون شائبة إكراه، ولو لم يكن، فناصية راية النصر عائدة مرة أخرى بحمد الله، ويد الجيش طويلة فى فتح البلاد".

ولما كان في المبادئ فتح باب الصداقة والمعاهدة من قبل الأمير زمان، فقد كان رد المسئول وسد أبواب قبول مأمله مخالفًا لدستور السلطنة ومنافيا لرؤية الوفاق ،

(١) أهريمن : اسم إله الشر فى الديانة الذرادشتية ، الشيطان ، الظلم ، الطاغية ، وهو مرشد السيئات مثل يزدان مرشد الخير . (انظر : لغت نامه : على أكبر دهخدا ، جلد سوم ، ص ١٣٤٧)

فأعطى الحضرة العلية الخاقانية الإذن للجيش بالانصراف عن محاصرة نيسابور، ومن المكان نفسه حصل الأمير محمود -الذى كان ملتزمًا بالركاب فى ذلك الوقت - على الإذن بالانصراف صوب مقصده الراغب فيه، وصارت الأحكام الغالبة والمنتصرة على سياق السطور السابقة نافذة على حكام خراسان بأنه لايجوز لهم الإهمال فى إمداده ومعاونته.

وعادت راية النصرة والهمة من سبزوار، وألقت بشعاعها إلى ناحية مكان العرش وأدرك شرف تقبيل البساط كل من حسين قُلى خان فى إسفراين وإبراهيم خان في أق قلعة، وانصرف عن البلاط الملكي أمير كوته خان زعفرانلو وإبراهيم خان شادلو، وأسرعا إلى ولايات محل حكمها [ص ٦٩]، ورجع بأمر السطان أقاخان أيضًا الذى كان فى "ينكى قلعة"، وكلف مكانه إبراهيم خان عرب بسطامى مع حملة بنادق العرب والعجم.

وعن طريق "تششمه على"، وعلى عادته فى الصيد، جعل الحضرة العلية ساحة سمنان أكثر نورانية من الفلك الأعلى بسبب لمعان وإشراق نور التاج الهلالى الشكل، وقد صار قصره الفاتن للقلب [موضع] حسد مرسم مصورى الصين بسبب بسط بساط السرور والفرح من أجل عُرس وانشراح الأمير محمد ولى ميرزا، وكانت كل واحدة من منازل هذه المنطقة كمحفل السماء بسبب عزف العود ولحن وترنيم الربابة ونغماتها.

ويعد انقضا[illegible] أخذت أعلام النهض[illegible] عشر من شهر [illegible] بيع دار السلطنة [illegible] الجالس على عرش جمشيد، واستطلع على انفراد ولعدة أيام من عمال وحكام فارس والعراق - الذين كان قد سرى حكم لإحضارهم من أجل التحقق من أحوال الرعية أو جبر كسر ذوى القلوب المنكسره بكمال العدل، ومن ذلك المكان ومن أجل تنظيم شئون جيلان وتزيين محفل عيش الأمير محمد على خان، صارت دار الملك قزوين محسودة من الفردوس الأعلى بسبب مقدم شهريار العادل والمتدين، وحضر حكام جيلان إلى

موطئ العرش الأعلى فى ذلك المكان، واكتفت أمورهم وشئونهم على الوجه الذى كان مقتضياً لرأى صاحب العالم.

وبتهيئة حفل العرس والفرح والسرور، صارت لوازم الأنس والطرب جاهزة بالأسلوب الآسر للقلب، وصارت أبواب السعادة والفرحة مفتوحة على وجه الشعب، ولأنه قد هيئ أمر العيش والحياة وقد أتى الخاطر الأشرف صافياً فى إنهاء تلك المهام، فقد كلف النواب إبراهيم خان ومن أجل استقلال أمر جيلان باستقرار العمال فى أمور ديوان إقليم رشت، وتحرك لواء الظفر منجذباً إلى جانب مكان العرش، ورجع ولى عهد إيران الأمير الموفق عباس ميرزا أيضاً فى تلك الأوقات بالحكم السلطانى من أذربيجان، وصار متباهياً بتقبيل عتبة الحضرة العلية كما صار محظوظاً من العنايات التى لا حدود لها.

٢٧ - تذهيب القبة المباركة للمعصومة، وبناء عمارة إصفهان وسائر عمارات أثر الجنة :

وفى ربيع العام المبارك نفسه، شرع فى تذهيب القبة الطاهرة والبقعة الطيبة [ص ٧٠] العلة الغائية من خلق الماء والطين لحضرة المعصومة صلوات الله عليها، وبناء المدرسة، فقد أزال المعماريون العلماء والبناءون البارزون فى الصنعة القبة القديمة، ورفعوا [illegible] من جديد على تسع أروقة عالية السقف، وأغلقوا [illegible] الغربية، وضموا ساحة الصحنين (الفنائين) القديمين [illegible] بينهما، وجاءت المدرسة المغرية للروح خانية من الأشكال الهندسية مع فناء الخلد المشابه لشكل الجنة والمشتمل على الحجرات والأحواض والجداول، فكل حجرة منها غرفة من الجنة وأنوارها القدسية ظاهرة ومبنية على أربع شرف من الطين والطوب، فالغربية منها هى المشرفة فى أحد أطرافها على فضاء المدرسة، ومن إحدى النواحى التى تطل على النهر أنشئ القسم العلوى المخصوص من أجل إقامة الشهريار الفريد، وعلى ناحية الصحن العلوى والمتصل بروضة عرش

الأساس حجرات منقوشة بالذهب، وعلى الناحية الأخرى رُتب حوض مخزن بالمياه والذى يقف السمك على سطحه ويفكر العقلاء بعيدو النظر فى الخوض فيه بركبهم، وتزينت القبة المنورة مع الدماغ من القوالب المعجونة بالذهب وحيث أسقط القالب الذهبي الشمس من طاقة قلب السماء، وفتح الفلك المقوس الظهر عينه بالنظر عليها بنظارة الشمس والقمر فى الصباح والمساء.

وطبقًا للحكم الأشرف فإن طلبة العلوم الدينية والعارفين بمعالم اليقين - المستقرة بهم قوانين الملة وشعاع الشرائع قائم بمصباح بيانهم- مسبحون من كل نافذة كالملائكة على نوافذ الفلك، ومتناظرون ومتحاضرون فى كل موضع مثل الملائكة والذاكرين على الأماكن القدسية، فى حل أسرار المعانى مع بعضهم البعض. وثواب ذلك عائد بالعشى والإشراق على العهد ذى الأثر السعيد لظل حضرة من له التسبيح وهو الخمر الأبدية معشوق اللطف الإلهي.

وأيضًا فى تلك السنة، سرى الحكم للحاج محمد حسين خان حاكم إصفهان، وذلك بأن يتم كل الفضاء الواقع ما بين عمارة تشهل ستون (الأربعين عمود) وعمارة بهشت أيين (مثل الجنة) وهي من أبنية السلاطين الصفويين - في صورة قصر مبتهج على نظام الجنة، وجمع هو أيضًا امتثالاً للأمر المشبه بالقدر - البنائين العلماء ورسامي الفنون ونجارى حرفة نوح، وأنجز عمارة محتوية [ص ٧١] على الدواوين الحديثة الطراز والقصور الكاملة وحديقة النارنج (البرتقال اليوسفى) والأحواض الزجاجية الجذابة وقصر الاستراحة والحمام.

وكذلك طبقًا لحكم القضاء العادل، بنوا رباطًا محكمًا على شاطئ نهر جاجرود وهو معبر قوافل مازندران في وقت الشتاء ولم يكن به منزل لإقامة القوافل، وهو مشتمل على الحجرات الكثيرة والخلوة والحمام والبيوت اللازمة القائمة مقام حجرة الأثير لمتجمدى صولة البرد الشديد، وانتهى بناء رباط من الأحجار والجبس تحت رعاية المعماريين المهرة في قرية "كناره" الكردية أيضًا ،التى كانت مأوى عابرى العراق وفارس بسبب فقدانهم المنزل ومحل نومهم فى الشتاء، وقد صار أجره الدنيوى والأخروى عائدًا على عهد الهمايون السعيد.

٢٨ - ذكر وقائع السنة الخامسة لجلوس الهمايون، وهى السنة المطابقة لسنة ألف ومائتين وست عشرة هجرية، والقبض على الحاج إبراهيم خان الشيرازى بسيئات أعماله :

وبعد الفراغ من حفل العيد، قام الحضرة العلية بتنظيم مهام وشئون السلطنة، ولما اقترب وصول آثار نهضة راية الظفر، ولم يظهر وصول أى أثر من قبل اللهيارخان قليجى وجعفرخان بيات فى إنجاز وعدهما بالعهد وفقًا لتعهد الأمير زمان على النحو الذى سبق ذكره، فقد كُلف النائب إبراهيم خان بالتوجه إلى سبزوار مع عشرين ألفًا من المشاة والفرسان الصاعقة اللاعبين بالسهام النافذة، وصار مقرراً لعدد من الأمراء المخضرمين، إبراهيم خان ومحمد خان دولو وبير قُلى خان شام بياتي، ومن الغلمان حسين خان، ومن حكام خراسان أمير كونه خان زعفرانلو وإبراهيم خان شادلو، وذلك: بأن يخرجوا يد النهب والإغارة وقدم الإضرار والخسارة من كم التطاول والاعتداء في تلك الديار، ولا يجوز لهم التعاون مع بعضهم فى القتل والقفل والتكسير والإيذاء وتخريب القلاع والمنازل وإحراق بيادر الأرواح ونهب الغلال، وحيث كان اللهيارخان مستوجبًا محاكمته بنفسه (فقط)، ولكن بشؤمه ذى العاقبة السيئة، صار جمع كثير من رعايا سبزوار المرج الأخضر مهانين بسحقهم بالأقدام.

وكان الحاج إبراهيم خان الشيرازى قد وجد [ص ٧٢] المنزلة والمقام مع بداية الدولة الزندية، ففى البداية عمل فترة فى منصب حاكم القرية (كدخدا)، وفترة فى رئاسة شرطة شيراز، وذلك حتى الوقت الذى وقع فيه زمام حكومة فارس فى يد جعفر خان [الزندى] - فوصل كوكب عزته إلى ذروة الرقى، وزال عصر جعفر خان، ووصلت نوبة النشاط إلى ابنه لطف على خان، وحتى ذلك الحين لم يجد استقلال أمره ، وفى مقابل السنوات العديدة وبدواعى التمرد وجنون العظمة فكر فى إثارة سلسلة الفساد، فحرك جمعًا من الألوار، وأشرك معه الذهب والفضة في مخالفة ومعارضة لطف على خان، حتى واتته الفرصة، فخلعوا عنه حلة الزعامة، وقلعوا جذور دولته ببلطة الحق المجهول . [بيت ترجمته]

شـــخـص مـــا كـــان يـربى الذئـب الرضـــيع

فلمـــا شب وترعـرع مــزق جســد سيـده عن بعـضـه

وحتى تلك الأوقات -التي كان السلطان السعيد [أغا محمد خان القاجاري] أنار الله برهانه قد رفع فيها لواء الظفر بإخضاع مملكة أذربيجان، وقد ترك السلطان فاتح البلاد [فتح على شاه القاجارى] فى دار السلطنة إصفهان - خرج لطف على خان - الذى كان غافلاً عن امر القضاء - من شيراز برغبة تخليص العراق، ونظراً لشدة الثقة المتوفرة للحاج إبراهيم خان، سلمه فى يده مفتاح القلعة، وتحرك السلطان صاحب البلاد (فتح على شاه) من إصفهان، ورفع العلم الكاوياني فى قمشه، وحتى ذلك الحين لم يصل الأمر إلى المواجهة والمقاتلة، ووضع عبد الرحيم خان ومحمد على خان إخوان الحاج إبراهيم خان -اللذان كان لهما علم بتواطئه وفكرة إفساد معركة لطف على خان، وفى منزل سميرم، وفى الجزء المتبقى من الليلة الماضية، وضعا أساس الفتنة والاضطراب، ومالا إلى الريح المخالفة، فطافت سفينة معسكر لطف على خان فى دوامة الحيرة والاضطراب، وخرج إخوان الحاج إبراهيم خان -اللذان كانا ربانين لهذا الزورق- بمتاعيهما سالمين من هذه الورطة، وسلكا طريقهما إلى شيراز، وانضما إلى أخيهما الملحد، وصار لطف على خان غريق بحر الاضطراب والحيرة، وتولى الحاج إبراهيم خان فى مُلك فارس حكم مفتاح مخازن الدولة الزندية ، وجلس بنفسه واضعًا رأسه على متكأ حكومة فارس، ولأنه رأى الناس حوله طوعًا [ص ٧٣] أو كرها، فقد بسط بساط الثروة لعدة أيام، إلا أنه فى النهاية، تقدم برجله مضطراً إلى ذيل طاعة الخاقان المغفور، وسلم له فى الظاهر وبقلب سليم قلعة شيراز. ولكن كان فى باطن ظنه الوصول إلى مرتبة الرئاسة الموهومة، وكان يعتقد أنه لائق وجدير بهذا الأمر العظيم. وعلى الدوام، كان فسقه ظاهراً على رأى مزين العالم السلطاني(١)، ولكن، فقد ظهرت منه فى عين المبصر للظاهر الخدمة - التى

(١) يحاول المؤرخ عبد الرزاق الدنبلي بقدر الإمكان تبرئة مواقف السلطان فتح على شاه ولى نعمته مع أعدائه وخصومه .

كانت في الواقع هي الخيانة نفسها، ومن أجل صلاح أمره، فكان قد حطم ظهر الخصم الماهر بقوة الفكر الصحيح، ومن أجل إسكات لسان الخير والشر وجذب قلوب البعيد والقريب، فقد رأى التأخير في إفنائه وإبقاء جزائه، وحتى ذلك الحين لم يصدرْ منه الجُرم الظاهر، وفي بداية الأمر، فوض إليه بإمارة فارس، ولم يُظهر هو أيضًا تقصيراً من شدة العمل في طول الأمل، فأشعل لفترة في شيراز شرارة الظلم والتعدي وخاط بإبرة الرغبة والطمع عيون الشباب الأبرياء الباقين من الطائفة الزندية في بعضها، وأحرق في دفعة واحدة بيادر أرواح الأسرات القديمة في فارس وبعدها وضع قدمه في موطئ عرش الخلافة بمرتبة الوزارة العالية، وتعامل بلا مروءة مع عبيد الله، وفرق الفقراء والضعفاء عن أمهاتهم وأبنائهم وأقربائهم، وأصر أكثر وأكثر على الإضرار بالناس، وكان يغرس بذور الشوك من أجل أن يمسك بذيله.

وقد وجد المنزلة والمكانة في موقع السلطنة، وذلك عندما أسرع السلطان السعيد من دار الفناء إلى مُلك البقاء، وأخذ العرش المشبه بالفلك زينته من حسن وجمال الخديو الفريد، وتفتحت بطراوة ورود شوكة الحاج إبراهيم خان في عهد دولة السلطان صاحب البلاد، وبسبب العنايات الملكية ارتفعت رأس كل واحد من إخوته وأبنائه بحكومة إحدى الولايات، فطالت أيدي وألسنة ظلمهم وأذاهم على الناس، ولما اقترب زمن المكافآت اللازم لطبيعة الدهر، وصلت تأوهات وصرخات المظلومين إلى مسامع مقيمي عتبة الجلال، ومع أن الطبع الغيور للملك راعي الرعية قد صار متغيراً من ذلك، فإنه قام ثانية بنصحه من وجه الرأفة والرقة لعله يتأثر[ص ٧٤] فيمنع نفسه عن الظلم، ولم يقعْ بالنفع حبسه في داره، وسلك الطريق نفسها في غير الصواب.

ووصلت عاقبة الأمر إلى محلها، حيث كان يتجدد حضوره في كل يوم لمواجهة ومشافهة ظلمه وتعديه، وفي تلك الحالات لم ينفعه مطلقًا الوعيد والإهمال ثانية من موقف المحاكمة السلطانية ولم تفتح عين العبرة على ما آل إليه أمره، وبهذه الأفعال غير المقبولة لم يتقاعد في مكانه، وأعلن عند هذا وذاك من بعض المتحدثين عبثًا، أنه أصبح جديراً بكمال السياسة، ومضى غشه وتصرفه في مال الديوان عن الحد والنهاية، وأخيراً، وبعد توجيه الخيانة العظمى إليه رُفع سواد إنسان عينه بالسكين،

وقُطع لسانه من حلقه بالكزلك الحاد، وأُخذت منه الفضة والذهب والأموال المدفونة – التي كانت رأس مال غروره، وصدرت الأحكام المطاعة كي يوصلوا أولاده وإخوته وأعوانه في أنحاء الممالك المحروسة إلى جزاء سيئات أعمالهم، ويخلصوا المظلومين والضعفاء من سياستهم وإدارتهم. وبالحكم المشبه بالقدر فقد البعض منهم الوعي من كأس خمر السيف، وكما خفت مصابيح نظر البعض الآخر منهم، وكل ماكانوا قد فعلوه في حياتهم مع الناس أتوا مقبوضًا عليهم بنفس الحالة، وفي مدة أربعة عشر يومًا تبدل أساس العز والجاه –الذي لم يكن قد رآه آل برمك– بمثل ذلك الذل وتلك الحقارة إلى درجة أنه أصبح كذيل المحشر في وقت الليل المظلم، وقد صارت ثروة وعز دولتهم مبعثرة هكذا –التي كانوا قد جمعوها لسنوات عديدة بقوة الظلم، وكانت الدواب القوية تئن من حملها، بحيث لا يستطيع النمل المسرع جمع حبتين منها في مكان واحد، وكان الحاج [إبراهيم خان] وزوجته وأولاده عُمى البصر في قزوين بالحكم السلطاني حتى رحلوا إلى القبر.

وقد جاءت خلعة الوزارة وعلى الوضع السابق –لائقة على قامة أصف الحضرة ميرزا محمد شفيع، وتسابق جواد عزم نظام الدولة سليمان خان القاجاري مع خمسة عشر ألف فارس بأمر شهريار فلك البلاط في ميدان تخريب ديار إقامة جعفر خان بيات، والله هو الموفق.

٢٩ – ذكر يقظة فتنة حسين قُلى خان مرة أخرى ، وإخمادها على يد كسرى العادل :

وعلى النحو الذي أوضحته السطور سابقًا [ص ٧٥] ، فإن حسين قُلى خان قد سقطت على رأسه الرغبة في ادعاء الرئاسة بإغواء شيطان الناس له بوساوس الجهل والظن، فهي إرادة مع إرادة الله تتنازع كما لو كان نجم يتعلق بشمس رحمة الله، فوقع كالظل على الثرى، ووضع عنقه في قيد العبودية ولما لم يكن محققًا حقيقة حاله على الناس حتى ذلك الحين، فقد اقتضت الحكمة الإلهية إمهاله، وحتى يظهر مع بعض

الذين مذهبهم النفاق من غير أهله، ويأتي بالبرهان للخلق على فعله ودعواه، ولا جرم أن فتح القلب الطاهر لشهريار العالم أبواب العطف والعفو والصفح على وجه عصره [حسين قُلى خان]، ورفع رأسه بحكومة كاشان، فطالت يد ظُلمه وجوره على ضعفاء تلك الديار، وأتى واضحًا لجميع الناس مقداره ومنزلته بسبب أبى العجائب أحواله وأفعاله، ولأنه قد أحرق فترة منازل وأكواخ المساكين بنيران الظلم، وادخر رأس مال الاستعداد، ومرة ثانية، نفش النسر جناحيه وريشه، وحلق بفكره في هوى الجيفة الحقيرة، وعاد إلى رأسه ظنه الأسود القديم البعيد منه والطويل، فكان يسعى في الخفاء لجمع العدة، وفي الظاهر كان يرتدى حجاب إعلان العبودية وحسن الخدمة على وجه ما في الضمير، فأحيانًا كان يميل إلى ترك الدنيا حتى يعلم دنياويوه أنه تارك للدنيا وصارف النظر عن التاج والعرش، وأحيانًا كان يتجنب الحياة في رداء النفاق ويفرش سجادة العبادة في المسجد والمحراب، وحتى يعلم هذا وذاك ماله من الثروة والحظ، وكان يبعث كل يوم إلى موطئ العرش المشبه بالفلك العريضة المتضرعة والمشعرة على عبودية الحضرة العلية وإنكار همته على الدنيا، وكان الخاقان ذو الهمة العالية يفاخره بالفرامانات المنذرة له من السخط السلطاني والمبشرة له من النصيحة النافعة في التحرز من الوساوس النفسية، لعله يفوق من الغفلة، ويسقط قدر فكره الأسود من الغليان.

ومضت فترة على هذا الوضع، وكان المدعو محمد قاسم شخصًا مجهول الحال ومقلوبًا من الرأس إلى القدم – وكانت له قرابة مع طائفة بيرانوند– فكان دائمًا أسير القيد لعدة أيام في مدينته بسبب ادعائه صناعة وعمل الإكسير، ولقب نفسه في مكان ما بلقب "ملا باراني"، وهرب،[ص ٧٦] وراج على الألسنة في بلد باسم "ملا محمد"، وقطع السلسلة وهرب، وفي مكان ما أعطى لنفسه شهرة باسم "محمد القاسم"، وصار معروفًا به.

واعتقد حسين قُلى خان قدومه فألاً خيرًا من أجل الادخار لرأس مال السلطنة ، واعتبر مقدمه غنيمةً، فأعطى له مكانًا لخلوته الخاصة، وبالغ عن الحد في احترامه، وفي ظلال هذا الوضع، قدم إلى كاشان سيد ملىء بالغش والخداع – وكانت له علاقة

ألفة سابقة مع محمد القاسم، فوضعا البناء هكذا مع بعضهما، وذلك: بأن يختار السيد زاوية العزلة، وبأن يطوى ذيل الصحبة عن معاشرة أهل العصر، وأن يُعد نفسه من الأصدقاء الغرباء وعارف بالله الأوحد، وأن يُخبر أحيانًا عن الأمور المخفية. وأن يُشير أحيانًا إلى الرموز الغيبية، وذلك حتى يتصوره أهل كاشان من أقطاب وأوتاد الزمان، ويصبحوا راغبين في ملاقاته، وبأن تصل هذه الحكاية إلى أذن حسين قُلى خان، فيطلبه.

وإجمالاً لذلك، غاب السيد عن الأنظار، فغلب الشوق لرؤيته على الطبائع، وشاعت كراماته على الألسنة والأفواه، وبتحريك من محمد قاسم، أظهر عدة أشخاص من محرمي الخلوة مراتب عرفانه على ضمير حسين قُلى خان ، فرغب حسين قُلى خان في حضوره طمعًا في الاستعانة من باطنه الفاسق، واشتعلت فيه نار الشوق له أكثر بسبب إنكاره، وفي النهاية وبكيفية مشقة الفتى ميسرة، قضى معه ليلة في خلوته الخاصة، فزين السيد المشعوذ في نظره اللعبة المليئة بسحر الألوان الغريبة مثل تخيلات السحر، وقال: "أنا نائب لصاحب العصر[1] ونائبه عن الاهتمام بالأمور الدنيوية، ولكن كلام محمد القاسم في كفاءة هذا الأمر هو وثيقة وسند، وهو مبسوط اليد في فتح أبواب السعادة، ويُيسر الارتقاء إلى المدارج العليا والسلطنه بمساعدته، وحتى تستطيع [ذلك] فلا تلو رأسك من ربقة إطاعته إلى النهاية مطلقًا". فخطفت هذه البشرى قلب حسين قُلى خان من كفه وصبره من قلبه، وزادت محبته لمحمد قاسم وإخلاصه، ووصل الأمر إلى أنه كان يقف الليالى أمامه مثل العبيد المقيدين من أيديهم، وكان يضع على قدمه رأس العجز والخضوع والضعف، وجلس حسين قُلى خان بلا عمل كالنقش على الجدار [ص ٧٧]، وكليةً سلم لذلك الفاسق عنان اختياره، فبداية جر بحكمه جميع المجرمين القدامى - الذين رفضوا مخالفة السلطنة وأصروا على نصحه - إلى السجن، فجعل البعض منهم يائسًا من رؤية الدنيا المضيئة بالمشرط الظالم، وقبض على البعض الآخر، وحبسهم في زاوية.

(١) يقصد المؤرخ من صاحب العصر الإمام الثاني عشر المهدى الغائب حسب اعتقاد الشيعة الاثنى عشرية في عودة الإمام الغائب وهو صاحب العصر كما يقولون . (المترجم)

وفي أواسط شهر ربيع الأول، قَدِم [حسين قُلى خان] على نفسه الأمير الموفق محمد تقي خان بسبب الخداع، وفي منتصف الليل نقل رحله ومتاعه من كاشان إلى نظنز. وجمع جمعًا من المشاة بالطوع والفزع، وتوجه إلى إصفهان، ودخل إلى المدينة على حين غرة، وأشاع بأن الحاج محمد حسين خان -وطبقًا لحكم الخديو - معزول عن حكومة إصفهان، وبأن الأمير محمد تقى خان والى وحاكم إصفهان صغيرها وكبيرها، وزعم بأن نغمة هذه الأسطورة صادقة، فترك الحاج محمد حسين خان عرش السلطنة -الذى كان صانعو الذهب المهرة مشغولين بصناعته- وكل الأموال والأمتعة التي يملكها، وسلك طريق الفرار، وعندما اتضح للناس كذب هذا الكلام، فإن الأمر كان قد فلت من اليد، والسهم من القوس، واضطر كل واحد من عمال إصفهان إلى زاوية الفرار. واستقر حسين قُلى خان فى حديقة "سعادت آباد"، وأطلق يده فى أخذ أموال التجار ومصادرة أموال أصحاب المقدرة في تلك الديار، وضرب باسمه العملة بالذهب والفضة، والتف أوباش ومحتالو إصفهان الذين لا اسم لهم ولا رسم، حول محمد قاسم، وصاروا أصحاب الثروة والمنزلة ومالكى الدرهم والدينار، وعندما وصل هذا الخبر إلى صاحب المسامع العلية «فريدون المكانة»، نفذت كحكم القضاء أحكام القدر المعجزة إلى أطراف الممالك والثغور، وذلك بأن يغلق حكام وقادة جيش كل الديار الشوارع والمعابر أمام وجهه ويتخذوا أماكنهم مع جمع كامل على رءوس المعابر والمضايق والشعاب، فلا يمروا أو يخرجوا، وبدون احترام للإخوة، يقيدوه من يده، ويحضرونه إلى ركابه المبارك.

وكما صدر الأمر إلى جان محمد خان وحسين قُلى خان الدولويى مع جمع غفير من جيش أثر القيامة من أجل جمع الجيش المظفر إلى قم وكاشان، وبأن ينتظروا وصول موكب الإقبال [ص ٧٨]، وفى مساق تلك الأحوال، وصل النائب إبراهيم خان وسليمان خان من خراسان، وقدم أيضًا عباس ميرزا أخو نادر ميرزا بإشارة من أخيه مُظهرًا العجز والقصور وطالبًا العفو عن التقصير بتقبيل العتبة العلية. وعُرف الخبر الجديد وانتشر، بأن حسين قُلى خان -وبحكم محمد قاسم- جلس على وسادة الحكم فى إصفهان بسبب صدقه وبساطته، ولم يتقبلْ الطبع الغيور للشهريار أكثر من هذا التأمل والتحمل، فسرى الفرمان المشبه بالقضاء لولى عهد السلطنة الأمير عباس

ميرزا وهو نور بصر الدولة - في دار السلطنة طهران - وهي عين المملكة ومكان عرش المعدلة - ولأصف الحضرة ميرزا محمد شفيع بأن يلتزم حضور الأمير الموفق، وتقرر لهما: بأن يرعيا جانب الجزم والحزم في تنظيم شئون طهران ومازندران، وبأن يوصلا وقائع الأحوال يومًا بيوم بالعرض على رأى منير العالم، وبأنه لو لم يكن قد اجتمع الجيش اللامعدود من الممالك القريبة والبعيدة في ظل الراية الممدودة، وظهرت كفاية نفس ملتزمي الركاب المنصور من أجل تخريب معركة شره وفساده ، فإنه في أوائل شهر ربيع الأخر يطير عقاب راية الشمس المعجزة الجازم من طهران، ويسيرا جيشًا كالسيل المزمجر في الركاب الكسروى إلى ناحية إصفهان . وبمجرد طلوع قمير راية الشمس، سقطت أشعة نور (نجم) سها وجود حسين قُلي خان بسبب النور والبهاء، وترك ملكه ورحله وأثقاله وأحماله في قلعة إصفهان، وملأ المخازن بالحبوب والغلال، وكلف وكلاءه بحراسة ذلك المكان، وأكد لهم بأنه: طالما لم يصلْ من جانبه خبر، فيغلقون القلعة بحزام الهمة ولايفتحون أبوابها في وجه أي شخص:، واختار المدعو الحاج جعفر الإصفهاني أخا باقر خان الخراساني بالنيابة عنه على أهل المدينة، وولى وجهه إلى صحراء بلا حياة وبادية مجهولة.

وفي الوقت الذى ظللت فيه راية الفيروز الملكية على ساحة إصفهان ، لم يكن في تلك الديار ديار لأركان حسين قُلي خان ، فقد أوصل الحاج جعفر أيضًا نفسه ناهضًا وساقطًا إلى قلعة إصفهان.

[ص ٧٩] وبعد أسبوع واحد، كلف الحضرة العلية، النائب إبراهيم خان مع فوج من الجيش بتخليص قلعة إصفهان والقبض على الحاج جعفر، فرحل الجيش المنصور متعقبًا حسين قُلي خان حتى نواحي جلبايجان وكرمانشاهان، بحيث إنه إذا ذهب إلى ناحية بغداد بسبب السطوة القاآنية فإنهم يمنعونه، ويقبضون عليه ويحضرونه إلى البلاط. وفي منزل جلبايجان، عُرِض على السلطان صاحب البلاد، بأن محمد قاسم حمل حسين قُلي خان إلى سيلاخور وبروجرد على أمل مساعدة وعون [طائفتي] بيرانوند وباجلان، ولم تطيعاه تلك الطائفتان، وانضم إليه عدة أشخاص منها - الذين خلت أيديهم من السلاح - بوسوسة محمد قاسم، وأسرع جمع من

غلمـانه إلى المعسكر الملكي عندمـا رأوا مـا آل إليـه حـاله، وعلى الرغم من ذلك أغلق الطرق والمسالك عليه كل من أقاخان القاجارى فى سيلاخور، ومحمد على خان فى بروجرد، وأخذوا أماكنهم مع الأبطال المشهورين في المعارك فى محل معارضته بالطريق، ولاجرم أن تناثرت عدته وآلاته الثقيلة المحكمة، وفر إلى جانب كرمانشاهان وبغداد، فصدر بالتبليغ الأمر الملكي البليغ فى صحبة المسرعين بمفاخرة أقاخان ومحمد علي خان، وذلك بأن يسرعوا فى تعقبه فوراً، وبأن يضيقوا الأمر عليه، ولايسمحوا له بأن يخطو إلى تراب بغداد أو إلى أى بلاد أخرى.

وفي اليوم الذى صار فيه مرج كمره مضرباً للخيام المنتهية بالنصر، وصل الخبر بأن: محمد قاسم عندما رأى أن أمر حسين قُلى خان ضائع، عزم مع أعوانه على الفرار، فسحب مقربو حسين قُلى خان الحجاب من أمام أمره (محمد قاسم)، برأس أنامل الوشاية وقول السوء، فأُسر بأغلال وسلاسل المحاكمة، وبعد يوم واحد خلص محمد قاسم نفسه من الأغلال بسبب المكر والحيلة والخداع، وولى وجهه إلى ديار مجهولة ووادى ليست له نهاية، وأخفى حسين قُلى خان رأس خيط العمل بسبب رحيله، ووضع بقية الأمتعة والأثاث في قرية، وفر إلى طريق دار الأمان «قم»، وحتى الآن لم يتحقق أنه سوف يلجأ إلى عتبة المعصومة عليها السلام أم سيسلك طريقًا آخر.

فأصدر الخاقان القابض على البلاد الأمر بتعيين جمعًا إلى قم عن طريق مشك أباد فراهان، حيث إنه من الممكن فى أثناء المصادفة أن يلجأ حينئذ من وجه المصادفة إلى عتبة البقعة الطاهرة [ص ٨٠]، وهو المراد والتوقيت، فلا يعزم إلى ناحية أخرى، ويردونه، وأخذ موكب الهمايون في التحرك كحملات الموج إلى منزل "محلات"، وفي ذلك المكان تحقق بأن حسين قُلى خان تصادم بالمكلفين على أمره، فرأى أن رقعة أمره منحصرة فى التوسل إلى الذيل الطاهر للبقعة الطيبة لـ "خواجه لولاك"[١]،

(١) خواجه لولاك : لقب حضرة الرسول الأكرم والذى أخذ من هذا الحديث القدسي الذى يخاطبه بذلك : لولاك لما خلقت الأفلاك . انظر لغت نامه ، على أكبر دهخدا ، جلد ششم ، ص ٨٧٩٢ .

واختار مقامه فى ظل تلك القبة فلك الرواق، وفى اليوم التالى رفع الشهريار ذو النجم العالى راية العزيمة إلى ناحية دار المؤمنين قم، وفى أواخر شهر ربيع الآخر ظهرت ساحة قم كالمنزل الفيروزى بسبب إقامة الخيام المظفرة فيها، وعندما عزم على الزيارة وضع رأسه وجسده كله على التراب، وأتى الأمير محمد تقى ميرزا مستفيداً من تقبيل يد الشهريار باسط المحبة، وألقى حسين قُلى خان سيف العجز على رقبته وارتمى إلى ذيل العفو الكسروى المحطم للعدو، ولمس جبين المعذرة بالتراب، وطلب العذر بدموع كثيرة وسكب الدموع المفعمة بالدماء على وجهه وعلى ذيل الشهريار الذى شعاره العدل، فأخذ عرق حمية الإخوة فى التحرك، ورفع رأسه بيد المرحمة من التراب ورفعها إلى أوج الأفلاك وصار حسين قُلى خان وبناءً على طلبه وتمنى بلقيس [والدة فتح على شاه] مهد العزة ومريم عهد العفة وبحكم كسرى كعبة المحبة - مقيماً فى دار الأمان قم، وقضى أوقاته فى الزيارة والعبادة.

وبعد يوم واحد، انجذبت أعلام النصر ناحية مكان العرش ، وصار عدة أشخاص من حقراء (طائفة) بيرانوند وغيرها -الذين كانوا أساس الفتنة- أسرى كمين الجيش المقيد للعدو، وبحكم ملك الملوك العزيز وصل بعضهم بعين الحسرة إلى العالم المفتوح وأعضاؤهم مُمَثل بها، وبعضهم فى أعلى قمم المنارات، وذلك جزاءً لهم، فاستراحت الدنيا من الفتنة.

ولما جلس حسين قُلى خان فترة فى قم، أغلق طريق زيارة تلك التربة على المجاورين، وبسبب إيذائه وأحواله غير المناسبة وصلت روح أهل دار الأمان إلى اللب، فصار حكم القدر العادل نافذاً فى تظلم الحاضرين والزائرين، وأحضروه إلى دار السلطنة طهران، وحُبس فترة فى قصر النواب إبراهيم خان، وفى النهاية، وبمقتضى الرأى الرزين والفكر المبين [ص ٨١] للشهريار العادل حوصر فى محل من قرى شميران، وجاه خندقه وبرجه معكوساً ومحروساً عن رؤية الدنيا كأعماله، وصارت مائدة نعم أيامه ولياليه جاهزة من الديوان الأعلى، وصار أنيسه سجادة العبادة وتلاوة المصحف المجيد والذكر والأوراد وادخار زاد المعاد، وقد وجد توفيق الخير بالقهر والجبر.

٣٠ - قدوم اللهيارخان إلى بلاط الفلك الدوار :

إن التجسس والخصومة والعناد مع المحمول بيد الله تحت الأيدى باعث على انكباب الوجه على الأرض وجر جبل البلاء على النفس، وإن عدم إطاعته وعصيانه لأوامر ونواهي ظل الإله[1] دليل على سبب الذلة والحقارة وموصل إلى منزلة الضلالة والخذلان، فمثل ذلك وبعد ذلك كله، اغتر اللهيارخان بنفسه وزين الفساد، فخرب سبزوار، وشرد نفسه.

ولما أنهى النائب إبراهيم خان أمر اللهيارخان، وعاد إلى البلاط الكسروى، فقد ارتد اللهيارخان إلى عقله، ووجد نفسه دون أسباب ولوازم الحياة ووجد الشعب مشتتًا، ومن المشاكل التى حدثت فى تلك الأوقات، أن قامت مجموعة من تركمان الصحراء بالهجوم بغرض الإغارة على مناطق سبزوار، فرحل خلفهم قليتش آقا الذى كان أمير السيف وقوة ساعده فى اليوم الذى يكون فيه بلا مساعد ومعين، وفى أثناء القتال سلك طريق ديار فنائه، وانقصم ظهر طاقة اللهيارخان، ولم يجد وسيلة لضياع أمره سوى اللجوء إلى البلاط الملكى. مصراع [ترجمته]

كيف يهرب منك شخص وأنت مخلص

ومع أنه كان يعلم عفو تلك الحضرة العميم، ولكنه لم يكنْ يملك الرجوع بوجهه إلى بلاط الخاقان صاحب البلاد بسبب كثرة ذنوبه، ومن أجل الراحة والاطمئنان سير واحدًا من أبناء أعمامه إلى عتبة الرحمة والرضا، وضرب يد التوسل بذيل شفاعة ولى النعمة وخليفة حضرة الخلافة الأمير عباس ميرزا، ولأنه فى اليوم نفسه انسحب ابنه أيضًا -الذى كان يحيا فى ظل حماية الأمير - برحلة إلى ديار الفناء بسبب حظه الأسود، فجاءت الرحمة على وجه الأمير الحر، والتمس فى حضرة السلطنة وطلب له الشفاعة، فزين كسرى باسط المحبة والعطف شاهد تمني الأمير بالقبول [ص ٨٢]

(١) يقصد المؤرخ بالمحمول بيد الله تحت الأيدى وظل الإله - السلطان فتح على شاه القاجارى على أساس أن الحاكم هو ظل الله فى الأرض . (المترجم)

وانصرف مبعوثه من البلاط الشهريارى مؤملاً وأسرع إليه، وهاجر اللهيارخان مع زوجته وولده وأقاربه وأتباعه من طائفة قليتشي جميعًا وودع ديار سبزوار، ولحق بدار المُلك طهران، وصارت جبهة مقدرته مسحوقة بتراب العتبة المؤسسة على العدل، وغرس عود الرحمة الإلهية، فظهرت نضارة أمله العاجز بسبب العفو عن أخطائه وزلاته وازدياد منزلته ومكانته، ولم يرحل الفقير من باب لطفه مردوداً، فصار مرفوع الرأس من حضرة بحر اليسار برعاية رِقاب مُلْك سبزوار وإقطاعية قرية إشتهارد فى قزوين، التى كانت المسكن القديم لطائفة قليتشي وما كان ناقصه من فوائده وعوائده فى فترة العصيان والكفر بالنعمة، فقد زاد إلى أضعافه بمجرد لفته من قبل الحضرة العلية. بيت شعر [ترجمته]

مع أنه يغضب من الفعل القبيح ولكن ما إن عدت طوى ما حدث

٣١- ذكر مجمل أحوال شيخ العرب عبد العزيز والطائفة الوهابية :

إن عبد العزيز هو شيخ قبيلة من العرب البدو، ومجمل حاله، أنه كان كبير القبيلة ومن مشايخها، وكان المدعو عبد الوهاب[1] من تلك القبيلة والذى تتلمذ كثيراً عند المدعو محمد من أهل نواحي البصرة، وفي النهاية، قدم إلى إصفهان من أجل الدراسة، وهناك قضى عمراً فى التعلم بالمدارس، فتعلم الفقه والأصول والنحو والصرف، وهكذا اعتقد أنه اطلع على دقائق عقائد كل أمة، وكان اعتقاده هذا: بأن الله الواجب التعالى واحد، وأن وجوب إرسال الرسل والكتاب هو أمر بلا ريب وبلا شك، وبأن كتاب الله كاف بعد رحيل نبى آخر الزمان [محمد صلى الله عليه وسلم]، وأنه فى كل عهد [يظهر] مجتهد من أهل الأمة، يكشف الأمور الصعبة الغامضة،

(١) يقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الحركة الدينية فى شبه الجزيرة العربية والتي عُرفت بالوهابية (١٦٩٦ : ١٧٩١ م).

فعهد أبي بكر وعهد عمر وعهد عثمان وعهد أمير المؤمنين الحيدر وزمن الشافعي وأبي حنيفة وعصر حضرة الإمام جعفر، فعندما يموت مجتهد، يأتي آخر مكانه، يستخرج من كتاب الله القضايا والأحكام حتى يعمل الناس بقوله. وأيضًا، بأن القباب العالية على المزارات والقبور، وإحضار الهدايا والنذور، وتذهيب البقاع بالذهب والفضة وزيارتهم [ص ٨٢] وتقبيل أعتاب تلك الزمرة العظيمة الشأن، وصناعة ختم[١] (مهر نماز) من تربتها والصلاة عليها بدعة في الشريعة وشرك بالله، وبأن مرتكبي هذه الأطوار والأحوال هم بمنزلة الكفار، وفي حق تلك الجماعة فإن الحق تعالى دعاهم في القرآن بالمشركين الذين كانوا يصنعون الأصنام بأيديهم وكانوا يعتبرونها وسائلهم عند الله، وكانوا يقومون بالطواف [حولها] والخدمة والسجود لها وعبادتها، فإذا كانوا يعترفون بالوحدانية لغير الله، وإذا كانوا يعتبرون تلك الجمادات شفعاء ووسائل لهم، فلا إله مستقلا (منزها)، وقد جعلوا بعض الاجتهادات المظلمة من هذا القبيل في شعار الدين.

ورحل من إصفهان إلي وسط قبيلته، وتحدث مع الشيخ عبد العزيز بمثل هذه الأفكار، ولأنه كان لعبد العزيز الرغبة في الزعامة والشهرة، حيث إن كل من له هوس غالب علي رأسه ينتشر بسرعة مراده من الدين الجديد والمذهب الحديث، فقبل كلامه وعدل عن المذهب والسنة، ودعا العرب إلى هذا الدين، ومن أجل مذهبه دخل مع أعراب أطراف البادية في قتال ونزاع، فُهزم من العدو أحيانًا وهزمه أحيانًا أخرى، حتى قفزت دولته وقدرته، فبنى حصنًا قويا كالدرع الحديدي في الدرعية، ويومًا بعد يوم كثرت عدته وثروته، وأخضع أكثر قبائل الصحراء تحت سيطرته، ومضى نفاذ أمره عن الحد، ووصل أبناؤه إلى سني الرشد ، فصعد المسمى سعود -الذي كان كبيرهم- على قدم الشجاعة والرجولة، وبالحيلة والتدبير والخداع وبقوة السنان والسيف قبل له جمع كبير من العرب أمره، ودخلوا طريق حكمه.

(١) مهرنماز : قطعة من طين الأماكن الشيعية المقدسة توضع في موضع الجبهة عند السجود ، عند الشيعة الاثني عشرية . (انظر : المعجم الفارسي الكبير : جـ ٣ ، ص ٢٨٢٧) .

وبهذا الخيال، ظن بأنه يُخرب العتبات وبقاع أئمة الدين عليهم السلام، التى كان يعتبرها بزعمه بدعة شنيعة، وبأنه يُقتل الزائرين والمجاورين الذين كان يظنهم مشركين وعُباد أصنام، فقصد النجف الأشرف عدة مرات، وقد ظن أنه سيجد الطريق لإطفاء نور الحق، فاصطدم بصخر قوى ساعد الحق ووعى واطلاع شيعة عرب [قبيلة] خزاعة وغيرها، وباستحكام قلعة تيرندبيرش.

ولأنه منذ عهد سيطرة نادر شاه الأفشارى وحتى عهد دولة [ص ٨٤] ملك الملوك الموفق، فإنه وبحمد الله قد استراح شعب إيران، ورجع كل واحد منهم، كان قد اختار الجلاء عن الوطن، إلى دياره، فمنذ ما يقرب من ستين عامًا أى عندما هاجر أغنياء وأثرياء جميع ولايات إيران والهند بسبب شيوع الفتن وانتشارها، والتجئوا إلى أعتاب الأئمة الطاهرين حتى تؤمن أنفسهم وأموالهم من الحلال والحرام، ولا تتلف من ظلم المعتدين ببركة الجوار، وبسبب كثرة الغرباء في المشاهد المقدسة النجف وكاظمين وكربلاء، فلم يكن يوجد مكان واحد من أجل المتوطنين ، ولم يكن هناك مقام بسبب التوطن وطول مدة الإقامة فى تلك الأماكن الفياضة بالمساكن التى هى محل للزهد والتقوى والإعراض عن زخارف الدنيا والاهتمام بالعالم الآخر، [ولذا] فإن وقوع الحرام والعيش المدام (اللهو الدائم) بمقتضى الطبيعة البشرية وعادة النفس الجريئة المولعة هكذا بأكل الربا وإحداث البدع الشنيعة وقبائح الأعمال وفضائح الأفعال التى لو كانوا يقدمون على أى واحدة منها فى سائر بلاد الإسلام لاستوجب توبيخهم ولومهم، بل وأيضًا التعذير والعقاب، وتدريجيا ، وصلت [الأمور] إلى حد عدم الخشية فى جميع العتبات المقدسة، ولا سيما فى كربلاء، حيث صارت محرمات الشريعة محللة، ووقعت الذنوب – التى كانت تسلك فى الخفاء– من الحجب وعلى الملأ، فلا خجل ولا خشية من الله، ولا حياء من حجة الإله(١) – الذى هو عالم وبصير بخفايا الأسرار، فما هو مكان الخطايا والفحشاء – بسبب جمع الأموال – مالم يكونوا يذهبون سنويا لزيارة العتبة المطهرة، حتى يصلوا إلى تصفية الباطن عن طريق المنهيات والمواظبة على العبادات وادخار الحسنات.

(١) حجة الإله يقصد المهدى المنتظر حسب اعتقاد الشيعة الاثنى عشرية .

وقد صار واجبًا على الله الواجب التعالي وأمنائه أن يُطهر تلك الأرض المقدسة - التى لاتحمل الخبائث - باليد النجسة من لوث جنابة النفوس وأرجاس نفائث الأموال، ويُزيل غشاوة الغفلة من أمام أعين وقلوب الناس بالسيف الحاد المثير لفتنة سعود، ولاجرم أن ولى عنهم الحظ المسعود جزاءً لسيئات أعمالهم، فتسلط سعود وبإشارة من عبد العزيز مثلما تسلط بخت النصر على بنى إسرائيل[1]، وكيفية ذلك، وكما كان لعبد العزيز، أن ضعف السيف الجسور ويد وقدم التدبير والحيلة فى إخضاع حصار النجف[ص ٨٥]، فعقد عزم الهمة الصحيحة على تخريب كربلاء وقتل أهلها وهى محل الكرب والبلاء، وأغلق حصاراً غير محكم، وبإشارته، رحل سعود فى شهر ذى الحجة من العام نفسه على رأس اثنى عشر ألفًا من جنوده العنيدين، وعن طريق "بربامداد" وفى يوم الغدير هجموا غفلة على مدينة كربلاء، وأصابوا وقتلوا كل ماوجدوه من شيوخ وشباب...، وحطموا الضريح الطاهر والصندوق المنير لحضرة سيد الشهداء عليه السلام...، وضربوا (فسخوا) عقوده بأناملهم...، وأغاروا على خزانة العتبة، ونهبوا القناديل الفضية والذهبية والأمتعة والملابس التى كانت فى الروضة المقدسة، وحفروا القوالب الذهبية ومرايا إيوان العرش، وهدموا الأبواب والحوائط، واستولوا على الذهب والدُرر والجواهر والنفائس والأمتعة التى جاءت من كل بلد والتى كانت فى بيت الخزانة، وأجروا سيلاً من دماء الأطفال والنساء، ومرة أخرى وقعت واقعة كربلاء عيانًا يوم عاشوراء فى تلك الأرض الطاهرة[2]، وكان عدد القتلى وفق تقرير الثقات مايقرب من خمسة آلاف شخص، وحساب الأموال التى نهبت لا يعلمها إلا الله، وقد نام فى التراب المظلم الشباب ذوو الوجوه الحسنة الجميلة - الذين كانت الشمس فى حيرة واضطراب من مشاهدة طلعتهم، وكانت طرة المحبوبة الوردية اللون المخضبة بالدم تتلوى ألمًا من ذؤاباتهم، واختفت خلف حُجب التراب وجوه فضلاء الحق ملائكية الطبع، الذين يضطرب من جبينهم النورانى كوكب المشترى

(١) إشارة إلى السبى البابلى لليهود قبل الميلاد . (المترجم)

(٢) يقصد واقعة استشهاد الإمام الحسين بن على (عليه السلام) يوم عاشوراء على يد جند يزيد بن معاوية. (المترجم)

فى خطابه ؤكوكب عطارد فى قلمه، وبعد سبع أو ثمان ساعات من القتل والنهب، ربطوا أحمالهم على الحمير والجمال، وتوجهوا إلى الدرعية. ولو يحدث لعوام الناس شك من هذا فى قلوبهم وفتور فى إيمانهم بسبب ضعف يقينهم، بأنه يجب (ينبغى) ألا تتحمل غيرة المعصوم[1] هذا الحال، ولا يتركهم بأن يجعلوا عدداً من الأنفس الجليلة مُهانة فى جواره، وبأن يلوثوا أجساد الأطهار فى ذلك التراب بسيف الظلم، وبأن يحطموا الصندوق المطهر ويقلعوا قوالب الذهب [ص ٨٦] من الباب والحائط، فواقعة كربلاء واستشهاد حضرته على الصحراء هى بلا شك دافع لهم وقاطع لسلسلة التشكيك والريب، بأنه على الرغم من وجود الإمام المفترض طاعته وتيقن الناس على وجوب إطاعته، فإنهم - وبلا خجل من إله العالم ولا حياء من نبى آخر الزمان. حطموا العهود وعقدوا الصفوف واستلوا السيوف وقطعوا رءوس الأئمة، وأسالوا الدم الطاهر العترة على الأرض بدون أدنى اعتبار للحمية وتأمل للعبرة، ونخلوا تراب خذلان الدنيا والآخرة على رأسه وعالمه، وحطموا بالرمح صدر مرآة الكون والذى كان مستودع أسرار المدلل ، وفسخوا شكل العقود للضريح الفضى -الذى كان قرصاً من النور القدسى- بيد الظلم الصريح.

وطبقًا للظاهر، فإن تلك الحادثة أجدر بالتشكيك والبحث عن هذا وذلك بأن يقتلوا فى جواره المذنبين وأصحاب الأفعال القبيحة، وينهبوا الأموال الحرام ويحطموا الصندوق الخشبى والضريح الحديدى، فمع أن شهادة حضرته كانت فى الظاهر شرا فإنها كانت فى الباطن عائدة بالخير الكثير وبالمصلحة على حضرته وعلى الأمة والتى لايمكن إحصاء عددها.

وإجمالاً لذلك، فإنه بعد سنوح هذه السانحة، أرسل الخديو بهرام الانتقام، إسماعيل بيك بيات غلام إلى بغداد وكتب لسليمان باشا خطابًا توضيحيا بأنه إذا تدخل جيش إيران عبر المملكة العثمانية فلا يصل لذهن مسئولى تلك الدولة العلية

(١) يقصد بالمعصوم الإمام الحسين . حيث يعتقد الشيعة الاثنى عشرية فى عصمة الأئمة وهو اعتقاد خاطئ حيث إن العصمة لله وحده فقط . فحتى الرسول (ﷺ) لم يكن معصوما إلا فى الوحى . والله أعلم . (المترجم)

الأفكار البعيدة، وتعلن ذلك حتى يصد (جيش إيران) الطائفة الوهابية بعون حضرة البارى (الله جل جلاله) وحتى لا يستمر أمرهم محكمًا فيسهل طريقهم ولا يصعب أمرهم السهل وبسبب التساهل في هذا الشأن لا ينتهي الأمر السهل إلى الصعوبة، وعرض سليمان باشا فى جوابه بأنه في قرار حكم الدولة العثمانية قد تجمعت من كل ناحية أسباب وعوامل قلع أسس تلك الطائفة، وعما قريب، لن يبقى أثر منها على صفحة الزمان، ولن يتبعها حاجة لتعب وإزعاج جيش إيران من أجل هذا الأمر، وبأن تعمير الروضة الطاهرة وجميع تعويضات أثاثات ولوازم تلك البقعة أيضًا فى عهدة هذه الدولة، وإن شاء الله سوف يتم بهذه السرعة نفسها وبقوة الفعل، وبالمصادفة وفى الأوان نفسه [ص ٨٧] أسرع سليمان باشا من العالم الفانى إلى العالم الباقى، فحدث اختلال كامل فى أمور بغداد والبصرة، ولم تصبح الفرصة [موجودة] لمسئولى الدولة العثمانية لتدبير أمر تلك الطائفة.

٣٢- وقائع سنة الكلب[١] [وهى سنة] ألف ومأتين وسبع عشرة هجرية :

اتكأ كسرى المُذلل للحبيب والمُحرق للعدو على العرش الجمشيدى كالشمس على عرش [برج] الحمل والورد المتفتح على العرش المشبه بالزمرد، ووقف ولاة العهد كالبدر ينظم منازله ووقف الأمراء ذوو القدر العالى على نسق النجوم في صدر مجلس الفلك المزين، وقد بذرت يد صاحب الخزانة بيدر الذهب والفضة، وألقى بخلع التشريفات على أكتافهم وصدورهم من دار الخلع الملكية، ولنظم المهام والشئون القريبة والبعيدة، جعل السيف الهلالى الشكل، الذى هو مفتاح أبواب الفتح والظفر، زينة الحزام، وجعل الجيش المظفر غنيًا من الذهب والفضة بعطاء اليد المتأثرة بالسحاب، ورفع لواء الهمة شمس المعجزة بعزم إخضاع بقية مُلك خراسان، فكلف أولاً: ابن العم بهمن الشأن إبراهيم خان ليكون فى مقدمة الجيش أثر النصر، وقبل

(١) إيت نيل : سنة الكلب وهى السنة الحادية عشرة من التقويم التركى الشرقى . (انظر المعجم الفارسى الكبير : إبراهيم الدسوقى شتا ، جـ ١ ، ص ٢٢١) .

عدة أيام من تحرك موكب المستولى على البلاد، مع عشرة آلاف من الفرسان والمشاة لمعاقبة متمردى نيسابور.

وفى يوم السابع عشر من شهر المحرم [١٢١٧ هـ.ق] وضع الخاقان نجم الخدم قدمه على الركاب ، المشبه بالهلال فى ساعة كصبح الوصال الوقت المبارك ذى الطالع السعيد، وبالعزم إلى خراسان فتح عقدة من مقدمة علم الظفر، ومن أجل استجمام الدواب، صار مرج "رادكان" لعدة أيام مضرباً للخيام المنتهية بالنصر، وصار إسحق خان القرائى وجعفر خان بيات حاكم نيسابور متفاخرين ومتباهين بتقبيل العتبة الملكية، ووقف كل من اللهيارخان وإبراهيم خان شادلو حاكم إسفراين وأميركونه خان حاكم خبوشان مع سائر حكام مملكة خراسان فى ظل راية الشمس المعجزة من أجل أداء الخدمة ورعاية مراسم الفدائية، وقد وضعوا آذانهم على سماع الأمر لتقديم العبودية، وكلف نظام الدولة سليمان خان القاجارى وحسين خان رئيس فرقة الغلمان بإخضاع قلعة "تشناران"، ونصب الأمير الموفق محمد على ميرزا مع إسحق خان القرائى القائد وفوج من شجعان [ص ٨٨] ساحة الحرب على ناحية الأرض المقدسة، وتحرك موكب فاتح البلاد أيضًا إلى مشهد المقدسة مع عالم من الأسود السفاكة للدماء وتماسيح بحر الغضب.

وفى يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، التف الجيش ملجأ الظفر خارج مدينة مشهد، وبسبب النهب وغارة الأتراك الشجعان، جعلوا الدنيا المنيرة سوداء فى نظر نادر ميرزا ومحصورى حصار التعب والعناء، وبسبب طول مدة الحصار اشتعلت نائرة القحط والغلاء، وبسبب مرارة الحياة وانعدام القوت وقوة اقتران الملل بالخلق وصل الموت إلى أرواحهم والسكين إلى أعناقهم. فتوجه ميرزا محمد مهدى المشهدى علامة العلماء ونحرير الحكماء والفقهاء - الذى كان سيدًا فاضلاً وعالمًا بالذات الإلهية - إلى عتبة أساس العدل من أجل الاستشفاع لفقراء وضعفاء مشهد المقدسة، وفى المحفل المشابه للجنة الكسروية التمس خلاص أهل مشهد المقدسة، وقدم العرض على أساس أن الخطأ الذى يستوجب السخط السلطانى والباعث على الغضب الملكى هو ليس خطأ فقراء القلعة، وأن تسليم القلعة وإخراج نادر ميرزا -الذى كان شعاره

عدم الشكر- متعذر وصعب على العجزة والمساكين، وأن مفاتيح أبواب المدينة وزمام اختيار أهل القلعة في يد ذلك الغادر الجائر، فما يصير هو أن يترك كسرى فاتح البلاد إخضاع القلعة عدة شهور، وأن يوقف تدبير أمر نادر ميرزا الآيل للخذلان إلى موضع آخر حتى يفكر أهل المدينة فى حيلة لأمره ويخرجوا عنان الاختيار والاقتدار من قبضة قدرته، ويعدوا المدينة تحت تصرف مسئولى دولة العصر بالتمهيد الذى يعلمونه ويقدرون عليه، فينجون من فكرة السخط والعذاب. وصدق أمراء خراسان أيضًا على قول حضرته وتعهدوا بهذا العهد.

وكان ظاهرًا على الضمير الخاقانى المنير، بأنه لو يخضع قلعة الأرض المقدسة بالغلبة والقهر، فلسوف يصبح رجال ونساء تلك الناحية -الذين هم مستريحون فى ظل مولاى الثامن[1]- طعمة لسيف الأبطال السفاك للدماء وعرضة للأتراك الشجعان، وللضرورة قبل شفاعة الفاضل الكامل من وجه كمال المرحمة، وقرر إخضاع القلعة على التعهد الذى مضى فى عهده [ص ٨٩] حكام خراسان، وكلف حسين خان رئيس فرقة الغلمان بقيادة ولاية خراسان علاوة على حكومة نيسابور. وأخذت الرايات المنصورة فى التحرك إلى ناحية دار الخلافة طهران، وانشغل هو لعدة أيام فى التنزه والصيد فى منزل "تششمه على" الذى كان روضًا عامرًا ومريحًا، ومن هناك صار بطل جيش ملجأ الظفر كحل عين أهالى بلدة سمنان، وقد أعطوا للنائب الأمير محمد ولى ميرزا الاحتفالات المقبولة وقدموا له الهدايا اللائقة.

وفى خلال تلك الأحداث، حضر محمود ميرزا الأفغانى، على النحو الذى سبق ذكره، إلى ولاية "قاين" لطلب مساندة واستمداد الخاقان فاتح البلاد حضرة فلك المنزلة، وعقد جمعًا قليلاً وعزم إلى قندهار بقوة الإقبال الخالدة لكسرى الذى لاشبيه

(١) يقصد الإمام على بن موسى الرضا المتوفي سنة ٢٠٢ هـ.ق وهو الإمام الثامن فى الترتيب الاثنى عشرى عند الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ومدفنه بمدينة مشهد عاصمة إقليم خراسان. (انظر الإسلام فى إيران : تأليف بطروشوفسكى ، ترجمة وتعليق د. السباعى محمد السباعى ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، بتصرف ص ٢٠٦ : ٢١٢) .

له، وفي يوم الوصول وبانتشار هذا الخبر بأن فوجاً من الأبطال القاجاريين ذهبوا مع محمود ميرزا، لم ير القائد - الذى كان مستقراً فى قندهار من قبل الشاه زمان- فى نفسه مقدرة على الاستقرار، فولي بوجهه إلي وادي الفرار، ووضع الدهر الصانع للشعوذة على كف محمود ميرزا زمام اختيار قندهار، فترك ابنه كامران في تلك الديار، وقام هو بنفسه خفيف العنان إلى ناحية كابُل، وعرى زينة بصر الشاه زمان الذى كان قد علق أخيه كامران يومًا من عينيه على شاهد معشوق السلطنة، ورفع بنفسه لواء السلطنة إلى ذروة السماء، ومع خوف الأمير قيصر بن الشاه زمان - الذى كان والى دار السلطنة هراة بحكم والده - من تعب عمه، توجه مع فيروزا ميرزا أخي الأمير محمود خوفًا على أرواحهما مستمسكين بالحبل المتين للإعانة الكسروية وعزما إلى بلاط زحل الشهريار صاحب التاج، ولم يهمل السلطان ملجأ الإسلام أيضًا رعاية جانبيهما، وبإظهار اللطف والعناية الملكية رفعوا قمة اعتباريهما إلى أوج الفلك، وبعد التنزه والصيد ألقت مظلة العدل على رءوس مستظلى دار الخلافة، وتشرف بالحسن والزينة مرة أخرى أهالى ذلك المكان المؤسس على الفيض بسبب قدوم الموكب المسعود.

٣٣- ذكر حفل زفاف وفرح [ص ٩٠] ولى عهد السلطنة والخلافة الأمير عباس ميرزا أدام الله أيام سلطنتة وولاية عهده :

اقتضى رأى القدر المقدر بالقضاء النافذ للخاقان المستولى على البلاد بأن يسعد إيوان الشمس مشرق السلطنة وصاحب تاج نائب السلطنة والخلافة ولى العهد الأمير عباس ميرزا من طلعة [كوكب] المشترى، وبأن يظهر فى أكثر زينة وجمال من بروج الأفلاك كوكب الزهرة بالمنظر المحمود لمنازل القمر وبسيطة الأرض بيمن وبركة هذا الحفل المسعود، فحرر هذه الهبة بالاسم المشهور بميرزا محمد خان الدولوبى القاجارى وهو من عظماء هذه الطائفة الجليلة الشأن وركن من أركان هذه الدولة الخالدة الأساس، وأصدر الأمر بخطبة صبيته العفيفة - التي كانت درة صدف العزة

وبرعُمة شجر ورد النجابة ومريم حريم العفة والعصمة وبلقيس عرش العظمة، للأمير الشاب المحظوظ، وتشرف بالصدور حكم العالم المطاع بترتيب الحفل الملكى وإعداد لوازم حفل الزفاف والفرح والسرور الكسروى واجتماع أكابر وأعيان الممالك المحروسة إلى مركز الخلافة طهران. وقد نهض القائمون بأمر دولة عصر المقدرة بترتيب لوازم الحفل والعُرس، فزينوا الأسواق والمنازل ونسقوها كساحات الجنان، وكانت الليالى مضاءة بالأنوار اللامعة بسبب إشعال المشاعل والشموع، وبالنهار كانت موائد الشهوات النفسية والحظوظ الجسمانية جاهزة ومهيأة على مائدة أهل الدنيا بسبب كثرة ووفرة أنواع النعمة والنعيم، وبسبب أبى العجائب [كان] الأساتذة اللاعبون بالنار فى ليالى الفرح المملوء بالطرب ، كانت كل زاوية من مجلس الحفل كصورة الفيل المشتعل بالنيران مع صورة الأسد المهاجم وكان كل صف من المحفل كساحة العالم المليئة بالسرور، وقد ارتعدت كأس العهد من خمر الطرب بسبب نغمات المطربين وأصوات العود والناى المغنية للروح. والخلاصة، أنه لما مضى أسبوع أو أسبوعان للخلائق فى عيش وحياة سعيدة. نظم [بيت ترجمته]

ليلة أسعد من صبح الحياة مُزيدة للسرور كأيام الشباب

وكانوا قد كشفوا النقاب عن وجه قمر وجوه مخدع الفلك، وقد وضعوا نوافح مسك الغزال التاتارى فى أدراج الرياح، ودخل جميع الأمراء والأعيان وكافة طوائف الخدم والحشم وعظماء عتبة السماء المؤسسة بالمشاعل الذهبية والفضية وبأصوات [ص ٩٦] الطبول وموسيقات ناى مهد ماء حياة العهد وبتلك الزينة والاحتفال - الذى لم تكن رأته العين المنيرة لفيروزة المهد - إلى الإيوان العامر كأم للأمير الذى يشبه الإسكندر فى خصاله .

وفى الصباح الذى ارتدى فيه كسرى النجوم والكواكب السيارة الخلعة المذهبة على صوره وقد ظهر وعلى طرته عقال مقوس جميل أزرق اللون، مر الوزراء والأمراء والأعيان من أمام نظر الشمس المؤثرة لملك الملوك المشبه بجمشيد بالهدايا المتنوعة،

فصاروا موضع الإشفاق والعطف السلطانى، ووجدت صدور وأكتاف فخرهم الزينة بالخلاع الثمينة، وأشرقت أشعة الرعاية الخاقانية على وجنات أحوالهم.

٣٤ - تكملة حكاية قيصر ميرزا الأفغانى :

.... ولما رأى قيصر ميرزا فى عتبة جلال الحضرة العلية كعبة النجاة من حوادث الزمان، ورأى فى البلاط الكسروى قبلة الحاجات، فرعى السلطان المطلع بالأمور أيضًا جانبه بالعنايات الملكية والعواطف الكسروية، وخص حضرته كل يوم بمكرمة جديدة وعناية لا حد لها، وقد تأكد أن محمود ميرزا قد بدل مكافآت الشكر على نعمة المُلك بالكفران والجحود، وقابل احترام مساعدة ولى النعمة بالطغيان والفساد.

وفى المساء حضر إلى بلاط الفلك الدوار بعض من عظماء حكام الأفغان أيضًا لمراعاة هذا الحال، وعرضوا ذلك بأنه الآن [قُضِى] عام وقيصر ميرزا مقيم بالعتبة وأن قرة أعين أنصاره هو أن يقدم على الطريق الرئيسي للمرحمة الملكية المعينة فى كل وقت من قوة الإقبال الكسروى على خصمه القوى، وبسبب انتصاره تُظلم عين عمه المغموم منها قلبه كثيراً، وعلى معارضة بألا يسعى إلا لطريق الخدمة ولا يبحث عن عمل سوى وسيلة التقرب إلى البلاط.

ولما كانت صورة عقيدة قيصر ميرزا معكوسة فى مرآة عقل الحضرة العلية، فقبل الخاطر الأشرف ملتمسات الحكام الأفغان، وزين صدورهم وأكتافهم بالتشريفات الخاصة السلطانية، ومنح حضرة قيصر ميرزا عطايا السيف المرصع والخنجر باللآلئ [illegible] والذهبية والخزينة الملكية الكبيرة والأحصنة ولوازم الحرب [illegible] وسمح له بالانصراف إلى ناحية كابُل وقندهار. [ص ٩٢] وافتخر حكام وقادة تلك المنطقة وارتفعت رءوسهم واحداً واحداً بالخطاب الكسروى، وسرى الحكم على ذلك: "بأننا أمرنا باستدعاء وطلب حكام الأفغان للسير إلى تلك الحدود لحضرة قيصر ميرزا الأفغانى، وبأننا فتحنا أبواب الاستعانة على وجه أحواله، وبأن يعتبروا الامتثال للمثال الخاقانى واجب، وبأن يواظبوا على جمع الكتائب وعلى مساعدة تلك الحضرة ويسارعوا إلى دار القرار قندهار، وبأن يجعلوه مستقلاً فى ملكه."

٣٥- وقائع العام المبارك وهو سنة ألف ومائتين وثماني عشرة، ومعاقبة طائفتي كوكلان ويموت :

وبعد انقضاء الحفل النوروزي، أقام حضرة نائب السلطنة العلية وخليفة الخلافة البهية الأمير عباس ميرزا احتفال الزينة، وقام بعرض الهدايا، فكان من جملة المعروضات التي مرت من أمام نظر الحضرة السلطانية ذات الأثر الكيمياني، ألف قطعة من حجر البرق الملون (المرمري) وهي من فلذات أكباد قاع البحر ومتربيات على أشعة الشمس وبعضها خضراء مثل خط حاجب الحسناوات، وبعضها حمراء مثل شفاه الجميلات الياقوتية الحمراء، وعدة قطع صفراء مثل جوهر الخمر الصافي المتساقط من الكاس المتلألئة ، وعدة قطع بيضاء وصافية مثل نجمة السَّحر المشعة، وعشرة أحصنة فولاذية الحافر ونعل هلالي الشكل وقوية في السير وسريعة، وعدة قوافل من النوق الحمراء ذات أسنمة كبيرة وأجراسها كالنجوم. وعلاوة على ذلك، عرض ألف كيس من النقود الذهبية والحرير المصري وحرير الديباج الصيني والأطلس الشاهي وسائر النفائس وأقمشة عديدة إلى درجة أن المحاسب والمحصي لا يسعه ضبطها في طاقة الحساب، ولا يقدر وزنها في ميزان الوزان. وكانت السماء خلال عرض تلك المعروضات في حسرة وغم منكر، وقد سال الخجل على وجه الشمس المضيء بسبب حسد عبيد الإحسان المتقلبين في الرأي. وتفقدت العاطفة الخيرة الملكية الأمير الذي لا شبيه له، فرفع رأسه المبارك بالعنايات الملكية على قمة الفلك وقبة السماء.

وتعيش [illegible] طائفتي [illegible]
ساحل نهر جرجان، وهما في تلك المنطقة تحت طوع حاكم استرباد وصاحب [ص ٩٢] أماكنهم ومساكنهم، وتدفعان الضرائب للدولة العلية القاجارية وتخضعان لأوامرها ونواهيها، وفي ذلك الأوان، ظهرت شكوى من قبل القائم بأمر ولاية أذربيجان أمام صدر إيوان زحل الرفعة بسبب سوء سلوك تلك الطائفة المؤسسة على الشقاوة، فأخذ موكب أثر الظفر والنصر في التحرك من دار الخلافة طهران بقصد التجول في ولاية مازندران وتأديب ومعاقبة المثيرين للفتنة والفساد، ومن ذلك المكان

وفي منزل "قراشيخ" - الذى كان محل الإقامة للتركمان - سعى الجيش المنصور بحكم الخاقان الموفق إلى صد تلك الجماعة المنبوذة، فكانوا مثل الأسود فى تلك الصحراء باحثين عن صيد أكواخهم بسبب نار الإغارة المشتعلة، وجاءت النساء والأولاد والبنات أسرى ومقبوضًا عليهم في يد الأبطال ربائب الظفر، وجاء الأحياء الباقون من السيف مطالبين بالأمان خوفًا على أرواحهم، وجاء دافعو الضرائب وجمع من معارفهم مع رحلهم إلى دار السلطنة طهران حيث تراب عتبة الفلك المؤسسة، وتقبل الباقون تقديم الخدمات الديوانية.

ومن هناك وجه الموكب المقترن بالنصر عزمه إلى مرج "كالبوش" وبعد الانشغال بالصيد، قدم إلى عين "على بلاغي"، وفي ذلك المكان سعد بالصيد لمدة أربعين يوما، ونال النائب ولي عهد السلطنة والخلافة الأمير عباس ميرزا شرف فيض الحضور الخاقاني، ومن هناك قدم إلى دار الخلافة طهران بالحظ الموفق.

٣٦- إخضاع قلعة مشهد المقدسة، وأسر نادر ميرزا مع أولاده وإخوته :

طلب حسين خان القاجارى قائد خراسان - الذى كان مكلفًا بإخضاع قلعة مشهد المقدسة وبالقبض على نادر ميرزا من الخاقان فاتح البلاد قدوم الأمير محمد ولي ميرزا مع الجيش الطاحن للعدو، فقرر ملك الملوك جمشيد الشوكة للأمير فريدون الحشمة مع جيش تمساح الصولة ونمر الجوهر بالتوجه إلى خراسان وإخضاع قلعة مشهد المقدسة، وتوقف الأمير في نيسابور، وربط حسين خان القائد حزام الجد والاجتهاد لإخضاع القلعة [ص ٩٤]، ولما طالت مدة الحصار ، فقد استمر أمر قلعة الملوك بالاضطرار.

وفى أواخر الشهر المبارك رمضان من العام نفسه [١٢١٨ هـ.ق]، وفى الفجر -وحيث هزم جيش فارس الظلام فى ميدان الفلك بسبب ظهور تباشير الصباح - أخذ الأبطال الغالبون للرجال والشجعان الهازمون للعدو فى التحرك من خنادقهم بقصد الاستيلاء على القلعة مع ملازمى الركاب وملازمى عنان القائد حسين خان، وهجموا

على البرج والحصن من كل ناحية على هيئة السيل المزمجر والبحر الصاخب، وبسبب مشاهدة هذا الحال، أغلق خدم الروضة المنورة أبواب العتبة المقدسة من أجل المحافظة على ذلك المكان ذى الأثر الفيضي ولما رأى نادر ميرزا نفسه فى فم تمساح البلاء كسمكة وقعت فى شبكة الاضطراب فاعتبر أن هيجان أساس هذه الفتنة من منبع الحقائق النحرير الكامل والمدقق الفاضل ميرزا محمد مهدى المشهدى، فتوجه إلى عرش إمام الحضرة، وبسبب منتهى الضلالة والتهور فى العتبة المقدسة حطم قاعدة العمود والدربزين، وتخطى بقدم قلة الأدب مع جمع إلى حريم الحرمة - اللاتى كانت جدائلهن ناثرة العنبر والمعقودة على الجوارى مكنسة لذلك الحرم، وبمنتهى قلة الحياء وعدم الخجل انزوى فى جانب فأدرك حضرة الميرزا - الذى كان فى حالة الانشغال بأوراد الصلاة - وهو مستلٌ سيفه، وفتح عليه لسانه بالكلام البذئ وبالوقاحة، وطعنه عدة طعنات منكرة، وركب على الفور مسرعًا وفر إلى جانب "تشناران"، وفى هذه الحالة صعد الجيش المنصور إلى برج وحصن المدينة واستولى على القلعة، وجذبوا الأيدى إلى النهب والسلب؛ فمنع القائد حسين خان الجيش الذى بعدد النمل وبطبع الثعابين من الهجوم والإغارة، وكان نادر ميرزا قد هبط وهو فى حالة اختلال كامل إلى خيمة أحد خدم تلك المناطق على بعد أربعة فراسخ من مشهد المقدسة وكانت نيته أن يصل بنفسه إلى تشناران ومن هناك يلقى بسفينة وجوده إلى ساحل النجاة، وفى هذه الحالة قبض جمع من بدو الصحراء على ذلك المتعوس الشقى، وأحضروه عند حسين خان الذى أرسله إلى خدمة الأمير عالى المقام، وبسبب غاية الحيرة كانت الدموع تسيل من عينيه [ص ٩٥]، وبسبب أن نار القلب كانت ذائبة فى بوتقة الحسرة.

وبالمصاحب لهذا الحال، حلق طائر الروح الساكنة فى الجنة القدسية علامة العالم بسبب تلك الطعنات الغائرة إلى فراديس وحدائق الجنان، وعندئذ، قاموا بتجهيزه وتكفينه ودفنوه فى جوار حضرة الإمام، وكان عمره ما يقرب من السبعين عامًا عندما توجه بوجهه من الدنيا العامرة بالوحشة إلى روضة الرضوان.

ثم قيد الأمير ذو السحنة الملائكية [محمد ولى ميرزا] نادر ميرزا وأولاده وإخوته ووضعهم فى الأغلال وأرسلهم إلى بلاط الخاقان الفريد، وفى أثناء تعذيبه والتنكيل به أوقفه الحضرة العلية الخاقانية وسأله بنفسه الشريفة ووبخه عن قبائح أفعاله وفضائح أعماله، فأنكر هو قتل علامة العصر، وكان يقول بأنه جُرح وسط الهزيمة والفوضى، وبعد إثبات هذا الذنب -الذى كان أعلى ذنوبه - صدر أولاً فرمان ملك الملوك العادل، فقطعت يده -التى كانت قد قطعت حياة السيد الفاضل، وكما قطع لسانه الذى لم يكن فى فرمانه، وبإشارة من كزلك غلبة وقهر العالم اسودت بصيرة دنياه، وبعدها توجه إخوته إلى دار البوار، وعروا أولاده من زينة البصر وأسكنوهم زاوية الذلة والحقارة.

٣٧- فى بيان وقائع العام ذى الطالع الميمون سنة ألف ومائتين وتسع عشرة هجرية(١) وهى السنة السابعة لجلوس الميمنة المأنوسة :

وضع كسرى تاج الشمس عرش الفلك، قدم ظل الفلك على العرش المرصع بالإقبال السعيد من أجل حفل النوروز المنتصر، وفتح اليد الناثرة بالجوهر بنثر الدراهم والدنانير فجعل الأمراء والجيش موضع الإحسان والإنعام. وبعد انقضاء حفل النوروز المنتصر، جعل اهتمامه فى بناء وتنظيم الملك والأمة، ولما كان محمد خان القاجارى الحاكم العسكرى (أمير الأمراء) لإيروان - يلوى رقبته أحياناً عن طوق الإطاعة وربقة الفرمان والأمر، ولم يكن يصل منه إلى الظهور معنى الإخلاص والمحبة التى كانت فى هوى خاطر أولياء دولة فلك المقدرة، وبسبب الخوف والوحشة غير المسببة - والتى كانت ممسكة بخناق ضميره- فلم يصبح حول المقربة السلطانية، وكانت متانة قلعته أيضاً مزيدة للعلة والسبب [ص ٩٦] وعن طريق هذه الأسباب

(١) يوافق عام ١٢١٩ هـ.ق . بداية الجولة الأولى لحروب إيران وروسيا وقد انتهت فى عام ١٢٢٨ هـ.ق بتوقيع اتفاقية « كلستان » بين الجانبين .

رضـي عن زيادة مـقـدرة الروس - الذين كـانوا قـد وجـدوا طريقـهم في ذلك الأوان إلى كنجـه وتـفليس، وكليـة لـم يكن يرغب [أن تكون] السـاحـة خـاليـة من الأعـداء، فـاقـتـضـى رأى زينة المُلك السلطاني على تخليـه قلعـة إيروان من الغـربـاء، وملء برج وحصن ذلك المكان بوجود الرجال المكلفين، وبعد ذلك القيام بطرد الأعداء بعزم صادق ورأى ثابت.

ولذلك، ومن أجل تنظيم مملكة أذربيجان وتخلية صفحة إيروان من وجود الغرباء وإصلاح المفاسد، كلف الأمير الحر النواب نائب السلطنة والخلافة (ولى العهد) الأمير عباس ميرزا مع ثلاثين ألفًا من المشاة والفرسان على إيروان، ولما كان وزير النواب، نائب السلطنة سلالة الأطياب ميرزا عيسى المشهور بميرزا الكبير القائم مقام صدر الدولة مكلفًا على النحو الذى سبق ذكره - بإنجاز وعمل مهام وشئون دار الخلافة طهران وبانتظام أمور النائب حسن على ميرزا الذى كان حاكم تلك الناحية، وبناءً على ذلك، التزم الركاب المنتسب للنصر الوزير ذو الضمير الصافى والرأى الأصفى(١) زينة الملك ميرزا محمد شفيع صدر الوزراء، وسار فى ركابه جمع من الأمراء القاجاريين مثل سليمان خان قوانلو ومهدى قُلى خان قوانلو ومهدى قُلى خان دولو ورضا قُلى خان وبير قُلى خان وعلى خان ونجف خان واللهوردى خان القاجارى وحكام أذربيجان ولوازم السلطنة من الخيمة والسرادق والبلاط والخلوة والمعسكر والبنادق الفاتحة للقلاع ودار الطبول والأبواق ونفير صوت الرعد .

وعندما أخذت قباب معسكر الأمير ذى الشأن الفريدونى زينة القباب السبعة خارج قلعة طهران، أمر الخاقان المظفر من أجل توديع الابن المحبوب وتفقد المعسكر الباحث عن النصر بمشاهدة الخيمة والسرادق وبتنظيم أمر الأمراء والجيش بازدحام الركاب ظل الفلك، وبسبب عظمة الشوكة السليمانية جعل منزل الأمير محسودًا من الأفلاك السماوية التسعة. وبسبب كمال إنعامه وإكرامه، زين قامته مع استقامته

(١) نسبة إلى أصف الحضرة وزير سليمان بن داود عليهما السلام . (المترجم)

بالدرع ذات الحلقة الداودية[1] الضيقة التى كانت سلاسلها العنبرية تتساقط مثل سلاسل الشعر من ضفائر الفاتنات، وكانت هذه الدرع الجميلة كجدائل تركان [زوجة جنكيز] [ص ٩٧] قد بقيت ذكرى من تولى خان بن جنكيز عهداً بعد عهد.

وعلى كل، ففى أواخر شهر ذى الحجة الحرام، أخذ موكب الهمايون بطالع السعد والإقبال الميمون فى التحرك إلى ناحية أذربيجان، وفى يوم وصوله إلى ساحة قزوين، تعجل الأمير صاحب العز والقدرة محمد على ميرزا بمراسم الاستقبال، وقدم لوازم المحبة والضيافة، وفُتحت شقة لواء زينة النصر إلى ناحية أذربيجان.

وعندما استجابت ساحات تلك الحدود للنور والضياء بسبب قدوم الميمنة الضرورية تقدم الأمراء وسائر حكام أذربيجان بالهدايا اللائقة، فازدادوا فى مراتب آمالهم بسبب الألطاف والإشفاقات المتنوعة. ولما كان ولى العهد يولى همته على رفاء حال الرعية والمرءوسين والعبيد، فقد فكر الوزير حارق الظلم ومدخر العدل فى معاملة الرعية بإسلوب الشفقة والرحمة مع أنه كانت جميع الأماكن لمنازل ومراحل عبور الجيش مليئة بالمزارع والمواشى حتى ولاية إيروان، فقد بقيت مصونة زراعات وأموال كل ولاية من جيش أثر القيامة بسبب البأس والسطوة الملكيتين، وبسبب الهيبة والمعاقبة لم يكن أحد محتاجًا أن يسرق نعجة من فقير، أو أن يتلف غصن لوز دون رحمة تحت حافر دابة.

وقد أرسل صدر الدولة وبحكم النواب نائب السلطنة من دار السلطنة تبريز الرسل الفصحاء إلى محمد خان القاجارى أمير أمراء تشخورسعد بإيروان حاملين الرسائل المنصحة والمشتملة على الوعد والوعيد والمحتوية على الترغيب والتهديد والُمحرضة على الأسبقية فى الخدمة والوصول بالمثول إلى بلاط ملك الملوك جمشيد الشوكة والمظهر لشمول العواطف الكسروية والمكارم الملكية. وبسبب استماعه لخبر نهضة الأمير، رَحَّل رعايا وأحشام قرى إيروان وتوابعها، فسير بعضهم إلى القلعة

(١) نسبة إلى دروع نبى الله داود الحديدية التى كان يصنعها بنفسه من الحديد.

وبعضهم إلى ناحية بايزيد و وان، وخربوا مثل هذه الولاية التى كانت تعطى الخبر فى العمران عن المصر الجامع بيد العقل وفرقوا وشتتوا أهالى تلك المنطقة إلى كل حد وبر فى ولاية الروم (الدولة العثمانية)، وأغلق أبواب[ص ٩٨] القلعة على نفسه، وجلس خلف الحصار والجدران، وسير أحد معتمديه إلى تفليس، وطالب روسيا بالمعاونة والمدد، ورغبها فى محاربة ولى العهد، ووعدها بتسليم قلعة إيروان إليها بعد الغلبة على جيش إيران.

٣٨- بيان إجمالى عن أوضاع الممالك الروسية وتفصيل أحوالهم، وبيان بتدخلات تلك الجماعة بالحيلة والتزوير فى ديار الكرجستان :

إن طائفة الروس هم المشهورون ببنى الأصفر، ومملكتهم أرض عريضة ودولة واسعة، وقد دون المؤرخون الروس بأن تأسيس حكومة وسلطنة روسيا كان فى سنة مائتين وثمان وستين هجرية، ولقب ملوك الروس هو "الزار" (القيصر) مثلما تلقب ملوك الترك بـ الخاقان وملوك الصين بـ فغفور، ومثلما يلقب الآن قرالات الفرنج (ملوك أوربا) بالإمبراطور، والذين يسعى كل شخص منهم جاهداً لأن يقولوا عنه ويكتبوا له الإمبراطور الأعظم، ولم يذكروا قبل ذلك التاريخ بأن حاكماً [كان] موجوداً، وفى التاريخ المذكور كان كبير الروس المدعو روريك[(١)] ، ومنذ ذلك التاريخ وبعد مائة وواحد وعشرين عاماً دونوا أيضاً أن أهالى تلك المنطقة كانوا وثنيين. وفى سنة ثلاثمائة وتسع وثمانين هجرية، أحضر المدعو "وليد يمر" عظيم الروس من ولاية قريق - التى يقال لها اليونان - بعض الآداب المسيحية وكتباً عديدة، ونشأهم تنشئة لائقة ونقلهم

(١) يؤكد محمد فاتح عقيل معلومات المؤرخ عبد الرزاق الدنبلى التاريخية عن روسيا فيذكر : "عمل الروس الشماليون على توحيد القبائل السلافية وتم ذلك على يد زعيمهم "روريك" فى سنة ٨٦٢ م = [٢٦٨ هـ.ق] ويمكننا اتخاذ تلك السنة تاريخ بدء قيام روسيا كوحدة سياسية" (انظر الاتحاد السوفيتى : محمد فاتح عقيل ، الإسكندرية ، ١٩٥٨ م ، ص ٧ .)

من الوثنية إلى الدين المسيحي، وقد أحسن على رقبة أهالى تلك المنطقة إحسانًا عظيمًا، ولهذا السبب يأخذون « وليد يمر» في التعظيم بعد بطرس الكبير.

وفي سنة ستمائة وخمس وعشرين هجرية، أخضع جوجي خان بن جنكيز خان مع جمع من التتار ولاية روسيا، وترك عددًا من جيشه هناك ورجع، وفي سنة سبعمائة وأربع وسبعين هجرية، ثار المدعو "ديمترى إيوان ومج" في موسكو، وأخرج التتار من تلك الولاية، واستقل بنفسه، وبعد ذلك بثلاثين عامًا أخضع الأمير تيمور جورجان موسكو ونهبها وترك هناك جمعًا من الجيش، وفي سنة تسعمائة واثنتى عشرة هجرية أعاد المدعو "إيوان سلويج" [ص ٩٩] السلطنة الروسية، وقد أخرج جيش الأمير تيمور جميعه من موسكو، وأضاف بعض الولايات القريبة والمجاورة مثل مرداق والأماكن الأخرى إلى مملكة الروس.

وفي سنة ألف وخمس عشرة هجرية، استولى اثنان من قرالات الفرج (ملوك أوربا) وهما بول وسويد مع سبعين ألفًا من الجنود والفرسان وجمع من التتار على موسكو، وبعد نهبها أشعلوا فيها النيران وقتلوا مائة وعشرين ألف شخص ورجعوا بسبب انعدام التجهيزات والمؤن.

وبعد ذلك، وصل المدعو "فيدور" إلى حكومة روسيا ولم يبق منه أولاد وانقطعت سلسلتهم، وكانت حكومة الروس من البداية (منذ النشأة) وحتى هذا الزمان سبعمائة عام ونيف ومن بعد ذلك صار "بوريس كوذانيف" أخو زوجة فيدور ملكًا، وفي عهده حدث قحط لمدة ثلاثة أعوام، فهلك من موسكو وتوابعها ما يزيد على خمسمائة ألف شخص، وبعد وفاة بوريس بقيت دولة روسيا بلا ملك، وفي سنة ألف وثلاث وثلاثين انتقلت سلطنة روسيا إلى هذه الأسرة التي ينتسب إليها "ألكسندر باوليتش" الحالي، وهي أسرة ميكائيل فيدوريتش وهو واحد من المنسوبين إلى الملك القديم، وكان كبير جميع كنائس روسيا، وقد خطب في الناس يومًا: "إن رب الأرباب ألهمني بأن تجعلوا واحدًا من طائفة "فيدوريتش" الملك"، وفي اليوم التالي، قال للناس: "إن الحق تعالى حكم بأن تجعلوا ميكائيل الملك نفسه، فهجم الشعب على ميكائيل هجومًا عظيمًا والتمسوا إليه وأجلسوه على العرش، وقد نشر العلوم في زمانه، كما أرسل السفراء

إلى أرض الفرنجة، ووطد أواصر الألفة والاتفاق مع ملوكها، ولكن مدة سلطنته لم تطل، ومات.

وفى تاريخ سنة ألف وستين هجرية جلس على العرش بن ميكائيل المسمى بالكسيه مكان أبيه وجدد العهد مع طائفة القوزاق[١] ، وذلك: بأن يستعد القوزاق بتجهيز جيش له عند الضرورة، كما وضع قانونًا وذلك بأن كل شخص له مُلك ورعية (كل حاكم) لايتحدث مع رعيته ولايبحث حكمًا وأن يرفع الدعوى أمام الشرع المسيحى حتى يصدر الحكم [ص ١٠٠]، وذلك يعنى أن الملك يسلم نفسه لرعيته، ولا يتحدث عن قليل أو كثير، واستولى على جميع الأحكام القديمة والملفات الورقية التى كانت فى يد الشعب ووضعها فى حجرة فى مدينة موسكو، وعن عمد وفى أثناء الليل أشعل النار فيها، وفى اليوم التالى خاطب الناس (قائلاً) إنه : "بالأمس احترقت كل أوراق الشعب وملفاته، ولذلك ليس لأحد حكم على رعيتى، والملك أبو الرعية، والأب حاكم على الأولاد وهو الذى يهديهم ويرشدهم ويربيهم، والآن الحكم حكم كتابى وهو مدرجة به الأحكام الشرعية والعرفية والملكية، وينبغى على جميع الشعب ألا يخرجوا عن أحكام ذلك الكتاب.

وقد فتح بالكسيه طرق التجارة والمواصلات مع الصين، فكان التجار وأصحاب المعاملات الصينيون يجلبون من هذه الأرض الحرير والريوند[٢] والخشب الصينى وسائر البضائع، وكانوا يحملون من مملكة روسيا جلود السنجاب[٣] والثعلب

(١) القوزاق : فرع من الأتراك الرعاة الذين فروا من الخوارزميين ودخلوا تحت حكم جنكيز خان ، ثم أصبحوا جزءًا من الجيش الذهبى فى إمبراطورية المغول الغربية وكانوا يعيشون فى مرتفعات التركستان ، بعد ذلك تقسموا إلى ثلاث معسكرات (الصغير والوسط والكبير) ، وفى سنة ١٧٣١ م انضم المعسكر الصغير إلى روسيا التى استولت على مدينتهم " أق مشهد " على ساحل نهر سيردريا [سيحون] فى سنة ١٨٥٣ م . انظر لغت نامه : على أكبر دهخدا ، جلد ٣٨ ، بتصرف من ص ٢٦٦ .

(٢) الريوند : نوع من الأعشاب وله أقسام : الصينى والفارسى والسوريانى وهو علاج معروف للإسهال .

(٣) السنجاب حيوان معروف أكبر من الفأر وله فراء ثمين ، يوجد فى بلاد الترك والصقالبة .

والخز[١] وسائر البضائع إلى الصين، وكان مشتاقًا كثيراً لصناعة السفن الحربية، ولكن لعدم وجود صداقة بينه وبين جميع دول الفرنجة وكان مع بعضهم دائماً فى صراع، فإنه لم تتح له الفرصة لصناعة السفن، وكانت مدة حكم بالكسية ست سنوات.

وفى عام ألف ومائة وواحد هجرية، ودع [بالكسية] عرش السلطنة، وكانت وصيته هى أن: تقسم مملكة روسيا بين ولديه وابنته، فكان فيدور وإيوان من زوجته الأولى وبطرس من زوجته الثانية، وبالرغم من أنهم أجلسوا [الأخت] فيدور[٢] مكان الأب ، لكن مع وجود بطرس فإن أمرها وأمر أخيها لم يجدا الرونق والصفاء، وكانا ضعيفى الجسم ونحيفى الجثة، وكانت سلطنة فيدور ست سنوات وبدون استقلال، حيث كانت هى وأخوها تحت سيطرة بطرس.

وقد ولد بطرس الأول فى سنة ألف وثمان وتسعين هجرية، وعندما وصل إلى السلطنة، وضع القوانين، وعلى الرغم من صغر سنه فإنه كان يكتسب الشهرة مثل سائر ملوك الفرنجة فى التدريب على الأسس ونظام المعارك وآداب ميدان الحرب، وكان يتدرب بين الجنود الحداثى فى التدريب، وكان له هوى كثير فى صناعة السفن الحربية المبحرة على سطح البحر، وكان ذا طبع حاد وهمة عظيمة وسعى وجهد فى العمل [ص ١٠١] ، ففى الوقت الذى كان يرسل فيه سفيراً إلى هولندا وهى إحدى ممالك الفرنجة، أدخل نفسه أيضاً داخل غلمان السفير، وكان يخدمه فى الطريق، وعندما وصلوا إلى عاصمة هولندا، قفز من أمام السفير وألقى بنفسه فى سفينة حربية ودخل مع النجارين وعمل معهم لفترة، ولما كان يسمع بأنه يوجد فى إنجلترا نجارين حاذقين وصناع سفن ماهرين، فقد ذهب إلى إنجلترا، ولمدة سنتين كان يعمل هناك نجاراً بالنهار وفى الليالى كان يتجول فى أحياء ومحلات تلك المدينة من أجل

(١) الخز : حيوان من فصيلة الثعالب يشبه السمور وله فراء ثمين يعيش فى وسط آسيا وأوروبا . (انظر لغت نامه ، على أكبر دهخدا ، جلد هشتم ، ص ١١٠١١ ، ١٢٦٣٧ ، ١٢١٤٨)

(٢) ورد اسمها فى بعض المصادر الأخرى باسم "صوفيا" .

الإلمام بقوانين ومراسم وعادات الشعب وسلوكه، فكان يزداد علمًا على علمه، وبعد رجوعه إلى ولايته، أمر شعبه بالسياحة، فأدخل جماعة الروس - الذين كان لهم في ذلك الزمان حكم الحيوانات والبهائم والسباع ضمن دائرة الأنس، وكان يسعى بنفسه إلى تنظيم جيش المملكة، وفي أقل مدة وصل الجيش إلى ثلاثين ألف جندي، وتدريجيا قدم أصحاب الصنائع والحرفيون من كل مكان إلى مملكة روسيا، فنشروا الصناعات الجيدة، واشتهرت صناعات ذلك المكان مثل سائر ممالك الفرنجة .

وفي سنة ألف ومائة وسبعين هجرية أسس مدينة "بطرسبورج"، وقد فكر في تخطيطها ووضعها مدة أربعة شهور، وقد حقد أهل السويد عليه في بناء هذه المدينة، وتحاربوا معه عدة مرات، فانهزم هو في البداية وانتصر في النهاية وظفر عليهم، وفي تلك الأثناء وقعت حرب له مع الدولة العثمانية فتقابلوا على ساحل نهر "بروث"، وقد ظنت زوجته كاترين -التي كانت ذكية ومدبرة- أن الهزيمة واقعة على الجيش الروسي من الجيش العثماني، فأرسلت خفية تحفة ثمينة إلى الصدر الأعظم العثماني، الذي غير الحرب بالصلح والهدنة، وقد روى أن الدولة العثمانية قتلت الصدر الأعظم لصدور هذه الخيانة منه، حيث لم يكن لجماعة الروس في هذه المرة قوه واستعداد يحصى، ولو أن الدولة العثمانية قد تحاربت معهم لما بقي أثر من جماعة الروس في الأرض.

والخلاصة أن كاترين بهذا المعنى وبهذا التدبير قد اشترت حياة طائفة روسيا ودولة زوجها بالذهب، وقد ذهب بطرس للمرة الثانية أيضًا [ص ١٠٢] في صورة أخرى للسياحة إلى النمسا والممالك الأفرنجية الأخرى، ومن هناك رجع إلى باريس ومنها عاد إلى ولايته، وجهز جيشًا عظيمًا، وأنشأ المراسي والسفن الحربية في الموانئ الروسية، وشيد القلاع، وزاد في عمران الولاية، ومنع أهالي روسيا من الاعتقادات الفاسدة وأدخلهم في الدين المسيحي، ووضع القوانين التي تستخدمها الدولة، وشيد المدن والعمائر وأجرى العيون وأصلح الأنهار من أجل عبور السفن

والملاحة، وقد كان كريم الطبع وجاداً في تنفيذ سياسته، وكانت زوجته كاترين تضع مراهم اللطف وحسن الطبع على جروحه، وكان يشرب الخمر في شبابه وتركها في النهاية، وكان له ولد باسم "ألكس" الذى كان يقضى أوقاته في اللهو واللعب والفساد وغرور الشباب وعلى خلاف أخلاق والده، كالرماد المتبقى من النار، وكان يخالف دائمًا أحكام وأفكار والده، ولم يكن في هيئة صاحب مُلك وسلطان، فقد كان يتعلل ويتسوف بإهمال وتمارض في تنفيذ كل حكم كان يصله من والده، وعلى الرغم من أن والده كان يهدده ويخوفه بسبب افعاله غير الملائمة، فلم تكن مفيدة معه، وكان بطرس قد ذهب للمرة الأخيرة إلى فرنسا في زى مختلف، وجعله نائبًا عنه في مكانه، ولما رأى والده بعيداً عنه ترك ولايته، وبقى ما يزيد عن العام في ولاية إيطاليا، ولم يكن أحد مطلعًا على مكانه، وعاد والده من السياحة، وأرسل رجلاً فوجده وأحضره إلى موسكو، وفي حضور أهل الدين المسيحي والقساوسة وكبار ولاية روسيا تبرأ من ابنه، وأفتى حكام الشرع بفتوى عقلية بقتله، ثم خلطوا له السم القاتل في طعامه وطووا بساط عمره، وأجلس بطرس الكبير زوجته كاترين مكانه، وسلك هو طريق الآخرة وكانت كاترين امرأة شجاعة وذكية وخبيرة وعاقلة ورخيمة الصوت ومهتمة بالفقراء والرعية وبالإنصاف وبالمروءة، وكانت تأمر بالعفو عن الرعايا والشخصيات الضعيفة غير القادرة على أداء ضريبة الديوان، وفي تلك الفترة [ص ١٠٢] استمالت المشردين عن الوطن – الذين كان بطرس قد بعثهم – وطمأنتهم وأحضرتهم ثانية إلى الوطن، وأعطت من الخزانة مرتبات الجيش لعدة شهور والتى كانت متبقية لهم، وفتحت أبواب الرحمة والرأفة على وجه خلائق العصر، وكانت لها صداقة ومعاهدة مع ملك النمسا ، فكان كل منهما في كل وقت يمد الآخر بجيش عند الضرورة، واستمالت طائفة القوزاق الذين كانوا غير راضين عن بطرس وودتهم وعطفت عليهم، وأضافت من مُلك التتار ومرداق إلى مُلك روسيا، ولم تعمر طويلاً، وعند الوفاة أجلست على العرش "ألكس بطرس الثاني" الذى كان حفيد بطرس الأول وبدلت هى العرش بالتابوت. ووصل ألكس إلى السلطنة في الثانية عشرة من عمره، وبعد ثلاث سنوات مات بمرض جلدى. وفي سنة ألف ومائة وخمسين هجرية صعدت إلى عرش السلطنة

"كوين آن" ابنة إيوان الذى كان الابن الثانى لبطرس الأول، وفى ذلك الوقت(۱) قدم محمود الأفغاني إلى إصفهان وألقى بمحاصرة الشاه سلطان حسين الصفوى، الذى أرسل ابنه طهماسب ميرزا إلى الخارج لكي يجد وسيلة لأمرهم، وكما وقع من الدولة العثمانية أيضاً تداخل وتطاول على مملكتى العراق وأذربيجان، ولما لم يكن لإيران في ذلك الوقت ملك على العرش ولم يكن لساحة تلك المملكة صاحب فقد نقضت أيضًا جماعة الروس العهد، وبلغوا بأنفسهم أطراف رشت، وفتحوا حملة التدخل والفساد وتوسل طهماسب ميرزا إليهم من أجل حيلة لأمره، وقتل الأفغان الشاه سلطان حسين الصفوى وخرج نادر شاه الأفشارى من خراسان، فأخرج الأفغان والعثمانيين من العراق وأذربيجان وأخلى ساحة إيران من وجود الجيش الأجنبى، وأخضع الهند والتركستان، ومن أجل إتمام الحُجة أرسل رسالة ورسولاً إلى حكومة روسيا، ولما كان مدبرو أمر تلك المملكة على اطلاع كامل بمدى سطوته وقسوته، أبطلوا الخطة التى كانوا قد أعدوها وأغلقوا الحملة التي كانوا قد فتحوها في رشت ودربند، وتوجهوا إلى ديارهم، كما توجهت "كوين آن" أيضًا إلي طريقها [ص ١٠٤] ،ووضعوا اسم السلطنة على اسم "إيوان" الطفل ابن العامين والذى كان ابن أخت كوين آن وبعد ذلك فُتِنَت بالسلطنة إليزابث ابنة بطرس الأول، فسممت الطفل المذكور وبعدها أودعت هى أيضًا السلطنة إلى بطرس الثالث، وفى سنة ألف ومائة وسبعة وسبعين هجرية أصبح بطرس الثالث الملك، وقد كان سخيف الرأى سيئ الطبع، ولم يكن أهل مملكته راضين عنه، وعندما مر على حكمه ستة أعوام قُتل على يد أهالي روسيا، وأجلسوا مكانه زوجته التى كانت مسماة بكاترين الثانية وهى ابنة ملك النمسا، وكانت امرأة صاحبة عزم وجزم وعقل وفطنة ورأى وتدبير، وقد حكمت خمسة وعشرين عاماً، وكانت ذات

(١) وكما هو معروف، كان هجوم الأفغان على إصفهان فى سنة ١١٣٥ هـ ق = ١٧٢٢ م وفى ذلك الوقت كان بطرس الأول هو الحاكم فى روسيا ولم تكن "كوين آن" قد وصلت إلى الحكم بعد، وما حدث من اعتداءات روسية على إيران فى تلك الفترة كانت بقيادة بطرس الأول وليس بقيادة كوين أن. وقد عاصرت هى فترة حكم نادرشاه الأفشارى فى إيران وذلك كما يوضح المؤرخ عبدالرزاق الدنبلى فى السطور التالية. (المترجم)

عظمة وشوكة كاملتين، وكانت ميالة إلى أمور الخير، وقد بذلت المساعى فى انتظام الدولة الروسية، فأبدلت الدين المسيحي، أى أنها ألغت الأمر الذى كان مخالفًا للشرع والقواعد الملكية الروسية، ووضعت مكانه التقاليد والآداب الطيبة والتى تفيد الشعب وتناسبه، وكما وضعت أساس النزاع مع الدولة العثمانية، وأضافت إلى مملكة روسيا ولاية طائفة كريمية[1] - الذين كان لهم مكان واسع وكانوا خاضعين لدولة الروم (الدولة العثمانية) - مع جزيرة اليونان والتى يقال لها مدينة، وبعد ذلك رضيت دولة الروم (العثمانية) طوعًا أو كرهًا بألا يعترض حراس موانيها السفن الروسية وتعبر دون ممانعة وبأن يُدخلوا من هناك سفن المحاربين والتجار الفرنجه إلى البحر، وقسمت ولاية روسيا إلى عدة أقاليم، وسلمت كل إقليم إلى حاكم، وأسست دار الشفاء فى موسكو، وأخرجت عين المياه العذبة، ونصبت صورة بطرس الأول على قمة جبل.

وفى سنة ألف ومائة وثمان وتسعين، أعلن أركلى خان (هرقل) والى الكرجستان ولاءه وطاعته لها، وأنشأت فى [مدينة] بطرسبورج مدرسة لأطفال النجباء ومدرسة أخرى لدراسة العلوم وتصنيف الكتب والتربية والتعليم، وكانت تعطى مصروفاتها من حسابها، وقد بنت فى كل مدينة المدارس الأولية (الابتدائية)، وكان كل طفل ينبغ فى كل صنعة كان يصبح موضع إنعامها وإحسانها، وأنشأت مدرسة أخرى فى بطرسبورج من أجل [ص ١٠٥] صناعة السفن وعلم حرب البحار، وأنشأت طريق موسكو إلى بطرسبورج على نحو يسير بسهولة، وأنفقت على ذلك الطريق من خزانتها أربعة كرورات[2] أشرفية[3] (مليونى أشرفى)، وأضافت خمسين ألف أشرفى زيادة على نفقات مدارس موسكو.

(١) ولاية كريمة : شبه جزيرة القرم . (المترجم)

(٢) كرور: كلمة هندية تعادل خمسمائة ألف أى نصف مليون عند الإيرانين، وعشرة ملايين عند الهنود . (أنظر: المعجم الفارسى الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢٢١٥)

(٣) أشرفى: عملة ذهبية كانت فى إيران زمن القاجاريين وزنها (١٨) حبة حمص (انظر: المرجع السابق نفسه ، جـ ١ ، ص ١١٤)

وفي سنة ألف ومائتين وعشر هجرية، أرسلت جيشًا من الروس للهجوم على ممالك إيران وكانت تأمل في التدخل في الكرجستان، ونقضت العهد والميثاق، ولأنه كان في بداية دولة الخاقان المغفور له أقا محمد شاه القاجاري قد صار مرتضى قُلي خان – الذي كان أخًا لحضرته – متغير الوجه عنه. وخرج من إستراباد وانضم إلى ملكة روسيا، وكان شابًا حسن المنظر ومتناسق الأعضاء، فأعجبت ملكة روسيا بشبابه وجماله واعتبرته غنيمة في أول وصول مقدمه، فدللته بأنواع إعزازها وإكرامها، وبمنحه التاج والحزام والدرر الفضية والذهبية وجعلته قرين حظوظه المتعددة، وفي تلك الأقاليم أمرت مرتضى قُلي خان بالبقاء وهيأت له دائمًا نقص لوازم عيشه، وكانت توكل همتها في الحصول على مقصودها الأصلي إلى الطائف الحيل، وفي السنة التي أخضع فيها الخاقان المغفور له محمد شاه مدينة تفليس، وصل إلى أركلي خان البأس الوافر من الخاقان ساكن الخلد، وصار حكام داغستان وقراباغ وشيروانات متزلزلين من البأس الشديد للخاقان سعيد الخاطر، فاغتنمت ملكة روسيا الفرصة، وكلفت قائد حربها – الذي فُصلت إحدى قدميه في معركة بطلقة المدفع فوضع له قدم من الذهب عوضًا عنها وهو المشهور بقزل إياغ – مع أربعين ألفًا من مشاة نيران جهنم المتطاير وعشرين ألف فارس ومدفعية أصوات الرعد المحملة بالنيران عن طريق دربند، وعندما وصل خارج دربند كان يريد أن يدمر أسوار القلعة بضربها بدانات المدفعية، ولأن أساس أسوار القلعة كان محكمًا مثل بناء عهد أصدقاء ذوي قلب واحد، فقد شيدت من أحجار طويلة وعريضة وصخور ضخمة وصلبة. فلم تُثقب بعدة آلاف من دانات المدفعية المحملة بالنيران [ص ١٠٦]، وبعد عدة أشهر من الحصار حيث قطع أهالي دربند وشيخ على خان حاكمها الرءوس من جماعة الروس، وزحفوا أجسادهم في التراب والدم، ولكن المدعو خضر بيك – وهو من غلمان شيخ على خان القدامى وكان يعمل في خدمة والده – أغمض عينيه عن العيش والملح وحقوق ولي النعمة القديمة، فسعى للخيانة واتحد مع فوج من المتواطئين، وعلى غفلة، وضع مدينة دربند تحت تصرف قزل إياغ –الذي عبر من هناك وصار عازمًا صحراء مغان، فعزم الخاقان المغفور له محمد شاه القاجاري على صد جيش روسيا بجيشه اللامتناهي، وعند مقربة من أردبيل صار مضربًا لخيام دليل الظفر، فأصبح قزل أياغ

غريق بحر الاضطراب والحيرة بسبب سماعه خبر النهضة السلطانية وكانت له نية العودة، فأوصلوا إليه الخبر بأن رهبان روح ملكة روسيا قد قرع على سطح هذا الدير المليء بالحسرة ناقوس الرحيل، فتصادف هذا الخبر مع ذلك النبأ، وفتح قزل إيا غ على عجل راية الرجوع إلى مملكة روسيا وكانت مدة سلطنة كاترين الثانية خمسة وعشرين عامًا، وكان لها ولد اسمه "بال"، وعلى الرغم من أن والدته كانت قد أوصت في وقت وفاتها ألا يجلسوه على العرش بسبب عدم لياقته للسلطنة، ولكن طبقًا لدستور روسيا، فإنه بعد خمس سنوات وفترة من سلطنته، خنقه عدة أشخاص من عظماء الروس في منزله.

وفي سنة ألف ومائتين وستة عشرة هجرية، خلف "ألكسندر باوليتش" أباه "بال" وكان في العام الرابع والعشرين وقت وفاة والده، وبسبب حسن أخلاقه واستعداده الذاتي، كان جميع الخلق راغبين فيه ومائلين إليه، فأركبوه في عظمة وشوكة تامتين وحملوه إلى بيت المُلك وأجلسوه على العرش وقالوا له: مبارك عليك، والآن هو الملك المستقل لممالك روسيا، وقد أجلس مكان وزراء أبيه -الذين لم يكن الشعب راضيا عنهم - وزراء طيبي المحضر ورجال كرماء الأصل.

وحتى ذلك الوقت، كان لكل واحدة من طوائف الروس زي مخصوص، فأبطل تلك القاعدة، وحكم بأن يلبس كل شخص كل الألبسة التي يريدها، فأصبح البعض من الكسبة والأثرياء - الذين كانوا قادرين على الألبسة الفاخرة ولم يكونوا يستطيعون ذلك - سعداء ومسرورين لاستعمالهم [ص ١٠٧] كل أنواع الألبسة، ولهذا السبب صار أغلب الروس مريديه وشاكريه، وأيضًا قرر لعدة قباطنة بأن يسافروا في سياحة بحرية ومعهم التجهيزات والاستعدادات لمدة ثلاث سنوات، وبأن يحكوا كل مايرونه عن أحوال العالم، وقد استمرت مدة رحلتهم عامًا واحدًا، وأيضًا بنى مدرسة في مدينة "جرجاف"، وعين جميع المدرسين، وكانت نفقاتها ستة عشر ألف أشرفي من حساب الخزانة الملكية، وكان يستعمل ويتداول علم الميتياروالاجي وهو عبارة عن (علم) معرفة اختلافات المُناخ في كل شهر عن طريق منجمي عاصمة دولته، وأنفق مبلغًا كبيرًا على

هذا العلم. وقد وقعت له معارك عظيمة مع نابليون وسائر دول وممالك الفرنجه (أوربا) – والتى يكون تدوين أحوالها باعثًا على التطويل فى الكلام وليس مناسبًا لسياق هذا المقام، وقد دون أهالى روسيا كتابًا مستقلاً فى هذا الموضوع وسائر وقائعه، وأيضًا رقى ألكسندر باوليتش طائفة اليهود –الذين كانوا قاطنين فى الممالك الروسية وكانوا أذلة ومخنولين بحكم عادة كل مملكة– ورعاهم وأعطاهم الخطابات، بألا يدفعوا شيئًا من قيمة المنزل فى كل ولاية يكونون فيها، وبأن يقيم أى واحد منهم المنزل فى أى مكان ويكون متعلقًا بهم وبأولادهم، وبأن يقيموا الكنائس[1] والمدارس من أجل أنفسهم، وبأن يسمحوا لأطفالهم بالتعلم، وبأن يكونوا أحرارًا مثل الروس وعين على اليهود عمدةً وحاكمًا منهم، وبألا يهينهم الروس ولايذلوهم ولايوبخوهم، وبأن كل من يدخل الجيش من أولادهم يُسلك معهم مسلك الروس، وبأن يأتى إلى كل مكان كل من يريد أن يذهب، وبأن كل واحد من اليهود يدخل فى الدين المسيحى يعُفى لمدة عشرين سنة ولايعطى شيئًا للديوان، وبعد عشرين سنة يسلك معهم طبقًا لقانون الروس، وبناءً على هذه التمهيدات والمقدمات، فى سنة ألف ومائتين وثلاث وثلاثين، انتقل ثلاثون ألفًا من اليهود وتحولوا إلى الدين المسيحى وتحول أمرهم إلى الصدر الأعظم الروسى.

والخلاصة أن ألكسندر باوليتش وقع مثل كاترين الثانية فى فكرة كسر العهود القديمة مع دولة [ص ١٠٨] إيران، وفى ذلك الأوان توجه أركلى خان إلى طريق الآخرة، وحدث الخلاف والنفاق بين جورجين خان [جورجى الثانى عشر] ابنه الأكبر وسائر أولاده، وأسرع ابنه ألكسندر ميرزا إلى الدولة العلية إيران، فوجد الإنعام والإحسان، وبصدد إكرامه أعلى ألكسندر باوليتش ملك روسيا جرجين خان وأرسل أحد وزرائه – الذى كان باسم سبانلو [سيسسانوف] ومشهورًا فى إيران

(١) وردت كلمة الكنائس فى النص الفارسى وهذا خطأ لأن مكان العبادة عند اليهود يسمى « المعبد » وليس الكنيسة وهى مكان العبادة عند المسيحيين وليس اليهود . (المترجم)

بإيشبخدر[١] وهو قائد صاحب عزم وغيور ومغرور ومعروف بالشدة والطيش ومشهور بالجلادة والشجاعة مع جمع من العساكر وفرسان القوزاق وعدة عربات من المدفعية إلى تفليس، وأغمض جورجين خان أيضًا عينه عن مراقبة عواقب الأمور بسبب حماقته، ووضع على عنقه طوق الخضوع لتلك الجماعة، وسلم مدينة تفليس المشبهة بالجنة إلى سيطرة مسئولي الدولة الروسية، وهو في الواقع أشعل النار بيده وأحرق أسرته وجمعًا من الناس، وبالمصاحب لهذا الحال اختطف ذنب الأجل جورجين خان [في عام ١٢١٥ هـ.ق]، وبعد اكتساب هذا النوع من سوء السمعة لم يقبل حسابه من فمه ورحل من دار الاحتساب هذه وبقيت منه الأسطورة والسيرة. وبعد وفاة جورجين خان، أرسل إيشبخدر قائد روسيا "ده ده فال" زوجة ذلك القبيح السريرة مع عدد من أولاده وأهله إلى مكان عرش ملك روسيا وهم في حالة اختلال كامل ومثل الأسرى، وفي وقت إرسالها، كان قد ذهب إليها الجنرال "لاجار" قائلاً لها: الآن يجب أن تسيري ودون إمهال وإهمال، وبناءً على تعلل "ده ده فال" كان الجنرال قد تقدم مصممًا أن يقبض يدها ويسيرها عنفًا، فتصادف أن كان لده ده فال تحت اللباد خنجر - الذي يقال له قمة[٢]، وفي ذلك الحال سحبت القمة وضربت الجنرال لاجار وقتلته، وفر طهمورث ميرزا ابنها من الكرجستان، وتوجه بوجه الحاجة إلى بلاط ملك الملوك المظلوم في الإحسان، وسقطت من جذورها أسرة أولاد والي تفليس ذات السنين العديدة، ورحلوا الجميع ونقلوهم إلى "بطرس بورج" ولم يبق من سلسلتهم أثر. ومع أن أركلي خان وجورجين خان كانا من جملة حكام [ص١٠٨] تلك الناحية الذين أساءوا لشرفهم بالخضوع للجيش الأجنبي في موطئ قدم الدولة المسيحية وكان لهم قدم السابقون السابقون أولئك المقربون[٣]، فكان الجزاء لأسبقية خدمتهم أنه لم يبق لهم أثر منهم ومن أولادهم في الكرجستان.

(١) إيشبخدر: يقال إنها تحريف لكلمة Inspector وهي كلمة إنجليزية بمعنى المفتش والمراقب. (انظر تاريخ إيران بعد الإسلام: عباس إقبال، ترجمة: د. محمد علاء الدين منصور، ص ٧٦٥).

(٢) قَمة: حربة صغيرة ذات حدين.

(٣) مأخوذ من قوله تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ سورة الواقعة آيتي ١٠ و ١١.

٣٩ - سقوط قلعة كنجه في يد الروس بسبب معارضة أرامنة كنجه :

ولما فتحت الفرقة الروسية حمل الإقامة في الكرجستان، اجتذبت سعتها واعتدال مياهها وهوائها المؤثر في القلب قلوب تلك الطائفة، وبسبب هوسهم في اختراق الولايات القريبة والمجاورة، حركوا الجيوش عدة مرات إلى معاقل جار وتله المنيعة، وفي تلك المناطق أسالوا دماء الأبرياء على تراب المذلة والهوان.

ومن ثم، وفي شهر رمضان المبارك سنة ألف ومائتين وتسع عشره هجرية ارتفعت الراية إلى ناحية كنجه، وعرض جواد خان القاجارى حاكم ذلك المكان هذه المقدمة على بلاط الخديو جمشيد الاقتدار: "لو أن فوجًا من الجيش يقدم من العتبة الملكية في صورة هجوم وإغارة" فصدر الأمر وتوجهوا، ولكن بسبب بُعد الطريق، وحتى ذلك الحين، وصل بنفسه إلى القلعة سعيد بك غلام كحامل للبريد، ولم يرد آخر غيره[١]، وقدم إيشبخدر مع جيشه وحاصر القلعة، فجعلوا حاكم كنجه وأهلها متعبين في مصيدة العذاب، وقدم جواد خان ولأول وهلة وبسبب شجاعته بنفسه إلى خارج القلعة لمرة أو لمرتين كفراشة على لهب وشرر مدافعهم القاذفة للنيران، وجاهد بجهاد الشجاعة، وفي النهاية وبسبب مخالفة نصيب بك شمس الدنيلو وأرامنة كنجه الذين استعدوا لخيانته وانفصلوا عنه في ساحة القتال وميدان المعركة وانضموا إلى جماعة الروس، وفي غرة شوال هجموا من كل ناحية وبإرشاد الأرمن لهم، وخرج حراس القلعة لمنع وصول تلك الجماعة وأطلقوا يد الضرب والطعن، فصعدوا على البرج الذى كان الحراس غافلين عن حراسته، وملئوا فضاء القلعة بالدخان من شرر بنادقهم المحملة بالنيران، ثم انصبوا بالتعاقب على القلعة، وقاموا بالقتل والإغارة مدة ثلاث ساعات وخلطوا الدم بالتراب، وأذاقوا جواد خان مع أحد أبنائه وجمع غفير شربة الشهادة، [ص ١١٠] وبسبب طوفان سيف الدم أوصلوا موج الدم إلى أوج الأفلاك،

(١) من الملاحظ هنا تقاعس جيش إيران إزاء هذا الزحف والتقدم الروسى . (المترجم)

وبعد إخضاع القلعة والقتل الشنيع، ساقوا إلى الخارج الأحياء الباقين من السيف شريفهم ووضيعهم، وأخلوا تلك القلعة – التى انحصرت على المسلمين – من وجود الأهالى، واستولوا هم على مراصد ومعابر ذلك المكان.

وبعد وقوع هذه المقدمة المُزيدة للحيرة، ازدادت لإيشبخدر شدة الفتنة والغرور والنخوة، فأرسل الرسُل إلى حكام قراباغ وإيروان ودعاهم إلى الطاعة، وطالبهم بتسليم القلاع ورغب فى تقويض الأماكن المستحكمة لتلك البقاع والرباع وعلى الرغم من أن حكام قراباغ وإيروان كانوا فى الظاهر راكضين فى طريق العبودية وطاعة الحضرة العلية، فإنهم كانوا فى الباطن يبحثون بالطبع عن هذا النوع من الوسائل عن طريق الإهمال والتهاون فى تنفيذ الخدمات السلطانية والتعلل والتكاسل فى تقديم الواجبات والضرائب الديوانية(١) وفى خلال هذه الأحوال، كان ملك الملوك الفريد مشغولاً بإخضاع خراسان، حيث عرضوا كيفية هذه الأخبار على الواقفين بسلم السرير المشبه بالعرش، وكان وصول هذه الأخبار مقترنًا مع بشرى إخضاع مشهد المقدسة الرضوية واختلط هذا الشهد وذاك السم معًا على النحو الذى وجد تدوينه.

وفى ذلك الأوان، أسرع النواب نائب السلطنة مع الجيش اللامحصور إلى أذربيجان وأحاط بأطراف قلعة إيروان، وتفصيل تلك القصة سوف نشرحها عن قريب بمعاونة أقلام التدوين، ونوضح كيفية ذلك عيانًا على وجه الإجمال، وذلك بعون الله الملك المنان.

(١) يقول عباس إقبال فى هذا الشأن: ولما رأى محمد خان [الإيروانى] تفادى سيسانوف الحرب مع عباس ميرزا لم يمكنه من إيروان وطلب العفو من ولى عهد إيران فعفا عنه عباس ميرزا . (انظر : تاريخ إيران بعد الإسلام ، عباس إقبال : ترجمة : محمد علاء الدين منصور ، ص ٧٦٥)

٤٠ - تكليف مهد قُلى خان بترحيل طوائف إيروان ، ووصول تلك الجماعة إلى خدمة الأمير فريدون العظمة :

تحرك النواب نائب السلطنة ولى العهد فى الرابع عشر من شهر صفر مع الجيش من دار السلطنة تبريز إلى ناحية إيروان، وعلى بعد نصف فرسخ من إيروان، ضُربت السرادقات الجليلة. وعلى الفور، أنشأوا خندقًا على ساحل نهر "زنكى"، وفي يوم الوصول إلى قلعة الملوك ملأت أبواق الحرب فضاء الفلك الفيروزى ذات اللون الأزرق بالأصوات من صدى المدافع والبنادق، ولما كان على الدوام ضمير مكنون النواب نائب السلطنة فى عمران البلاد وإراحة العباد [ص ١١١] فاقتضى رأيه الرزين وفكره القويم أن يحرك رعايا وأحشام إيروان وأن يستميلهم ويطمئنهم بالمراحم الكسروية اللامحدودة، وأن يسكنهم فى أماكنهم الأصلية ويطمئنهم ويؤمنهم من تعرض جيش ملجأ الظفر لهم.

وبناءً على هذا، صدرت الأوامر والأحكام من بلاط الأمير إلى حكام الثغور وباشوات الولايات العثمانية القريبة والبعيدة المبنية على رعاية صلاح الدولتين العليتين واستمرارًا لمراسم الاتحاد والعدل واستحكامًا لقواعد الوفاق والاتحاد، وطلب طائفة وأحشام ولاية إيروان منهم، وكلف مهد قُلى خان الدلويى القاجارى مع ستة آلاف فارس جرار على ناحية قارص وذلك بأن يراعى أولاً اللين والرفق بالنسبة للمعارف والأحشام وبأن يجعلهم راغبين إلى ألطاف وإشفاقات سلطان الآفاق، وبأن يوصلهم إلى مكان إقامتهم، وحينما لا يأتى الرفق والملاطفة بالنفع وتمانعوا فى الرحيل، فتعامل معهم بحد السف اللامع، وقبض وأسر أناثهم وذكورهم وسلم أموالهم إلى ريح صرصر الغارة والنهب العاتية.

وبعد وصول خان إلى تلك المنطقة، تقدم باشوات تلك الأقاليم بقدم الصدق والإخلاص، وأظهروا الخدمات اللائقة، ورحلوا طائفتى كنجرلو وقاجار وسلموا أموالهم ودوابهم وأغنامهم إلى تصرف مهدى قُلى خان، وساقهم هو وكان متجهًا إلى إيروان حيث تفاجأ إيشبخدر ومعه عشرون ألفًا من المشاة المسلحين بالنيران وخمسة

أو ستة آلاف فارس وثلاثون عربة مدفع ذات الشرر الجهنمى بمهدى قُلى خان وجنوده فى منازل بنبك بإيروان.

شعر [بيت ترجمته]

جيش فى هيبـــة مثل أمـواج البـحـر وجـمع فى كـثرة مـثل أعـداد النجـوم

ولما كـان الجيش شـارب الدمـاء على هيئة أفـواج مكلفًا بسـوق الدواب والأغنام والماشية ، فقد صـار مهدى قُلى خان مع سبعمائة فارس - الذين كانوا حاضرين معه سدًا ليأجوج البلاء، وأراد الروس الحرب، فصـاروا جسرًا هائلاً فى مقـابل سيولهم حـتى يصل باقى جـيش الطوائف والقـبائل إلى مـقـام المعـسكر والقـرى القـريبـة والمجاورة، ورجع هو بنفسه أيضًا وانضم إلى المعسكر.

٤١ - مجىء إيشبخدر لإمداد محمد خان الإيرواني ومحاربته [ص ١١٢] مع الجيش الخاقانى :

توقف إيشـبـخـدر عدة أيام فى منازل بنبك بإيروان، وفى أواخـر شـهـر ربيع الأول [١٢١٩ هـ.ق] يوم الأحـد وفى أثناء العصـر، توجـه من هـناك وبازدحام كامل وكثرة لا كلام فيها وبرأس مليئة بالفساد والشرور حاملاً ، متاع النخوة والغرور، وكان قد اقترب جمع من جيش روسيا - فى أثناء الوصول إلى تلك الحدود - من قلعة كليسيا وكانوا قد تصـوروا أنها خالية، وفى تلك الحالة، أمسك قليل من حراس ملجأ الظفر الذين كانوا هناك - ببنادقهم ووقفوا صامتين، وبالقرب من أسوار القلعة، فتحوا على صـدورهم طلقات البنادق، فـأصـابوا عـدة أشـخـاص وقتلوا عدة أشـخـاص، وأوصل حـراس جـيش أثر الظفـر هذا الخـبـر إلى نائب السلطنة، وفى تلك الأثناء كـانت الشمس قد اقتربت إلى الغروب، فقرر النائب ولى العهد لعلى قلى خان شاهسون

الذي كان رجلاً شجاعًا وخبيرًا ومن فدائية بلاط ملجأ العالم- بأن يكون مع جمع من الأبطال الرجال في كمين العداوة بالقرب من أوتش كليسيا، وبأن يكون مراقبًا لأحوال الروس، ولا يتركون تلك الجماعة مستريحين حتى الصباح بسبب إثارة غلغلة الجرح والتمرغ في الولولة والعويل والصراخ، وفي صباح الاثنين رغب مشاة وفرسان معسكر العالم في البحث عن المكان، وزينوا صدورهم وأكتافهم بأنواع السلاح، ولأنه في مثل ذلك اليوم، قد صار خندقان خاليين من الجيش، فكان يظن أن ساكني قلعة إيروان انتهزوا الفرصة وأوصلوا العين الجارحة فجأة إلى الأمتعة والأثاث والأحمال والأثقال ، فقرر النواب ولي العهد مراعاة للحزم والاحتياط لآصف الحضرة ميرزا محمد شفيع الوزير القديم وأحمد خان مقدم حاكم تبريز ومراغة مع جمع من الفرسان والمشاة لحراسة الخندق، وأخذ جيش الإسلام في التحرك من مقامه فوجًا فوجًا، فصاروا مجتمعين تحت ظل لواء النواب نائب السلطنة الطاحن للفلك، وصاروا مسرعين من اليمين واليسار إلى ساحة الحرب والقتال، وبسبب صخب كارثة الحرب وصراخ الحناجر سقطت الولولة على الفلك الأعلى والزلزلة في أجزاء الأرض، وقام إيشبخدر قائد روسيا بتعبئة الصفوف وتسوية الألوف بالقرب من أوتش كليسيا[1] بسبب مراقبته لنهضة وتحرك الأمير، [ص ١١٣] فقسم مدافعه ثعابين المهابة ومشاته نمور الصولة على شكل ثلاث قلاع حيث كانت كل قلعة منفصلة عن الأخرى بـ مائتي قدم، وجلس هو كالشعلة وسط مدافع نيران جهنم، ولما وصل الجيشان في مقابل بعضهما، رفع الروس أيديهم في أول ميدان المعركة على عربات المدافع المفسدة للعالم، وشرعوا في القذف بالقنابل الفائقة لجبال الألبرز، وبسبب رعد وبرق البنادق وصل اللهب والشرر إلى سقف السماء، وأخذ جيش الإسلام في التحرك من صفوفه بأمر نائب السلطنة والخلافة بسبب مشاهدته لهذا الحال، وانفصل من بين الصفوف

(١) يذكر عباس إقبال هذا المكان باسم "إتشميازين" ولذلك يطلق عليها حرب إتشميازين في ١٢١٩ هـ (انظر تاريخ إيران بعد الإسلام : ترجمة - محمد علاء الدين منصور ، ص ٧٦٥)

فرسان طوائف شاهسون وخواجه وند وعبد الملكى، وحرضوا على قلعة من تلك القلاع الثلاثة الجواد العظيم الهيكل الذى له المقدرة على السير فى التراب والمشى فى الماء، فأسقط جيش روسيا على رءوسهم وعلى خنادقهم قنابل المدافع ورصاص البنادق مثل البَرَد، وجرى فرسان معركة النزال وسط ألسنة اللهب الحادة، وبحد سيف الدم صعدوا قطرات الدم من رءوس الأعداء إلى أوج الفلك العالى، فصار مشاة روسيا مضطربين كالنمر الغاضب، وكان فضاء المعركة مضيئًا ومظلمًا بسبب برق ودخان مدافعهم وبنادقهم، فتحركت أقدام ثباتهم واستقرارهم من المكان وفروا من تلك القلعة إلى قلعة أخرى، ورفع جيش الإسلام الذى شعاره الظفر يده بالإغارة والنهب على خيمة وعتاد تلك الجماعة، وأسروا وقبضوا على جمع منهم، ووقع إيشبخدر على جانبه بسبب فزعه من صعوبة القتال وغلبة الأبطال الرجال وكان يشير بيده كل لحظة، فكان يرغِّب المشاة فى الحرب والسعى.

ولما صار كسرى منتصف النهار متمايلا إلى خلوة الغروب، وشاهد حجاب الظلام فى الأمام ، ولولا حائل الإبصار، فانسحب جيش الإسلام من الحرب بأمر النائب الأمير ورجعوا من ميدان الصراع والجدال، واستراحوا فى مخابئهم، وقُتل وجُرح جمع كثير من بين الطرفين، كما تم القبض على جمع من الروس وفرسان القوزاق وأسرهم، وانشغل الطرفان لمدة ثلاثة أيام متوالية بالحرب والقتال، ولما لم يظهر وجه شاهد الفتح [ص ١١٤] فقد سكن كل واحد من الجيشين إلى معسكره من أجل الاستعداد والتجهز. وبسبب غرور إيشبخدر - الذى كان يعلمه رئيس ديوان شجعان العصر - فكان قد كتب فى بداية هذه الرحلة ومعه جمع من شجعان الكرجستان إلى ملك روسيا وتعهد بأن يُخضع ولاية إيروان بنفس ذلك الجيش، وبسبب مشاهدته لهذا النوع من القتال فقد لقى الهزيمة وانسحب من معركة الحرب، وعض على أسنان اليأس وتعبت يداه ، وتخندق أبطال جيش الإسلام على هيئة أفواج فى خنادق العداوة وتربصوا لهم فى كمائن العناد، وفتحوا فى وجوههم أبواب التجسس.

٤٢ – إطاعة محمد خان القاجارى أمير أمراء إيروان باستمالة آصف الحضرة ميرزا محمد شفيع :

ولما كان محمد خان القاجارى الحاكم العسكرى لإيروان، وبسبب كثرة همه وخوفه، فقد أشعل مثل تلك النار بمعاونة قداحة الشرر والوقاحة، ولما نظر جيداً ووجد نفسه حطب ذلك الشرر لهب جهنم، فقد أخذ يعض أصابع الندامة بأسنان الحيرة، وفاق من سكرة الغفلة واستيقظ من النوم المجهول، وصار سالكًا منهج الصدق والوفاء، وطاوياً طريق العبودية[1] وطلب من مقيمى البلاط قدوم الوزير الذى لا شبيه له إلى القلعة كى تنطفئ نار الضيق والوحدة والعبث بزلال مواعظ وتسلية قلب آصف العصر، وستر قبائح أعماله وإخفاء أفعاله بذيل العفو والإغماض، وبعد العفو عن جرائمه يسرع فى طمأنينة كاملة إلى خدمة [كوكب] زحل الرفعة، ويدرك فيض الحضور.

وطبقًا لتمنياته، لحق به فى القلعة آصف الحضرة ميرزا محمد شفيع الوزير، فأمله بمراحم ملك الملوك الموفق اللامحصورة، وبإشفاق وعطف النائب ولى العهد اللذين لا نهاية لهما، ورجع إلى المعسكر وبعد قدوم آصف الحضرة إلى المعسكر أرسل محمد خان ابنه بهدية إلى خدمة نائب السلطنة، وصار متعهداً بالخدمات والفدائية.

٤٣ – بيان مجيء جيش روسيا إلى رأس قلعة إيروان، وكيفية حروبه مع أهالى القلعة :

رحل النائب ولى العهد من مكان الخندق ، ونزل بمنزل « قرخ بلاغ » [ص١١٥] واختار الإقامة فى ذلك المكان لعدة أيام من أجل الاستجمام وإراحة الدواب، ولم ير

(١) يقول عباس إقبال فى هذا الشأن : ولما رأى محمد خان [الإيرانى] تفادى سيسانوف الحرب مع عباس ميرزا لم يمكنه من إيروان وطلب العفو من ولى عهد إيران فعفا عنه عباس ميرزا . (انظر : تاريخ إيران بعد الإسلام ، عباس إقبال : ترجمة : محمد علاء الدين منصور : ص ٧٦٥) .

إيشبخدر في اعره هدفًا بسبب سماعه لانقياد محمد خان إلى أولياء الدولة المسعودة، واطلاعه على كيفية إطاعته لخدام عتبة الفلك المؤسس، فصار متحيراً ومضطرباً، ولجأ إلى الحيلة والتزوير والخداع.

وفى الصباح وعلى غفلة، طلع عن طريق دره ، الذى كان فاصلاً بينه وبين معسكر نائب السلطنة، وبسبب مشاهدته هذا الحال ، ركب الأمير على ظهر جمل قوى وطوى الصحراء، ومن المصادفات في ذلك اليوم ، أن أمراء الجيش كانوا قد جلسوا للراحة فى خيام الاستراحة غافلين عن التفكر في الأمر ، وكانوا قد جعلوا أهالى المعسكر بالقرب من المراعي، وفى استعجال تام جمعوا من المشاة والفرسان من كان سهل الوصول إليهم، واصطفوا على من بعد فى مقابل دره، وبجوار المعسكر بدءوا الحرب، وشرعوا فى القذف بالمدافع والبنادق وفى النهاية، أعمل جيش روسيا يد الحيلة ، فوقع جيش الإسلام فى فكر مؤنه وعتاده وأحماله، وعلاوة على ذلك، وجد الفرصة فى ذلك الوقت جمع مختلف من طوائف القوزاق وشمس الدنيلو الذين كانوا قد تفرقوا فى منطقة تفليس وكانوا قد التجئوا إلى بلاط النواب نائب السلطنة - ورفعوا أيديهم على المعسكر ، فتزلزل أفراد الجيش وأحاد الجنود، ورجعوا إلى المعسكر، وفكروا فى حمل المؤن والأحمال والعتاد، وتوجهوا إلى الطرف الشرقى لإيروان ، وأصاب النائب ولى العهد عدة أشخاص بالرمح ، ولما اضطرب جمع من متخوفي الجيش، فلم يقع الزجر والعنف بالإفادة والنفع، وتوجه جيش روسيا خلفهم ناحية إيروان، وانصبوا على مسجد ذلك المكان الرفيع البنيان - الذى كان خاليًا من الأهالى -- وأعدوا الخنادق من كل جانب، وأثاروا جلجلة وغوغاء يوم البعث فى العالم بسبب أصوات المدافع والبنادق، فطلع أهالى القلعة على قمة البرج والحصن، ولم يستعدوا للحرب، وأغلقوا المدافع الثعبانية المهابة وسط تلك الجماعة، ونزل النواب نائب السلطنة فى منزل صدرك وقام باستجماع أهل المعسكر ، وعرض كيفية الأخبار على البلاط السلطاني [ص ١١٦]، وحرم على نفسه الراحة والهدوء بسبب التفكير فى الاستعداد والتدبير فى أمر المعركة وإمداد ومعاونة أهل القلعة.

٤٤ - توجه الراية الملكية معجزة النصر إلى إيروان، ومعارك جيش الإسلام مع جيش روسيا :

عُرضت كيفية هذه الأخبار على عاكفى البلاط، الذى هو فى مقدار الفلك، فى مرج سلطانية، فأخذ [السلطان] فى تحريك أعلام النصر مع ذلك الجيش نفسه الذى كان حاضراً فى ركاب صاحب النصرة بهدف محاربة الروس، وأرسل مقرب الحضرة إسماعيل بك الدامغانى فى المقدمة مع جمع من الأبطال الخراسانيين، وعبر نهر أرس فى مسافة عدة أيام، وعلى مسافة ثلاثة فراسخ من إيروان، أصبح معسكر ولى العهد مثل ساحة الفلك المنير بسبب قدومه الميمون، وبعد التوقف لمدة يومين فى ذلك المكان، اختار النائب ولى العهد جمعاً من أبطال الجيش والشجعان المحاربين لخدمة الخاقان الجمشيدى الشأن المتطوع لحرب الروس وصاحب المجد الفريدونى، ورتب فرقة من الجيش فى زينة وجمال، وسارت هذه الفرقة مع ولى العهد فى المقدمة، وخلف حضرته ارتفعت إلى أوج السماء راية الفتح معجزة السلطان الموفق. وطردوا جيش روسيا من خنادقهم دفعة واحدة، فتحصنت تلك الجماعة فى المسجد ذى البنيان الرفيع وجعلوه قلعتهم، وفتحوا أيديهم بإطلاق البنادق. والخلاصة أن مشاة وفرسان الجيش السلطانى كافحوا حتى نهاية ذلك اليوم ذى العاقبة المحرقة، وكانت الحرب مستمرة بينهما حتى المساء، فُقتل وجُرح خلق كثير من الطرفين، وأُسر جمع أيضاً بأنشوطة صيد الشعابين المجاهدين المظفرين، وعندما أظلم الليل انسحب من القتال جيش الخاقان الفريد ذى الطالع الميمون، وعاد إلى معسكر الهمايون.

٤٥ - بيان بتحرك فوج من الجيش إلى قلعة إيروان :

ولأن حراس برج وحصن قلعة إيروان كان أكثرهم من أرامنة تلك الأقاليم، ولم يكن لهم ثقة فى صاحب القلعة بسبب الإخوة فى الدين، وكان محمد خان أيضاً قد عرض الموضوع نفسه من القلعة على موطئ العرش الأعلى، فقد كلف الخاقان الهازم للعدو فوجاً من المشاة [ص ١١٧] الكرمانيين المتجهزين للحرب بحراسة البرج

والحصن، وكان جيش روسيا في خنادقه مترقبًا وحيث دخل الجيش المنتصر ذلك الحصن الحصين من إحدى جهات القلعة وفي منتصف النهار، فلقي الإنعام والإحسان والإعجاب من الحضرة العلية السلطانية، وأوصل أهالي القلعة صخب سرورهم وصيحات انبساطهم وفرحهم إلى الفلك الأعلى.

٤٦ - إغارة جيش روسيا ليلاً على معسكر فلك العظمة :

وفي منتصف ذات ليلة - التي كان عِقْد القمر فيها قد تفسخ بسبب اعتداء الظلام الأسود على وجه الفلك المشبه بلون الماء - تحرك جيش روسيا من معسكره ومعه عدة عربات من المدفعية بغرض الإغارة الليلية، وفي تلك الليلة المظلمة، كان الخاقان الذي هو في مقام الفلك قد أمر بتعيين حسن خان قائد الغلمان مع جمع كحراس بالقرب من خنادق روسيا، وكان حسن خان - الذي كان مشهوراً بالكياسة والخبرة- مطلعًا في تلك الليلة على حركتهم، ولأن الروس لم يكونوا يعلمون مكان نزول معسكر ملجأ الظفر، فقد أخطئوا في بداية الإقدام على الاقتحام، وكانوا يبحثون تارة في جهة اليمين وتارة في جهة اليسار، وكان حسن خان مع جمع من الغلمان والفرسان المثيرين للثورة خلف جماعة الروس ومراقبين لهم وطالبين لعزمهم، ولما رفع الصبح الصادق البيرق النوراني على سطح الفلك الدخاني، تحرك جيش روسيا إلى ناحية المعسكر، فأنفذ حسن خان على الفور فارسًا من ذلك المكان، وأطلع الخاقان ذا الشأن الأفروأسيابي[1] على كيفية قصدهم وإرادتهم، فكلف كسرى ملجأ الإسلام الجنود المسعودين بالركوب، وفي تلك الحالة ظهر جيش روسيا على التل الذي كان على جانب معسكر الهمايون واستراحوا لمدة ساعة على سطح التل نفسه ، وبعد ذلك حملوا أيديهم على إطلاق قذائف المدفعية وضغطوا بقدم ثباتهم واستقرارهم في

(١) أفرو أسيابي : نسبة إلى أفراسياب ملك توران. (انظر المعجم الفارسي الكبير: إبراهيم الدسوقي شتا ، جـ ١ ، ص ١٣٢)

ميدان المعركة، فأتى ظهور هذا الفعل ثقيل الظل على الطبع السلطاني الغيور، وعلى هذا النحو هاجم جيش ربيب الظفر العدو، فوجه إليه الضربات الشجاعة، فقُتل وجُرح الكثير في جيش روسيا عن طريق الحملات الشجاعة لجيش ملجأ النصرة، وعندئذ ولى جيش روسيا مدبرًا يائسًا ومحبطًا من ميدان القتال [ص ١١٨] وفر إلى خنادقه، فتعقبهم أيضًا جيش الإسلام، وفتح ساعد الجلادة في تحطيم العدو، ثم أعطى الخديو صاحب خاتم جمشيد الأمر لجيش جلادة العدة من المشاة والفرسان باستئصال تلك الجماعة، فأحاط جيش أثر القيامة بأطراف وجوانب خنادقهم، ومنع جميع المؤن عن تلك الطائفة، وقتلوا كل من وجدوه في الذهاب والإياب بالسيف الظالم، وطبقًا لفرمان القضاء ابتعدوا لأيام ولياليها عن الراحة والطمأنينة وابتعد جاسوس النوم عن حريم العين، وجلسوا متيقظين ومنتبهين على المراصد والمعابر مستعدين للحرب والقتال، وأغلقوا طرق المرور والعبور على تلك الجماعة، وفي خلال تلك الأحوال كان جمع كثير من الكرجستان وأصحاب المعاملات والتجار من بلدة تفليس مع فوج من روسيا ومعهم أموالهم وبضائعهم الثمينة ومتوجهين إلى ديارهم، وبالقرب من الخندق التقوا فجأة ووضعوا أساس الحرب والمعركة مع حراس الجيش المحارب الذين كانوا تحت قيادة على خان القاجاري وعلي قلي خان شاهسون، فنفذت شظايا البنادق من كلا الطرفين في فقرات ظهر الأبطال، ووصل إلى أذن المجاهدين رسالة خطية مجاهرة برسالة الأجل، ولما سقط عدة أشخاص من الطرفين على تراب الهلاك، هجم على خان وعلي قلي خان من اليمين ومن اليسار مع الأبطال الذين شعارهم الظفر، وأسروهم جميعًا وأغاروا على أموالهم ودوابهم ونقودهم وبضائعهم، وقيدوا الأسرى من أيديهم وأعناقهم في المصيدة وأرسلوهم إلى البلاط، فكانت ساحة المعسكر تسمع حسد الروضة بسبب ضوء الوجوه الملائكية للكرجيين والروس، وقد اختار كسرى الموفق من بينهم جمعًا من ذوات الشعر الأسود واختصهم ضمن غلمانه الخواص.

ولما كان قد رحل جمع من تلك الطائفة بمتاعهم إلى مواقع بنبك أيروان بالمحاكمة الشديدة، فقد كانوا ينقلون المؤن من الكرجستان إلى ذلك المكان ومنه إلى معسكرهم، فقد أمر الحضرة العلية بتعيين بيرقلي خان مع فوج من الأبطال

الصائدين للعدو على رأسهم، فهبط بيرقلى خان مع الجنود المسعودين عليهم كالبلاء الفجائي، وأخبر روس ذلك المكان [ص ١١٩] إيشبخدر عن كيفية الأحداث وطلبوا منه العون والمدد، وبسبب استماعه هذا الخبر بدأ في الظهور كالبخور على الفحم وأحضر قادة الجيش واختار من بينهم مشاة النيران الشجعان المشهورين بالسالدات[1] الأصلاب وهم المشهورين بينهم بالجلادة، وسير في صحبتهم عدة عربات من المدفعية لإحضار المؤن وإمداد سكان بنبك. وكلف الحضرة العلية الخاقانية أيضًا من على الجانب الأخر على قلي خان شاهسون، فأرسل على قلى خان على الفور إلى بيرقلى خان عن طريق أحد الفرسان وأخبره بتحرك الروس، وقرر بأن يرفع بيرقلى خان أيضًا راية الحرب والمعركة من تلك الناحية.

والخلاصة، أن على قلى خان وبيرقلى خان أسرعا من الأمام ومن الخلف وأدركا الروس وسط بنبك وإيروان وأحاطوا الجميع كالصيد، وارتفعت من الناحيتين الشعلة الثائرة، وبأقل مجهود فسخوا حبل جمعهم عن بعضه، ونجا عدة أشخاص من تلك الطائفة الحمقاء، وتم أسر بعضهم، ورجع جيش الإسلام مظفرًا ومنصورًا إلى معسكر مسعى العالم، وأقاموا التلال على بعضها من رءوس جيش روسيا وعظمائها أمام خيمة الهمايون، وبعد ذلك كان قد صار ما يقرب من أربعة عشر ألف شخص من جيش الروس في يد الأسود الصائدة للعدو مابين قتيل وأسير وهالك.

وفى أوائل شهر ربيع الثانى، رحل [إيشبخدر] من شاطئ قلعة إيروان وتوجه إلى تفليس، فتتبعه حراس جيش ملجأ الظفر واستولوا على ألوية وغنائم كثيرة منه.

وفى الواقع، إن التعب الذى تحمله النائب الحضرة العلية السلطانية والأفكار الصائبة والتدابير الحسنة التى نفذها لم تكن فى مقدور أى من السلاطين السابقين، فقد رأى وعلم عقلاء العصر، وأثنوا على التدابير الملكة وأعجبتهم، ومن المعلوم

(١) سالدات : بمعنى جندى وهى مأخوذة من الفرنسية أو الألمانية وتنطق سولدات Soldat
(A Comprehensiv Persian - English, Dictionary by F. Steingass, P. : انظر)

والمعروف أن جيشًا بلا نظام (أى جيش دون تحديث) لا يُيسر فتحًا ينشرح منه القلب ولا يُيسر أمرًا يريح الخاطر، ففى ذلك الوقت ولفترات كان جيش إيران وأهل الإسلام بلا نظام، وفى هذه المرة [ص ١٢٠] اختار إيشبخدر جميع الجنود والأبطال الشجعان بالإضافة إلى النظام وغيره فى جيش روسيا وكان هو نفسه أيضًا بلا مثيل ولا نظير فى الحزم والقدرة ولم يكن فى أرض الفرنجه (أوربا) أيضًا شخص أقدر وأنجب منه، وبالرغم من وجود هذه الأوضاع فإن جيش إيران غير المنظم اصطف للقتال مايقرب من شهرين في مواجهتهم، ولم يكن قد فك الخاقان ذو الاقبال العالى الحزام لمدة أربعين يومًا ولم يكن قد وضع جنبه على أرض الراحة، ولم يكن قد سلك خاطره سوى دحر وقلع تلك الجماعة وقمعها واستئصالها، ولم يكن يهتم بأى شئ وبأى أمر وكان قد حرم على نفسه الراحة والاستقرار بالليل والنهار بسبب همته الكسروية، ولا شك أن الحضرة الأحدية[1] سوف يصل فى مقابل مثل هذا الصبر إلى فتح مبين ، الذى هو طراز الفتوحات وأساس افتخار أذكياء العالم وذلك من وراء حجاب الغيب إلى منصة الظهور، مثلما كان نصير عصر الإسلام والمسلمين.
والخلاصة أن محمد خان القاجارى حاكم إيروان و على خان كنجرلو وسائر أهالى قلعة إيروان – الذين كانوا أسرى فى مضيق محاصرة الروس – قد وجدوا خلاصهم ونجوا من مضيق المخاطرة وقذائف المدفعية وهاونات الروس عن طريق تنفيذ الإرادات والعزائم الملكية وإجراء الانتصارات والغلبة الملكية، وولوا وجههم إلى بلاط الخاقان المرتفع الرأس، ومرغوا جباههم بتراب عتبة العدل، وصارت خدماتهم وفدائياتهم منظورة بنظر كسرى الموفق، فتشرفوا باختصاصهم بشمول العواطف وفيوض العوارف الملكية، وكان ابن محمد خان من ملتزمى الركاب المستطاب، فسمح له بالانصراف من بلاط صاحب العالم، وفوض حكومة إيروان وكما كانت إلى محمد خان، وأمر أن تكون ولاية نخجوان بالإضافة إلى طائفة كنجرلو تحت عناية كلب على خان ورعايته، وسمح لكليهما بالانصراف مكرمين.

(١) تعبير الحضرة الأحدية : وإن كان يقصد الفريد الذى لا شبيه له فإنه تعبير نرى أنه غير مقبول وغير مستساغ . (المترجم)

ولما كانت قد حانت أوقات السفر بسبب وصول الخريف ووصول عهد رياح الخريف وتساقط أوراق أشجار الكروم، فقد لوى خاقان العصر عنانه إلى مكان عرش السلطنة، ووصل موكب مُزين العالم في الرابع عشر [ص ١٢١] من شهر رجب المرجب [١٢١٩ هـ.ق] إلى مركز الخلافة عن طريق تبريز من ناحية دار السلطنة طهران ناخلة المسك.

٤٧ - كيفية وفاة الحاج خليل خان في بمبيء، ومجيء المستر منستى وتعيين محمد نبى خان بسفارة الهند وعودته إلى البلاط الخاقانى :

كانت قد أوضحت أكثر المراسيم المدونة أن الحضرة العلية كان قد كلف الحاج خليل القزوينى بالتوجه إلى الهند فى صحبة السفير الإنجليزى ملكم بهادر، وبعد وصول الحاج خليل خان إلى ميناء بمبيء عين له وزير إنجلترا لاردويلزلى [اللورد ولسلى] مائتى فرد من جنود الهند من أجل تعظيمه واحترامه، وذلك ليكونوا عنده وفي خدمته، وحدث أن ألقى أحد أولئك المائتي فرد بندقيته في غير مكانها خارجاً عن النظام، فاستلزم المحاكمة، بعد ذلك خرج كبيرهم ليحاكمه، فالتمس بعض الأشخاص من الحاج خليل خان العذر والشفاعة، ولما لم يكونوا متعرفين على لغة بعضهم، فقد ولى المراد من بينهم وانتهى الأمر إلى القيل والقال والنزاع والجدال، وخرج الحاج خليل خان حتى يرى ماذا يكون الأمر، فانطلقت نيران بندقية من وسطهم وأصابت الحاج خليل خان فتوفى فى مكانه، وكان الأمر هكذا من القضاء والقدر حيث إن سفيراً عازماً مقصده فى كامل العزة والاحترام ، وفي الطريق يُهلك دون سبب وقصد[١] . وعندئذ استدعى لاردويلزلى وزير إنجلترا المستر منستى قنصل

(١) يقول غلام حسين ميرزا صالح عن سبب قتل الحاج خليل خان رواية أخرى مفادها بأن معركة قد نشبت بين غلمانه من الإيرانيين وبين حراسه من الهنود بسبب اصطياد الحراس الإيرانيين بعض الطيور التى كان يعتبرها الهنود غير صالحة للذبح وغير مستحبة ، فنشبت المعركة بينهما وانتهت فى النهاية بمقتل الحاج خليل خان كور أوغلى . (انظر: إسناد رسمى در روابط سياسى إيران بانكليس وروس وعثمانى ، مقدمه غلام حسين ميرزا صالح ، جلد أول ، تهران جاب أول ، ١٣٦٥ هـ.ش ، ص ١٦)

البصرة[1] من ميناء بوشهر وأرسله إلى خدمة الحضرة العلية الخاقانية من أجل طلب العذر، وفي مرج سلطانية أدرك شرف الحضور السلطاني وصار موضع العناية، وكُلف بالسفارة محمد نبي، الذى كان ابن أخت الحاج خليل خان، وتوجه محمد نبي خان عازماً مقصده بالتجهيزات واللوازم الكثيرة، وفي يوم وصوله إلى بمبيء قام جميع أهاليها من جيش ورعايا وأعزة وأعيان فى ما يقرب من مائتى ألف شخص باستقباله، ودخل فى إعزاز واحترام كاملين، وأدى شروط السفارة ولوازمها بأنفة لانقة، ولكمال المحبة والصداقة كلفوه يوماً باستعراض الجيش وتفقده، وفى اليوم التالي اصطحبوه إلى استعراض ومشاهدة دار المدفعية وكلفوه باستعراض السفن الحربية ، ومن أجل المشاهدة والعلم [ص ١٢٢] بكيفية حرق طلقة المدفع البناء الخشبي للسفينة، وقد قبل محمد نبى خان غافلاً عن هذه المبالغ الخطيرة وهذا الضرر وتلك الخسارة، وعندئذ كانت قيمة السفينة - التي كانت راسية على سطح بحر القلعة - ما يقرب من عشرة آلاف تومان، فجعل المدفعيون القذائف تصف ساخنة وملئوا بها المدافع وضربوا بها السفينة المذكورة حتى اشتعلت فيها النيران بعد لحظة واحترقت.

وقد ظل فى بمبيء لمدة خمسة شهور، وبقي فى تلك الديار في عزة واعتبار كاملين، وتوقف عاماً أيضاً بعد ذلك فى البنغال، وفى أثناء عودته اصطحبته التجهيزات الكثيرة ولوازم السفر العديدة من أثاث وحاجيات وغيرها، ولحق ببلاط الخاقان فاتح البلاد.

٤٨ - ذكر وصول رسُل ناصر الدين توره أمير التركستان إلى دار الخلافة طهران، وتمسكه بهذه الدولة الخالدة البنيان :

إن ناصر الدين توره هو الأخ الأصغر لـ ميرحيدر بن شاه مراد الملقب بـ بيكي جان وهو ابن دانيال أتاليق بن حكيم أتاليق، الذى كان لآبائه

(١) قنصل البصرة : باليوز بصره ، أى القنصل الإنجليزى بالبصرة التى كانت تابعة فى ذلك الوقت للعثمانيين، وكان مقيما فى ذلك الوقت فى ميناء بوشهر الإيرانى . (المترجم)

رتبة أتابيكي[1] (المربي والمعلم) في حضرة الحكام الچنكيزيين، ولهذا السبب لُقبوا بأتاليق، وتوره في اللغة التركية بمعنى قاعدة وطرز وأسلوب، وتقال أيضًا لكتاب الياصا الچنكيزية، والآن على ألسنة وأفواه أهل ما وراء النهر المقصود من استماع توره هو الأمير، ولأن ناصر الدين هذا وميرحيدر حفيدا أبو الفيض خان من ناحية الأم وهو من أحفاد چنكيزخان، ولهذا عرفوا بتوره، ووصفوا بهذا الوصف، وأصلهم من أوزبك خان حفيد جوجي خان، وبعد ذلك لُقب الأمير معصوم بـ بيك جان وعُرِفَ بولى النعمة واشتهر بـ شاه مراد، وأصبح بعد أبيه حاكم ماوراء النهر، وقد جعل الفساد علانية في مرو وخراسان، فأرسل بيرام على خان القاجارى الجيش عدة مرات، وخرج هو بنفسه عدة مرات إلى مرو ، وفي النهاية قَتَلَ بيرام على خان واستولى على مدينة مرو وأسر أهلها جميعًا وحملهم إلى بخارا وسلمهم إلى أشد أنواع التعب والمشقة وهدموا سد مرو وخربوا المدينةبدون خجل ، فأسرع الحاج محمد حسين خان [ص ١٢٣]- الذى كان أرشد أولاد بيرام على خان - إلى البلاط الخاقاني، فصار موضع أنواع العناية ووجد النظر بالفضل والكمال برتبة المنادمة في خدمة الخاقان الفريد، وفى خلال هذه الأحوال تحول بيكى جان إلى رحلة الآخرة، فصار ميرحيدر ابنه الأكبر الحاكم مكان أبى الظلم، وارتفعت نوبة إمارته في بلاد ماوراء النهر، وكان في البداية ميالاً باقتضاء الفطرة إلى سفك الدماء وكسر الخواطر مثل الأب ذى الجوهر السيئ، فتعجل بإفناء النفوس وتخريب البيوت، ولهذا السبب جفلت وتزلزلت طباع أعيان بخارى من سياسته، والتمس جميع الرعايا اختلال دولته من بلاط الإله الواحد المتعال، وأحضروا ناصر الدين توره من دار المُلك مرو إلى بخار من أجل انتظام أمره، وعن طريق الحيلة والتذوير أظهر فنون المواعظ والنصائح، فلم تؤثر أقوال ذلك الغبى اللاشعورية في أذن ناصر الدين أكثر تأثيرًا من طنين الذباب، ولهذا لم تتوجه أذنه إلى استماع كلامه، وسمح لرسوله بالرجوع ومعه خطاب ممزوج بسم الخلاف والمعارضة، ورأى

(١) أتابك ، أتاليق : كلمتان تركيتان وهما بمعنى المربى والمعلم وهما لقب لمنصب المربى والمعلم. (انظر لغت نامه : على أكبر دهخدا ، جلدا أول ، ص ٨٣٠ ، ٨٤٣)

وسيلة أمره في التوسل إلى البلاط الخاقاني وأرسل العريضة الممزوجة بالضراعة إلى البلاط، وطبقًا لمبعوثيه نفذ فرمان قضاء النظام: "بأن ناصر الدين توره، الذى طلب من هناك النصرة والمساعدة من حضرتنا، ورأى أن يفتح الطريق إلى العناية الملكية وهو بمنزلة الابن للنائب سلطاننا، وعما قريب ويعون البارى جل جلاله سيستفيد من وصال شاهد الدولة ".

وصدر الأمر الملكي البليغ من مصدر الجلال بافتخار تميمة ساعد إقبال محمد ولي ميرزا حاكم ممالك خراسان، وذلك بأنه: لما أصبح أمير التركستان معرضًا عن أخيه ميرحيدر توره ، فيكون [محمد ولي ميرزا] لذلك الابن صاحب السعادة اليد الماسة لحلقة طرق أبواب الاصطناع التى لا حد لها ويكون ملزمًا فى كل حال برعاية جانب الأمير ذى الأصل العالي، ويتحتم فى ذمة الهمة تنفيذ انتظام المهام وحصول المراد".

وانطلقت راية العزيمة لمعاونته وتخليص مرو، وصدر الأمر بافتخار مبعوثيه بالإنعامات الوافرة والخلاع الفاخرة [ص ١٢٤] وسمح لهم بالانصراف مكرمين.

٤٩ - بيان وقائع سنة ألف ومأتين وعشرين هجرية وهى السنة الثامنة للجلوس(١) ، وكيفية طغيان محمد خان الأفغانى :

ولما جعل السلطان الذهبى تاج الشمس روضة الحمل مقامًا لأشعة الأنوار، فقد جعل الملك الأعظم وصاحب العالم المكرم العرش ذو الحظ المظفر فى سعادة وتوفيق موضع حسد مناظر الفلك وموضع غيرة منازل القمر والشمس وذلك من أجل الاحتفال النوروزى، وأمر بالإنعام على جميع الوزراء والأمراء وعظماء الجيش وزعماء كل بلد من الشفاة الناثرة للدُرر واليد الناثرة للذهب الخاصه بالسلطنة، وبأن تُفتح الغصن الناثرة للذهب أمام ساحة العرش بسبب وفرة الدراهم والدنانير.

(١) يقصد جلوس السلطان فتح على شاه القاجارى على العرش .

ولما انقضى حفل النوروز المنتصر، أشرق شعاع العناية السلطانية بإنجاز مهام وواجبات المُلك والأمة، وفي خلال ذلك الحال، عُرض على موطئ العرش الأعلى خبر استئصال محمد خان الأفغاني، وكيفية هذا الإجمال كذلك: إن محمد خان هو ابن أعظم خان الأفغاني الغلجائي، وكان نسل هذه الأسرة مشردين ومشتتين بسبب الكفران بالنعمة، وفي أواخر دولة أحمد شاه الأفغاني الإبدالي هاجر أبوه أعظم خان من قندهار بسبب خلاف وقع فيما بين الغلجائية والإبدالية والتحق مع فوج من طائفته بكريم خان الزندي، فأسكنهم كريم خان الزندي في نرماشير بكرمان، واستقلت هذه الطائفة في تلك النواحي، وشيدوا تدريجيا القلاع المحكمة، وفي عهد هذه الدولة العلية وحيث كُلفت دار الأمان كرمان وإقطاعية ذلك الإقليم وفوضت إلى حضرة إعتضاد الدولة إبراهيم خان ابن العم، ومع أن محمد خان كان ثمر غض النفاق والخيانة(١) ، ومع التسرع في الوقت فقد جاء طائفًا بالبلاط ومشمولاً بعواطف الخاقان ملجأ العدالة، فقد سرت عناية تفويض ولاية نرماشير عليه وكما كان. وبعد الوصول إلى تلك الحدود لوى رأسه عن الفرمان الشهرياري، ومصاحبة لذلك، شاع في تلك المناطق قحط وغلاء لا حد لهما، وبموجب حكم الهمايون حملوا على ظهور الجمال القوية الحبوب والغلال من شيراز وإصفهان ويزد إلى ذلك المكان، ولم تكن توجد قشة واحدة (الشيء القليل) [ص ١٢٥] -ولاجرم أنه كان يتعذر تعيين الجيش، وبهذه الوسيلة انتزع محمد خان قلعة "بم" بالنزاع وكان النائب إبراهيم خان يعلم أولاً أهمية حراسة قلعة "بم" فسير إسماعيل خان العربي حاكم جندق -الذي كان من صوفية هذه الدولة جنة الرونق - مع جمع لحراسة ذلك المكان، وثانيًا، قام بإرسال العرائض إلى الحضرة العلية يذكر فيها مخالفة ومعارضة محمد خان، فقدم من عاصمة الدولة نوروز خان القاجاري عز الدينلو - وهو الحاجب الكبير وأمير بلاط سماء الجاه- مع فوج من الشجعان المدمرين للمتمردين في سرعه وخفه كالقضاء السماني. ولما سمع محمد خان بخبر تحرك نوروز خان، انسحب برحله إلى قلعة

(١) واضح تحامل المؤرخ ضد محمد خان الأفغاني لمجرد أنه كان خصمًا للسلطان فتح علي شاه وهذا يؤكد انحياز عبد الرزاق المؤرخ للحاكم ولي نعمته. (المترجم)

نرماشير، وأحاط الجيش بالقلعة المحكمه، وقضى عدة أيام وسط المعارك المهولة، وفى النهاية هجم من كل ناحية وجانب، وأخضع القلعة، فصار جمع كثير عرضة لسيف الشجعان المصارعين للأسود، وأصيب محمد خان وسط الهزيمة بطعنتين منكرتين ولجأ إلى طريق الهروب مع عدة أشخاص من الأفغان، ورحل خارجًا وهو محتضرا مع ألف عاجز وضعيف وجر نفسه إلى ناحية بلوتشستان، وتعرض للسيف الظالم سائر مرافقيه وأعوانه من الأفغان والسيستانيين ؛ الذين صاروا فى كل مكان مضطرين لجيش مريخ الصولة السلطانية، ورجع نوروزخان والجيش المنتصر مظفراً ومنصوراً إلى بلاط موطئ زحل.

٥٠- بيان تكليف النواب نائب السلطنة والخلافة بمملكة أذربيجان من أجل محاربة روسيا :

وفى العام الماضى، وبعد العودة من رحلة إيروان، كان الرأى المنظور بنظرة العطف للخاقان فاتح البلاد، بأن يترك النواب نائب السلطنة ولى العهد فى مستقر السلطنة ومقر الخلافة ، وبأن يتوجه هو فى السنة القادمة بالنفس الغالية لمحاربة الروس، وفى وقت الاستعداد لسفر أذربيجان ظهرت آثار الملل على الوجه الذى كالشمس للأمير الشاب المحظوظ بسبب مشاهدة هذا الحال، وعرضت العين الممتلئة بالدموع وجه الحاجة فى خدمة الخاقان المنصور وطلب: "بأنه يحب أن تُفوض خدمة محاربة الروس [ص ١٢٦] وتعويض ما فات من رحلة إيروان بعهدة اهتمام هذا العبد الأحقر مؤسس العبودية"، فسمح له الخديو فاتح البلاد بسبب كمال مرحمته على تصور أن لنائب السلطنة سروراً للسفر فى رأسه بمقتضى هوس الشباب وهوى السعادة، حيث إنه فى أثناء تحرك لواء فاتح العالم وفى أيام توقف الأمير في دار السلطنة طهران يميل إلى السفر عازمًا إقليم لُرستان وينشغل فى تلك المناطق بالنزهة والصيد، فطلب نائب السلطنة اقتضاءً للهمة العالية فسخ عزيمة موكب الظفر المأنوس وإظهار الرغبة فى السفر إلى أذربيجان، فنفذ الخاقان فاتح البلاد ملتمس حضرته

بناءً على استرضاء خاطره، وكلفه بالسفر إلى أذربيجان. وبعد تحرك موكب نائب السلطنة والنزول الجليل خارج قلعة دار السلطنة طهران تشرف بالقدوم مكرمًا الخاقان أثر المرحمة إلى معسكر الابن المحبوب، وفي اليوم التالي رفع النواب نائب السلطنة راية العزيمة صوب تلك الحدود ومعه جمع من الأمراء والحكام الذين كانوا مكلفين بالسفر إلى أذربيجان في ركاب حضرته، وقد صار ميرزا عيسى الملقب بالوزير ميرزا الكبير -الذي كان مكلفًا في العام الماضي بتنظيم أمور دار السلطنة طهران - ولما كان الهلال بعيداً عن نور شمس الحضور - فقد صار في هذا السفر ملتزمًا ركاب الأمير ذي الجواهر العالية بأمر صاحب التاج ، ومع أن إتمام هذه الخدمة كان موكولاً للرأي الرزين للأمير العزيز المتمكن، فإن الحضرة العلية الخاقانية نظر ثانية باحثًا عن رضا خاطر واطمئنان الأمير، وبحجة النزهة والصيد في ناحية أذربيجان - جعل في الرابع والعشرين من شهر صفر المظفر مرج سلطانية مضربًا لسرادقات العز والشأن.

وبعد عدة أيام من التوقف بسلطانية، ارتفعت راية النصرة صوب أذربيجان، وفي أثناء تحرك رايات فاتح البلاد من مرج سلطانية، كلف مقرب الحضرة إسماعيل خان الدامغاني - وهو من خواص غلمان بلاط ملجأ العالم وموصوفًا بالجلادة الزائدة ومعروفًا بالكياسة الوافرة - [ص ١٢٧] مع جمع من طلائع مضمار الظفر وفدائيي ساحة الرجولة والفضل، وأمره بأن يلحق بالنائب ولي العهد، وبأن يتبع رأي مزين ملْك القضاء المقتضي، وفي مقابل تحرك موكب فاتح العالم من سراب، أصدر الأمر للأمير علي خان الأخ العزيز لنائب السلطنة الموفق بالتوقف في "زنجان" وفي منزل "ميانج" وجه النواب نائب السلطنة والخلافة - طبقًا لدستور العمل السلطاني - مهدي قلي خان القاجاري مع فوج من الجيش أثر النصر إلى إيروان، وقرر له: بأنه لو أوقف محمد خان عادته السابقة في الارتباط مع الروس وجعفر قلي خان، ويقضي أوقاته في الخدمة والإخلاص حتى يقوم بتقويته ومساندته في الاستقلال، وإلا فسوف ينحي عن حكم الولاية ويعزله، وبأن ينشغل هو بحكم ذلك المكان ويضبط أمور الولاية وينظمها، وكلف بمرافقته أيضًا إسماعيل خان القاجاري حاكم خوي الذي كان متوقفا هناك.

٥١ - بيان بعض من مآثر النواب نائب السلطنة العلية والتى تيسرت لحضرته بالتوفيق الإلهى فى الدين والدولة والمُلْك والأمة :

لقد رأى مستظلو القبة المقرنسة ومشاهدو الفلك المقوس، وعلموا أن ملك الدنيا وحاكم شعر [بيت ترجمته]

شعاع العقل المجرد فتوح للروح المطهرة * وفيوض النفس المقدسة جمال لقدرة الله

العالم أى الظل الأخص والنور المشخص حضرة الملك السلطان فتح على شاه القاجارى ، أدام الله تعالى ظلال إقباله وآثار أفضاله على مفارق الآنام إلى يوم القيام - قد كرم وعزز الأمير النجيب حضرة عباس ميرزا الذى جعله فى عرش التوفيقات الإلهية بمعونات وبمفاد "أعط القوس" أى محبة نيابة السلطنة وولاية العهد لتكن خالدة فى جميع العالم بين العالمين أجمع، وعلاوة على ذلك، لقد كان مفتخراً ومعززاً بهذا الخطاب من الملك مُزين الأرض كسرى فاتح العالم السلطان المغفور له محمد شاه القاجارى أنار الله برهانه، في بداية عهد الصبى وصباح النشوء والنمو، ففى هذا الوقت اختار ملك الملوك الأعظم مملكة أذربيجان -التى هى من [ص ١٢٨] الممالك المحروسة مثل حرارة غريزة الروح للجسم، وغريزة القلب للروح، ونور الإيمان للقلب، ومثل الوجه للبدن ونور عين البصيرة للوجه - من أجل يمن إقبال ولى العهد، وأعطى الإذن لموكبه المزين بالنجوم بالتوقف فى تلك الأرض والوطن، وأطلق يد تأييده فى هذه البلاد.

ولقد كان الطغاة والمفسدون من الأجانب والمحليين قد أطلقوا عنانهم وأودعوا محاسن ومساوئ الراحة إلى ريح الفتنة والإغارة، فلا نظام للجيش ولا انتظام للرعية ولا قوام للعمل ولا مكان ولا مقام لملتزمى الركاب ولا قلعة للحماية كي تستخدم للعمل فى الهجوم، ولا شهرة ولا إنجاز من المشاة والفرسان، كى يُحسب حسابها فى ميدان

ساحة الحرب ووقت المعركة، فتبعثر عِقْد نظم أمور الرعية والجيش وتفكك كتاب المُلك والأمة، وكان قد أشعل النار الظالمة من كل ناحية الحكام الطامعون في جلب منافع عبدة الأهواء بالإغارة على الأموال التي بين أيديهم، وأحرقوا البيوت من أجل جمع الخزائن، فهبط حضرة ولي العهد الذي هو رحمة في حُسن الصورة ومعنى الآية[1]، وهو ملك في صورة "أحسن التقويم"[2] والذي جاء متمكنًا بيد البذل على عرش دولة السماء، وهو الأمير، وهو صاحب الدولة المتناسق الأعضاء، وهو سامي الفطرة وملائكي الطلعة ونور عين السلطنة وروح جسم العظمة، وهو العين المتأملة لإحدى بصائره مع نور ضياء الحضور ومسلك الحلم والحياء، وهو عاص على المعاصي منذ بداية عمره الغالي الذي يزيد عن الرابعة والثلاثين[3]، وبالرغم من وجود القدرة الملكية فهو يُعرض عن المناهي والملاهي وينشر محامد أفعاله ويبث مكارم أعماله، وتسبق رحمته على غضبه [؟؟!!]، ولا يلتفت إلى التقصير في خدمة العبيد الباذلين لأرواحهم، وهو يستولي على خاتم غيرة دينه من الشيطان كسليمان[4] ولا يتقطب ولا يعبس وجهه عند هجوم الحوادث ونزول المصائب بسبب وفرة توكله، ويده قوية وغنية في العطايا، وقلبه في وسع البحر من بدر عظمة طبعه، وقلبه الصغير شجاع في القصر والميدان، وهو باذل أكثر أوقاته في الغزوات ومتوجه للحرب والقتال بالنفس الغالية [ص ١٢٩] وملتزم بالحملات واندحار الرايات، وهو في غاية العطف والرأفة مع مرءوسيه ورعاياه، وأنه لو كان يطول سفر حضرته قليلاً في الغزو والجهاد، لكان

(١) يحاول المؤرخ عبد الرزاق الدنبلي إضفاء شيء من القداسة والشرعية على ولي نعمته ولي العهد عباس ميرزا، فيصوره على أنه كالملاك أو الرسول الذي يهبط من السماء، مبشراً بالخير لأهله. (المترجم)

(٢) مأخوذ من الآية الكريمة: ﴿ لقدْ خلقْنا الإنسانَ في أحْسنِ تقْويمٍ ﴾ سورة . التين الآية رقم : ٤ (المترجم)

(٣) بما أن مولد عباس ميرزا كان في عام ١٢٠٣ هـ ق وعمره في ذلك الوقت يزيد على الرابعة والثلاثين ، فيكون تدوين عبد الرازق الدنبلي هذا الكلام في عام ١٢٣٧ هـ تقريبا . (المترجم)

(٤) إشارة إلى خاتم نبي الله سليمان عليه السلام .

الظن بالقلق والاضطراب والخوف، وكان الصغير والكبير فى هذه الولاية يضع له النذور، فحتى العجائز والشيوخ كانوا يحملون رأس مال مغزلهم إلى السوق ويبيعونه، وكانوا يؤثرونه في سبيل الله بنية سلامة ذاته الكاملة الصفات، فإكليل الدولة مزين بظل قمة رأسه وأيوان العظمة والشوكة موضع حسد وغيرة الروض بشعاع سعادة قدومه، وقانونه عدل إلى درجة أن الجيش صاحب الظفر كان ينزل لفترة على جانب مزارع وحدائق الشعب ولم يكن يقطف شخص سنبلة ، ولم يكن يصل الضرر إلى تفاحة بلا رحمة ويسبب عدم النظام، ولايشرب شخص قدرًا من النشا بسبب خوفه من شرطة احتسابه ولايتحصل على دينار من القمار، وقد أخفى اللصوص وقطاع الطرق رءوسهم داخل فتحة ثوب الخمول، وانزووا فى زوايا الأغوار خوفًا من المحاكمة، فذات مرة كان لجمع من الطوائف سكن بالقرب من المعسكر، وضاعت بقرتهم العجوز، وكانت قد وقعت فى المعسكر من نفسها بسبب ضعفها ومرضها، وعرضت بقرتهم بدون لجام الرأس بضاعتها على خيام المعسكر، وكانت تدور وتلف فى وسط المعسكر، ولم يكن شخص فى حاجة إلى مساعدة لكى يسوقها ويخفيها عن أعين الناس أو يقيدها من أقدامها ويحلب لبنها لنفسه، إلى أن نهضت عجوز وأخذت بقرتها وأوصلتها إلى منزلها.

وحكام الولايات معزولون بالرغم من استقلالهم وملومون ومحزونون بسبب تمنيهم الظلم، وكل نفقات جديرة بقبول عمال الديوان يصدر الأمر بقبولها من الدولة ويجرى المستوفون (محصلو الضرائب) وكتاب البلاط الحساب، ومع أن قبضة السيطرة للحكام حادة، فإن أسنان الطمع باردة بسبب عبوس وتكشير المحاسبين، فأى حاكم فى أى ولاية لايجرؤ على أخذ دينار عدا المقاولة والأجر الديوانى، وفى جميع الولايات لا يستطع أن يقسو ظلم القوى على المظلوم الضعيف ومع أن الهمة الملكية مقضية ومصروفة على ازدهار ورونق الدين والدولة، وأن اليد الناثرة للجوهر رهينة ومقيدة بانتظام المُلك والأمة، فإن دفع الخزائن الكسروية فى بداية الحرب والنزاع مع روسيا لانتظام [ص ١٣٠] المهام المتعلقة والمرتبطة بأمر الغزو والجهاد، ومع أن ثروة الحكومة لم تكن مقيدة لغير ولاية أذربيجان ، فقد أنفق فى مدة العامين

الخزائن والكنوز الدقيانوسية[1] من أجل جيش الدولة الخالدة الاتصال، حتى جلس على ظهر جواد الفلك المتبختر، وقد عقد الحزام على مقاسات حرب الروس، فلسنوات عديدة، سواء في الصيف أو في الشتاء، لم يسحب قدمه عن الركاب ويده عن العنان ولم يكن يسترح لحظة، وكان مشغولاً بالحرب والقتال في الأيام الحارة والأجواء الباردة، وفي فتنة الحرب والمعركة كان يتخيل شربة الموت المرة ألذ من العسل ولم يكن يتضايق من الروح الحلوة [illegible] ساوى اللذة الدنيوية والعزة الكسروية وكان أحيانًا مع الجيش البطل في أران[2] [illegible] في كنجه وشيروان وسط دخان المدافع والبنادق، وكان يعطف عنان جواد السماء الأشهب المتبختر في صحراء موغان الحارة - التي هي نموذج لساحة النيران - في قلب حرارة تموز الأكثر حرارة من قلب جمر الشتاء وصدر الكانون[3] وذلك لمجرد مراقبة ورعاية مصلحة الإسلام، وفي كمال ثورة البرد - الذي من شدة برودة الشتاء ترتعد السمكة من مياهه كما يرتعد حيوان السمندر من النار[4]، وكان يتوقف موكب دليل الظفر على ساحل أردبيل وهي نموذج لكرة الزمهرير والجليد، وبسبب كمال الغيرة والحمية ومراعاة حماية ورعاية العجزة والملهوفين في هذه الولاية صرف النظر عن المسكن والمأوى القديم والمسعود بتقبيل عتبة السماء المقتدرة لكسرى صاحب عرش جمشيد، وقد صار الخادمة والمربي لعذارى هذه الولاية كالأم والأخت، فدخلن في كنف حمايته وظل رأفته وقد أمر

(١) الدقيانوسية : نسبة إلى كنوز دقيانوس وهو الملك الذى كان أهل الكهف معاصرين له . انظر تجربة الأحرار وتسلية الأبرار : عبد الرازق بيك دنبلي ، تحقيق وحاشيه حسن قاضي طباطباني ، ج٢ ، ص ١٨٤ .

(٢) أران : اسم منطقة أذربيجان الشمالية ، ويقول صاحب معجم البلدان أران بالفتح وتشديد الراء وألف ونون اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة منها جنزة وهي التي تسميها العامة كنجه وبردعة وشمكور وبيلقان وبين أذربيجان وأران نهر يقال له الرس كلما جاوره من ناحية المغرب والشمال فهو من أران وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان ، (انظر معجم البلدان ، ياقوت الحموى ،ج١ ، ص ١٨٣) .

(٣) كانون : الموقد .

(٤) حيوان السمندر (أو السمندل) : حيوان خرافي يقال إنه لا يعيش إلا في النار . (انظر : المعجم الفارسي الكبير ، إبراهيم شتا ، ج ٢ ، ص ١٦٠٨) .

بتحديد مكان إقامة ساكني حجاب الحرم من العراق إلى أذربيجان وذلك ليكونوا مشاركين قصور ومعسكرات نساء المسلمين. ومع أنه كان يُعين المشاة والفرسان من جيش كسرى صاحب العالم الجرار من العراق وفارس وكرمان ومازندران وخراسان لحراسة هذا الإقليم وكان يقدم لوازم الحرب والمعركة وكان يضيع الخزائن الملكية، لكنه عند الحرب والجهاد لم يكن يراعي ويستخدم قانون المسلمين السالفين [ص ١٣١]، ولم يكن أمر الحرب مهياً وجاهزاً على الوجه المرغوب، وقد أمر النواب نائب السلطنة بالملاحظة والدقة في النظر بأن حرب الفرنجة على النظام نفسه الذى أشار إليه الله الحميد فى القرآن المجيد، وقد فقد جيش إيران النظام القديم من يديه، وقد حصل الأعداء على القاعدة والنظام نفسيهما .

٥٢ – بناء العسكرية الحديثة :

وكيفية هذه المقدمة كذلك: عندما هاجر قمر البطحاء [النبى ﷺ] من مكة المكرمة، وجعل ساحة المدينة المنورة سماءً ثانيةً من أنوار طلعته، ورفع علم النبوة وراية الدين على الخلق فى العالم وقد كان أذكياء الصحابة ينضمون إلى خدمته واحد تلو الآخر وكانوا يعقدون حزام الاجتهاد في الغزو والجهاد. ونظام الحرب فى الإسلام هو فى الآية الكريمة التى نصها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (١) . كان قد وُضِعَ على أسلوب هو أنهم كانوا يخيطون ذيل الغيرة الواحد فى الآخر، وكانوا يحرقون بيدر العدو بشعلة السيف، وكانوا يجعلون الاصطفاف للحرب على قاعدة ونظام الاصطفاف للصلاة، وبسبب ثباتهم ورسوخهم فى ميدان الحرب كان الحمار الوحشى يضع دمع الحسرة على قلبه ، وبسبب نظامهم واستمرارهم كان اتحاد وهيكل منازل القمر ونظمه تسقط من نظر المشاهدين.

(١) سورة الصف ، الآية رقم ٤

وبرعاية هذا النظام، هَزَمَ جيش الإسلام ملوك الأطراف والأقاليم في أقل مدة، وركل ممالكهم بصدمات الدنيا المضطربة، وصار زلال سنن الدين جاريًا من العين الغامرة والوافرة بالحق واليقين، ولمعت مشاعل نور الإسلام في قلوب البعيد والقريب من الترك والتاجيك. ولما انسحب شمس الرسل وهادي السبل خلف حجاب الغروب، فقد كان هذا الأسلوب والنظام مصونًا ومحفوظًا لفترة أيضًا، وكان الصحابة يرسلون الجيوش ويفتحون القلاع والديار. ومن بعد ذلك وجد الضعف والفتور طريقه إلى هذا النظام، فنظرًا لعدم الاهتمام والرعاية، فقد ولت هذه القاعدة من يد الإيرانيين[1]، وصارت مستخدمة وسط أوربا وشاعت بين أهل الفرنجة، وقد أعد هذه القاعدة وهذا النظام القدماء أيضًا في بعض العهود ودونوها في مصنفاتهم ومدوناتهم على القاعدة القديمة وهو شاهد العدل، وأيضًا فُقِدَتْ قاعدة العمل ونظامه [ص ١٣٢] إلى أن أحضر الملا حسين واعظ الكاشفي في عهد السلطان حسين ميرزا بايقرا [التيموري ٨٧٣ هـ.ق : ٩١١ هـ.ق] نموذجًا للبندقية التي كانت شائعة في مملكة الفرنج، فكانوا يصنعونها تدريجيا، وفي تلك الأوقات، وبالنظر إلى التعيش وطلب الراحة، أوصل السلطان المذكور الفتور والضعف إلى قواعد الحرب.

وظهر الشاه إسماعيل الصفوي، فكان بناء أمره وشأنه على إخلاص ومحبة مريديه، وفي هذا العهد، وبقاعدة أن كل شيء يرجع إلى أصله، حول حضرة نائب السلطنة القاعدة القديمة ضمن الإخلاص الصميم لأهل إيران، وعرضها على بلاط زحل الملكي، وطبقًا لإشارة ملك الملوك صدرت الأحكام السامية إلى حكام ولايات أذربيجان، وصدرت بعد فترة إلى سائر الممالك المحروسة لإنشاء الجيش الحديث. وفي أذربيجان اختار الشباب الشجعان اللائقين وسلمهم الأجور والمقررات والألبسة وسائر الاستعدادات من رئاسة الديوان، وعين معلمي النظام العسكري من فرنسا وإنجلترا، واستخدمهم في تعليم أعمال الحرب والقتال، وفي الركاب المنصور وفي مدة العامين لقي ما يساوي الاثني عشر ألف جندي الاستحسان والإعجاب في النظر المبارك،

(١) كان من المفروض أن يقول . من يد المسلمين ، لأن الإيرانيين ليسوا هم المسلمون فقط . (المترجم)

وعلاوة على الخفة والسرعة والرماية وضرب الأهداف وتدمير قاعدة العدو والجندية، فقد كانوا يعمرون البندقية ويفرغونها ولم يكونوا يقطعون الدخان عن بعضه، فقد وصلوا فى تدريبات المشاة إلى حد أنهم لو كلفوا على ناحية فكان يحدث أنهم كانوا يطوون فى المنزل الواحد اثنى عشر فرسخًا، ولو أنهم قابلوا مصادفة فى ذلك المكان العدو، فقد كانوا يشتبكون معه دون عذر التعب والإعياء وكانوا يوفقون، وذلك مثلما حدث عدة مرات فى رحلة بلباس والأكراد وأماكن أخرى، وفى أثناء التدريب والرماية والقذف بالنيران وتعلم القواعد والنظام، كان يتوجه أحيانًا بنفسه النفيسة إلى ساحة تعليمهم وكان هو نفسه أيضًا يتدرب وكان يرتب صفوفهم بالرؤية والحلاوة التى تجب، وكان ينعم ويحسن على أحوال كل واحد منهم.

وفى ذلك الوقت، وصلت من ممالك إنجلترا ما يقدر بستة آلاف قطعة بندقية [ص ١٣٢] التى كانت طلقاتها جميعًا من مقاس واحد وبصنعة وبشكل واحد، وقد تقرر أن يقوم أساتذة صناعة البنادق الإيرانيين فى دار الأسلحة بالإشراف على صناعة البندقية على الصنع والتركيب نفسيهما ، وفى أقل مدة أُنتج بسعى الأساتذة الإيرانيين ما يقدر بنحو عشرين ألف قطعة بندقية ناثرة لنيران المعركة ؛ وهى التى تستعمل منذ ذلك الوقت وحتى الآن، وغير ذلك النوع من البنادق، يصنعون بنادق "جوهر دار" على طريقة حسن الجزائرى وموسى، وعلى نحو وتخطيط القرم وبنموذج سائر مصانع الروم (العثمانيين) – والتى تصوب من سبعمائة قدم أو ألف قدم– وذلك من أجل الغلمان والخدم من حملة البنادق الجرارة، وتكلفتها وتصنيعها ليس أقل من بنادق جوهر دار الرومية، ويجرى إتمام سائر أسلحتهم وآلات الحرب أيضًا على هذا النهج والصورة.

وقد أنشأ مصنع البارود على نظام مصنع بارود الفرنجة، وقد صار جاهزًا بحيث يتم فيه إنتاج وعمل ثلاثة أحمال الحمار[1] من البارود فى اليوم الواحد،

(١) أصل الحمار أو الجمل أو الجواد : وحدة حمل مستعملة فى إيران .

ولم يقتنعْ بهذه الصناعات، فقد أرسل الأساتذة من إيران إلى إنجلترا، وعين مبلغًا كبيرًا لمصروفات ومرتبات تلك الجماعة، وقد رجعوا بعد أربع سنوات، والآن يستخدم فى إيران من عمل الأساتذة الإيرانيين الزناد (حجر النار) والبندقية وسائر الأسلحة وآلات الحرب، وهى أكثر فاعلية وأداءً من مثيلاتها الإنجليزية.

٥٣ - ومن جملة الأركان العظيمة للعسكرية الحديثة : تصنيع المدفعية وتدريب أهالى إيران على القذف بالمدافع :

ولقد عين حضرة نائب السـ... المدفعيين المهرة ذوى النيران الجهنمية من إنجلترا وفرنسا مثل المستر "لنزى" وغيره، وقد حصل الشباب الأقوياء الشجعان على المعرفة والإلمام بقواعد المدفعية، وأسسوا قاعدةً للتدريب ووضعوا بناءها. وقد أقيم فرن صب المدفع وعجلاته على الطراز الإفرنجى ، فخرج من هذا الفرن منذ البداية وحتى الآن ما يقرب من مائة عربة مدفع محطم للصخر ومثير لفتنة العالم والتى تمت بصورة كاملة وباجتهاد الأساتذة الإيرانيين، وقد أركبوا المدافع على العربات، فالمدفع الذى كان ينقله نادرشاه بمقدرة إلى "دره خان" و"رامين" بواسطة مائة شخص من أجل محاربة [ص ١٢٤] الأفغان عديمى القدرة، وقد كان يُعمر ويُفرغ بواسطة عشرين أو ثلاثين شخص، والآن تحول إلى خمس أو ست مدفعيين وأربعة رءوس من الأحصنة الجبلية فى جسم الفيل فى ميدان العدو، فيحولوها إلى كل ناحية يريدونها.

وقد تدرب المدفعيون على إطلاق المدافع باجتهاد وجد كاملين، وبسبب خفتهم ومهارتهم كانوا يعمرون المدفع ويفرغونه سبع مرات فى دقيقة واحدة، وعلى التوالى كانوا يواصلون الدخان بالدخان، وكانوا ينثرون النيران فى الهواء على البيادر، وباستثناء رئيس المدفعية والنائب وخدمة الأحصنة يصل عدد عمال دار المدفعية إلى ما يقرب من ألف مدفعى والذين لهم المرتبات والمؤن من رئاسة ديوان صاحب الشوكة، وباستثناء أحصنة المدافع التى يشتريها أيضًا بمبالغ كبيرة والتى تندفع وسط عربات فلك العظمة لا تتيسر بسهولة كل واحدة من تلك الأشياء التى ذكرت، بل يجب أن

تضيع الخزائن معها فى أدراج الرياح حتى تأخذ هذه الأعمال المحمودة صورة كمالها واكتمالها. والآن فى جميع أنحاء إيران بل وفى ديار الفرنجة لا يتيسر على هذا النسق اهتمام هكذا واستعداد للقاعدة والنظام.

وفى سنة ألف ومائتين واثنتين وثلاثين - التى كان قد حضر فيها "يرملوف" قائد الكرجستان من دولة روسيا بالتحف والهدايا إلى بلاط ملجأ العالم، من أجل إتمام الصلح بين دولتى إيران وروسيا، وكان قد تشرف فى تبريز فى خدمة نائب السلطنة لاستعراض ومشاهدة دار المدفعية، وكان المدفعيون المهرة القاذفون للنيران يتدربون على المدافع، فلاحظ القائد المذكور، واعترف بنفسه مقراً بأنه ليس فى بلاد الفرنجة مدفعيون قاذفون للمدافع على نفس هذه القواعد والمهارة، وعرض بأن معرفتهم بالآداب ومهارتهم وحيويتهم مرجحة ومفضلة على مراتب ودرجات الفرنجة.

وفى شأن بناء العسكرية الحديثة، بذل السلطان سليم ملك الروم (العثمانى) المساعى، ولم يستطع الاستمرار والدوام على هذه القاعدة رغم العدة والشوكة والكثرة التى لاحدود لها والمتيسرة لممالك الروم، فثارت عليه جماعة "ينكى تشرى" "الجيش الحديث" وعزلوا حضرته من السطنة ورفعوا إليها مكانه السلطان مصطفى بن عبد الحميد خان [ص ١٣٥]، وقبضوا على المدعو الحاج إبراهيم -الذى كان قد أصبح المؤسس للقاعدة الجديدة - مع جمع من رجال الدولة، وقتلوهم.

وقد أصبح حضرة نائب السلطنة العلية بالتوفيق الإلهى والتأييد السلطانى وغاية الاهتمام بالأمر والجد والاجتهاد فى المعركة هو المؤسس لأساس قاعدة الجيش والعسكرية الحديثة، فقد حول أهل إيران بالتدليل والنصح من العادة السابقة إلى التعود على العسكرية والقانون الجديد، فقام مع الفرسان والمشاة والجنود والمدفعيين الناثرين للنار بمحاربة الروس، فأنزلوا الهزائم الفاحشة بتلك الجماعة فى عدة أماكن، ورفعوا راية الاستيلاء والاستعلاء فى العالم، مثلما ستُذكر بعد ذلك كل واحدة فى موضعها. وكان الأمر كذلك إلى أن انتهى الأمر بالصلح والسلام بين الدولتين على رغبة ملك روسيا.

٥٤ - تعيين المهندسين وتشييد القلاع الهرمية البنيان :

لقد أوقف [ولى العهد عباس ميرزا] جمعًا من أولاد أمراء هذه الديار، الذين كانوا معروفين بالكياسة والفطانة، على تعليم علم الهندسة على الطريقة الأفرنچية وذلك علاوة على علم الهندسة الإيرانية، وكانت تلك الجماعة قد حازت مهارة كاملة فى مدة قليلة على يد موسى لامى الفرنسى الذى كان مهندسًا ذكيا وفيلسوفًا صاحب ذهن واعٍ، وقد أصبحوا مهرة فى علم الهندسة ومعرفة علوم المساحة ومعرفة مكامن الطعن والضرب وإعداد أماكن المعسكرات وتجهيزها وفرش الخيام على النظام العسكرى ، وتشييد القلاع على الطراز والأسلوب الأفرنچى، كما أصبح عدة أشخاص علماء فى اللغة الفرنسية وقراءة وكتابة مراسلات فرنسا .

٥٥ - تشييد القلاع ذات الأبنية السامية والرفيعة التى شيدت كل واحدة منها على الطراز الإفرنچى، وأولها بناء قلعة عباس آباد الحصينة :

وفي سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين هجرية، وطبقًا لأمر النواب نائب السلطنة شُيدت فى يزد أباد قلعة "نخجوان" المنيعة الأركان، التى يتصل أحد جوانبها بنهر أرس وأطرافها بالصحراء، وحوائطها محكمة بالصخرة الصماء، ويتصل خندقها بالباب، وهى تقطع طمع العدو فى الاستيلاء عليها، وأضلاعها الخارجية مثلثة وترتفع برأسها إلى الفلك، وهى مملوءة من داخلها بأنواع الغلال والحبوب والذخيرة والبارود [ص ١٣٦] والمدافع منصوبة فى أعلى الأبراج، ويكفى هذا القدر فى وصفها، حيث إن السير هرفرد جنس بارونت سفير الدولة العلية الإنجليزية قد عض أصابع الحيرة بأسنانه بعد مشاهدة الجسر الذى كان قد شُيد من الخشب على نهر أرس متصلاً بالقلعة، وقد اعترف متصفًا العدواة التى بين إنجلترا

وفرنسا بأن هذا الأمر منحصر لموسى لامى وليس له شبيه ولا نظير فى الهندسة، وقد اعترف كذلك السفير المذكور بأن الحرص على الاهتمام بظهور مثل هذه القلعة فى مدة قليلة هو من اختصاص دولة إيران القوية الأساس.

٥٦ - تعمير قلعة النتشق :

وهى منذ فترة طويلة الحصن الحصين لأبطال إيران وأذربيجان والتى تخبر عنها قطعة لسعدى [الشيرازى] [بيتين ترجمتهما]

كـــان لقـــزل أرســـلان [١] قلعـــة مـــحـكمـــة

والتى كـــانت ترفـع رقـــبتـــه إلى [جـــبل] آلوند [٢]

فـــلا خـــوف مـن أحـــد ولا حـــاجـــة لشىء

مـــثل ذؤابة العـــرائس طريقـــهـــا مـــعـــقـــد وملتـــو

وفى هذا العهد، كانت بركها خربة مثل عين الحقودين بلا ماء وطريقها شديد الاعوجاج وحرارتها مثل قلب الأعداء، وقد جعلها عامرة بالاهتمامات الملكية مثل بيت الأصدقاء الأوفياء، وجعل بركها الخربة ممتلئة بالارتواء من الماء الزلال، وقد عين لحراسة تلك القلعة الشامخة والقمة البازخة جمع الحراس الذين كانوا معروفين بالتجلد واليقظة، فملأوا ساحتها بالرصاص والبارود والمؤن، وأوكلوا همتهم على استحكام ذلك المكان.

(١) قزل أرسلان ، اسم حاكم أذربيجان والعراق السلجوقى . (انظر : المعجم الفارسى الكبير . إبراهيم الدسوقى شتا ، ج ٢ ، ص ٣٠٩٢) .

(٢) آلوند : اسم أحد الجبال العالية فى غرب إيران . (انظر : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٨).

٥٧ - بناء قلعة أردبيل الواسعة الأرجاء :

وقد شُيدت أيضًا تلك القلعة على طراز القلاع الإفرنجية، وقد كان في أطراف القلعة منازل الرعايا التي كان من الضروري أن تصبح متساوية ومسطحة، فيصبح أصل القلعة مشرفًا على الصحراء، ولما كان الضرر يصل إلى الأهالي عند تخريبها، فقد اشترى جميع تلك المنازل من أصحابها على وضع قيمة وقتها، وسلم الذهب من الخزانة العامرة. وبحسن السلوك والرأفة والرقة أصبح جميع الرعايا من شاكري الدولة الخالدة البنيان.

٥٨ - تشييد القلعة الحصينة لبلدة خوى المحبوبة :

وقد شُيدت تلك القلعة أيضًا على طراز جذاب وتخطيط جميل وحسن، وخندقها عميق [ص ١٢٧] أيضًا، وقد نسقوا الشوارع بقدر نصف فرسخ في مواجهة كل بوابة، واشتروا أرضها بالذهب من أصحاب الأملاك، وعرض الشوارع أربعة عشر ذراعًا، وأجروا جدولين مياه من على الجانبين، ومياهما جارية، وقد سووا الأراضي التي على الجانبيين، وغرسوا فيها أشجار الصفصاف لمساحة نصف فرسخ بطريقة منسقة، بحيث إنه عند مشاهدتها تبدو صفوف أشجارها في أعين ناظريها كمثل صفوف الأهداب، والحق أن جمال تلك الأشجار في أثناء الربيع حيث إن جميع أطراف القلعة مروج خضراء، وأن ظل أشجار الصفصاف مثل ظل الحظوظ الحسنة هو أساس راحة وسكينة الروح، وقد أنشئوا الأسواق المسقوفة من البوابات حتى وسط المدينة، وأقاموا المنازل الجميلة وقد اشتروا جميع الأراضي المتعلقة بها والتي كان من الضروري شراؤها، وقد صدر الأمر بتنسيقها وزراعتها.

٥٩ - تعمير قلعة إيروان المحكمة وهي من جملة القلاع المتينة والرزينة فى أذربيجان واليمن والبركة والسعادة الواضح والظاهر فيها :

قدم غراف إيوان كدوتيش القائد الروسى ومعه جمع غفير وازدحام كثير إلى تلك القلعة، وحاصرها لمدة شهر واحد، وفى النهاية وبسبب ضربات أيدى أفيال إيران واهتمام ورعاية حسين خان القائد القاجارى ويقظة وانتباه أخيه حسن خان - بالرغم من مرضه وضعفه الذى كان عنده - صار جمع كثير من شجعان وأبطال الروس الخاملين قتلى وجرحى ومتعبين ومرضى وذلك فى أثناء الهجوم، فأمر نائب السلطنة بالتوجه إلى ناحيته، فوجد نفسه غريق موجة الهلاك والاضطراب ورحل من خارج قلعة إيروان، وذهب إلى الكرجستان، وتعقبه جيش ملجأ الظفر فهلك جمع كثير أيضًا بسبب شدة البرد والجليد حتى الكرجستان، وحصل الجيش الإيرانى على ألوية وغنائم كثيرة وعربات المدفعية، ورجع، وذلك على النحو الذى سيوضحه قلم البيان عن كيفية تلك المعركة إن شاء الله تعالى.

٦٠ - تعمير قلعة دار السلطنة تبريز، وبناء واجهة القلعة على الطراز الإفرنچى :

ولأنها مركز العز والإقبال ومحل جلوس الشوكة والإجلال، فقد اختار الأمناء الأذكياء والمهندسين [ص ١٣٨] المهرة من أجل بناء ذلك المكان، وقد كلف العمال والبنائين بالبناء من أجل إتمام هذا العمل، وفى خلال عامين ارتفعت رءوس جميع هذه القلاع المشبهة بالفلك إلى قصر زحل [وذلك بفضل] معمارية الهمة الكسروية، وقد صار عمق خندقها العميق جداً باعثًا على حيرة عقول العقلاء، وبسبب أن الموكب المزين بالنجوم للخاقان صاحب عرش جمشيد كان أحيانًا يلقى بظل الافتخار على ساحة أذربيچان.

٦١ - بناء قصر في أوجان وبناء حديقة كأثر إرم وقصر خالد البنيان خارج قلعة دار السلطنة تبريز :

لقد شيدوا وأقاموا، وفى أقل مدة صارت حديقة تبريز المثمرة بأنواع الثمار وقصرها الكامل موضع حسد وغيرة قصور الولدان والحور العين(١) ، وفى هذه السنوات وحيث تصير الساحة المنيرة لهذه البلاد براية الشمس صاحب اللواء العادل والأمراء المظفرين. وبسبب يمن وبركة مقدم الهمايون يظلل الفلك على القصور المشبهة به.

٦٢ - إزالة بناء حديقة الفردوس وبناء عمارة عظيمة مكانها :

وأيضًا بحكم القضاء المقتدر، أُزيل بناء حديقة الفردوس، الذى كان فى ساحل القرية الوسطى وهى معبر موكب فاتح العالم السلطانى، وأقاموا مكانها عمارة فى عظمة وزينة، وقد جلبوا إليها أنواع الأشجار من كل ناحية وغرسوها فى تلك الحديقة، وتقرر بأن يعمروا الجسور وبيوت القوافل الواقعة على الطرق والآثار الخربة بالاهتمام والسعى الكافى وذلك حتى لايرى العابرون فى أثناء مرورهم ضررًا من برودة هواء أذربيجان وشدة الجليد والعواصف الثلجية.

٦٣ - ومن جملة مآثر الدولة المتزايدة يومًا بعد يوم تحديد الأراضى الديوانية والأملاك الموقوفة :

ولما كان دفتر حساب الأملاك المملوكة للدولة وغير المملوكة قد تفسخ عن بعضه بسبب اختلاف الأزمنة والعهود ، وتغيير الدول وغلبة المحتلين وعدم اعتناء الحكام فى

(١) قصور الولدان والحور العين : هى أسماء قصور فى الجنة والتى ورد ذكرها فى القرآن الكريم . (المترجم)

التمييز والتحديد، فقد سرى الحكم بتعيين الكتبة النابهين والمحررين المدققين ليستخدموا استفساراً كافياً واستبصاراً وافياً، ويوصلوا نفقات الوقف إلى مصارف الموقوف عليهم.

وقد سرى أيضاً الحكم لبقاع الخير المرتفع فى مملكة أذربيچان وذلك بأن تُعمر من جديد حيث كانت قد سويت بالأرض بمرور الأزمنة والدهور وبسبب وقوع الزلازل الكبيرة، وبأن يعمر أصحاب الأملاك القنوات المنظمة وبأن ينهوا المياه إلى أمر حسن وسعيد [ص ١٣٩]، وكل من ليس له معونة إنفاقه أُعين من رئاسة ديوان صاحب الشوكة والعظمة، ونفذ الحكم مثل الماء إلى أن يوقف عمال الديوان لفترة المطالبة بحقوق الأملاك ذات النظم الجديدة.

٦٤ - صدور الأمر بتحديد يوم للمظالم :

حيث إنه يظهر في الشهر يوم واحد أمام الإيوان لكل من القوى والضعيف يكون متظلم، ولايوجدْ حُجَّاب ولاحراس من أجل طالبى العدل وأصحاب الحاجات، وقد أصدر الأمر بتعييّن أمناء الشريعة فى كل بلد وهم الحافظون لحدود الشرع ولا يسمحون بأن يُخرج أى أحد قدمه عن جادة الشريعة النبوية.

٦٥ - إنشاء منازل لاستراحة الرسل [البريد]:

لم يكن كل شخص من المتجولين من البلاط السلطانى وسائر الدول - والذين يعبرون من الولايات - نفقة والتزام جبرى منفصلاً على العجزة والضعفاء ورعايا الولاية، وكانت الدواب وأحصنة الرسل ونفقات الطريق والمصروفات تُسلم من أحد الأفراد المتجولين إلى المشاهير من العابرين والقاصرين من سفراء الروم (العثمانيين) والفرنجة. والذين يأتى واحد منهم ويغادر آخر فى كل يوم، ولم يكن الطريق خاليًا مطلقًا من الناس، وكانت كل هذه النفقات والمصروفات طوال الطريق من رئاسة ديوان

صاحب الشوكة [ولى العهد] .ولم يكن لأحد تلك الجرأة على أن يطلب جعبة قش فى طريق من الرعية أو أن ينتقص من روح ضعيف فى مصيدة العذاب والتعدى.

٦٦ - إنشاء دار الضيافة :

حيث إنه قد تحدد وتعين من أجل نفقات الضيوف من القادمين والواردين، ونفقاتهم محسوبة من الديوان. وحيث إن أمر مدبرى الدولة على الوجه المرغوب.

٦٧ - ضبط الأمور الشرعية وتعظيم أهل العلم والفقهاء والعلماء على الوضع اللائق :

وحيث يعظم ويكرم ولى العهد والقائم مقام والوزير الفريد بأقصى درجة الأئمة المجتهدين والعلماء وأرباب العمائم، وحيث يحضر نائب السلطنة العلية بنفسه النفيسة فى أكثر أيام الجمعة لصلاة الجمعة فى المسجد الجامع، والأمر الذى ليس على قانون الشريعة فهو ساقط من درجة الاعتبار، ويتقابل القائم مقام صدر الدولة كل ليالى الخميس والجمعة مع الفقهاء والمعممين، وبأنه لو تكن قضية تخرج [ص ١٤٠] عن عدم الحياء، فتُحل بسهولة فى اجتماع العلماء بالمساء، وقد دون وحرر القائم مقام رسالة فى أدب الجهاد ورسالة فى إثبات النبوة والولاية الخاصة والعامة وإثبات المعجزة النبوية الخالدة، وقد أضاف فى كمال الحسن والفطنة والذكاء الدلائل والبراهين على الدلائل القديمة للعلماء المتقدمين من الحكماء والمتكلمين الفلاسفة.

وقد عُين من قبل العلماء والمجتهدين العالمين والمتعلمين فى كل قرية حتى يُعَلموا العوام تعاليم الجهاد وقواعد الصلوات والصيام ويعلموهم معنى العدالة والمروءة، وبهذا الأسلوب الحسن يدخرون السيرة الحسنة من أجل الدولة.

٦٨ - بيان بقية الأحوال فى مملكة أذربيچان

باستثناء الجند والمدفعيين النظاميين والمسلمين الروس الجدد الذين يقال لهم فرقة الأبطال والعمال وخدم بلاط الفلك المؤسس من أهل الحرمة فى بلاط أذربيچان والكسبه والتجار والرعايا أخذوا جميعهم الأسلحة والآلات من العتاد والبنادق وصاروا ضمن المجاهدين، وهم مشغولون بالكسب والعمل فى أوقات التكسب والبيع، وفى يوم استعراض الجيش يدققون ويستقصون فى العمل كل لحظة، فيمر على النظر الذى كالشمس للنواب نائب السلطنة ما يقرب من مائة ألف شخص مسلح ومجهز من الشباب والشيوخ، وقد عين الأئمة والوعاظ كي يعلموا ويشرحوا قضايا الجهاد فى البلاد والقبائل ويطلعوا الجند والمشاة والفرسان والمجاهدين في كل الديار على الحدود ومراسم الشرع، ويصلوا الصلوات الخمس جماعة ويراعوا حفظ وحماية حدود الشريعة.

٦٩ - علاقات نائب السلطنة مع ملوك العالم :

وأيضاً بعد تمكن ولى العهد واستقراره فى مملكة أذربيچان وبسبب حسن سلوك حضرته، فتح ملك كل دولة مقتدرة وشهريار كل ديار طريق التردد على بلاط كوكب زحل الملكي، وهم يترددون على خدمة الحضرة العلية الملكية سعداء ومسرورين بمحبة وصداقة ووفاء صادق لعهد نائب السلطنة، ولاينقطع سفراؤهم ورسائل صداقتهم عن بعضها.

ومع أنه الملك نو الجاه العالى لملكة روسيا، فقد جعل حضرته واسطة إنهاء أمر الصلح والسلام فيما بين دولتى العهد المقتدرتين [ص ١٤١]، ومع أنه كان لفترة ممسكًا ومصرا على الصراع، ولم يكن حضرة نائب السلطنة راض بالصلح والسلام، فقد عمل مرة أخرى على استرضاء خاطر عظماء دولة الروس البهية ومدبرى أمر دولة إيران العلية، ومال إلى عمل الصلح والسلام من أجل استراحة أهالى الدولتين المقتدرتين.

ومع أنه ملك إنجلترا، فله ما يفوق العلاقات الخاصة والتوحد مع حضرة ولى العهد نائب السلطنة، حيث لم يكن ينقطع السفراء ورسل تلك الدولة عن بعضهم يومًا بعد يوم، فهو يجعل من نائب السلطنة وسيلة محبته ومراودته عن طريق مشاورته فى كليات وجزئيات أموره بإرساله له خطابات الصداقة والمحبة، حتى إنه فى هذه الأوقات، قدم إلى ساحة الوجود لذلك الملك ذى الجاه ولدين حسنين المولد من كتمان العدم، وكانت قد حدثت سعادة كاملة وفرح لذلك الملك، فأرسل مراسلات المحبة والصداقة فى هذا الباب وذلك بأنه: وبما أننا سعداء من هذا الحال فيجب أن يكون نائب السلطنة أيضًا سعيدًا من سماع هذه البشرى[١].

ومع أنهما ملكا النمسا وفرنسا، فقد كانا دائمًا يبحثان وسائل الصداقة ويسعيان إلى طريق الاتحاد معه.

٧٠ - وكان من جملة مآثر الدولة المشهورة :

حسن اهتمام النواب نائب السلطنة بازدهار المخترعات والبدائع والصناعات وظهور دقائق أهل الصنعة والفن فى إقليم الجنة العامرة إيران وعلى الأخص فى مملكة أذربيجان، ومن بينها ذيوع لغات أقاليم العالم المختلفة وانتشارها فى عتبة السماء المؤسسة. فقد اطلع مقربو الحضرة ومقربو البلاط على جميع اللغات والألسنة من كل مملكة لها لغة وقلم على الأفواه ويكتبون الرسائل ويبعثون الرسل ويرسلونها، وهم فصحاء وبلغاء فى كتابة وإجابات الرسائل ومقتدرين فى عملهم وبصيرين باللغة الفرنسية والإنجليزية والهندية واللغة البولندية والروسية واللاتينية واللغة النمساوية.

(١) هناك رسائل عديدة متبادلة بين عباس ميرزا ولى عهد إيران وملوك أوربا ولاة عهدهم . (انظر مجلدى كتاب (إسناد رسمى در روابط سياسى إيران با انكليس وروس وعثمانى) باهتمام . غلام حسين ، ميرزا

٧١ - إحضار الجنود ومعلمى المدافع والبنادق والصناع المهرة والأطباء والجراحين من جميع الممالك الأفرنچية (الدول الأوربية) :

كان يوجد في رئاسة وولاية حكومة ولى العهد الموظفون وربائب الإحسان والرعاية [ص ١٤٢] مفتخرين مع أقرانهم وأمثالهم، ولم يقتنع حضرته بالحاضرين في خدمته وبالملتزمين بركابه، فأرسل جمعًا من أولاد أمراء هذه الديار من المهندسين والأطباء والمدفعيين والفنيين والصناع ومدربى جيش ملجأ النصرة إلى "لندن" وهى عاصمة مَلك إنجلترا. وقد بقوا هناك لعدة سنوات، فكانوا يبذلون الجهد البالغ والإهتمام الكامل فى تحصيل واكتساب العلوم والأخذ بعادات وسلوك تلك الديار، وكانت تذهب إليهم فى كل سنة مرتباتهم ومقرراتهم من أذربيچان إلى لندن. والشيء الطريف فى هذا هو أنه: لو كان يرى أحد الإيرانيين فيما سبق واحداً من أهل الفرنچة فى هذه الديار، لكان يتعجب من وضعهم وهيئتهم ولبساهم، ولم يكن يعرف أهل إيران أن الفرنچه (أوربا) عدة ممالك، وممالكهم فى أية ناحية وأين عاصمة كل واحدة.

وفى هذا العهد الهمايونى والدولة المتزايدة يومًا بعد يوم ومنذ عام وستة شهور والطريق يتردد عليه جماعة الإنجليز والفرنسيون والروس إلى بلاط صاحب العالم عن طريق بلاد الهند وإسلامبول وغيرهما بالأشياء النفيسة والبضائع الغريبة، ويمررون تحفهم وهداياهم على النظر الشريف، فيصبحوا موضع العناية ومطرح الرعاية والإحسان اللائقين، وقد استفاد حكماء ومدبرو أمر البلاط من سلوك وأفعال وأعمال جميع طوائفهم. وفى هذا العام أظهر المهندسون والأطباء والحكماء والمتعلمون كفاءة كاملة من التعليم والتعلم على التصويب بالمدافع وصناعة البنادق وزنادها وكما أجادوا فنونًا أخرى مثل الحدادة والبرادة والصقل والتلميع، وعادوا من لندن وتوجهوا إلى البلاط، وقد لاقى حصولهم على العلوم والفنون استحسان وإعجاب النظر المبارك، فصار كل واحد منهم محسوداً من أقرانه بإزادة الإنعام والرواتب والإحسان لهم، وقد أثنى الأطباء والصناع والفنانون الإنجليز أيضًا على جدارتهم، وقد أصدر حضرة

نائب السلطنة الأمر بعد حضورهم إلى هذه الأقاليم بأن يسرع إليهم عدة أفراد من أطفال عظماء البلاط كتلاميذ ليتعلموا على أيديهم ويقوموا بتعلم اللغات واكتساب الصناعات والفنون.

[ص ١٤٣] ٧٢ - وكانت أعظم صناعات الفرنجة عمل الطباعة :

وهي التي تستخرج الكتب المتعددة بخطي النسخ والنستعليق. فقد أحضر أحد أذكياء دار السلطنة تبريز أدواته وأقلامه[١]، وفعل كما هو متبع ومتصرف في هذا العمل بحيث إنه عندما تخرج الصفحة من عمله يجلب حسن خطها حسد ومنافسة أقلام أحسن الخطاطين، وبالإضافة إلى حسن الخط كان يُرى من الطباعة حلاوة الأسلوب، وقد صار هذا باعثًا على حيرة الأساتذة الفرنجه (الأوربيين).

٧٣ - تأسيس قاعدة صناعة قماش الماهوت في بلدة خو بأمر نائب السلطنة :

لقد كانوا يتقدمون في نسج وصناعة قماش الماهوت[٢]، وقد سعى الأساتذة الماهرون إلى حد ما على صنع قماش الماهوت الإفرنجي ولم يخرج إنتاج من المصنع. وفي هذه الأوقات أحضروا آلاته وأدواته من بلاد روسيا، وهم مشغولون تمامًا الآن بصناعة هذا الصنف الذي هو لباس ورداء أكثر أهالي إيران، ولباس الأعيان

(١) يقصد ملا محمد باقر التبريزي وقد ذكره المؤرخ عبد الرزاق الدنبلي في خاتمة هذا الكتاب ، ويقول أيضا يحيى آرين بور بأن كتاب « مآثر سلطانية » طبع بسعي الأستاذ الشيخ محمد باقر التبريزي ، (انظر أو صباتا نيما : يحيى آرين بور ، جـ ١ ، ص ٢٢١ .

(٢) الماهوت : نوع من القماش الغليظ تصنع منه الستائر والخيام والألبسة . (انظر : المعجم الفارسي الكبير : إبراهيم الدسوقي شتا ، جـ ٣ ، ص ٢٦٧٨) .

والأشـراف والجـند والغلمـان أكـثـره من هذا القـمـاش. وقـد وصـل المنتج إلى شكله وصورته، والرأى الذى يراه نائب السلطنة هو أن لا يكون لأهالى إيران احتياج إلى أقاليم أخرى فى أى عمل وأى صنعة وأن كل ما هو ضرورى لشعب إيران يُعمل ويصنع فى هذه الديار، وبألا تقع ضرورة لمتاع وبضاعة الديار الأخرى، وبأن أصحاب الذوق الإيرانى والأساتذة الأذكياء لا ينظرون إلى عمل إقليم آخر بسبب ذكائهم الحاد.

٧٤ - خـلاصـة الحـروب مع الروس حـتى سنة ألـف ومـائتين واثنتـين وثلاثين هـ ق :

وإلى أن وُقـعَ اتفـاق الـسـلام والمصـالحـة فـيـمـا بين دولتى روسـيـا وإيران اصطف النواب نائب السلطنة سبع مرات للقتال مع الروس [١] ، وفى جميع المعارك كان النصر لحضرته باستثناء واقعة "أصلان دوز" التى لم يتيسر له فيها النصر، وكان النصر لنائب السلطنة فى جميعها والتى سوف نذكرها بعد ذلك إن شاء الله تعالى بالتفصيل.

٧٥ - المعركة الأولى: وكانت فى سنة ألف ومائتين وتسع عشرة هجرية:

وهذه المعركة[٢] كانت مع إيشبخدر قائد روسيا الذى جاء إلى إيروان وعلى النحـو الذى أوضـحـتـه السطور المدونة من قـبل هذا، وفى أثناء المعـركـة وصـل ملك الملوك صـاحب عرش جـمشـيـد فى وقت راحـتـهم، وفى هذه المرة حـارب سـبع نوبات [ص ١٤٤] بالنفس النفيسة فهزم تلك الفرقة واستأصلها جميعاً.

(١) يقصد المؤرخ هنا المعارك التى وقعت فى الجولة الأولى من حروب إيران وروسيا والتى بدأت من عام ١٢١٩ هـ . ق وانتهت فى عام ١٢٢٨ هـ . ق) .

(٢) يطلق عباس إقبال على هذه المعركة اسم معركة أنشميازين ه . (انظر تاريخ إيران بعد الإسلام : عباس إقبال ، ترجمة : د. محمد علاء منصور ، ص ٧٦٥)

٧٦ - المعركة الثانية: فى سنة ألف ومائتين وعشرين هجرية:

حيث أصدر كسرى ذو الإقبال العالى الأمر لنائب السلطنة بالتوقف والبقاء فى مملكة أذربيجان وبانضباط أمور وشئون ذلك الإقليم، وقد وقعت هذه المعركة والحرب فى منزل "عسكران" على بعد ثلاثة فراسخ من قلعة شوشى، وتحاربوا ستة أيام بلياليها ، وهى فى الوقت الذى كان فيه إبراهيم خليل خان والى قراباغ قد حضر إلى تلك الطائفة لإمدادها وكان قائدهم الذئب بولكونيك ومعه كتلراوسكى، ويرد ذكرها بعد هذا.

٧٧ - والمعركة الثالثة : وكانت فى هذا العام نفسه أيضًا عندما وقعت رحلة « كنجه » :

وحيث كانت رحلة كنجه بغرض ترحيل رعاياها حين وقعت المعارك مع جماعة شمس الدينلو وغيرها فى الغابات ، وبعد ترحيل أهالى كنجه تحاربوا أربعة أيام بلياليها مع الروس فى منزل "زكم".

٧٨ - والمعركة الرابعة : معركة منزل خانشين :

وكانت فى سنة ألف ومائتين وإحدى وعشرين[١] هجرية، وقد حدث فى هذا العام نفسه قتل إبراهيم خليل خان على يد الروس.

(١) يذكر عباس إقبال أن هذه المعركة كانت فى سنة ١٢٢٢ هـ . ق (انظر تاريخ إيران بعد الإسلام . الترجمة العربية . محمد علاء الدين منصور ، ص ٧٦٧

٧٩ - والمعركة الخامسة : فى سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين هجرية :

حيث مجيء كدويتش قائد روسيا إلى إيروان ومعاركه مع جيش الإسلام وأبطال إيران وتحرك راية نائب السلطنة لمعاونة حسين خان القاجارى قائد إيروان وهزيمة كدويتش ومعارك حضرته (ولي العهد) بالقرب من نخجوان وقراباغ وغيرهما، ومحاربة حسين خان القائد لتعويض هزيمته في الخنادق القريبة من "حاجي قرا" وحصوله على النصر، ومحاربة جند ومجاهدى الإسلام فى "شيخ أويز" وانتصارهم في سنة ألف ومأتين وخمس وعشرين هجرية.

٨٠ - والمعركة السادسة : وهى فى شهور سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين :

وتفصيل مشكلة "سلطان بود" هو أن الفتح كان قد وقع لنائب السلطنة فى أثناء قيادة "مرقص" قائد روسيا لجيشها، وقد حدث فى هذا العام نفسه فتح طالش وهروب مصطفى خان وهزيمة جيش الإسلام أيضًا فى "أصلان دوز"، وتفصيل هذه الأحوال والمعارك والمذكورة باختصار سوف يوضحها قلم البيان بالتفصيل إن شاء الله تعالى [ص ١٤٥] في شهور سنة ألف ومأتين وثمان وعشرين أيضًا حضرت فتاوى مجتهدى العصر ووصلت رسالة كل واحد منهم.

٨١ - بيـان فتاوى مجتهدى العصر فى هذه السنوات بشأن معارك الروس، ووصول رسـالة كل واحـد منهم المنفـذة لأحكام الجهـاد لهـذه المعركة، وبيان بإنابة الحضرة العلية السلطانية والنواب نائب السلطنة فى سُلطة نائب إمـام العصـر للاستعداد لهـذه الحـرب، ووضع رسـالة الجهاد للقائم مقام، وإضافة ألقاب لفظ الغازى والمجاهد فى سبيل الله على ألقاب الحضرة العلية ونائب السلطنة :

فـى هـذه السـنوات، وحيـث كانت المعارك قـائمة لجـيش الإسـلام[1] مع الروس، ولم يكن دافع الحـرب والنزاع مـع تلك الطـائفـة مـوقـوفًـا بوقت ومـحـدداً بزمن لأبطال المسلمين، بل كانوا مصطفين على سبيل الدوام فى صفوف المعركة، وكان علم النصرة [معقودًا] على الحـزام، وكانت الراحة حرام على نائب السلطنة وميرزا الكبير القائم مقـام صـدر الدولـة والأمـراء وكبـار الحضـرة والجنود، وكانت كفـاية هذه المشقة التى لا نهاية لها - على ذمة همة نائب السلطنة والقائم مقام وحاضرى الركاب صـاحب الظفر والجيش صـاحب النصر، وكان مستريحو الممالك الأخرى يسترخون فى مهد الراحـة ويسـمعون الأخبـار عن غوغـاء يوم القـيـامة، ولم يكونوا يروا أثرًا من نارها ودخانها. ولقد كانوا مستمرين فى الركوض والنهوض وفى برودة شتاء أذربيجان وفى حرارة قراباغ وموغان. والبضاعة التى لم تكن لها قيمة فى ذلك الجيش كان نقدها وثمنها الأرواح. والمتاع الذى لم يقدر بقيمة حبة شعير كان جوهر الأرواح والتى لم تكن تُراعى بشىء. وكانت رءوس المسلمين والروس قد وقعت فى ميدان الحرب، وكانت دائرة معسكر روسيا بحرًا من النيران الملتهبة وجهنمًا شديدة الصخب، وكانت أفواج أمواج

(١) يقصد المؤرخ جيش إيران على أساس أنهم مسلمون. (المترجم)

الجند والفرسان فى غمرات شعل النيران مثل سمندل سياوش[1]. وفى أثناء هذا القتال والصراع كان مقربو الحضرة يتعرضون لمسائل عديدة، فى أشهر الصيام وغيرها، عن الصلاة والصيام وحكم الأسير والإغارة وفروعها، وحيث كان يصعب تمييز وتوصيف هذه الحروب بالغزو والجهاد. فتعلقت هموم هذا الفكر فى ذيول القلوب وهو: هل تحمل هذه المشقة والمصابرة على هذا التعب اللانهائى - الذى كان [ص ١٤٦] نموذجًا لمحفل المحشر وعلامةً من يوم غضب الله - وهل صرف الأموال التى لاحدود لها وفقدان الأرواح والمقامرة بالرءوس والنفوس فى البلاط الإلهى مثمر للسعادة وباعث على إيثار الرحمة والمغفرة أم أنه مجرد حفظ وصيانة الملك أم هو مجرد الدفاع أم هو رعاية سد الفجوة الخارجية، أم هو خاص بأهل أذربيجان أم هو الغزو والجهاد حيث يشارك جميع المسلمين فى هذا التعب. وهل كل هذه الخزائن والسلاح - الذى يُصرف فى إصلاح هذا الأمر وتجهيز الجيش الجرار - وتدفعها الخزائن وتصنعها الأعمال ، هل كل هذا موافق لقانون شرع الرسول الأكرم، أم هو المتعارف عليه طبقًا للعرف ودستور ملك الأكاسرة العظام وأسلوب كسرى وجمشيد.

وبناءً على تمهيد وإعداد هذه المقدمات، توجه نائب السلطنة والقائم مقام بعد العرض على بلاط الخاقان صاحب عرش جمشيد أولاً إلى حضرة صاحب المقام الرفيع الحاج الشيخ باقر السلماسى وثانياً إلى صدر الأمة والدين مولانا صدر الدين محمد التبريزى من أجل الاستفتاء وحل القضايا وتحقيق ودراسة المراد من الشيخ جعفر النجفى وميرزا أبى القاسم الجابلقى والسيد سيد على المجتهد، نور الله مضاجعهم وشكر الله مساعيهم بعتبات العرش العالية الدرجات. ودونا أيضًا الخطابات والرسائل فى هذا الشأن للبحث فى الآيات والنصوص، إلى علماء إصفهان ويزد وكاشان مثل المرحوم الحاج محمد حسين إمام جمعة إصفهان والشيخ على أكبر الإيجى والفقيه الشيخ أحمد الكاشى، وفى أقل مدة وصلت من الأطراف والأنحاء

(١) سمندل حيوان خرافي يقال إنه لا يعيش إلا فى النار ، وسياوش : وهو ابن كيكاوس ووالد كيخسرو . (انظر المعجم الفارسى الكبير ، جـ ٢ ، ص ١٦٠٨ ، ١٦٤٧) .

الرسائل العديدة، ونظم شعراء عتبة أمير المؤمنين عليه السلام القصائد العربية في مدح الحضرة العلية الخاقانية والنواب نائب السلطنة ، وأرسلوها وشرحوا الرسائل في إثبات الجهاد والغزو والفتوى في الملة البيضاء وبأن ملك الملوك اليوم ونائب السلطنة هو الغازي بالحق في سبيل الله ، ومُحيي ملة سيد المرسلين. وفي رسالة الشيخ جعفر والسيد سيد علي - اللذن كانا رأسي ورئيسي المجتهدين دونا بصراحة تنصيب نيابة الإمام ووكالة الفقهاء ذوي العزة والاحترام في هذا المقام وصرحوا بالدلائل الواضحة والبراهين الساطعة [ص ١٤٥ م] بأن معارك اليوم مع جماعة الروس هي الجهاد. وكل ما أُخِذ من الرعايا بقانون الشرع الشريف من حساب الخراج يصرف لهذا الطريق لهو الحلال، وأن القائمين بأمور الجهاد ملمون بالعسكرية الجديدة من الكاتب حتى الرئيس بشرط الديانة والأمانة، وهم مثوبون ومأجورون أحياء في يوم الحساب. والواجب على الصغير والكبير والوضيع والشريف في الممالك المحروسة أن يستعدوا لواجب الحرب بفرض الجهاد من أجل تقوية الدين وإعلاء كلمة الحق وحفظ بيضة الإسلام.

والخلاصة، أنه بعد ورود المسائل والقضايا، قام القائم مقام صدر الدولة بمطالعتها وقراءتها فقضى عمراً وبعد الدراسة والتدقيق طابق الفتاوى واجتهادات العلماء الفضلاء، وعقد الهمة على جمع وتدوين القضايا والرسائل، وأقام المجالس الروحية لاستقبال حضور الفضلاء، وشرع في جمع أقوال المجتهدين في رسالة مستقلة لقضايا الجهاد والتي كانت مهملة ومتروكة لسنوات ولم يُقبل عليها ويهتم بتدريسها وبحثها أيٌّ من العلماء والفضلاء في العصور من منطلق أن السلاطين السابقين لم يكونوا في حاجة إليها. وبمجرد أن قام القائم مقام بدراستها وتتبعها لعدة أيام، وبسبب حدة ذهنه السليم واستقامة سليقته أظهر مهارة فائقة في تلك القضايا - والتي لم تكن مقدورة لشخص ولم يكن من المتصور مزيداً عليها، وأتم الرسالة المستقلة. فما كان يحتاج إليه الأمراء وقادة الجيوش والمجاهدون، يجدونه في أقل عناء، وكان يستقر مطلبهم في الأذهان بسرعة. ومن أجل هذا قاموا بترتيب وإعداد الرسالة الأخرى وضبطوا ودونوا تلك الرسالة في أقل من يوم ، وقد جاءت تلك الرسالة في غاية الاختصار ومقبولة للطباع المختلفة والآراء المتفاوتة. ولهذا نُسخت من

هذه الرسالة النسخ الأخرى وعُرضت فى مجلس حضور الحضرة العلية السلطانية فصارت موضع الإعجاب والثناء.

وأيضًا كان قد أتى إلى إصفهان يوسف المدعو ببادرى - الذى كان من أهالى أرض الفرنچة "أوربا" - وتتلمذ على يد علمائها، فوصل إلى مهارة كاملة من الفضلاء الكرام فى الخط والعلم والدين الإسلامى، وبسبب منتهى خُبث طينته وفساد طويته ذكر ودون الأحاديث فى رفض نبوة خاتم الرسالة [ص ١٤٦ م] وإنكار إعجاز القرآن ببراهينه وأدلته السخيفة، فدون بعض من فضلاء العراق وفارس ردًا مختصرًا غير مُقنع. وفى تلك الأثناء أدرك الموت "بادرى"، فوصلت أوراقه إلى نظر القائم مقام.

وبسبب غلبة الغيرة الهاشمية والعصبية للدين المصطفى والفصاحة المرتضوية، ضرب ذيل الهمة على وسطه (تشمر) واستدعى شخصين أو ثلاثة من القساوسة والرهبان، وقام بتتبع وتفحص التوراة والإنجيل وباعتبار أن أسس الدين المسيحى واليهودى حسنة مثلما كانت ، انتقد ضعف مذاهبهم، كما أورد أيضًا الدلائل الأخرى بذكائه الحاد، ورد على أقوال بادرى وإدعاءاته.

والحق أنه يُتم عمله، وهو الآن مشغول بتحرير ذلك الكتاب ولأن الدلائل والبراهين السامية - التى لم تصل إلى ذهن كثير من العلماء والفضلاء - تصل إلى ذهنه فهو يأتى بثمانية أدلة لكل موضوع ويفتح أمام السامعين أبواب الجنة الثمانية وستصبح تلك أيضًا الرسالة المقبولة والمرغوبة والرسالة ذات الأسلوب السلس، وسوف تنتهى بالتوفيق إن شاء الله تعالى.

والخلاصة، أنه فى هذه السنة المباركة الطالع ذهب علماء أذربيچان وفضلاؤها إلى المساجد والمنابر وأسسوا بناء الوعظ. ومن فوق المنابر وبصوت عالٍ نددوا بسلوك تلك الطائفة مع المسلمين، وثقبوا جواهر الوعظ بمثقب طلاقة اللسان وفصاحة البيان فأثروا فى المستمعين وأنزجرت قلوب الغافلين، وأمسكت الغيرة الإسلامية بذيل جمع كبير بالإضافة إلى جماعة الجند والغلمان العاملين فى الخدمة [الأجراء] وصاروا راغبين ومتطوعين للجهاد. وأصبحوا منتظرين للحرب والجهاد بالأسلحة والمعدات الحربية بسبب الشحذ السابق لكى يقوموا بالجهاد فى الوقت الذى يصدر فيه الأمر

والإشارة وحتى يظهروا ويبهروا جوهر ذاتهم. والآن فى جميع بلاد أذربيچان التقى فى كل مكان ما يقرب من مائة ألف مجاهد بالسلاح والعتاد والمؤن.

٨٢ - بيان مخالفة إبراهيم خليل خان ومحاربة مقرب الحضرة إسماعيل بك بأمر النواب ولى العهد مع الجيش القراباغى وتحرك راية ولى العهد من خلفه إلى قراباغ :

ولما كان قد تشرف بالنفاذ حكم القدر الآمر الصادر من منبع العز والجلال ، [ص ١٤٧] بأن يعبر الأمير الفريد نهر أرس، وأن يقطع غبار الصحراء الثائر بالجمل القوى السريع، وبأن يجعل تراب تلك الديار فى مهب الريح، وبأن يُذيق إبراهيم خليل خان جوان شير - الذى كان قد حطم عدة أحجار على رأس جاه الاستكبار بالعداوة وكان غُراب الغرور قد باض فى عش دماغه - سم العناء من كأس السطوة والقهر، وبأنه لو أشاح بوجهه عن مسئولى الدولة القوية الأساس بسبب عناده وعدم نخوته ولجاجه وكان ثانية وكما كان، يمتطى دابة الجهل ويطلب الاستعانة من الروس، فيكون مهيأً للحرب ومستعداً للطعن والضرب فى تلك الأقاليم، وبأن يصوب شُهب رصاص البنادق ويشعل صواعق السهام والسيوف على تلك الشرذمة القليلة المطوية فى أدراج الرياح.

فإن الأمير، بموجب صدور فرمان أمر الدنيا المطاع، قد فتح ألوية النصر من دار السلطنة طهران إلى ناحية أذربيچان، وعزم إلى قراباغ عن طريق "آهر"، وقبل أن يعبر نهر أرس، أظهر إبراهيم خليل خان رأس العداوة والخلاف بسبب استماعه خبر نهضة موكب أثر الظفر، ونظراً لشدة خوفه ورهبته تسلل إلى قلعة "شوشى" واستحكمت فى نفسه نفس الزجرة وحيرة الضيق فأرسل جعفر قُلى بك بن محمد حسن خان - الذى كان حفيده - مع ابن فضل على بك جوانشير إلى "كنجه" عند الروس من أجل العون والمحافظة على جسر "خدا آفرين"، وقد أرسل إيشبخدر أيضاً فوجاً كبيراً من الجنود من أجل حراسة جسر "خدا آفرين" والمحاربة مع الجيش

المقترن بالنصر، وقد صار هو نفسه أيضًا بسبب غاية تهوره على الفور عازمًا الجدال ومستعداً للقتال والنزاع. وبعد حضور تلك الزمرة العنيدة، جعل إبراهيم خليل خان جمع من فرسان ومشاة قراباغ في صحبة ابنه محمد حسن خان، وبالاتفاق سار جيش الروس لحراسة الجسر والمقاتلة مع جيش الإسلام، فأمر نائب السلطنة بأن يكون في المقدمة مقرب الحضرة إسماعيل بك مع جمع من قصبة "آهر"، وبعد رحيلهم وصل إلى نائب السلطنة وقت العصر خبر اتجاه الروس إلى ناحية جسر "خدا آفرين"، وعلى الظن بتلاقي الروس مع إسماعيل بك، فلم يتوقف فكره وطبع حضرته الغيور، وتحرك في الساعة نفسها، وبعد ظهر [ص ١٤٨] غد ذلك اليوم حضر إلى ساحل نهر أرس، ورجع أربعة فراسخ من جسر خدا آفرين، فتقابلوا مضطرين، وهناك دارت نغمة الحرب وصوبوا من الجهات الأربع رصاص بنادقهم وسهامهم على تلك الجماعة فضيقوا عليهم الدنيا الرحبة الواسعة، وحميت أكباد جيش الإسلام والتهبت أرواحهم، فالتصق في شجعان روسيا وقراباغ عار الفرار من الخصم وطبع اللجاج والعناد، وضاق الميدان المزدحم على مبارزي الطرفين حيث لم يعد في الأمر مراعاة العيب والعار، فجزعت أعين إسماعيل بك لمشاهدة هذه الأوضاع لشدة غيرته وحفظه للشرف والسمعة، فسالت الدموع على وجهه مثل اللؤلؤ، فكانت نار الغضب والحمية تقفز من موقد صدره، وكان يُظهر في كل لحظة الحملات الرجولية والمحاولات الشجاعة حتى أنه كادت تُصاب أعين أبطال الإسلام، وحيث كان في ذلك الوقت موكب الظفر كوكب نائب السلطنة ظاهراً من بعيد. فصار غبار كحل آثار جيش الإسلام والتراب الصاعد للفلك توتياء عين الأبطال الشرفاء. وقويت قلوب إسماعيل بك وسائر المجاهدين، وتجددت أجسادهم الخالية من الروح بروح جديدة. ولما رأى الروس والقراباغيون راية حظهم مقلوبة وقائد أجلهم جميعًا مُرشد إلى وادي الزوال والفناء، فأنقذ البقية الأحياء أعناقهم من مخلب الأجل واختاروا الفرار من معركة القتال على البقاء ووصلوا بأنفسهم بين الساقط والناهض من المعابر الصعبة والغابات الكثيفة الأشجار إلى قلعة "شوشي" وبعث نائب السلطنة برءوس الروس والقراباغيين إلى بلاط سماء الجاه، وعلى الدوام صار عازمًا على قلع أس فساد تلك الجماعة.

٨٣ - محاربة نائب السلطنة ولى العهد مع بولكونيك قائد جيش روسيا، وتحصن تلك الجماعة، والاستيلاء على خنادقهم :

أصدر النائب ولى العهد الأمر بتعقب تلك الجماعة بالجيش الذى هو فى قوة الجبل والبرق المهاجم فى سرعة وخفه وبتعقب تلك الزمرة حتى موقع "آق أغلان"، وفى وسط الطريق، وجد رؤساء طوائف ورعايا قراباغ الإذن بالتشرف فى حضور صاحب الشوكة والعظمة، فشاهدوا من إنعام وإحسان الأمير الحظ الموفور [ص ١٤٩] وإكرامه اللامحصور، وانصرفوا.

وقد أمر بتعيين نجف قُلى خان كروس - الذى كان من جملة القواد المشهورين - لحراسة "آق أغلان" وهى التى كانت تبدأ من قراباغ، ومن هناك طارت راية العقاب عن طريق "تشناقتش" - وكان من أصعب المسالك ومليئًا بالصعاب الكثيرة ومن أوعر الجبال والهضاب، وفى منزل "تشناقتش" سمحوا لبعض دواب حملة البنادق بأكل علفها وحيث إنها كانت قد استجابت للضعف والذبول.

وطبقًا لعادة الجيش، فقد اندفع مشاة النيران المشتعلة فى المقدمة وتراجعت الفرسان المحرقة للعالم إلى المؤخرة، وبهذا الترتيب انتظم شكل الجيش وبهذا الاستعداد المحمود وهذا النظام اللائق - وحيث انطلقت أصوات المدح والثناء من إنحناء ظهر الفلك الهرم - توجهوا عازمين قلعة بناه أباد" (شوشى).

وفى يوم الحضور إلى خارج القلعة، يأس أهالى القلعة وهم من المسلمين والنصارى وأعوان وأنصار إبراهيم خليل خان ونفضوا أيديهم عنه، وبقوا بلا مأوى ودون نظام، وفى تلك الأثناء صار خبر قدوم معسكر العالم الجانب لأطرافه إلى منزل "تخت طاوس" - الذى يبعد عن قلعة "بناه أباد" ثمانية فراسخ - الخبر المُضىء لأذن أهالى معسكر نائب السلطنة، ومن ناحية أخرى، صار الخبر المُزيد للبهجة قدوم الذنب "البولكونيك" قائد جيش روسيا مفرحًا لخاطر وفكر الأمير والمجاهدين الصائدين للأسود، وكان الذنب البولكونيك قائد روسيا وكتلراوسكى وأخرون من القادة المهمين لجيش الروس وفوج غفير والمدفعية وترسانة الأسلحة ومائتا عربة ممتلئة بالأسلحة

والعتاد ومشحونة بالمؤن والألبسة الكثيرة والتجهيزات والاستعدادت التي لا تحصى يأتون من كنجه قادمين إلى "عسكران" طبقًا لدعوة إبراهيم خليل خان من أجل المقاتلة والالتقاء مع جيش الإسلام وحراسة قلعة "بناه أباد"، وقد عُرض هذا الخبر على نائب السلطنة في أثناء نزول الموكب المزين بالنجوم خارج قلعة "بناه أباد".

وقبل أن يسترح جيش ملجأ النصرة لبرهة من التعب أو أن يتوقف ساعة في الخيام من أجل استراحة الدواب وإراحة الأنعام، فقد ركب الجواد [ص ١٥٠] المسرع كالريح بدون تأمل وتأخير بغرض الحرب والبحث عن الشهرة والاعتبار، ورفع راية الغزو والجهاد، وقام بتصفيف الصفوف وتسوية الألوف، وأوقف قيادة الجيش المقترن بالظفر على مقرب الحضرة إسماعيل بك وأوقف قيادة فرسان أثر الشجاعة على بير قُلى خان القاجارى وعلى خان القوانلوى القاجارى وصادق خان عز الدينلو القاجارى، وعهد باللواء الكبير إلى رعاية واهتمام مهدى قُلى خان القاجارى، وأمر حملة بنادق فراهان وكزاز تحت قيادة الحاج اللهوردى خان القاجارى بالتوقف في مواجهة التل الذى كان موطئ جيش روسيا.

ولما كانت الشمس المنيرة مشرقة على الجيش، فقد بقى نائب السلطنة لثلاث ساعات حتي الغروب، وبالقرب من عسكران تقابل الفريقان والتقت الفئتان، وفي شوق كامل رفعوا راية الحرب والقتال على ميدان المعركة، وبسبب غاية الشوق لم يخشوا بالقطع كالسمندل وكالفراشة نيران ولهب مدافعهم الرعدية القاذفة باللهب. وكان كتلرأوسكي وبولكونيك قد أحكما قدم الثبات والبقاء في مضمار الشجاعة الحسنة، فسحب جيش نائب السلطنة مكان استقرارهم وإقامتهم من على الجبل إلى مكان في مواجهة صفوف الروس، وحتى وقت المساء كانت بوارق المدافع والبنادق تحرق بيادر وجود الشجاعة وكانت ضربات طلقات الدانات الثقيلة تُشعل النيران في الحجر الصوان. وبذل بيرقُلى خان القاجارى ومحمد على خان وصادق خان القاجارى المجهودات البطولية وفي أثناء القتال وحرارة المعركة أُصيب صادق خان القاجارى بإصابة بالغة من قذيفة البندقية المطرة للنيران.

والخلاصة، أن مشاهير جيش ملجأ الظفر هجموا مترجلين بأمر نائب السلطنة من اليمين واليسار كسيل الطوفان الشديد، ولم يتحمل "كتلراوسكى وشجعان الروس حرارة المقاومة أمام هجوم الجيش الطاحن للعدو وحملته، وسحبوا أنفسهم هاربين إلى مقبرة واسعة والتى كانت مشتملة على عدة أماكن محكمة البنيان، وفي ذلك المكان وضعوا العربات (المدافع) الشبيهة بالفلك والمدمرة للصخور على أطرافه، وحفروا الخنادق أسفل العربات وملئوا ظهرها بالأحجار والتراب، وجلسوا وسط المدافع الرعدية [ص ١٥١] كشعلة النار، وقذفوا طلقات المدفعية في كل لحظة على جيش الأمير، وبسبب مشاهدة هذا الحال أمر النواب نائب السلطنة حملة بنادق فراهان وكزاز بالاحتماء على الطريقة نفسها وأمر سائر الجيش بأن يعدوا الخنادق على أطرافهم ويفتحوا نيران المدافع والبنادق على وجه الروس.

ولما وصل خبر تحصن الروس فى ذلك المكان المحكم البنيان إلى مقيمى بلاط صاحب الفلك الخاقانى، كلف حسين قُلى خان القاجارى ومعه أربع عربات من المدفعية المُقلقة للعالم ولوازمها والفرقة الدامغانية ، بالسير إلى معسكر نائب السلطنة أثر الظفر بغرض إمداده، وفي أثناء القدوم، شرعوا فى القذف بالمدافع لتخريب بناء خنادق وتحصينات تلك الطائفة ولمدة ستة أيام كانت طاحونة الحرب دائرة، وحمى مجاهدو مرآة الجلادة بحكم نائب السلطنة الصدور وهجموا من خلف وأطراف أسوارهم، واستولوا على جميع خنادق طائفة الروس بقوة عون الله الذى لاشبيه له وبقوة الإقبال العالى للخديو العظيم، وساقوا عليهم الماء الذى بلون النار وله فعل المرآة أى السيف المطر للنيران، فأسروا جمعًا منهم، وصارت جميع أموالهم وبضائعهم ودوابهم من نصيب مجاهدى النصرة، وأصيب البولكونيك قائدهم بثلاث طعنات منكرة، وفر مع عدة أشخاص من الجنود في ظُلمة الليل، وأوصل نفسه ساقطًا وناهضًا إلى قلعة "ترناؤت" وأحاط مجاهدو أثرة الجلادة بقيادة بيرقُلى خان القاجارى بأطراف القلعة، وضيقوا الأمر عليهم، فخرج البولكونيك مضطراً من باب

العجز والإلحاح وأرسل العريضة إلى حضور صاحب الشوكة وطلب مهلة ثلاثة أيام بحيث إنه بعد انقضاء أيام المهلة يسرع بحب وعشق إلى ظل عطوفة الأمير القابل للعُذر، وبسبب كمال مرحمة طبعه قبل ملتمسه، ونظراً لطلبه [ص ١٥٢]، فقد تهاون الجنود وتراخوا في شأن الحصار، واغتنم هو الفرصة، وفي الليلة الثالثة وعلى حين غرة هرب، وعلم مجاهدو أثر النصرة بخبر فراره، فقاموا بتعقبه، فأهلكوا بعضاً من رفاقه بضربهم بالسيف البتار وأرسلوهم إلى دار البوار، أما هو فقد أوصل نفسه إلى جبل "جمرق" وهو الذى فاقت قمته في الارتفاع والعظمة عن السماء وكان حصناً ومأمناً لجمع من متمردى أرامنة قراباغ وجذب تابوت جسده من دوامة طوفان الهلاك إلى ساحل النجاة.

وبالمصاحب لذلك الحال، وصل الخبر بأن إيشبخدر تحرك من "كنجه" بجميع جيشه بغرض إمداد "بولكونيك"، وهو متوقف على ساحل نهر "ترتر". فكلف النواب نائب السلطنة على ذلك المكان إسماعيل بك ومعه جمع الأبطال الذين شعارهم النصرة من أجل معرفة كمية ووضع جيش الروس، وبالمصادفة التقى إسماعيل بك والأبطال المقترنين بالنصر فجأة في عرض الطريق مع جمع من فرسان ومشاة تلك الطائفة، فاشتبكت الحرب، فقتل إسماعيل بك والجيش المنصور جمعاً من تلك الطائفة وأسر وقبض على بعضهم، ورجعوا إلى معسكر الأمير، ولم يخطو إيشبخدر من مكانه أكثر من قدر قدمه. وكان مكنون خاطر الأمير ذلك أن يجره أكثر ويظهر يد الغلبة والنصر في معركة القتال.

وفي أثناء ظهور هذا الفتح الجلى كان عُقاب راية ملك الملوك فارداً أجنحته على منزل "تخت طاوس"، وعندما وصل هذا الخبر أثر السعادة والمسرة إلى معسكر الهمايون، جعل الحضرة العلية الخاقانية النواب نائب السلطنة وسائر قواد الجيش قرناء الإحسان والإنعام، ورفع قمة رأس افتخارهم إلى الفلك الأعلى بسبب وفرة الإحسان والإكرام.

٨٤ - بيـان بعض الأحـوال التى وقـعت فى أثناء توقف رايات فـاتح العالم السلطانية فى منزل تخت طاووس :

كان ملك الملوك الموفق يباشر بانتظام الشئون القريبة والبعيدة فى أوقات إقامته بمنزل "تخت طاوس" ضـمن النزهـة والصـيـد، وكـان يُنزل بمتـمـردى طوائف ورعـايا قراباغ عقـابًا لائقًا بهم [ص ١٥٢] وكـان يقضى أوقـاته السـعيدة فى تنظيم أمـور وشئون شيروان وتلك المناطق.

وفى المنزل المذكور، وصلت عريضـة مهدى قُلى خان من إيروان، وكان قد عرض أن محمد خان استدعى مرة أخرى فوجًا من الروس إلى إيروان وقدم إلى "شوره كل" ومنها قام بالعدوان والهجوم، وفى تلك الأثناء وحيث كان قد أتى إلى قرية "تالين" حضر إسماعيل خان القاجارى إلى إيروان وقام بسد فجوتهم بمعاضـدة مهدى قُلى خان، ولم يستطع محمد خان أن يُسلم القلعة لسيطرة العدو نظرًا لخدمات وفدائية الطائفة القاجارية الساكنة بإيروان وسـائر أهاليها. وعندئذ سرى الحكم إليهم وذلك بأن يحرس مهدى قُلى خان محمد خان ويراقبه ويهتم هو بأمور الولاية بنفسه. وقد كلف الخـاقان فـاتح البلاد أشرف خان الدمـاوندى ومعـه حملة البنادق الدمـاونديون والكرمانيون والطهرانيون بحراسة القلعة.

ولما كان قد وصل بالمصاحب لذلك الحال خبر عبور "شفت" إلى ناحيـة دار الحدود "چيلان" إلى مسامع مقيمي بلاط صاحب العالم، فقد كلف ميرزا يوسف المستوفى ومعه جمع من الفدائيين وذلك بأن يتوجهوا بموافقة ميرزا موسى رئيس المنجمين ويقوموا بحراسة حدود تلك الديار وثغورها.

٨٥ - تكليف نائب السلطنة والخلافة بإخضاع كنجه والكرجستان وترحيل رعايا كنجه، وبيان سائر أحوال ذلك الإقليم :

كلف ملك الملوك فـاتح العـالم فى منزل "تخت طاوس" نائب السلطنة والخـلافـة الأمير عباس ميرزا على ناحية "كنجه" ، وكما كلف إسماعيل بك ومعه فوج من الجيش

بمحاربة إيشبخدر. فحول النواب نائب السلطنة ومعه عساكر نصرة المآثر العنان من منزل عسكران إلى ناحية "كنجه" وأصبح الموكب المزين بالنجوم كحل العيون المبصرة للفلك.

ومن المصادفات، أن إيشبخدر الذى كان قادمًا من "كنجه" بنية الحرب بتجهيزات واستعدادات كاملة في ساحل نهر ترتر وبسبب مشاهدته لأعلام الجيش وآثار وعلامات المعسكر ملجأ الظفر، أوصل نفسه إلى جبل "آق دره" الذى كان من أصعب الطرق والمسالك، وانزوى في مخابئ دره وغاباتها. [ص ١٥٤]

ولأنه لم يكن للنواب نائب السلطنة الإذن بالتوقف عدة أيام ومحاصرته (إيشبخدر) ، فقد ارتفعت راية العزيمة صوب مقصودها، وأخضع أطراف مدينة كنجه وقتل جمعًا من المعاندين كما أسر بعضهم، ونزل نزول الإجلال فى عزة وإقبال خارج المدينة، وأصدر الأمر لفوج من جيش أثر الطوفان بمحاصرة القلعة، وضيق الرجال المكلفون الأمر على المحاصرين.

وفى هذه الأثناء، شاع خبر كالصبح الكاذب وليس به شعاع من الصدق، بين مسلمى كنجه، وهو بأن معسكر النصر المعظم يستعد للتحرك بأمر نائب السلطنة وقد شاع هذا الخبر الذى لا أصل له بينهم، وعلى حين غرة ، خرج صغيرهم وكبيرهم، شبابهم وشيوخهم، رجالهم ونساؤهم من المدينة مضطربين الحال ومتفرقين، ووصلوا بأنفسهم إلى المعسكر، فسقطت بعض الأفكار البعيدة في ظن المكلفين بمحاصرة القلعة أيضًا بسبب استماعهم هذه الفتنة والغوغاء، وبمتابعتهم لعوام المدينة رجعوا إلى المعسكر.

ومع أن صدور هذا النوع من الأمور كان منافيًا لطبعه الغيور، ولأن المؤن والغلال كانت متوفرة فى القلعة، فكان للروس رأس مال الثبات والدوام وباعثًا على إظهار وإعلان الشر والفتنة فى خارج القلعة، فلم تكن المؤنة والزاد غير مقدورة وليس فى الإمكان للجنود، فبناءً على ذلك لم يعاتب الأمير الشاب المحظوظ الجيش والرعية ولم يحقق معهم، وحملوا أهالى المدينة على دواب الإصطبل والبغال والجمال التابعة للرئاسة الواسعة وعلى خيول جيش الفرسان بأحمالهم وأثقالهم، وساروا فى مقدمة

الموكب العالي حتى "شمكور" الواقعة على بعد أربعة فراسخ من مدينة "كنجه"، وتوقف نائب السلطنة فى الخلف مع عدد من جيش النصرة، وأقام تلك الليلة على بُعد نصف فرسخ من المدينة. ولما علم الروس عن إقامة الأمير فى تلك الحدود وبتصور المستحيل على أنهم ربما يحركوا حضرته من مكانه بإشارة الغوغاء والاضطرابات وإضرام نيران الحرب، فقد جعلوا ساحة الدنيا منذ أول الليل حتى طلوع الصبح الصادق واضحة كالنهار بسبب كتل النيران المشتعلة من المدافع والبنادق [ص ١٥٥] .

وتخيل ولى العهد حركاتهم وأفعالهم غير الصائبة من قبيل طنين الذباب. وفى اليوم التالى تحرك من هناك وتشرف بالرحيل إلى منزل "شمكور"، وأعطى لأهالى مدينة كنجه - الذين كانوا قد رحلوا من مساكنهم المعتادة - القسمة والنصيب من النوال والعطاء والمرحمة غير المنقطعة، ونزل بإجلال من ذلك المنزل إلى منزل "زكم".

وفى أثناء القدوم إلى تلك المنطقة، حضر إليها فوج من الروس الذين كانوا قاصدين كنجه بالمؤن الكثيرة لإمداد إيشبخدر، فاعتبر نائب السلطنة قدومهم فوزًا عظيمًا، فكلف المجاهدين بقنصهم وصيدهم، فجمعت تلك المجموعة الجريئة عرباتها ورحلها بسبب مشاهدة تلك الحالة وأقاموا خندقًا متينًا وحصنًا حصينًا من أجل حماية أنفسهم وتحصنوا بداخله، وأعد الجنود المسعودون برجًا من التراب والأشجار فى مواجهتهم، وقاموا بالحملات والهجمات الشجاعة عليهم، فقُتِلَ وسط المعركة اثنين من قوادهم وعدة أشخاص من الجنود، كما أُسر القائد الكبير أيضًا مع عدة أشخاص منهم.

ولما لم تكن المدفعية فى الركاب المنتسب للنصر التى تدمر تحصينات الخندق ولم يكن لذلك الجمع المتفرق تلك القابلية من أجل إتمام عملهم فيهلكون بعضًا من الفدائيين فى أثناء تكرار الهجوم أو يجب أن يحاصرهم موكب كوكب النصرة مع كل ذلك الجمع المزدحم من رجال ونساء كنجه صغيرها وكبيرها لعدة أيام فى صحراء "زكم" وبناءً على ذلك وزيادة عن ذلك الذى دوّن ، لم يهتم بالقضاء على الباقين من السيف (الأحياء). وقصد الموكب العالى "آخسقة" القوزاق.

ولما كانت حراسة خمسة أو ستة آلاف أسرة كنجيه ونسائهم وأطفالهم فى معسكر أثر الظفر متعذراً للغاية ولهذا وبسبب فرط مروءته ومرحمته الذاتية ، فقد كلفهم جميعاً بصحبة ومرافقة بيرقُلى خان القاجارى ومحمد على خان القاجارى وأرسلهم إلى إيروان عن طريق "حسن سو" ومنها أصدر لهم الأمر بالتوجه إلى تبريز ونتيجة لبأس وسطوة [ص ١٥٦] وحزم سياسة نائب السلطنة وحراسته لمثل أهالى كنجه على النحو الذى دُوِنَ. فقد حملوا، وهم مضطربون الحال ومتفرقون، الأحمال والأثقال التى كانوا قادرين على أخذها ولحقوا بالمعسكر وكان نائب السلطنة يهتم بحراسة أموالهم ونسائهم وأطفالهم إلى درجة أن أحداً من الجند أو أميراً من أمراء جيش ملجأ الظفر لم تكن لهم القدرة والمساعدة على أن يمدوا أيديهم إلى الضروريات وما يحتاجونه بسبب خوفهم من العقاب والحكم الملكى. وكم يقدر الذهب والفضة الذى من بينه الحقيبة المختومة التى كانت مليئة بألفى أشرفى وكانت من أموال أحد أهالى كنجه - حملها أحد غلمان البلاط فى عز وجاه وأحضرها دون أن تتغير تلك الحقيبة المختومة بالعلامة نفسها والختم وسلمها لصاحبها.

وبالإضافة إلى ذلك، فبعد حضورهم إلى تبريز، أرسل الخاقان ناشر العدل مبلغاً ضخماً من الذهب والفضة بصحبة شيخ المُلك محمد قاضى العسكر ؛ كنفقات لإنعامهم والذى أحضرها طبقاً للفرمان الملكى وقسمها فى تبريز على صغيرهم وكبيرهم.

والخلاصة، أنه بعد قدوم الموكب المسعود إلى حدود اَخسقة القوازق توقف لعدة أيام وحضر إلى الركاب المنتسب للنصر جمع من أعيان ولاية "كاخت" ومبعوث قلعة "ينكى تفليس" ومعهم جمع من أعيان القوازق، ومن هناك عطف عنان العزيمة إلى ناحية إيروان وبسبب انعدام العقل والجهل وقعت جماعة القوزاق الضالة فى فكرة أن يقطعوا الطريق على ذلك السيل بدون حذر، فيؤدون بهذه الطريقة خدمة للروس ويبرءوا ذمتهم بسبب إخلاصهم ومحبتهم لهذه الدولة الخالدة العهد وجعلوا هذا المعنى شاهد إثبات نجاتهم من عقابهم ومسائلتهم، وبعد العزم على هذه النية اتفقوا، وجلسوا فى كمين العداوة من منزل اَخسقة حتى جولكا إيروان وهى التى أدركوها على بعد ثمانية عشر فرسخا وجميع أماكنها غابات مزدحمة وكثيفة بالأشجار الضخمة ولم يكن قد

وجد جيش جرار المجال لعبورها حتى تلك الفترة. ولم يكن في تلك الغابات مكان خالٍ حتى بقدر فرد القامة وحتى لو وجدوا بالفرض [ص ١٥٧] مكانًا كذلك لصدمتهم الأشجار الضخمة في وجوههم، وأغلقوا طريق العبور كلية على جيش الأمير.

وتوكل النواب نائب السلطنة على ألطاف الخالق واتكأ على بواطن خير مواطن سيد الأبرار والحيدر الشجاع[1] والأئمة الأطهار، وعبر من تلك الطرق، التي كان يصعب عبور شخص واحد فيها بسبب كثرة الأشجار الكثيفة، بملكه وأحماله ومتاعه، وقام بمحاربة جماعة القوزاق المنافقة ومقاتلتهم في كل مكان قطعوا طريقه، وهُزموا وفروا منكوبين، ومع أن كافة أمراء وقواد الجيش ألحوا بأن يُبعد التقيد في مكان هكذا بالمُلك والأحمال بسبب روية الحزم والاحتياط، ويتوجه النواب نائب السلطنة مع خواصه وغلمانه ويصلوا بأنفسهم إلى الأمان، فغضب الأمير عليهم من إعلانهم هذا المطلب، ولم يغفل عن حال أي مريض من أفراد الجيش أو الذي كان ضعيفًا وغير قادرٍ، والأغرب من ذلك أنه في أي وقت كان قد نزل فيه إلى مكان من أجل الصلاة، كان يرغب في تجرع كأس الشهادة في ذلك المكان.

وبالمصاحب لذلك الحال، اختبأ أحد جماعة القوزاق خلف شجرة في كمين وصوب البندقية إلى الذات القدسية الصفات للنواب نائب السلطنة، ولأن إلاهه كان عونه وباطن الأئمة الأطهار مساعده ومعينه، فقد انطلقت رصاصة البندقية وحكت بنعل الأمير، ولم تُظهِر مطلقًا أثرًا في بشرة طلعته. وبسبب مشاهدة هذا الحال، تفرقت على الفور حملة البنادق الجرارة والبنادق في قبضتهم وسط الغابة وأشعلوا نار الحرب والمعركة وأحرقوا حتى الموت كل من وجدوه بنيران وقذائف البنادق، ومن هناك قدم إلى إيروان بكامل التأني وبراحة واطمئنان تامين. وعطف على أمير الأمراء والأعيان والرعايا في ذلك المكان وجعلهم متأملين في المراحم اللامحدودة لملك ملوك الدنيا الواسعة.

وفي إيروان قضى عدة أيام في الاستعداد وتجهيز أمور قلعة الولاية وفي مقام

(١) الحيدر لقب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الحاجة أرسل العريضة إلى بلاط الجاه مع الحاج محمد خان قراكوزلو - الذى كان من الخواص- وطلب التوقف فى أذربيجان مادام أن حرب الروس موجودة [ص ١٥٨] والتمس أن يقصد الحضرة العلية الملكية مقر السلطنة (طهران) فى عز وإقبال حيث إن كفاءة أمر الأعداء موكل إلى غلمان أثر العبودية بعون الله تعالى وبيمن الإقبال المصون من الزوال ، وأنهم سوف يقدمون مراسم الفدائية طالما أن الروح باقية فى الجسد والرمق فى البدن ، ومن ثم وبناءً على عرض واستدعاء النواب نائب السلطنة. فوض خاقان الدنيا الواسعة إدارة مملكة أذربيچان إلى نائب السلطنة. وأخذ عقاب الراية التى طرازها الظفر فى الطيران إلى ناحية طهران.

٨٦ - مجىء شفت قائد روسيا إلى دار الحدود (چيلان) ومحاربته مع أهاليها وهزيمته وفراره :

فى العام الماضى وبسبب غلبة الجنود المسعودين، كان قد استدعى إيشبخدر من ملك روسيا فوجًا من الجيش من الجانب الآخر، وطبقًا لتمنياته كُلفَ شفت، الذى كان أكثر اضطرابًا من الفيل الغاضب، مع اثنتى عشرة سفينة مشحونة بالرجال والمدافع الثعبانية الشكل جهنم النيران والمعسكر وآلات الحرب، من ناحية بحر الخزر (قزوين) إلى اتجاه رشت، واستقلوا السفن، ورسوا بالقرب من طالش، وبعد التوقف لمدة يومين، ساروا من هناك إلى ميناء "أنزلى"، وفى أثناء قدومهم أخلى الميناء قليلاً من حملة البنادق، الذين كانوا مشغولين بحماية ذلك المكان بأمر حاكم "ويلمان"، فجعل الروس من "أنزلى" محلاً لنزولهم، وبسبب ذيوع هذا الخبر، قام مقرب الحضرة ميرزا موسى رئيس المنجمين، الذى كان قد كُلف بتنظيم أمور وشئون "چيلان" فى أثناء تحرك صاحب الشأن الجمشيدى من دار السلطنة طهران، باستنصار حكام ورؤساء تلك الديار وبصد استكبار الروس، وبسبب كمال الغيرة وإعلانًا للخدمة أمام نظر أثر العطف الملكى، أحكم الخنادق المستحكمة فى المكان المسمى بـ "بيزة بازار" وجهز فوجًا من حملة البنادق المسرعين كالبرق عن يمين ويسار شوارع وممرات بيزه بازار،

وأعطى قرار الحرب والقتال، وجعل جمعًا أيضًا مستعدًا للحرب فى الخندق، وجلس هو نفسه فى كمين العداوة، [ص ١٥٩] وفى وقت الصباح، عقد حزام الاجتهاد مع مشاة جلادة الأثر والمدافع جهنم النيران على إخضاع خندق "بيزة بازار" وإنهاء أمر رشت، وأوصل حملة البنادق، الذين كانوا وعن اليمين وعن اليسار منتهزين للأمر ومستعدين للمعركة، حرارة المعركة والحرب ودخان البنادق بكرة النيران وصبوا من الجانبين مطر البلاء عليهم. وعندما أفاق جيش روسيا إلى نفسه كان قد سقط ما يقرب من ألف شخص منهم مثل الورق الساقط من رياح الخريف على أرض الغابة. وقد أوصل الباقون الأحياء أنفسهم إلى ميناء «أنزلى» مقترنين بالخذلان والذلة وهم بين الساقط والناهض. وقد تيسر شرف هذا الفتح العظيم بقوة طالع عطية الله وسعي مقرب الحضرة ميرزا موسى رئيس المنجمين. وقد صار ميرزا موسى وسائر الرجال المكلفين موضع الإنعامات الوافرة والإكرامات الكثيرة.

٨٧ - بيان استقرار نائب السلطنة والخلافة الأمير عباس ميرزا على وسادة مُلْك أذربيجان بفرمان خاقان الدنيا الواسعة، والأخبار المتنوعة لذلك الإقليم :

ولما نزل النواب نائب السلطنة نزول الإجلال إلى دار السطنة تبريز، استظل جميع الرعايا والجنود فى ظل عطفه ومرحمته، وفتح أبواب الرأفة ورعاية الرعية على كافة الأنام شريفهم ووضيعهم كبيرهم وصغيرهم فى ذلك الإقليم الخالد المقام.

وعلى الرغم من غاية الحزن والملل والغم الذى أصابه بسبب حرمانه من فيض تقبيل عتبة الخاقان المستولى على البلاد، فإنه كان يُسلى خاطره الشريف عن طريق الاشتغال بالخدمة السلطانية وكان يقوم بتنظيم أمر المملكة.

ومصاحبة لقدوم نائب السلطنة إلى دار السلطنة تبريز وصلت عرائض الإخلاص المتصل من شيخ على خان الحاكم العسكرى لقبه ودربند وسرخاى خان اللكزى، وحسين قُلى خان حاكم "باكويه". وكانوا قد رجوا أن الظن الكلى الحاصل هو أن شفت بعد فراره من چيلان سيخطو ثانية بأقدام التعرض على ولاية باكويه ويمد يد التطاول على تلك الحدود فيجب أن تُجهز استعدادات [ص ١٦٠] الجيش وقلعة باكويه. فأصدر النواب نائب السلطنة الأحكام المؤكدة إلى شيخ على خان وسرخاى خان وحسين قُلى خان المبنية على الترغيب والتشجيع لحراسة باكويه ومنع تدخل الروس، وأمر بإرسال أحد الرجال الثقاة المخلصين مع التجهيزات والاستعدادت الكبيرة من البارود والذخيرة والأمول والبضائع اللامحصورة إلى قلعة باكويه.

أما شفت، فقد استقل السفن بعد فراره من چيلان ورسى بسفنه أمام باكويه وأرسى بناء الحرب والقتال ، وأشعل النيران بأماكن ومنازل أهالى القلعة عن طريق ضربها بقذائف مدفعية الصواعق ، وبسبب اشتعال شرارة الحرب والقذف بالمدافع من قبل حسين قُلى خان وأهالى القلعة فقد وقعت المعارك العظيمة فوق سطح البحر فيما بين الروس وحسين قُلى خان.

وفى تلك الأوقات دَمَّرتَ قلعة الملوك عدة سفن روسية بضربات قذائف المدفعية وجعلوا جمعًا منهم غرقى فى لجة الهلاك والبوار. ودخل الروس من الجانب اليابس ورفعوا رءوسهم باللجاج والعناد وأسقطوا القذائف كالبرق وسط القلعة والحصن وأشعلوا نيران الحرب من أطراف وجوانب القلعة. ومصاحبة لذلك الحال توجه شيخ على خان بمرافقة نوح بك بن سرخاى خان اللكزى مع جمع كثير إلى الروس وقدموا إلى قلعة باكويه مع أفواجهم المتحدة وتعاونوا وتعاضدوا مع حسين قُلى خان وتصاعدت نيران الحرب لعدة أيام من الداخل والخارج. وفى النهاية اضطرب وتفرق جمع الروس وانسحبوا من خارج القلعة إلى وسط البحر ومن هناك فردوا شراع العزيمة واستراحوا وسط "بشت سارى" الطالشية.

٨٨ - فى بيان تحرك موكب ولى العهد إلى ناحية موغان وقتل إيشبخدر قائد روسيا وتفرق الروس :

وفي أثناء توقف الموكب العالي في دار السلطنة «تبريز»، وصلت عريضة مصطفى خان الشيرواني المشعرة على تحرك إيشبخدر من كنجه إلى ناحية شيروان، وعلى إلحاحه فى طلب الإمداد والإعانة واستدعائه النصرة [ص ١٦١] والحماية. فكلف النواب نائب السلطنة لإعانته بير قُلي خان القاجاري مع فوج من الأبطال الصائدين للأسود، وفي ساحل نهر "كر"، الذى يبعد اثني عشر فرسخاً عن شيروان، اتضح لبير قُلي خان أن مصطفى خان قد وضع لبنة المكر والخديعة بسبب ضعف نفسه مع الروس، وقام بالالتقاء مع إيشبخدر وبافتتاح طريق الموالاة له، وفتح في وجهه أبواب الصلح والصلاح، واتفق معه اتفاقًا كاذبًا عن طريق الخداع والمكر، واغتر هو أيضاً بأقواله، وتوجه إلى رأس "باكويه" (باكو حاليًا). ومن ناحية أخرى انضم إليه أيضاً "شفت" من "ساري".

ومصاحبة لهذا الوضع، وصلت عريضة حسين قُلي خان أيضًا الذى كان قد طلب الإمداد، ولمجرد الاستماع لهذه الأخبار، وجه نائب السلطنة حسين قُلي خان القاجاري مع فوج من أبطال آثار الجلادة فى صورة هجوم سريع، وأرسل عسكر خان الأفشاري أيضًا مع ألف فارس في المقدمة بسرعة البرق والريح من أجل أن يُصبح داخل قلعة باكويه ويقدم على معاونة حسين قُلي خان.

وعلى التعاقب، أصدر الأمر لأحمد خان مقدم الحاكم العسكرى لتبريز ومراغة بالتحرك قبل حركة الموكب المزين بالنجوم ؛ ومعه المدفعية الجهنمية النيران والمبارزين الأشداء من المشاة والفرسان، وعلى الرغم من أنه كان وقت صعوبة الشتاء واشتداد قوتها حيث يصير بخار عيدان الريحان والسنبل أكثر جفافًا، فقد جعل النواب نائب السلطنة همته مسلكًا لمحاربة فرقة الروس.

وفي الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام [١٢٢٠هـ ق]، صارت راية الأعلام المنتهية بالنصر ناخلة العنبر من دار السلطنة تبريز إلى ناحية موغان عن

طريق أردبيل، وفي وقت القدوم إلى دار الإرشاد "أردبيل"، وصلت عريضة بير قُلي خان والمشعرة على هذا المطلب، بحيث إنه طبقًا لأمر النواب الموفق يصل عسكر خان الأفشارى نفسه إلى القلعة في سرعة السيل، ويقدم حسين قُلي خان القاجارى على حماية وحفظ جسر نهر كر، ويتوقف بير قُلي خان في خارج قلعة باكويه ويلحق شيخ على خان أيضًا به.

وفي تلك المناطق أصبح حال إيشبخدر قرين الاضطراب والاضطرار في اختلال كامل، وصارت دواب عرباته ومركباته [ص ١٦٢] عرضة للتلف جميعها بسبب شدة البرودة وريح صرصر بحر الخزر، وبسبب فقدانه للمؤن من الأربعة جوانب صار هدفًا لسهام المشقة والبلاء ورماح الهلاك والعناء، فوجد أبواب الحيلة والخلاص مسدودة في وجهه، ووجد أنه لاحل إلا أن ينفصل عن جيشه، وكان قد جاء إلى مقربة من القلعة عسى أن يخدع حسين قُلي خان بالتطميع وبوعده ووعيده، فيجد طريقًا لفراره أو مكانًا لاستقراره ويدبر طريقًا لخلاصه من بلاء قبضة يد محترفي صيد الأسود الماكرين.

وفي تلك الأثناء، كان إبراهيم خان، الذي كان من بني أعمام حسين قُلي خان الباكوى وقد سبق أقرانه وأمثاله برشادة ذاته وجوهر طبعه وكان قد كُلف من ركاب الأمير الموفق المستطاب على باكويه، قد وصل إليه. وفي الوقت الذي كان فيه إيشبخدر مع حسين قُلي خان الباكوى في أحد الأماكن وكانوا يعدون ويمهدون لبدايات الحديث، فقتلوه ضربًا بالرصاص بإذن حسين قُلي خان، وأحاط بير قُلي خان وشيخ على خان وسائر الرجال المكلفين حول جمعه وقتلوا بعضًا منهم وأسروا بعضهم وهرب الباقون الأحياء، وبالمصادفة كان شفت مستقلاً السفن فتوجه إلى سارى. وقطعوا رأس إيشبخدر العنيدة، التي كانت تسحق بالأقدام بسبب نخوته وغروره، عن جسده وأرسلوها إلى مقر العرش في صحبة رجال البريد. ولكن كان فرمان النواب نائب السلطنة على ذلك النحو وهو: أن يقوموا بصد ذلك العنيد (الأحمق) في ميدان العدواة لا أن يقتلوه في أثناء محادثته ، ولهذا لم يتفوه عقله الكبير بكلمة بل إن ضميره المنير ظهر مظلمًا.

٨٩- تكليف بعض أمراء أذربيجان على إيروان، وتفصيل أحوال ذلك الإقليم :

بعد قتل إيشبخدر، استقر رأى مزين الممالك نائب السلطنة على تأديب وتدمير مفسدى مناطق شوره كل وبنبك وكنجه والكرجستان. ولما كان جعفر قُلى خان الدنبلى لفترة مع فوج من الروس وحيث كان مقيمًا فى قلعة تالين بايروان، فقد فتح يد التطاول والاعتداء والتخريب على توابع وأطرف إيروان، وبناءً على ذلك [ص ١٦٣] تقرر لمهدى قُلى خان القاجارى الحاكم العسكرى لإيروان وحسين قُلى خان الحاكم العسكرى لأرومية وإسماعيل خان القاجارى حاكم خوى وكلب على خان حاكم نخجوان مع جمع من جيش أفشار وإيروان وكنكرلو وخوى وغيرهم باستئصال الروس وجعفر قُلى خان، وقد عُين لإنهاء الخدمة المقررة الحاج محمد خان قراكوزلو وهو من عظماء تلك الطائفة ومن الغلمان القدامى لحضرة صاحب السعادة وكان موصوفًا فى إعزازه بصفة كاتم الأسرار فى الخدمة، وأصدر الحكم بأنه بعد الحضور إلى إيروان، أولاً: فى مواجهة قلعة تالين، التى كانت مأوى ومأمن جعفر قُلى خان والروس فى تلك المنطقة، يَبنى القلعة الحصينة، ويوقف فى ذلك المكان ما يقدر بألف شخص من حملة البنادق فيغلقوا طريق الهروب والفرار والمؤن عليهم، وبعد ذلك يؤدى بفتوى العقل والرأى فى سعى واهتمام كافة الخدمات الأخرى اللازمة. وبمجرد انتشار هذا الخبر، وقبل حضور القواد وجيش ملجأ النصرة قرب إيروان فر جعفر قُلى خان والروس من تالين، وقد أُسِرَ جمع من جنودهم على يد حراس مهدى قُلى خان القاجارى.

ولما كان باشوات أقاليم الروم (الدولة العثمانية) قد أخرجوا أقدامهم عن جادة السلوك القديم فى العدة سنوات هذه، فقد كانوا يتطاولون أحيانًا على أطراف إيروان عن طريق البحث عن الفتنة، وكانوا ينتهزون الفرصة ويسرقون الزاد من الدار. وكان من بينهم إبراهيم باشا حاكم "بايزيد" أيضًا حيث كان قد أرسل ثلاثة أو أربعة آلاف

شخص بهدف الإغارة على طوائف إيروان، وفتح يد الإغارة والاعتداء، ولهذا، قام كلب على خان حاكم نخجوان على عجالة ومعه مشاة وفرسان جيشه، بتأديبهم، وهجم فى سرعة كاملة على رأس تلك الجماعة، فقتل وأسر جمعًا [منهم]، وبعد ذلك، سحب جميع الباشوات، بسبب خوفهم من استعداد واجتماع قواد أذربيجان، رأس فضولهم فى جيب الخمول والقدم الباحثة عن الفتنة فى ذيل الأدب، وأرسلوا إلى بلاط نائب السلطنة عرائض الحاجة المنبئة على طلب العذر والإنابة والعودة عن قبائح الأعمال وإظهار الندامة، فوجدوا شرف الافتخار بالخلاع الفاخرة من بلاط صاحب الشوكة والعظمة [ص ١٦٤] .

وبعد اجتماع القواد والرؤساء صدر قرار العمل على هذا المنوال وهو أن يقوم مهدى قُلى خان وكلب على خان ويُقدما على تأديب ومعاقبة روس شوره كل وبنبك وبأن يذهبَ حسين قُلى خان وإسماعيل خان والحاج محمد خان طبقًا للأمر إلى كنجه ويؤدوا الخدمة والمهمة المقررة. وبعد هذا القرار، سار الحكام عازمين كنجه، ونزلوا فيما بين كنجه وتفليس، ووضعوا بناء الهجوم والإغارة، وكانوا يحاصرون أطراف كنجه طوال اليوم ويقومون بالقتل والإغارة.

وقد أصدر النواب نائب السلطنة بعد العودة من حرب روس قراباغ الأحكام إلى القواد وذلك بأن يبذل القواد المكلفون فى هذه الأوقات السعى البالغ فى المحافظة على إقليم إيروان، وقد وصل أيضًا إلى المكلفين خبر بأن مهدى قُلى خان وكلب على خان لم ينجزا أمرا، وقد تجرأ جعفر قُلى خان وروس بنبك وشوركل، وتجمعوا جميعًا بقصد إهانة ولاية إيروان وإذلالها، ولهذا اتجه القواد بعزم صادق ورأى قوى من كنجه إلى إيروان، فتفرق جمع الروس وجعفر قُلى خان واضطربوا بسبب الاستماع لتحركهم، وهربوا إلى قلاعهم، وعاد القواد بحكم النواب نائب السلطنة بعد انتظام أمر إيروان.

٩٠ - في بيان اطمئنان مصطفى خان حاكم طالش وتهدئته بسعي واستمالة الوزير الفريد ميرزا عيسى الملقب بميرزا الكبير القائم مقام :

كان مصطفى خان حاكم طالش قلقًا ومضطربًا من مسئولي الدولة الخالدة منذ عهد دولة الخاقان المغفور له [أغا محمد خان القاجارى] وحتى هذا العهد، وكان اضطرابه وخوفه يزداد يومًا بعد يوم. وبسبب قدوم الموكب المسعود إلي دار الإرشاد "أردبيل"، وعلى تصور بأنه ربما يكون في منظور نظر أثر العطف تأديبه ومعاقبته، فقد غلب عليه الخوف والفزع أكثر وأكثر، وأظهر الألفة والمودة مع "شفت"، وكان مكنون ضميره هو بأن يسلك طريق الفرار من طالش إلى جزيرة بشت سارى ومن هناك يذهب إلى قزلر، فيستريح ويستقر خاطره [ص ١٦٥] .

فاطلع النواب نائب السلطنة على هذا المعنى، فكلف الوزير عاشق الدولة سلالة الأطياب والأشراف ميرزا الكبير باستمالته، وقرر أن يطرد مصطفى خان، وبعد اطمئنانه، شفت ورفاقه من جزيرة بشت سارى عن طريق قطع الممر عليه وتركه بدون مؤن وما يحتاج إليه من ساحل "لنكران" وقد جعل الوزير الفريد مصطفى خان بعد لقائه به قوى القلب مطمئن الخاطر والبال وذلك بالمراحم اللامحدودة لخاقان الدنيا الواسعة وبألطاف وعطف الأمير الوفى الإحسان وشفقته، فأغلق مصطفى خان طريق المؤن وسائر ما يحتاج إليه شفت ورفاقه، وسلكوا طريق ديارهم في عز الشتاء القارص، وحتى الوصول إلى مطلبهم، هلك جمع من تلك الجماعة بسبب الجوع وشدة البرد.

وقد صار مصطفى خان الشيرواني بعد ملاحظة هذه الأحوال قرينًا للندامة والخجل والتأثر، وقدم حتى ساحل نهر "كر" بغرض ملاقات أحمد خان الحاكم العسكرى لتبريز ومراغه، الذى كان متوقفًا في ذلك الوقت في ساحل "كر" بحكم الأمير الموفق ومعه الجيش الطالب للثأر والانتقام والتجهيزات والعتاد، فقابله وتعهد بأنه: "بعد ذلك لايجوز أن تقع رأسى على خط الفرمان الواجب الإذعان له للخاقان

الحضرة العلية الملكية ولا يجوز لى التجاوز عن حكم وإرادة الأمير الحر، وأن أحيا مدة عمرى فى طريق الخدمة والعبودية شعاراً ثابت القدم وراسخ النفس."

٩١ - بيان وقائع سنة ألف ومائتين وإحدى وعشرين هجرية، وبيان بتحرك على باشا والى بغداد إلى ناحية كرمان وانهزامه :

عندما تحول جمشيد الشمس من فلك الحوت إلى إيوان الحمل، استقر خاقان ممالك العزة والنصرة على العرش المرصع من أجل الحفل النوروزى وعلى سبيل العادة، امتلأت جيوب وذيول جميع الأمراء والوزراء أصحاب الرأى الرزين والسعادة من النوال والعطايا التى لاتزول. وبعد انقضاء أيام الحفل والفرح، اقتصرت الهمة العالية النهمة على أداء وإنجاز المهام والواجبات الملكية. وكان عبد الرحمن باشا حاكم بيان، الذى كان قد انزعج من مملكته بسبب سوء سلوك على باشا [ص ١٦٦] والى بغداد، وبسبب هذه العلة، فقد تمرد على الدولة العلية العثمانية وضرب يد التوسل والاستئمان بذيل عاطفة هذه الدولة الخالدة البنيان [إيران]، وقد عطف عليه ورعاه ملك الملوك مُكرم المظلومين، وقرر أن يكون محل سكنه فى ناحية كردستان هو وقبيلته وعشيرته التى كانت تقرب من خمسة آلاف أسرة، وقد زين قامته اللائقة بالخلاع الفاخرة والإنعامات المتكاثرة، وفد فُتحت أبواب أنواع المكرمة والعناية اللائقة وجه عهده من مسئولى الدولة الصاعدة يومًا بعد يوم، وقد وُضعت الموائد والمنافع والإحسان فى مضيفة اماله. وقد تشرف بالصدور فرمان العالم المطاع فى صحبة ميرزا صادق المروى الكاتب ومدون الوقائع (المؤرخ) المعتمد الآخر[١] بخصوص تنصيبه وتعيينه فى دائرة حكمه، وقد تمسك على باشا بالأعذار غير المقبولة وكان يُعرقل فى عقده تنفيذ فرمان ملك الملوك بإرساله الهدايا، وكان يبدو فى الظاهر أنه لا ضيق

(١) يقصد عبد الرزاق الدنبلى أن ميرزا صادق المروى كان المؤرخ المعتمد فى بلاط فتح على شاه بطهران ، أما هو فكان المؤرخ المعتمد فى بلاط ولى العهد بتبريز . (المترجم) .

ولا تبرم فى تسليمه الملك (عبد الرحمن باشا)، ولكن فى الباطن كان يتصور أن جيش ملجأ النصرة مشغول من ناحية بمحاربة الروس ومشغول من ناحية أخرى بمحاربة أفغان قندهار وهراة وأوزبك مرو والتركستان، وبالتأكيد سيخلو معسكر الهمايون السلطانى من الرجال، وبسبب ضيق الظروف بدأ الطيران لأعلى وسلك طريق العصيان، ولم يمر على فكره وخاطره بداية ومقدمة عهد الصداقة القديمة بين الدولتين الإيرانية والعثمانية فخرج من سواد بغداد بثلاثين ألفًا من المشاة والفرسان والمدفعية وآلات ومعدات الحرب، وعن طريق "ذهاب" وصل حتى منزل "طان كرا" وتوقف فى ذلك المكان، وسحب مدفعيته على قمة التلال والجبال، وقد وصل هذا الخبر إلى سلطان الآفاق فى مرج "سلطانية"، وعلى الفور عين الخاقان العادل، الذى لم يكن يتخيل منه هذه الحرمة ولم يكن فى استعداد للحرب مع الدولة العثمانية بناءً على عهود السنوات الماضية وكان يعتقد فى قوة أساس الصلح والسلام وإحكامه بين دولة إيران وتلك الدولة، وعلى الفور، [ص ١٦٧] ونظرًا لوفرة غيرة الطبع الغيور ومن أجل تأديب ذلك الثمل المغرور، عين الأمير الموفق محمد على ميرزا مع فوج من الرجال الشجعان من المشاة والفرسان وعدة أشخاص من الأمراء أى إبراهيم خان ومحمد على خان شام بياتى ونوروز خان رئيس الحرس وأمان الله خان والى الكردستان وفرج الله خان الأفشارى رئيس الجلادين عن طريق همدان وكرمانشاهان، فرحل الأمير محمد على ميرزا بنفسه من كرمانشاهان ونزل بمنزل "كرند"، وعين جمعًا من جيش ملجأ الظفر بقيادة فرج الله خان وأمان الله خان عن طريق السليمانية. فأرسل على باشا والى بغداد أيضًا اثنى عشر ألفًا من مشاة وفرسان بغداد بقيادة سليمان باشا كهيا إلى رأس عبد الرحمن باشا، الذى كان يسكن مع قبيلته وحشمه وعياله وأطفاله فى منزل "ديزه" وهى فى إقليم الكردستان، وقد انزعج هو نفسه ودخل الخوف والفزع فى قلبه بسبب استماعه لحركة الجيش المنصور إلى تلك الحدود وتحرك لواء الأمير الموفق، فرحل هو عدة منازل من منزل "طان كرا"، وانسحب وتقهقر إلى الخلف، وترك سليمان باشا كهيا أثقاله وأحماله، وهجم على رأس عبد الرحمن باشا، متصورًا أنه يقوم بإنهاء أمره قبل حضور واطلاع قادة جيش إيران، وطوى اثنين وعشرين فرسخًا بالطريق فى ليلة واحدة، وفى وقت طلوع الصباح أخبر عبد الرحمن باشا بهجومه،

فترك عياله وأطفاله، وجمع أنصاره وأعوانه واصطف في مواجهتهم، وبعث بشخص على عجل إلى فرج الله خان، وأطلعهم على كيفية كيد وعداوة الخصم السيئ الطوية، فهجموا سريعاً [فرج الله خان وباقي قواد إيران] بسبب استماعهم لهذا الخبر ومعهم جيش ملجأ النصرة، وإلى أن وصلت مؤخرة الجيش التي كانت متأخرة، هُزم عبد الرحمن باشا وكان في أمر الهزيمة والفرار.

وعندئذ، وبسبب مشاهدة هذا الحال، استل فرج الله خان وسائر القواد سيوف الجلادة وهجموا على جيش سليمان باشا، وبسبب استعمالهم لآلات القتال [ص ١٦٨] أظهروا ضجة المعركة، واستمرت حرب الهزيمة بينهما قائمة لمدة ساعة أو نصف الساعة وبسبب قوة طالع خديو العالم الواسع، هُزم جيش بغداد، وقُتل ما يقرب من ثلاثة آلاف شخص، ووقع سليمان باشا كهيا مع ألفين أو ثلاثة آلاف شخص من جيش بغداد أسرى ومقبوضاً عليهم.

واستقل عبد الرحمن باشا في السليمانية، وبعثوا بسليمان باشا إلى خدمة الأمير، وعين الأمير الموفق على منطقة "ذهاب" نوروز خان القاجارى رئيس الحراس ومعه طائفة مدانلو وطائفة وجهان بيكلو الكردية وطائفة قراكوزلو، واصطف فتاح باشا حاكمها ومعه الجيش متمنياً احتضان شاهد الفتح والنصر في مواجهة نوروز خان، وبعد كر وفر كثير ومحاولات لاتحصى، لم يجد في أمره فتوحاً.

وعندما تلوى شعر وجه الحسان، وتعقب نوروزخان تلك الجماعة حتى منزل "بعقوية بغداد" رجع وعاد من ذهاب بعد قتل وأسر بلا حصر، وكنس ذلك المكان أيضاً بجاروف النهب والإغارة واستولى على الغنائم الكثيرة. وبسبب الاستماع لهذه الأخبار والهزائم المتتالية وقعت النيران الملتهبة في على باشا وتبدل جمعه إلى الفرقة وتفرق معسكره في لحظة واحدة، وأصبح هو نفسه أيضاً قرين الاضطراب والقلق، فاختار الفرار والهروب على الحرب، ونظراً لسوء أعماله فلم يكن مطمئناً من أهالي بغداد أيضاً، فذهب إلى قرب قلعة بغداد واستقر في أحد منازلها، واستدعى صاحب المقام الرفيع ذو الألقاب المقدسة مجتهد العصر والزمان الشيخ جعفر الخزاعي من النجف الأشرف، وأرسله عند الأمير الموفق معتذراً من أجل أن يعتذر له عن أفعاله الشاذة

غير المقبولة، والتمس الشيخ الفاضل بوساطة الأمير محمد على ميرزا فى خدمة ملك الملوك الفريد [العذر] عن الأعمال المذمومة والأفعال غير المحمودة لعلى باشا حيث إنه كان قد أثار غبار الصراع والخلاف والعداوة بين الدولتين العليتين إيران والروم (العثمانية) وكان قد أسال بينهما ودون أى سبب دماء الأبرياء على تراب المذلة والهوان، فَقبل الخديو صاحب العرش [ص ١٦٩] وساطة الأمير ومطلبه وطبقًا لتمينات الشيخ صاحب المقدار العالى استدعى الجيش المنتسب للنصر من أطراف وجوانب بغداد إلى الركاب المستطاب، وكتب الأمير بموجب أمر الهمايون شرحًا تفسيريا إلى على باشا كما أرسل أيضًا حكمًا إلى أهالى بغداد بأنه لايجوز التجاوز عن أمره ونهيه حيث إن جرائمهم تُقترن بالعفو والإغماض فى البلاط السلطانى وينسلكون في سلك المخلصين ويعدوا من جملة أنصار ومؤيدى هذه الدولة الخالدة الأساس. فأرسلوا سليمان باشا كهيا إلى البلاط السلطانى، وتوقف الباشا المذكور بحكم الخاقان القابل للاعتذار فى منزل معتمد الدولة العلية ميرزا محمد شفيع وأظهر له أنواع العطف والرحمة.

وفى أواسط شهر ذى القعدة المحرم، أرسل الحاج يوسف باشا الصدر الأعظم السابق، الذى كان فى ذلك الوقت حاكم مملكة أرض الروم وقرا حصار الشرقية وتوابع تلك المناطق والأقاليم وكبير القواد المقتدر لسلطان الروم عالى الجاه - فيضى محمود أفندى - الذى كان من ضمن سادة الديوان المشيد الأركان ومن ربائب ذلك الباشا عالى الشأن - كحامل رسالة إلى بلاط صاحب الشوكة والعظمة النواب نائب السلطنة فى تبريز، وقد وصل السيد المذكور إلى فيض الحضور المعظم ومعالى الحضرة النواب نائب السلطنة، وعرض رسالته الودية والمليئة بطلب العفو عن المعاملة غير اللائقة والأفعال غير المقبولة من على باشا والى بغداد والاستئذان بإطلاق سراح سليمان باشا كهيا. فالتمس النواب نائب السلطنة فى حضرة الخديوى الموافقة على إطلاق سراح سليمان باشا كهيا، فأذن له السلطان السليمانى الشأن وأرسله إلى دار السلام بغداد وأكتافه مزدانة بالخلع الثمينة ومقضى المرام وسعيد الخطى.

٩٢ - بيان قتل إبراهيم خليل خان على يد الروس :

وبسبب مشاهدة نهاية أمْر إيشبخدر واستئصال شفت الباحث عن الفتنة وتدمير أنصاره وأتباعه واستمالة مصطفى خان حاكم طالش، حصل إبراهيم خليل خان على الاطمئنان والأمل [ص ١٧٠]، فأرسل العرائض المتعددة عن طريق رجال أسراره إلى بلاط صاحب الشوكة، وجعل النواب نائب السلطنة فى حضرة ملك الملوك فلك الحضرة شفيعًا لذنوبه وقابلاً لتقصيراته وذلاته غير المنتهية. فأرسل الأمير الحر عريضة الاستشفاع فى صحبة خدمه إلى بلاط ملجأ العالم. فصار فرمان العز السلطاني، القابل للنفاذ مقرونًا بالعفو والإغماض فى صورة تدارك أخطائه السابقة. وسعد إبراهيم خليل خان لوصول هذه البشرى سعادةً بالغةً، ولخلوص نيته وصفاء طويته فكر فى طرد روس قراباغ، وأرسل العريضة المترجمة بالإخلاص فى صحبة صهره إلى دار الإرشاد أردبيل وكان له حضور نائب السلطنة والتمس بأن يتوجه موكب النواب الموفق المنتسب للنصر إلى قراباغ. وأن يُعين (ابنه) أبو الفتح خان مع جمع من الأبطال المخضرمين عن طريق "قبان" وفرج الله خان شاهسون مع الفوج الأخر من شجعان أثر النصرة عن طريق "تشناقتشي" فى مقدمة موكب نجوم الحشر. فجعل النواب نائب السلطنة مأمله مقرونًا بالعمل، وصار أبو الفتح خان وفرج الله خان فى مقدمة موكب النصر، وعلى التعاقب طارت عقاب الراية المعجزة الميمونة إلى ناحية قراباغ.

وبعد عبور جسر "خدا آفرين" في ساحل نهر "آرس" رجع أبو الفتح خان بالقرب من قلعة "بناه آباد". وعُرِف أنه قبل قدوم أبى الفتح خان وفرج الله خان، أخبر جعفر قُلى خان حفيد إبراهيم خليل خان روس القلعة عن الحقيقة، وفى ليلة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول، أحضر ثلاثمائة نفر منهم فى أثناء الليل عن طريق منزلهم إلى خارج القلعة، ولأن إبراهيم خليل خان كان متوقفًا بنسائه وأطفاله خارج القلعة قبل هذا الإقدام، فلم يكن يراعي مطلقًا طرق الحزم والحذر والاحتياط، فانقضوا على رأسه دون خجل فى ثلاث أو أربع ساعات من الليلة الماضية، وأحرقوه هو فى نار القتل والظلم ومعه أخت سليم خان الشكى التى كانت زوجته [ص ١٧١] وابنته وهى

ابنة أخت همای خان اللكلزی وجمع آخر من الإناث والذكور الذين ظهروا كالفراشات أمام نيران شمع بنادقهم. وأشعلوا نيران انعدام الرحمة والتهور فى العالم، واستأصلوا قامة عمر إبراهيم خليل المنهكة من جذورها ببلطة الجور والظلم، ودفنوا ثروة العمر المديد ذى المائة عام فى نهاية عهد شيخوخته بيد الجفاء والعناد مع تراب الذلة والبوار والهلاك.

فتوجه النواب ولى العهد دون تأمل وتأخر بقصد الحرب مع الروس إلى قلعة "بناه آباد"، وفى عرض الطريق وصلت عريضة سليم خان الشكى المشعرة على هذا الإقدام وهو "أن مصطفى خان الشيروانى، الذى كان يُطيع جماعة الروس إطاعة كاملة وكان يحضرهم قبل هذا بعامين إلى ولاية شكى بسبب عناده، فإنه بمجرد الاستماع لقدوم الموكب العالى إلى تلك المناطق وسماعه لخبر قتل إبراهيم خليل خان، فقد خرب كنجه. وكما ينبغى، قمت أنا بمراسم أداء الطاعة والخدمة والإخلاص الذى هو شعارى." وكان قد استدعى الإمداد والعون من أجل الاحتياط لأمره. فأصدر النواب نائب السلطنة الأمر طبقًا للاستدعاء إلى فرج الله خان شاهسون مع فوج من مصارعى الأسود لإمداده ومعاونته.

٩٣ - تحرك الموكب العالى لمحاربة روس قراباغ مرة أخرى :

ولأن الغالبية من طوائف قراباغ بعد قتل إبراهيم خليل خان كانوا قد طلبوا أن يرحلوا من قراباغ وأن يسكنوا فى قراجه داغ، ولهذا، كُلف عطاء الله خان شاهسون بترحيلهم وانضم جمع من جيش ملجأ الظفر أيضًا قبل هذه الترتيبات بقيادة نجف قُلى خان إلى جيوش أبواب جمع مهدى قُلى خان القاجارى فى إيروان، وكُلف فوج من الجيش بالتوقف فى خوى وتبريز، وقد رغب فى هذا الطلب حسين قُلى خان الأفشارى وإسماعيل خان القاجارى أيضًا وذلك على النحو الذى مضى وهو أن يتوجهوا مع فوج من المشاة والفرسان وعن طريق إيروان إلى كنجه والكرجستان،

وبأن يصبحوا مصدر الخدمات والأعمال اللائقة فى هذه المناطق. وكان ألكسندر ميرزا والى تفليس أيضًا يُظهر التعهدات الزائدة عن الحساب فى هذا الشأن [ص ١٧٢] وكان قد كلف جمعًا أيضًا معهم. وكان ملتزمى الركاب المنتسب للنصر قد شاهدوا ضربات برودة الشتاء وقاسوا متاعب ومشقة صحراء باكويه ومغان، وقد حدث لهم كسل قليل بسبب امتداد السفر واشتداد مشقته وتعبه، ولم يكن قد ورد بعد الجيش الذى كان مكلفًا حديثًا إلى الركاب العالى من قِبل الخاقان فاتح البلاد، ولم يكن جمع كثير حاضراً فى الركاب المستطاب.

وفى ذلك الوقت وصل الخبر بأن الجنرال "نبالستين" مُكلف على تفليس ومعه الجيش الكبير ومنها قصد قراباغ، ولحق به روس شكى وكنجه وقراباغ مع جيوش قراباغ والأرمن وغيرهم واجتمعوا فى "عسكران". فتحرك النواب ولى العهد من "آق أغلان" ومع قلة هذا الجيش، كلف أحمد خان مقدم أيضًا مع فوج لحراسة المُلك والأحمال والمتاع، ووضع قدم الجلادة فى ميدان المعركة. وفى منزل "خانشين"، الذى قدم إليه الروس أيضًا وكانوا قد استقروا هناك على قمة جبل عالٍ، وبعد قدوم الموكب المسعود أدى جنود النصرة لمدة يومين لوازم الجهد والسعى لربما ينزل ذلك الجمع (الروسى) من الجبل ويقدموا على الحرب فلا تتيسر لهم.

وفى تلك الأوقات، ونظراً لعرض وطلب أبو الفتح خان، أُطلِقَ سراح الأسرى القراباغيين فأخبرت تلك الجماعة إلى الروس أن المجاهدين المنصورين بعيدون عن الملك والأحمال، وأن النار قد اشتعلت فى عشب الصحراء وعلف دواب الجيش غير موجود وبسبب هذا المأزق فإن أهالى المعسكر أصبحوا قرناء للعسرة والاضطراب، فتشجع الروس لسماعهم هذه الأقوال وأقدموا على الحرب. وكان الجيش الطالب للانتقام فى هذين اليومين، منذ أول طلوع الشمس وحتى وقت انسدال ستارة الظلام السوداء، وهم يسعون دائمًا فى كل ناحية من أجل إثارة المعركة ولم يكونوا يسترخون لحظة من أجل الراحة بسبب تتابع حراستهم وحزمهم للمعركة كالنجوم فى سهر حتى

وقت السحر. وفى الوقت الذى وقع فيه تلاقى الفريقين والتقاء الفئتين، كانت مياه النهر فى ناحية الروس وكالجيش ملجأ النصرة بعيداً عن الماء من كل ناحية.

والخلاصة، أن الجيشين بدأ فى الكر والفر فى مواجهة بعضهما، [ص ١٧٣] وتقدم من إحدى النواحي فوج من عرب بسطام وتقدم من أحد الجوانب فوج حملة البنادق العراقية من فراهان وكزاز بشجاعة إلى درجة أنهم ساروا إلى فوهات المدافع والبنادق ونثروا الدماء من مفارق رءوس الأعداء وأرادفهم في الهواء. وكان الروس يخرجون أيضًا بجلادة كاملة من وسط التحصينات ويشتبكون مع العرب. فكانت أطراف الثلج الذائب تسير كالبحر المواج على ساحة الصحراء من خيام أفواج الجيشين، ولم تكن الأسنة والرماح العالية القامة تقنع بتقصير عمر أحدهما للآخر بتقصير منها. وقد ألقى جنرال الروس صورة ملكه وسيفه على الأرض بسبب الاضطرابات من أجل تشجيع وتحريض الروس على أمر المعركة. ولأن شاهد النصر لم يظهر من أي ناحية، وقد أفسدت حرارة شمس تموز القلوب، فقد سحب الطرفان أيديهما من الحرب والقتال، واندفعوا إلى التوقف والكسل.

وعلى النحو الذى مر ذكره، كان الماء في متناول جنود روسيا وكان العلف فى تلك الصحراء غير متوفر وجيش روسيا عنده المؤن الكثيرة، ولم يوجد من جسر "خدا آفرين" وحتى منزل خانشين ورق العلف والقش، حتى يصلوا إلى حبة القمح والشعير. فرجع النواب نائب السلطنة انتظاراً لقدوم الجيش المُكلف الجديد من بلاط الخديو جمشيد المقتدر بالأحمال والعتاد والمؤن على النظام نفسه الذى كان قد توجه إليه. وعبر من الجسر وتوقف فى عين "الحسن والحسين". وفى تلك الأثناء، قدم حسين خان وإسماعيل بك وحسن خان وأمان الله خان، حيث كانوا مكلفين من بلاط صاحب العالم كسرى الموفق مع أفواج بحر الشدة وسيل الشوكة إلى خدمة نائب السلطنة.

٩٤- بيان قدوم موسى جوبر [جوبرت] سفير دولة فرنسا :

في عام استشهاد الخاقان الشهيد [أغا محمد خان]، كان قد حضر إلى طهران شخصان من مبعوثي دولة فرنسا بمسودة الاتفاقية التي كانت قد حُررت في العهود السابقة فيما بين دولتي فرنسا وإيران[١]. واتضح أن دولة فرنسا قد تقدمت بصدد إفساح أبواب الصداقة وتجديد عهود الوفاق والاتحاد[ص ١٧٤]ولكن الحاج إبراهيم خان الشيرازي ، الذي كان وزير إيران في ذلك الوقت، لم يهتم بهذا الموضوع الخارجي نظراً لكثرة الواجبات والمهام الداخلية للمملكة ، وذلك دون أن يعرض التقرير على واقفي عتبة الإقبال وأعطى لهما جوابًا، ثم بعث الشخصين المذكورين. وبعد ذلك، وفي الوقت الذي كان فيه إسماعيل بك بيات مكلفًا إلى بغداد، على النحو الذي ذُكِرَ سابقًا، من أجل إيجاد وسيلة لأمر الطائفة الوهابية، جاء شخص إليه، وأظهر له شرحًا مبسطًا بالخط الفرنسي وادعى أن هذه الرسالة من قبل تلك الدولة [فرنسا]. وبالاتفاق حضر إلى طهران، ولأن مقصوده لم يكن معلومًا، فقد اعتقد مسئولو دولة إيران أن ادعاءه محض الكذب ولم يلتفتوا إلى حاله .

ولكن بعد ذلك ، بدأ نابليون مع الروس النزاع والصراع، وعين المدعو موسي جوبر بالسفارة، وأرسله إلى دولة إيران، وأعلن في رسالته تلك: "إن القاعدة المسلم بها هي أن صديق العدو سيكون عدوا وعدو العدو هو الصديق، والحال الآن هو أنني في غاية العداوة مع دولة روسيا التي هي عدوة دولة إيران. فمن الأولى أن يُجدد مع دولة إيران عهد الصداقة القديمة بين إيران وفرنسا، واستحكام (مصداقية) أساس عهود دولة فرنسا واضحة على العالم كله، وفائدة هذه الصداقة تظهر[٢] بوضوح للعالم كله وهي إخراج الروس من الكرجستان والأقاليم الإيرانية ".

(١) لا نعرف أي اتفاقية يقصد المؤرخ وحيث إن العلاقات الإيرانية الفرنسية كانت قد بدأت منذ العهد الصفوي، فربما يقصد الاتفاقية التي عقدها محمد رضا بك مبعوث الشاه سلطان حسين الصفوي في باريس عام ١٧١٤م = ١١٢٦هـ.ق ، وكانت فرنسا متحالفة مع إيران وطبقاً لهذه الاتفاقية ضد عرب مسقط الذين كانوا يمارسون القرصنة في الخليج، وقد حصلت فرنسا على امتيازات من شاه إيران وفق هذه الاتفاقية. (انظر The Legacy of Persai : A.J. Arbarry. P. 354.)

(٢) صحيحها: ستظهر .

ولكن بعد ذلك، حضر موسى جوير إلى بايزيد، فقبض محمود باشا حاكمها على السفير [موسى جوبر] ورفاقه رعايةً لصداقة الدولة العثمانية مع الروس، وحبسهم، وصادر أموالهم، وقام بقتل شخصين من رفاقه. فأرسل النواب نائب السلطنة رسالة إلى الحاج يوسف باشا من أجل إطلاق سراحه، وأطلق حضرته السفير عن طريق بُعد نظرة وتبصره للعواقب وتقديرها.

وتوجه [السفير] إلى بلاط صاحب العظمة في رعاية وافرة، وبعد إدراك السفير المذكور الحضور الباهر النور في أردبيل، عرض الرسالة على نائب السلطنة، وصار متوجهًا إلى بلاط الخاقان الجالس على عرش جمشيد، وفي مرج سلطانية[ص ١٧٥] أدرك شرف تلثيم سدرة المرتبة (العرش)، وبعد إبلاغ التصورات والتوصيات، صار موضع الرعاية والعناية، ووجد الإذن والسماح بالرجوع، وأصدر [الخاقان] الأمر بتكليف محمد رضا القزويني أيضًا، الذي كان من نجباء ومعارف قزوين ووزير النواب الأمير محمد علي ميرزا، لمرافقته برسالة إلى دولة فرنسا عن طريق إسلامبول، ولكن الخديو صاحب منزلة عرش جمشيد لم ينظر للمساعدة من أي شخص سوى ذات الله المقدسة، وكان مقصوده من إرسال السفير هو رعاية قانون وآداب العهد المتعارف عليه.

٩٥- محاربة الروس والقراباغيين في رأس كوتش إيلات مع أبي الفتح خان :

في أثناء التوقف في عين "الحسن والحسين" حضر عطاء الله خان شاهسون، الذي كان قد ذهب لترحيل طوائف قراباغ، وعرض بأنه بعد عودة الموكب العالي تعالت بعض من الطوائف في الرحيل، فأقدم هذا العبد على معارضتهم مع الاحتياط بألا تُهلك أموالهم وسط الجنود، وبعد إقرار العرض واستدعاء أبي الفتح خان، كُلف فوج من حملة البنادق مع عطاء الله خان وبمرافقة أبي الفتح خان بهذه المهمة، فكانوا يرحلون الطائفة ويحضرونها.

ولأن طائفة جبرئيللو، أرسلت خفية شخصًا إلى الجنرال، وأحضروا فوجًا من الروس وجعفر قُلي أغا القراباغي لإعانتهم، وكانت الطائفة المذكورة قد وصلت إلى

مقربة من موقع "قبان" الذى يضم المعابر الوعرة والجبال المرتفعة والغابات الكثيفة، وحيث وصلت جماعة الروس وجعفر قُلى آغا، وأخرجت طائفة جبرنيللو أيضًا يدها من أكمام الجرأة لمرافقتهم ، ووضعوا بناء النزاع والحرب مع حملة البنادق ، وحميت سوق القتال من بداية النهار بساعتين وحتى الزوال. وفى النهاية نفد رصاص وبارود حملة البنادق، فقُبض على بعضهم، وحاول الكثير منهم الهروب إلى الغابة وأوصلوا أنفسهم إلى الأمان، ولما وصل هذا الخبر إلى نائب السلطنة ، تكدر عقله القويم، وكلف مقرب الحضرة إسماعيل بك وحسن خان القاجارى ومعهما فوج من العساكر الجرارة لمهاجمة الروس وصدهم فى المقدمة ، وتحرك الموكب المنصور أيضًا على أعقابهم عن طريق[ص ١٧٦]"أصلاندوز" الذى كان يبدو أنسب الطرق بسبب وفرة العلف به ، فألقى وصول هذا الخبر الرعب فى قلب الجنرال، فعين عدداً من الروس على قلعة "بناه آباد" وحمل هو سائر الروس الذين كانوا خارج القلعة، وفر فى سرعة وعجلة كاملتين إلى قرب كنجه ، وسلكوا على الفور وادى العودة ، وقد وصل هذا الخبر إلى مقيمى الحضور بعد عبور الموكب المنصور مياه نهر أرس .

٩٦- توجه رايات الجلال إلى ناحية شيروان :

على الرغم من أن إرادة عقله الأشرف كانت تنوى جزم العزم على التوجه إلى ناحية كنجه ، ولو أن الجنرال نبالستين أقدم على المقابلة، لانكشف حجاب النقاب عن وجه عيوبه المستورة ولامتد الأمر إلى محاصرة ذلك المكان ولاقتصرت كل الهمة على تحطيم قلعة الملوك وقمعها، ولكنه فى أثناء توجه الموكب المنصور من طريق آصلان دوز وعبوره من نهر أرس وصلت عريضة شيخ على خان وحسين قلى خان المنبئة على اتفاق أهالى دربند مع الروس وإحضار تلك الجماعة إلى تلك الحدود والثغور، ولأنه كان قد كلف بيرقُلى خان القاجارى مع فوج بمساعدتهم من قبل هذا وإعانتهم، فقد عُرض فى هذا الوقت أن مصطفى خان الشيرواني، الذى لم يكن باطنه موافقًا لظاهره، قد أرسل إسماعيل بك أخاه إلى ساحل نهر "كر" ومعه فرسان ومشاة كثيرون ومنع عبور الأبطال المنصورين، فكان تأديب ومعاقبة مصطفى خان الشيروانى وإخراج روس دربند أهم وألزم من محاصرة كنجه التى كانت ممكنة ومقدور عليها فى كل وقت من الأوقات.

ولهذا وجه النواب نائب السلطنة همته لاستئصال وإبادة مصطفى خان، فسير حسين خان القاجارى قائد خراسان مع فوج من مقدمة الجيش فى سرعة وهجوم، وجعلهم مقدمة عساكر مآثر النصر، ومن خلفه فتح رايات معجزة النصر وأمرها بالتعجل فى الركوض والنهوض بحيث إنه فى الوقت الذى كان فيه حسين خان القاجارى والرجال المكلفون يعبرون مياه نهر "كر" كان الأمير ذو الخصال الحسنة أيضاً ينزل فى إجلال على شاطئ نهر "كر"[ص ١٧٧] . وبعد حضوره، تفرقت وتشتت مشاة شيروان الذين كانوا فى تلك الناحية من النهر، وعبر حسين خان كما الريح من الماء ، وأشعل نيران النهب والإغارة باليابس والأخضر من تلك الديار وخرب أغلب الطائفة والمناطق ، ولأنه كانت قد فقدت بعض أموال تجار شكى وتبريز وسط ذلك فقد منحهم بدلا منها من الخزانة الواسعة .

ولما رأى مصطفى خان الشيروانى أنه قد حدثت مثل هذه الواقعة فقد صار مقترنًا بالوحشة والحيرة ودخل من باب العجز والإلحاح وأرسل شخصًا إلى بلاط صاحب الشوكة ، وطلب الأمان عن طريق مدبرى أمر الديوان، وأراد أنه بعد الحصول على الأمان والاطمئنان يسلك طريق العبودية ويطوى مسلك الخدمة والخضوع. وبعد الإلحاح وطلب غلمان البلاط ، كُلف طبقًا لأمر نائب السلطنة نجف قُلى خان كروس وعطاء الله خان شاهسون على قمة جبل" فُت"، الذى كان قد رحل إليها منذ فترة قبل ذلك مقدمة مصطفى خان مع أهالى مدينة شيروان، وكانوا قد شدوا رحالهم إلى هناك، وبعد المقابلة أظهروا له مراحم العقل القويم ذى العطف المختمر للأمير فريدون المثل. ونظراً لتقلب مصطفى خان وتلون مزاجه فقد كان يتشكك ، وكان كل لحظة يتنقل من غصن إلى غصن كالطير، وكان يتعلل ويتسوف فى نية الحضور إلى صاحب الشوكة، ولم يدرك قُبح المعنى على الرغم من أنه فيما سبق كان قد حضر إلى شاطئ نهر "كر" عند أحمد خان مقدم الحاكم العسكرى لتبريز، ولم يتخيل فى هذا الوقت أن موكب الإقبال قد نزل فى إجلال إلى تلك الديار، فيختار كما الخفاش البعد عن أشعة أنوار حضور شمس الآثار، وعندئذ ودون وعى أرسل محمد على بك بن خالته إلى ركاب شعار النصرة كى يدرك حضور باهر النور بدلاً منه. وبعد الاطلاع على هذا القصد ، عبر نائب السلطنة من نهر "كر" وتوجه إلى آق سو. وفى أثناء قدوم الموكب المسعود ، كلف مقرب الحضرة إسماعيل بك [ص ١٧٨] مع فوج من المجاهدين المظفرين بإخضاع الحصن المتين "شريان" والاستيلاء عليه والذى كانت أطرافه أرض على الماء والطين

والطرف الأخر محكم الأساس ، وقرر أن يُخضع حسين قُلى خان القاجارى ذلك المكان من الطرف الأخر وعندئذ هجم إسماعيل بك وحسين قُلى خان من الناحيتين وأخضعوا ذلك الحصن تحت سيطرتهم ووقع قتلى وأسرى لا حد لهم. وطبقًا لأمر نائب السلطنة ردوا الأسرى والكثير من أموالهم ، ورحّلوا أهالى ذلك المكان مع أهالى مرادخانى، الذين كانوا فى تلك المناطق فى أثناء قدوم حسين قُلى خان القاجارى وكانوا قد دخلوا تحت السيطرة وكانوا مايقرب من ستة ألاف أسرة، وأرسلوهم إلى "مغان" وبسبب مشاهدة هذه الحالة تغيرت راحة بال مصطفى خان الشيروانى إلى القلق والاضطراب ، فجعل سليم خان حاكم شكى واسطة عفو أخطائه، وقرر فى الظاهر أنه عزم على الحضور، وكان فى باطنه التفكير لحيلة ووسيلة أخرى، ووضع كل يوم بناءً جديدًا، وعطل الموكب العالى بتعلل اليوم وغدا فى "آق سو" إلى أن رَحّل شيخ على خان فوج الفرسان من الركاب المستطاب إلى ولاية "قُبه" وتشرف هو بالحضور بالاتفاق مع حسين قُلى خان حاكم باكويه وجمع كثير ، واستدعى القيام بأمر "دربند" وانتظام تلك الحدود والثغور.

ولكنه فى تلك الأيام، وحيث كانت طرة بيرق الأعلام المنتهية بالنصر زينة وجه شاهد الإقبال والمرام، كانت قدرة تكبر أهالى شيروان ومقدرتهم تفوق طاقتهم فى ميدان الحرب والمعركة ، ولم يكونوا يسكنون فى أوطانهم ولم ينزلوا من على قمة جبل "فت" إلا فى يوم كان قد ذهب فيه أمان الله خان مع عدد للحراسة ، فخدع أهالى ذلك المكان بسبب ملاحظتهم قلة جيشه فأقدموا على محاربته، فقتلهم وأسرهم جميعا ورجع إلى معسكر النصر المعظم .

٩٧- تكليف بيرقُلى خان القاجارى وشيخ على خان على دربند وفزع سليم خان [حاكم] شكى واطمئنانه

وبمصاحبة هذه الأحوال والأوضاع، وصلت من أهالى دربند إلى بلاط صاحب الشوكة والعظمة العرائض الكثيرة المتضمنة على [ص ١٧٩] العهود والمواثيق

اللامحدودة ، ومن ضمن ماكانوا قد طلبوه هو بأن يُكلف نائب السلطنة على دربند شيخ على خان وحسين قُلى خان باكويه مع فوج من المجاهدين لربما يصبحون مصدراً للخدمة. فقرن النواب نائب السلطنة سؤالهم بالإجابة. وكان مصطفى خان الشيروانى قد أشاع في عدة تلك الأيام أن نائب السلطنة كلف محمد حسن خان أخا سليم خان، الذى كان قد حُرمت عيناه من النور بسبب حدة كزلك القهر بأمر الخاقان المغفور له وذلك على يد مصطفى خان الدولوبى القاجارى فى عام رحلة قراباغ، بالقبض على سليم خان وحبسه ومعاقبته، فصدق سليم خان لبساطته وسذاجته هذا الكلام ، وأرسل طائفته وأحشامه إلى الجبل المشهور بـ "كلسن كورسن"، وسير شخصًا إلى الركاب المستطاب. وفى هذه المرة، استنتج فى سبيل الحصول على الاطمئنان لنفسه ، بحيث إنه لو كان في نظر نائب السلطنة هذا النوع من الخلاف بسبب كثرة الغضب فإنه بلا تأمل ، يحفر فجوة فى بنيان وجوده، ويقتلع نخل وجوده من جذوره ببلطة انتقامه .

ولكن بناءً على التماس وطلب الأمراء ومراعاة حقوق الخدمة السابقة، فقد كلف نائب السلطنة ابن الوزير المكرم ميرزا أبو القاسم لاستمالته، فأدركه فى بلدة شكى، وأزال من على صفحة خاطره غبار وحشته وفزعه بزلال الكلمات الممزوجة بالنصائح ، وفى إزاء هذه العاطفة العظيمة تعهد بأن يقبض على مصطفى خان الشيرواني طوعًا أو كرهًا دون تعب المجاهدين المظفرين . ومن المصادفات فى ذلك الوقت أن أُصيب المعسكر بأمراض كثيرة بسبب عفونة ماء وهواء "أقسو".

٩٨- بيان بتجمع بعض الأسباب التى أدت إلى عودة الموكب المسعود من شيروان

أدرك النواب نائب السلطنة (ولى العهد) وبإشارة من الهمايون الحضرة العلية ملك الملوك، أن أحمد خان أمير أمراء تبريز ومراغه أنسب وأولى من مهدى قُلى خان القاجارى من أجل تنفيذ وتسيير أمور الديوان وإنهاء الخدمات والأعمال المقررة لإيروان، وقبل هذا[ص ١٨٠] كان قد صدر أيضًا الأمر الملكى السارى التنفيذ فى هذا الباب، وبناءً على ذلك عزل مهدى قُلى خان من الحكومة ونصب أحمد خان مكانه. ولأن أحمد خان كان قد قصد إيروان بالتجهيزات والاستعدادات اللائقة وبالفرسان والمشاة

من تبريز، فإنه بعد قدومه إلى تلك المناطق قام بتعمير بُرج وحصن القلعة وبتنظيم أمور الرعية والجيش، ولكنه في تلك الأوقات انتشر بين الناس وباء بسبب عفونة وتلوث هواء إيروان، حيث طوى طريق الآخرة ألف وستمائة شخص من الفرسان والمشاة المكلفين وذلك عدا أهالي ذلك المكان، وقد ظهر مرض شديد على أحمد خان ، ولم يكن قد بقي شيء إلى هلاكه بسبب اشتداد المرض، وكان قد بقي أمر إيروان مختلاً بسبب مرضه ، فأهملت الأعمال، ووصل خبر مرضه إلى المعسكر وهو ماصار باعثًا على حزن وغم خاطر مرحمة المظاهر (خاطر ولى العهد) وذلك لأنه كان من الغلمان القدامى.

وانتهز روس بنبك والكرجستان الفرصة وقعدوا في كمين العداوة، والخلاصة أنه قد اختل أمر نخجوان أيضًا بسبب خصومة كلب على خان وعباس قُلى خان أبناء عمه، ووصل من البلاط السلطاني الخبر بأن الحضرة العلية الملكية مهتم باستقلال عبد الرحمن باشا والي بيان وعلى باشا والي بغداد حيث إن كل واحد منهما تحرك من مكانه، وتجاوز عن حده، وهو ما صار مصدراً لنقض العهد والميثاق وباعثًا على إثارة غبار الخلاف والنفاق بين الدولتين العليتين إيران والروم [الدولة العثمانية] ، وكما وصل الخبر من الجانب الرومى [العثمانى] بأنه حدثت المنازعة فيما بين ولد حسين قُلى خان الأفشارى ومصطفى خان حاكم هكارى من قِبل مسئولى الدولة العثمانية ، وكان يُظن كذلك أن تحدث خصومة واحتكاك بين الطرفين فى سائر الأقاليم أيضًا التى تتصل جميعها بالأقاليم العثمانية نظرًا لمقدمة وبداية تخريب بغداد، وبناءً على عدم الظن بهذا المعنى لم تصبح تجهيزات حراسة الحدود والثغور فى أثناء العزم على السفر على النحو الذى ينبغى. وقد وصلت عريضة بيرقُلى خان بأن أمر أهالى دربند بإرشاد الروس ممزوج بالخداع والمكر، وبأن شيخ على خان قد [ص ١٨١] صار أيضًا تائهًا ومخموراً ، وأنه خرج عن فكر وقيد الحرب، ونظراً لمشاهدة هذه الأوضاع فسيعزم بيرقُلى خان على الرجوع وسيأتى إلى "جواد" عن طريق باكويه ، وفى أثناء قدوم جنوده ووصول جيش الشتاء ، اقترب كثيرًا أيضًا من نائب السلطنة، وبناءً على تلك المراتب، ترك أمر شيروان معوقًا ، وأمر بالتحرك من "آقسو".

وبعد تحرك الموكب العالى بفترة قليلة، سير مصطفى خان فوجًا كبيرًا من طريق وعر ، وجعل مكان المعسكر خندقًا له، وبالمصادفة، كان النواب نائب السلطنة قد ترك

حسن خان القاجارى خلفه مع جمع من الغلمان الذين شعارهم الجلادة ، كمؤخرة إمداد فلاقوهم وهجموا على رأسهم مثل البلاء الفجائى، وقاموا بفصل وجود الملك المقيم قائدهم ومعه جمع من تلك الجماعة المشتتة من والى الروح وأمين سرها، وقبضوا على جمع كبير منهم ، وفر بقية السيف الأحياء وساروا إلى ديار العودة .

وكلف [نائب السلطنة] بيرقُلى مع جمع من الجيش الطالب للانتقام على "مغان" بحيث إنه لو يعرف الصلاح والفلاح ، يتوقف هناك وإلا يُرحِّل أهالى شيروان ورودبار ومغان ويسيرهم إلى منطقة طالش. وأصدر الأمر إلى الموكب المُزين بالنجوم بالعودة إلى دار السلطنة تبريز بغرض تنظيم الواجبات والمهام المدونة.

٩٩ - بيان بعض الأفعال غير المقبولة لمصطفى خان الشيروانى بعد تحرك الموكب العالى ، ومحاربته مع بيرقُلى خان وانهزامه :

وضع مصطفى خان فى أثناء لجوئه إلى سليم خان الشكى، بناء التحالف مع روس كنجه، وكان يُصر على إحضار تلك الجماعة إلى شيروان، وكانت تلك الطائفة متوقفة فى كنجه ومتمسكة بهذا العذر ، بحيث إنه لو يأتى رهن مصطفى خان إلى كنجه فسوف يصله الإمداد. فأوقف مصفى خان مرة أخرى يده عن إبرامه وإلحاحه وتمسك الروس هذه المرة بهذا العذر، وكانوا قد أرسلوا له رسالة : "إننا أعلنا لكوبتش الذى فى "قزلار" هذا المطلب ونحن فى انتظار جوابه".

وحتى ذلك وبعد عودة الموكب المظفر، فإن مصطفى خان أصبح نادمًا عن فعلته الشاذة [ص ١٨٢] ولم يكن له الميل مرة أخرى إلى إحضار الروس، بل إنه كان متضايقاً فى باطنه. ورأى الروس الساحة خالية، فقدموا إلى شيروان غفلةً، ولأن مصطفى خان كان له أيضاً عداوة مع أهالى ساليان والطوالشيين وأعوانهم وأنصارهم، فقد واسى نفسه أيضًا بأن يستولى بمعاونة الروس على ساليان، التى كانت أمنيته لسنوات، ولربما يُحضر ضمن هذا طائفته من مغان إلى شيروان . ولكنه خاف وخشى بسبب توقف بيرقُلى خان فى ساحل "كر" وميرباقر بك أخا مصطفى خان

الطالشي في ساليان وحسين قُلي خان في باكويه إلي أن علم أن حسين قُلي خان ، بعد اطلاعه على عودة ألوية الظفر ، وبسبب خوفه وفزعه حمل أهله ونسائه وأقاربه وأقوامه وعزم على الذهاب إلي بلاط نائب السلطنة عن طريق ساليان.

وبالمصاحب لذلك الحال، رأى المدعو "بولغاكف" أحد قواد روسيا أن باكويه خالية ودون أذى الشوك ومشقة الغير، فحمل على هذه الروضة الخالية من الأشواك وتحالف شيخ علي خان أيضاً في عالم اللاوعي مع بولغاكف دون تعب منذ فترة. واعتبر الحياة القصيرة الفانية الغنيمة. وكذلك وضع بعض من أهالي ساليان بناء الوفاق والاتحاد مع مصطفى خان الشيرواني لعداوتهم مع علي خان حاكم ساليان. فقوى قلبه بسبب هذا المعني وحمل الروس وقدم إلي "جواد"، ومصاحبةً لذلك الحال، حرك بيرقُلي خان أيضاً الطوائف وعزم إلي طالش حيث كان مصطفى خان الشيرواني قد قام بالإغارة ليلاً على جيش بيرقُلي خان، فأظهر بيرقُلي خان أوصاف الرجولة ولوازمها وأنزل به الهزيمة الفاحشة، وطاردهم حتى شاطئ نهر "كر".

وأرسل مصطفى خان، بعد هزيمته من بيرقُلي خان، جمعه مع الروس إلى "ساليان" ولما كان ميرباقر بك أخا مصطفى خان الطالشي، الذي كان حارساً لساليان مع ثلاثمائة من حملة البنادق طبقًا لأمر نائب السلطنة، كان له تأييد ورضا جمع كامل من أهالي ساليان ، ولم يكن عنده خبر عن تحالف بعضهم مع الروس ومصطفى خان،[ص ١٨١ م] وكان متوقفًا هناك ومشغولاً بالحرب والصراع، فجعل جمعًا كثيراً منهم طعمة للسيف. وفي تلك الأثناء ، فتح حلفاء مصطفى خان الباب للروس من خلفه ودخلوا ساليان، وفر علي خان بسبب مشاهدة هذه الأحوال ، وقبضوا على مير باقر بك وعلى الطوالشيين .

١٠٠- محاربة الروس مع سليم خان حاكم شكي وانهزامه بعد النصر بسبب هزيمة لكزية :

بعد الاطمئنان من باكويه وساليان وموغان، رأى الجنرال "نبالستين" ومعه أفواج الروس سليم خان وأهالي شكي بمفردهم وسط هذه الولايات ، فتحرك من كنجه بغرض مقاتلتهم ومحاربتهم . فأسرع لمقابلتهم سليم خان، الذي كان قد أخذ أموالاً من حكومة النواب

نائب السلطنة وأرسلها إلى رؤساء لكزية، فحضر جمع كبير من آوار وجاروتله لإعانته، وهو مطمئن اطمئنانًا كاملاً لاختيار [جبل]" كُلسن كوره سن" واستعداده بالذخيرة والمدفعية والأسلحة التى كانت عنده، واصطف للقتال والصراع معهم مرتين بالقرب من شكى ، وفي كل مرة جاهد برجولة، ولما كان الجبل الراسخ قد سلك مسلك الثبات والوقار ، فقد سحب الغبار من وجودهم، ولكن بحكم الأمر المقدر واقتضاء القضاء [بيت شعر ترجمته]

لا يستطيع أحد أن يتحدث عن كيف وماذا لأن الله هو كيــف ومــاذا،

فقد انهار جمع لكزيه فى أثناء معركة سليم خان بسبب صدمات وضربات المدفعية الروسية، فرجع سليم خان مضطراً من ميدان المعركة، وأخذ أهله وأولاده وأقاربه وأقوامه، وتوجه بوجه الأمل إلى بلاط الأمير نائب السلطنة. وفى عرض الطريق، قاد المعارك اللائقة مع الروس وأعوانهم وأنصارهم، وعبر من نهر "كر"، وعن طريق أردبيل وبمرافقة فرج الله خان شاهسون أدرك فى دار السلطنة تبريز شرف حضور صاحب الشوكة النواب فلك الركاب العالى، فصار مشمولاً بالعواطف اللامحدودة، وتوقف فى أردبيل بحكم نائب السلطنة مع أهله وعياله. وتوقف بولكونيك فى "جواد"، وكتب رسالة مفصلة إلى مصطفى خان حاكم طالش : [ص ١٧٦] بأنه : "لو تطلق العنان لطوائف شيروان وموغان وروذبار مع هذا الجانب وتسلك طريق الانقياد والخضوع مع الروس، فذلك هو المراد، وإلا فسوف يُوضع السيف السافك للدم على رقبة أخيك وثلاثمائة شخص من بنى أعمامك وعشيرتك وأقوامك ، وسوف يُفتح سيل الطوفان الثقيل بالقتل والفساد على تلك الديار". وكتب له مصطفى خان (حاكم) طالش الجواب الفظ ، وقام باستحكام أمره، وعرض كيفية جوابه وسؤاله على خدمة نائب السلطنة .

١٠١- فى بيان ظهور بعض من الأحوال، ومجيء المدعو إستبانوف مبعوث كدويتش قائد روسيا إلى بلاط نائب السلطنة وإرساله إلى بلاط الخاقان الجالس على عرش جمشيد :

فى هذا العام، حدث قحط وغلاء فى ولايات أذربيجان وكثير من بلاد العراق التى تحد أذربيجان ، فقد قل كلية ريع الغلال فى الأكثرية عن الربع ، وبسبب قلة الغلة

وفقدان التبن والعلف وتعذر ازدحام الجيش في البلاط، فلم تلتزم عدة جيوش ركاب نائب السلطنة المنتسب للنصر، وحيث عُرض من أحد الأطراف فجأة أن : "غراف كنويتش، وهو من بين جملة وزراء دولة روسيا وأهمهم مكانة وخبرة ومجربًا في برودة وحرارة العهد، قد كُلف بقيادة جيش روسيا بدلاً من "سيسيانلو" المعروف بايشبخدر، وقد حضر إلى تفليس من "قزلار" مع فوج من الروس ، وفي فكره اضطراب وتخريب إيروان وأحمد خان الحاكم العسكري الجديد لإيروان بسبب هجوم أفواج الأمراض الآخذة بخناق الموت، ومرض الجيش أيضًا، الذي كان أُعيد تجديده لحراسة القلعة، بسبب تلوث الهواء وعفونته، كما أصبح أهالي ذلك المكان قرناء الاضطراب والفوضى بسبب هذه الحادثة .

وعُرِضَ من أحد النواحي بأن روس قراباغ قدموا إلى "ناتف" وأصبحوا مستعدين للمعركة مع أبي الفتح خان وطوائف تلك الناحية، وبأن باشوات قارص وبايزيد وضعوا بناء الوفاق الكامل مع الروس ، وفكروا في إغواء طائفتي سبيكي وزيلان وهما من جملة طوائف إيروان .

فتوكل ولي العهد على الألطاف الإلهية، وتوسل بباطن حضرة ملجأ الرسالة [النبي] واعتمد [ص ١٧٦] على قوة طالع نصرة المطالع للحضرة العلية السلطانية ، ولم يركن غبار الملل والحزن على ذيل شوكته وإجلاله بسبب تغيرات عالم الكون والفساد ، فكَلَفَ حسين خان القائد القاجاري، مع فوج من المشاة والفرسان المتطوعين بولاية وقيادة إيروان وبتنظيم أمر ذلك الإقليم، وأوكل إليه تدبير أمر باشوات قارص وبايزيد ، وإحضار أحمد خان الذي كان في تلك الحالة مريضًا، وكَلَفَ بيرقُلي خان بإعانة ومساعدة مصطفى خان حاكم طالش ، وقرر لجمع تحت قيادة غلام من غلمان الديوان لإمداد ومعاونة أبو الفتح خان . وبقدوم حسين خان ، أغلق (غراف) كنويتش أساساً كان قد فتحه في فجوة إيروان، ورجع البولكونيك بمجرد قدوم بيرقُلي خان إلى بداية صحراء موغان وبمجرد استماعه لهذا الخبر، وتأخر عدة أيام في "شيروان" ومنها عاد دون توقف إلى كنجه ، وسلك روس ناتف برأسهم إلى طريق قلعة بناه آباد بسبب قدوم الجمع المكلف لدى أبي الفتح خان، وبعد تعيين بيرقُلي خان عزم على الرجوع روس شكي أيضاً الذين كانوا قد ذهبوا إلى رأس جاروتله بعد مقدمة هزيمة سليم خان. ولما كان طريق آوار وجان كتاى في تلك الأثناء مسدوداً بسبب كثرة البرد والجليد، فلم يكن للكزية وأعوان وأنصار سليم خان، الذين كانوا جميعهم متوقفين في "جار"، القدرة على

الرجوع، وتجادلوا وتحاربوا معهم كثيراً، وفى نهاية الأمر، قُتِلَ جمع منهم وفر الباقون من السيف، ورجعوا إلى شكى .

وحضر إلى أذربيجان جيش كثيف من المشاة والفرسان من بلاط صاحب الفلك ، فكلف بعضه لأبواب جمع حسين خان علىٰ إيروان ، وتوجهت البقية إلى موغان عند بيرقُلى خان .

وبعد استعراض نائب السلطنة لجيش ملجأ الظفر ومراقبته له فى دار السلطنة تبريز، جعل اهتمامه مقصوراً على وصول واجبات وإنعامات مشاة وفرسان الجيش المنصور وعلى التهيئة والاستعداد للسفر وتجهيزاته. وبالرغم من أنه كان وقت اشتداد برودة الشتاء وامتلاء الجبال والصحراء بالبرد والثلوج، لكن عزم مُزين العالم[ص ١٨٤] صمم بأن يطير علم العقاب فى كل وقت وفى كل ناحية حيث يقتضى تحرك الموكب المظفر وأن يتجهز للحرب دون تأمل وتأخر. وبسبب مشاهدة هذا الحال وتنبه الروس لهذا المعنى والمقصود، وضعوا بناء الوفاق وفتحوا أبواب الصلح والسلام على وجه مرادهم، وطبقاً لأمر ملك روسيا أرسل غراف كلويتش حاجبه [رئيس حراسه] المدعو "إستبانوف" إلى بلاط ملك الملوك صاحب عرش جمشيد ، وكتب خطاباً إلى معتمد الدولة العلية ميرزا محمد شفيع الوزير الأعظم وأرسل بعض الأشياء النفيسة له كذكرى، وطلب بأن تغمد السيوف المستلة في جرابها من بعد ذلك، وبأن تُراعي الطريقة المرضية للسلام والوفاق بين دولة روسيا وهذه الدولة الخالدة إلي الأبد، وقد أدرك إستبانوف المذكور شرف حضور صاحب الشوكة في دار السلطنة تبريز، ورأى قرين حاله أنواع الإنعام والإحسان من الأمير الموفق، وتوجه إلى دار السلطنة طهران بقصد العتبة المقبلة عتبة الإجلال لملك الملوك الذى لانظير له .

١٠٢ - مجيء رسول من قِبل الحاج يوسف باشا إلى بلاط صاحب العظمة الأمير الموفق، وطلبه إطلاق سراح سليمان باشا كهيا والى بغداد، وإرسال نائب السلطنة لفتح على خان بمرافقته كرسون إلى يوسف باشا

كان الحاج يوسف باشا الصدر الأعظم السابق، الذي كان القائد المقتدر للممالك العثمانية والوالي ذا الشأن العالي لأرض الروم وقراحصار وتوابع تلك الديار، دائماً

واسطة عقد الصداقة والسلام فيما بين دولتى إيران وآل عثمان، فقد كان يُراعى صلاح ومصلحة الطرفين وينظر إلى قواعد اتحاد الجانبين .

وفي هذا الموضوع أيضًا وبإشارة مدون أقلام الوقائع[١]، أشار إلى حيثيات معركة على باشا وظهر بمقام طلب العذر عن أفعال على باشا الخاطئة والتماسه إطلاق سراح سليمان باشا كهيا ، وأرسل محمود فيضى أفندى، الذى كان من جملة سادة الديوان، إلى حضور نائب السلطنة ، وتعهد بأنه من بعد ذلك لن يُظهر أى من باشوات [ص ١٨٥] أقاليم الحدود والثغور أمرًا يخالف رؤية الوئام والاتحاد ، وعلاوة على ذلك تُوقف الصداقة مع الروس برغبة الدولتين العليتين إيران وتركيا العثمانية، وبالاتفاق يقضيا أوقاتيهما فى تخريب بنيان فساد تلك الطائفة .

وتوجه ببعض الهدايا اللائقة إلى الحضرة ، ودخل دار السلطنة تبريز وفى مقام الاستشفاع ، وطلب بأن يُصبح النواب نائب السلطنة واسطة رفع غبار شجار على باشا والى بغداد وطلب إطلاق سراح سليمان باشا كهيا فى العتبة السلطانية. وبناء على ذلك، عرض نائب السلطنة تلك الموضوعات على الدولة القاهرة، فعفى الخاقان القابل للاعتذار عن تجاوزاته، وقرر بأنه من بعد ذلك لايصدر بأى وجه من الوجوه سوء السلوك مع حكام الأقاليم العثمانية من قِبل نائب السلطنة والأمير محمد على ميرزا، كما سمح لسليمان باشا كهيا بالانصراف مرفوع الرأس، وسيره إلى دار السلام بغداد.

وكما بدأ السلطان سليم خان سلطان ممالك الروم أيضًا القتال والحرب مع الروس بحكم المواجهة معهم فى واحد من الأقاليم العثمانية، وسيَّر نائب السلطنة فتح على خان الحاجب بن هدايت الله خان الرشتي كسفير بمرافقة محمود فيضي أفندى عند يوسف باشا . وبعد وصوله إلى ذلك الإقليم صار قرينًا للإعزاز والاحترام اللامتناهيين وفى سبيل حسن النية ورؤية المسالمة أحكم بنيان الوحدة والاتحاد فيما بين الدولتين ورجع.

وبالمصاحب لهذا الحال، قدم أيضًا المدعو "إستبان"[٢]، الذى كان من معارف مدينة تفليس، من عند كدويتش إلى حضور صاحب الشوكة نائب السلطنة، وألح من

(١) ربما يقصد هنا عبد الرزاق الدنبلى نفسه .
(٢) إستبان . هو إستبانوف كما ذكر من قبل .

جديد على استقرار ووضع بناء المصالحة والسلام، وكان قد استدعى أن يُسير إستبان إلى البلاط السلطانى ، كى يراعى من تلك الناحية أيضًا مسئولو الدولة المتزايدة يومًا بعد يوم الطريقة المُرضية للسلام . فجعل نائب السلطنة مبعوثه قرينًا للإنعامات والشفقة وسيره إلى بلاط الخاقان الجالس على عرش جمشيد [ص ١٨٦] وسمح له بالانصراف من بلاط ملك الملوك كسرى بعد الإبلاغ عن مطالبه ورسالته.

وفى تلك الأوقات، وحيث كانت طائفة الروس تسير من ولاية بايزيد، كانوا يشترون المؤن وما يحتاجون إليه بالذهب من الولايات الخاضعة تحت سيطرة يوسف باشا ويحملونها. ولأنه على الدوام ، كانت إرادة عقل يوسف باشا وضميره رضا وسعادة الحضرة العلية الظل الإلهى واسترضاء خاطر النواب نائب السلطنة، ولم يكن يريد أن تظهر منه قاعدة الخلاف فى مرآة المُلك وقوة اتحاد دولتى إيران والروم (العثمانية) وكانت معاملات طائفة الروس مع أهالى الروم (العثمانيين) على خلاف الرأى الكسروى، ومن قِبل نائب السلطنة البهية كانت قد صدرت أيضًا الإشارة بأن تُترك المعاملات فى تلك الحدود حتى لو ادعوا الإخلاص مع هذه الدولة ، ويجب أن يحرقوا بيدر عمر الأعداء فى روضة مريدى الدولة. ولهذا، أرسل إلى باشوات الولايات الحدودية، التى كانت تابعة لأمره ونهيه الشروح المؤكدة المنبئة على ترك التعامل مع جماعة الروس والتردد عليهم، وحذر الباشوات وخوفهم من معاملاتهم وصداقتهم وعلاقتهم مع تلك الجماعة، وقطع أساس معاشهم ومادة انتعاشهم، وبعد أن أدرك كدويتش هذه الإرادة ، قام بالعداء ، وأرسل الجنرال "سويدوف" إلى رأس قارص .

وبعد قدوم تلك الجماعة إلى تلك المنطقة، خرج محمد باشا حاكم قارص مع جمعه بنية الحرب ، وفى الخفاء تحالف مع جيش الروس، وولى بعنانه من أمامهم، وتحصن فى قلعة قارص، واستقر فى القلعة متخيلاً النفاق والخداع، واطلع يوسف باشا على هذا القصد والمعنى ، فعين سيد على باشا مع جمع من الجيش الطالب للانتقام، وبعث حكمًا إلى أهالى قارص وطلب منهم بأن يخرجوا محمد باشا من وسط القلعة أو يأسروه ويبعثوا به، فانتقل محمد باشا بسبب سماعه هذا الخبر وهو مفزوع بقبح فعله، وتقبل صد الروس وطردهم، وبناءً على ذلك خرج من القلعة، وبالمصادفة صار

سيد على باشا مُزينًا القتال والصراع مع الروس [ص ١٨٧]، فأنزل بهم الهزيمة الفاحشة، وتقهقرت تلك الجماعة عن قارص ، واستراحت فى القرى القريبة منها.

١٠٣- تحرك موكب الأمير ولى العهد المنصور من دار السلطنة تبريز، ووصول أخبار هزيمة الروس من الجيش العثمانى :

فى الثانى من شهر ربيع الثانى، أعلن نائب السلطنة عن عزمه على تأديب المتمردين قريبهم وبعيدهم وعلى استحكام وانضباط أمور الأقاليم الحدودية والثغور ، فاحتشدت دار السلطنة تبريز بالعساكر المُزينة بالنصر، وفُتحت أجنحة الراية البيضاء المضيئة رغبةً فى دفع الخصوم ، وفى أثناء توقف الموكب الفاتح خارج المدينة ومعه المدافع التى لها مهابة الثعابين والطوربيدات[1] التى لها صولة الحياحى، والفرسان الخارقين للعدو والمشاة ذوى النيران المشتعلة، وصلت الرسالة من يوسف باشا والعريضة من حسين خان القاجارى قائد إيروان متضمنة أخبار انتصار الجيش العثمانى وهزيمة الروس ، وكيفية تلك الأخبار كانت كذلك: ذهب ابن كدويتش إلى رأس قلعة "آخر كلك" بأخسقه ومعه أربعة آلاف من المشاة المطرين لنيران البرق، وأخذ كدويتش فى التحرك من خلفه، ولسماع هذا الخبر، أرسل سليم باشا والى آخسقه ثلاثة آلاف من حملة البنادق من جماعة اللاز، الذين كانوا من المشاة العظماء فى تلك الأقاليم، إلى قلعة "آخر كلك" لمعاونة أهلها. وهجم ابن كدويتش مع أبيه، وقبل طلوع الصبح بثلاث ساعات، على القلعة، ومن كل ناحية وضعوا السلالم على الجدران، ولمشاهدة هذا الحال فتح حراس القلعة أيديهم للقتال والمعركة ، وفى النهاية ، وفى وقت الصباح انتصر الجيش العثمانى على الروس، وولى الباقون من السيف بالهزيمة من برج وحصن القلعة، وخرج الجيش العثمانى من القلعة، وقام بتعقب تلك الطائفة ، فلونوا أديم الأرض من دمائهم ، وحتى الوقت ، الذى كان غراب الليل قد فرش فيه جناح الظلام على أطراف العالم، كانت الحرب قائمة بينهما، وانهزم كدويتش ومعه جيشه دفعة واحدة وتحطم سد ثباته واستقراره بسبب صولة وصرامة الجيش العثمانى، ومن

(١) الطوربيدات : مدافع صغيرة .

ذلك الإقليم رجع إلى حدود تفليس، واستولى الجيش العثماني منهم كغنيمة على خمسمائة وخمسين حربة وكثير من الأعلام والبيارق وخمس [ص ١٨٨] عربات مدفع وست عربات أسلحة .

١٠٤- ثورة أهالى إسلامبول وجماعة الجند الجدد [الإنكشارية] على السلطان سليم ملك الروم [الخليفة العثمانى] وعزله من السلطنة ورفع السلطان مصطفى مكانه على العرش، وكيفية هزيمة جيش الروم :

فى أوائل شهر ربيع الثانى، ثار مسلمو إسلامبول وأصحاب جماعة الجند الجدد [الإنكشارية] على السلطان سليم خونكار، الذى كان سلطانًا طيبًا، وقد ألقوا القبض عليه بهذه الحجة وهى بأنه كان قد أسس جيشًا جديدًا وبأنه كان يهتم اهتمامًا كاملاً بنشر هذا الجيش والنظام، وعزلوا حضرته من السلطنة، ونصبوا حضرة السلطان مصطفى مكانه وهو ابن السلطان عبد الحميد خان الذى كان قد مكث لفترة فى زاوية الخمول ، وأجلسوه على عرش الحكم ، كما قبضوا على الحاج إبراهيم نظامى، الذى كان قد أسس هذا الجيش، مع جمع من رجال الدولة، وقتلوهم، وقاموا بتغيير وتبديل جمعًا آخر من أمناء الدولة. ولم يكن حتى ذلك الوقت، قد انتشر هذا الخبر فى أرض الروم، وكان كدويتش بعد هزيمته من الجيش العثمانى، قد جهز مشاته مرة أخرى، ورفع راية الحرب تجاه قارص بنية المحاربة مع يوسف باشا، فسلك طريقه ناحية "شوره كل" بإيروان، وكان يوسف باشا قد اغتر فى ذلك الوقت بسبب هزيمة الروس التى كانت قد وقعت فى "آخركلك أخسقه" فاستنبط النواب نائب السلطنة تعجله وتسرعه وهما الباعثان على اختلال الأمور، بسبب نخوته وغروره، فأعلن له فى عالم النصيحة بأن يسلك التأنى والاصطبار فى أمر محاربة الروس، ولايتسرع، ولايجهز أدوات الحرب، وأن يقوم بترتيب الجيش وباستمالة كل أمير ومحارب ، وذلك حتى الوقت الذى تظهر فيه راية مُزين العالم الأمير الفلك الوقار بعزم ثابت ورأى صحيح على تلك

الحدود ، وعندئذ يكون يوسف باشا مستعداً للعمل وجاهزاً للحرب، وبالاتفاق والتحالف للجنود اللامعدوده لإيران والدولة العثمانية يقومون بصد ودفع الروس(١).

وقبضوا على حسين خان القائد [ص ١٨٩] الزائى وكداخان ومحمود خان التايمنى أخى بُلنك بوش خان الجمشيدى وستة آلاف شخص آخرين المتبقين من طعمة السيف الظالم للروح وستة أو سبعة آلاف شخص أيضًا، الذين كانوا يساوون مائتى شخص من عظماء وزعماء تلك الجماعة الشيطانية مثل عبد الغياث خان نوفل الزائى ابن أخى مددخان الزائي والأخ الآخر لبلنك بوش خان الجمشيدى وبرخوردارخان إسحق الزائى. ووقعت فى يد المجاهدين المظفرين الغنائم والأموال اللامحصورة من الذهب والفضة والخيام والعتاد والخيل والبغال والجمال التى كالجبال وغير ذلك اللامعدود الذى يخشى المحاسب تعداده وإحصاءه وقد صار الجبل والوادى متلونًا بدماء القتلى من (مكان) معركة الصراع والنزال وحتى بوابة هراة وتفرقت الأعداد الباقية من السيف وتطرقت النكبة والبوار عليهم وتعقب محمد خان القاجارى الفارين حتى بوابة هراة، وأقام حصنًا فى مواجهة بوابة هراة ورفع إلى السماء راية محطم العدو. وكان الأمير فيروز قد أوصل نفسه مع شخصين أو ثلاثة فى منتصف الليل إلى هراة. فصار محاصراً ومتوارياً فى القلعة بالنواح والحسرة ، وسال دم القلب من عينيه على وجهه.

١٠٥- بيان مقتل على باشا والى بغداد بالسيف الظالم للغلمان ذوى الأصل السيئ، وجلوس سليمان باشا كهيا مكانه على وسادة حكومة بغداد

عندما وقعت فى السنة الماضية الأفعال والأعمال الشاذة بسبب الخسة والدناءة وعدم التجربة من على باشا والى بغداد بالنسبة لخدام وعمال الخاقان ذى المقام العالى، رجع قرين الهزيمة والانكسار على دار السلام بغداد، وتراجع أهاليها إلى الوراء .

(١) هكذا جاء هذا الموضوع مقطوع وغير مكتمل ويبدو أن هناك نقصًا فى هذه الصفحات رغم اكتمال ترتيب أرقامها كما أن الموضوع الذى يليه لاتوجد مقدمته أو بدايته حيث إن السابق لا يتفق مع اللاحق . وهذا النقص موجود فى النسختين : أى نسخة مكتبة جامعة القاهرة ونسخة مكتبة جامعة إصفهان وهما اللتان اعتمدنا عليهما فى ترجمة هذا الكتاب. كما ذكرنا من قبل. (المترجم)

وفى أواسط شهر جمادى الأولى، قام غلامان كرجيان من غلمانه وبتحريض من أحد مقربيه، الذين كانت لهم الصداقة الحميمة معه، بقتله فى أثناء الصباح، واطلع على هذا الوضع أعاظم وأعيان بغداد وجماعة الإنكشارية [الجيش الحديث]، فبادروا إلى خدمة سليمان باشا [والى] كهيا، ورفعوه إلى الحكم مكان على باشا ، وغرسوا بذور إرادته وحكمه فى أرض القلوب[ص ١٩٠] وامتطى قتلة على باشا دواب الفرار والهروب بسبب مشاهدتهم هذا الحال، فعين سليمان باشا عدة فرسان عليهم، فأسروهم فى الطريق وضربوهم بالسيف البتار وأرسلوهم إلى دار البوار، ودون الوقائع المسطورة فى العريضة وتوجه بهدية لائقة إلى بلاط الخاقان الموفق، وبعد وصول هذا الخبر إلى البلاط العثمانى، كلف السلطان [ال مصطفى ملك الروم يوسف ضياء باشا على حكومة بغداد ورئاسة العراق العربى وتلك الحدود ، وبعد اطلاع سليمان على هذا الوضع، جعل رجال الدولة راضين عنه، وعن طريقهم افتخر مرة أخرى ومن جديد بحكومة العراق العربى، واستقدم مدبرو البلاط العثمانى يوسف ضياء باشا إلى دار الخلافة إسلامبول، ووضعوا عثمان باشا مكانه على أرض الروم وقراحصار وأرسلوه هو إلى البلاط العثمانى، وبقيت تلك المناطق خالية بسبب صواب رأيه ورؤيته حيث كان معجزة فى قوانين أقاليم الحدود والتصرف مع أهالى الولايات، واستخدام أسلوب المداراة مع المعرفة والغريب .

١٠٦- عودة الموكب المظفر إلى دار السلطنة تبريز، ووصول السفير العالم ميرزا محمد رضا القزوينى مع الجنرال غاردان وسائر السفراء الفصحاء إلى بلاط الخاقان الموفق، وتكليف عسكر خان بالسفارة :

فى هذا العام، وبمقتضى الطبع الغيور وعلو الهمة وشهامة الفطرة، كان للنواب نائب السلطنة والخلافة الإرادة مع الجيش، الذى كان حاضراً فى الركاب المنتسب للنصر، بأن يقوم وبتصميم العزيمة القوية الراسخة بمحاربة جيش روسيا.

وطالما قاموا بإرسال عرائض الحاجة والإلحاح والالتماس بخصوص هذا الشأن إلى خدمة زحل الرفعة ملك الملوك جمشيد العظمة، حيث كررت جماعة الروس على لسانها المصحوب لمبعوثيها أحرف الصلح والسلام، وطلبت من مسئولي الدولة الخالدة عقد شرط الصلح وعهد الهدنة وإيقاف الحرب بينهما ، ولم يسمحْ رأى مزين العالم السلطاني، الذى هو نموذج لعقل الجميع، ولم يأذن للأمير نائب السلطنة بإثارة غبارة الانتقام والقتال وإشعال نار الحرب والصراع.[ص ١٩١]

وبناءً على هذا، ولأن أيام الخريف كانت تقترب وكان ينقضى وقت زحف الجيش ، فقد تحرك الموكب المزين بالنجوم من مرج "أشكنبر"، وفى الثامن عشر من شهر رجب المرجب، زين دار السلطنة تبريز، وقضى بانتظام جميع الأيام وفى همة عالية النهمة بإتمام أمور جند الانتقام وبترتيب وتنسيق الجيش والنظام ، وكان فكر شمس المآثر معطوفًا على نظم أمور الرعية وشئونها وعلى إراحة الجيش الجرار من المشاة والفرسان، فقسم خيل جند الجلادة والمشاة والفرسان إلى ثلاثة أقسام، وعين كل فوج على واحد من الأقاليم، بحيث يكون بموجب نظام العمل، مستعدا وجاهزا للمعركة، وكانوا فى كل يوم يتدربون على قواعد العسكرية الجديدة على الدوام .

وفى الثامن من شهر رمضان المبارك، رجع السفير الأديب ذو الخصال الطيبة ميرزا محمد رضا القزوينى، الذى كان مكلفًا بسفارة دولة فرنسا، فقد أكرمه نابليون وجعله قرين الإعزاز ، وكان قد رفع راية الصداقة والتحالف فى مضمار الصداقة العلنية ، وبعدها بعث بالجنرال غاردان، الذى كان من ضمن مقربى ومحرمى بلاطه وقائدا لاثنى عشر ألف جندى، ومعه أربعة أشخاص آخرين من مشهوريهم وفنانيهم وخبرائهم العقلاء ، ومعهم رسالة الصداقة الحميمة واتفاقية المحبة وكانوا جميعهم فى صحبة ميرزا محمد رضا القزوينى إلى خدمة الخاقان الموفق والأمير ولى العهد نائب السلطنة .

وخلاصة مضمون هذه الاتفاقية[1] ذلك: "بأن نابليون كان قد تعهد بأن يُخرج الروس سواءً بالحرب أو بالسلام من الكرجستان والولاية التي تحت سيطرتهم، وطالما أن هذا الأمر لم ينجز (لم يجد الفصل فيه)، فلا يحوم حول الوفاق مع دولة روسيا، ولا تكون دولة إيران أيضًا في هذه الحالة مقيدة بقيد صداقة دولة إنجلترا وأن يقرنوا سؤالهم بشأن التدخل في الهند بالنتيجة".

وقد أسرع ميرزا محمد رضا القزويني والجنرال غاردان السفير بالتشرف إلى دار السلطنة تبريز لخدمة نائب السلطنة وذلك في أثناء الاحتفال العام، وعرضا رسالة [ص ١٩٢] نابليون عليه، فشاهدا كافة أنواع الرعاية والإحسان، وكلف النواب نائب السلطنة فتح على خان نوري رئيس الحراس، الذي كان من أعاظم البلاط ورجلاً ذا منزلة وخبيرا، لاستضافة السفراء، وفي الثاني من شهر رمضان توجهوا إلى بلاط الخاقان خاتم سليمان، وبعد قدومهم إلى دار السلطنة طهران، بذل كسرى الموفق كافة أنواع الألطاف والرعاية والشفقة بشأنهم فجعل الجنرال غاردان مفتخرًا بلقب خان، كما جعل رفاقه مفتخرين ومختصين بالإنعام والرعاية اللامحدودين، وكلف من موضع عرش السلطنة عسكر خان الأفشاري الأرومي، الذي كان من كبار القواد، ومعه التجهيزات ولوازم المعيشة الكاملة للسفارة إلى فرنسا، وسار وهو في صحبته من البضائع الغالية والتحف الجذابة على سبيل التذكار والذكرى ومعه رسالة بداية المحبة والألفة من قبل قرين الشرف الحضرة العلية ذي الرتبة الفلكية والنواب نائب السلطنة والخلافة.

(١) لم يذكر عبد الرزاق الدنبلي كل مضمون هذه الاتفاقية المجحفة لحق إيران وذلك لتعمده عدم الإفصاح عن أخطاء فتح علي شاه وحكومته لأنها في رأيه من أسرار الدولة، أما بشأن بنود هذه الاتفاقية وحقيقة مضمونها فيقول عباس إقبال بشأنها "عقد ميرزا رضا خان [القزويني] عن فتح علي شاه في الخامس والعشرين من صفر (١٢٢٢ هـ ق) في "فينكنشتاين" معاهدة مع نابليون شملت ست عشرة مادة، تعهد نابليون بموجب هذه المعاهدة بأن يسعى إلى استرجاع الكرج إلى إيران وإجبار روسيا على تخليتها وإرسال الأسلحة والمدافع والبنادق والمهندسين والمعلمين لإصلاح الجيش الإيراني وتقويته، وقبلت إزاء ذلك إيران أن تحالف فرنسا في حربها ضد الإنجليز وروسيا وأن تعلن فورًا الحرب على إنجلترا وأن تحرض رعاياها الأفغان على مهاجمة الهند وأن يسمح الشاه لنابليون بعبور إيران إذا أراد غزو الهند عن طريقها ويصبح موانئ الخليج الفارسي وسواحله تحت اختيار البحرية الفرنسية إذا اقتضى الأمر" (انظر: تاريخ إيران بعد الإسلام، الترجمة العربية، محمد علاء الدين منصور، ص ٧٥٩)

١٠٧- تكليف العارف بالحقائق والمعارف السيد إبراهيم شيخ الإسلام الخوئى من بلاط ملجأ العالم إلى سفارة الروم[1] :

عندما كان قد استلزم فى تلك الأوقات جلوس واستقرار حضرة منبع السلطنة السلطان مصطفى سلطان الروم العظيم من جديد على عرش السلطنة والحكم، ولقد كانت على الدوام تراعى فيما بين هاتين الدولتين الخالدتين قواعد المحبة والمودة عن طريق تردد السفراء والأمناء ، ولهذا السبب كان إرسال رسالة الصداقة فى صحبة شخص مترجم ورسول بليغ وفصيح هو من لوازم أخلاق وأحوال السلطنة. ولهذا، كُلِّفَ من بلاط صاحب الفلك الخاقان الموفق، ناشر كنوز الحقائق والمعارف والعالم برموز الفضائل والعوارف شيخ الإسلام والمسلمين السيد إبراهيم شيخ الإسلام الخوئى بالسفارة وأرسل فى رفقته الرسالة المشتملة على التهنئة بالجلوس المأنوس بإنشاء كتبة عطارد.

١٠٨- بيان وقائع سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين هجرية، ونقض عهد وميثاق كدويتش قائد روسيا [ص ١٩٣] ومجيئه مع الجيش اللامحدود إلى إيروان وانهزامه :

فى ربيع هذا العام المبارك، قام النواب نائب السلطنة بتجهيز آلات القتال وتهيئة وإعداد لوازم الحرب والمعركة، وقد قرر الخاقان فاتح البلاد أيضاً أن تتحرك فى وقت العمل أفواج بحر الأمواج التى كانت منتظرة الأوامر العلية وكان مكنون ضمير النواب نائب السلطنة ذلك هو بأن يسرعوا إلى رأس الجيش الروسى قبل إقدامه واقتحامه هو لهم .

وفى هذه الحالة توجه أحد المسرعين من كدويتش قائد روسيا الذى كان كعود البيلسان إلى البلاط الملكى، فكانت خلاصة مطلبه من الخاقان فاتح البلاد هو الصلح

(١) سفارة الدولة العثمانية .

والسلام، وكانت متضمنة أيضًا بأنه بعث برسالة تفسيرية إلى الجنرال غاردان سفير إمبراطور فرنسا [فى إيران] حيث إنه نظرا لاتحاد وتحالف دولتى فرنسا وروسيا، فلروسيا أيضاً الرغبة الكاملة فى مصادقة ومصالحة دولة إيران، وبأنه قد ترك الخوض فى هذا الأمر العميق وإتمام هذا الشأن العجيب إلى مسئولية رعاية الجنرال غاردان خان، وعرض السفير الصافى القلب طلبه أمام كرسى عرش أيوان الخديوى الفريد، فقال الخاقان فاتح البلاد فى إجابته إن مقصود كدويتش من إعلان هذا الموضوع ليس إلا تلاعبًا ومكرًا وخديعة وإثارة لغبار الفتنة والشغب وإن غرضه من هذا الإصرار سيُبرز ويُظهر العداوة. وقد سعى الجنرال فى خدمة كسرى الفريد إلى عرض وتفصيل بعض الأدلة، وحصل على الإذن والتصريح فى إتمام أمر الوفاق والصلح من خدمة فلك البسطة الخاقانية، وأعلن إلى كدويتش قبول التماسه ومطلبه من ديوان الملوك الملاصق للفلك. وأرسل [كدويتش]" وان باردن وريدى" قائد المدفعية الروسية، وكان قد أعلن عدة رسائل منبئة على إعلان الامتنان وتقديم الشكر اللامحدود إلى نائب السلطنة والجنرال غاردان خان. وتحرك من تفليس بحجة تعويض هزيمة العام الماضى فى أخسقة وبيلامش فى منطقة بنبك .

وأرسل النواب نائب السلطنة سلالة الأطياب ميرزا عيسى الوزير الملقب بميرزا الكبير إلى بلاط ملجأ العالم الخاقان حضرة الفلك [ص ١٩٤] ، وعرض كيفية الحال على عاكفى كعبة الجلال ، فأصدر الخاقان الذى لاشبيه له الأحكام المشبهة بالقضاء بإعداد وتهيئة لوازم المعركة وبتسيير أفواج الجنود الذين لهم طباع الأسود ، وكان الجنرال غاردان خان ملتزمًا ركاب الهمايون فى مرج سلطانية، وأُحضِرَ بسبب هذا القصد، وعرض غاردان أمام كرسى عرش الحضور وهو فى مقام الحاجة بأن "تجهيز وإعداد آلات وأسلحة معركة الروس، الذين هم الصديق للدولتين إيران وفرنسا، لا حقيقة له، وأن اليقين الحاصل لى هو بأنه فى هذه الفترة نفسها، سوف يصل بريد مستعجل من دار الملك باريس، وهى عاصمة ملك فرنسا، وسوف يصل خبر إخراج الروس من أقاليم إيران الحدودية، ولأن الأمر يقبل بملائمة الحكم، فقد كان الإصرار على المعاداة بعيداً عن رؤية الحزم، ثم إنه من المُحق أن يعود الجيش الطالب للانتقام إلى دياره وثكناته حيث الآن فصل الخريف، وفى فصل الربيع القادم يصمم على

التوجه إلى رحلة الهند[1]." فقال الخديو الفريد: "بأنه إذا كان فى الواقع مقصود كدويتش من التوقف فى بنبك هو التوجه إلى إيروان، وعلى غفلة يضع بناء التجسس بغرض احتلال قلعة إيروان ، فإنه نظراً لعدم الاستعداد للحرب، فسوف يضيق الأمر على أهالى القلعة." فتعهد الچنرال واتفق على هذا المضمون وهو: "بأنه إذا وقع من قِبل الروس الأسبقية فى الحرب مع أبطال إيران، فيكون مجرمًا ومذنبًا أمام بلاط حاكم عرش جمشيد، ويستدعى ذلك أيضًا بأن تُحرر من قِبل حضرة قرين الشرف الوثيقة على هذا المضمون وهو بأنه إذا وقع من قبل نائب السلطنة (ولى العهد) الأسبقية فى المشاكسة مع الروس، فيكون الوزير الشبيه بأرسطو مستعداً لعتاب سلطان فلك الركاب، ويقدم على ذمة مؤاخذة السخط السلطانى" .

وفى حضور كسرى المنتصر، كُتبت الاتفاقية وخُتمت، وسلمها كلاهما للآخر، وتقرر بأن تُراعى وتراقب فيما بينهما نظام الهدنة، ولا تصدر من كلا الجانبين الرسالة المؤذية للقلب ولا السهام المغضبة للصدر، وبأن يكون سيف المجاهدين الصائد للروح فى هذه الفترة مثل سيف الكواكب لاعمل له ومتواريًا خلف غلافه [ص ١٩٥] ، وبأن يكون الطرفان مرتاحين من الحرب والاصطفاف للقتال .

ومع ذلك، أكد الخاقان الموفق تأكيداً موثوقًا، بناءً على قانون الحزم ورعاية جانب ملك العالم الله (جلا جلاله)، على الوزير الصافى القلب بحمل الخزانة ونقل تجهيزات الجيش المظفر، ولم يستلزم منه هو الحسن الطباع (ولى العهد)، من أجل خاطر عهد الچنرال، نقل التجهيزات والأسلحة وقيادة الجيش الكثيف إلى ناحية أذربيچان، وقد سُمِح له بالانصراف من البلاط الملكى بدون الجيش وعتاد ومؤنة الاصطفاف للمعركة، وانضم [الچنرال غاردان] فى بلدة خوى بركاب الأمير الموفق المنتسب للنصر.

وبالمقارن لذلك الحال، أسرع مبعوث كدويتش إلى الچنرال غاردان، وكان هذا المضمون واضحًا من عنوان رسالته وهو: "بأنه طالما أن الصداقة بين روسيا وفرنسا

(١) من الملحوظ دور فرنسا فى إبعاد أنظار إيران واهتمامها بالحرب مع روسيا وجعلها تعمل فى ناحية أخرى وهى الهند لخدمة مصالحها وأهدافها ضد إنجلترا فى الهند . (المترجم)

فإنه من البديهى سيوضع بناؤها بين دولتى إيران وروسيا أيضًا بالضرورة فى الفترة نفسها، لكن فى هذا الوقت، وصلنى حكم من إمبراطور روسيا بأن أعزم إلى إيروان، وإرادة مافى ضميره هو أن تظهر بوساطتكم صورة أمر السلام في مرآة المراد . فأرسل الجنرال غاردان خان موسى لاجار نائبه فى صحبة مبعوث كدويتش وكتب إليه بعض الرسائل، وفى عرض الطريق حدث له طارئ شديد، وتأخر فى قدومه .

١٠٩- بيان نقض عهد كدويتش وقدومه إلى رأس إيروان، ومحاربة حسين خان القائد مع جماعة الروس :

تحرك كدويتش مع عدد وافر وكثرة لامحدودة إلى ناحية إيروان، وكلف الجنرال نبالستين أيضًا على نخجوان مع جمع عن طريق قراباغ، وسلك مسلك نقض العهد متخيلا أنه ربما يظهر فجأة شاهد مراده ويُثمر غصن أمله القديم، ويفتح فجوة فى رأس أقاليم الممالك المحروسة بالسعى والمحاولة .

فعرض كيفية وضع الأحوال على بلاط الخديو الفريد، الأمير نائب السلطنة الذى كان له فى طريق الرجولة والشجاعة عهدًا كبنيان السماء المحكم، وكان يرفع راية المروءة والفتوة على الفلك الأعلى، وكان حتى ذلك الوقت على العهد والميثاق ولم يفكر فى القتال وهوس المعركة [ص ١٩٦] والمقاومة، وذلك بعد التأكد من نقض العهد والميثاق، وكان يُعد لمجيء تلك الطائفة ولم يبد اعتناءً واهتمامًا بهم، وكان يرى نقض عهدهم فى نظر همته العالية سهلاً. وعندئذ، أصدر الأمر بتقسيم الجيش، الذى كان مكونًا من المشاة والفرسان فى ظل راية فتح المعجزة ، إلى قسمين، فأرسل جماعة حملة البنادق ذات الماسورتين التبريزيتن وفوج جنود مراغه مع الغلمان حملة البنادق والمدفعيين بالمدافع التى فى قوة المجرة لمعاونة وإمداد حملة البنادق الإستراباديين والدماوندیين وغلمان الحكومة الملكية الخراسانيين الذين كانوا عند حسن خان القاجارى أخى حسين خان قائد إيروان والذين كانوا مشغولين بحراسة القلعة. وأكد عليهم التأكيدات البالغة بمراعاة لوازم وشروط حراسة القلعة وحمايتها، إلى أن يسرع صائنو الأسود الغادرة

من بلاط الخاقان فاتح البلاد إلى ركاب نائب السلطنة، وأن يستعدوا للأمر كما ينبغي ويليق. وكلف جمعًا من جند تبريز وخوى ومعهم عدد من حملة بنادق [طوائف] مقصودلو وتشناشكي ؛ وخان دوزي وعدة أشخاص من غلمان الدائرة الخاصة بفتح على خان نورى رئيس الحرس المسلح إلى نخجوان. ونزل الموكب المُزين بالنجوم نزول الإجلال في بلدة خوى لانتظار قدوم جيش ملجأ الظفر في ركاب الخاقان صاحب عرش جمشيد.

وبعد الانتهاء من هذه المهام، كُلِّف، طبقًا للأمر الملكي، فرج الله خان رئيس الجلادين، الذي كان مكلفًا فيما سبق بحكم الخاقان المُسيطر على العالم مع جيش عظيم لتمكين وتثبيت عبد الرحمن باشا والي بيان في سليمانية بغداد ، بعد الانتهاء من الخدمات المقررة إلى خدمة الأمير، فقدم إلى بلدة خوى مع الجيش المجهز. ومن ناحية أخرى، قدم أمان الله خان الأفشاري حاكم "خمسة" أيضًا مع ألفي فارس من خمسة، وفي خوى أدركوا شرف الحضور الموفور السرور. وتحرك نائب السلطنة من خوى مع الجيش المجهز ، وأكد العزم على محاربة ومقاتلة الروس ، وفي المنزل الأول عُرض على رأى الواقفين في حضرته أن القائد حسين خان ذهب [ص ١٩٧] إلى رأس طريق كدويتش من أجل طمأنة فرسان أكراد إيروان من ذوى الأصل السيئ وسائر أبواب جمعه، وعند قدومه إلى تراب إيروان كان وقت التقاء الفئتين وتقابل الفريقين ، وكان القائد حسين خان منشغلاً بالمعركة والقتال مع روسيا، ولم يكن قد تحكم الروس في إطلاق المدفعية، فولى أكراد إيروان، دون أن يصل الضرر لأحد من تلك الطائفة، كوحوش الصحراء من مكانهم، وسلكوا وادى الهروب والفرار، وأسرعوا من هناك إلى طوائفهم، وأخذوا أحشامهم وقبائلهم وكل ما قد وصلت إليه أيديهم، وعبروا مياه نهر أرس. وكان القائد قد عاد إلى حصنه ومعسكره بعد محاولة وسعي كبير بالرغم من قلة الجيش وكثرة النوايا السيئة ولم يكن قد رأى فائدة في الحرب. وبسبب الاستماع لهذه الأخبار، كلف نائب السلطنة على الفور فرج الله خان عن طريق "تشورس" وأمان الله خان عن طريق نخجوان لامداده ومعاونته، وعين أحمد خان مقدم على تلك الحدود من أجل حراسة حدود نخجوان. ولما كانت حدود قراجه داغ وأردبيل ومشكين في مثل هذا الوقت خالية من محترفي صائدى أسود المعركة، وكان يستلزم تعيين الجيش على تلك

الحدود ، فقد كلف أمير خان القاجارى مع فوج من الجيش على حدود الدامغان ومنتجعات قراجه داغ الشتوية ، وساروا بالمدفعية والطوربيدات والمشاة والفرسان الجرارة والتجهيزات التى لا تُعد ولا تُحصى. وتوقف موكب ربيب النصرة مع عدد من ملتزمى ركاب النصر والجنود الفراهانيين والكزازيين، الذين لم يكونوا قد تعلموا بعد العسكرية الجديدة، فى منزل "تشورس"، وبعد يومين أو ثلاثة عُرض على الرأى الأبيض المضيىء أنه قبل قدوم فرج الله خان وأمان الله خان إلى إيروان، رغب كدويتش نفسه فى محاصرة قلعة إيروان، فسير الجنرال سماندرويتش بارت نكين برأس مليئة بالشرور والفساد من أجل احتلال "شرور"، ولم يحتمل القائد [حسين خان] بمقتضى جلادة ذاته وغيرة فطرته ، فترك أحماله وعتاده، ورفع راية الحرب لمقابلة سماندرويتش ومحاربته. وكان فى رأيه أن يتحول عن الحرب فى بداية الأمر [ص ١٩٨] وبداية احتماء المعركة بهدف تشجيع العدو، وأن يجعل الأرض بنفس لون الياقوت والمرجان من دمائهم ، فيتجرأ العدو، ويبتعد فرسانهم عن مشاتهم، وعلى الفور يقوم القائد بعد ذلك ويبدأ المعركة ويلوى عنانه ويدفع جنودهم إلى الكمين المفتوح، فيعدم بنيان ثبات المشاة أيضًا بالتدبير نفسه. ومن المشاكل التى حدثت فى أثناء عودة القائد ظهور الغبار والتراب الغليظ فى تلك الصحراء واختلاط الجيشين ببعضهما، وبسبب كثرة الغبار والتراب لم يميزوا الغالب من المغلوب والصديق من العدو، وكان قد تخيلوا تحطم أحمال وعتاد القائد أيضًا بسبب هذه الحال وكانوا قد بدءوا التحرك. وكانت رغبة القائد فى أن يسحب نفسه من وسط الغبار والتراب إلى جانب ويشاهد بدقة كاملة أوضاع المعركة ويضع بناء المعركة والنزاع من رأس التدبير الكامل ، فانسحب من وسط الغبار والتراب بسرعة. ومن المصادفات أن الجيش أيضًا خرج للبحث عنه فوجدوا أن ساحة المعركة خالية من القائد، ولأنهم لم يكونوا عالمين إلى أى ناحية ذهب فقد امتلأ قلبهم بالخوف والفزع وتفرقت كل فرقة فى ناحية ، حيث وصل أغلبهم إلى الرحل والأحمال، وقام القائد مع عدد من الغلمان، الذين كانوا معه، بمواصلة المعركة بسبب شدة جلادته، فقتل وأصاب عدة أشخاص من الروس. وفى ذلك اليوم نفسه، لحق بالقائد فرج الله خان وأمان الله خان مع مجاهدى أبواب جمعهما ، فاجتمعت الجيوش المتفرقة مرة أخرى، وأمر نائب السلطنة بقتل جمع من الجيش معاقبة لهم على تقصيرهم وتهاونهم

وضعفهم. ثم رتب القائد حسين خان وفرج الله خان وأمان خان فرق وألوية الجيش، وأسرعوا إلى محاربة الروس، فلم يقدم الروس إلى المعركة بسبب ملاحظتهم استعداد الجيش وتجهيزه، وسحبوا أقدام سعيهم في أذيالهم وانتظر القادة المذكورون القتال والحرب بالليل والنهار في كمين المعركة.

١١٠- بيان محاربة النواب نائب السلطنة مع روس نخجوان :

وفي تلك الأوقات، صار معلومًا لرأى [ص ١٩٩] نائب السلطنة المظهر للصواب أنه قد حدث لأحمد خان مقدم تردد كامل في حَرب الروس القاصدين لنخجوان، وبأن الروس قدموا أيضًا إلى قرب نخجوان ، فلم تحتمل غيرة طبعه الغيور هذا الإقدام، ومع أن الجيش المستطاب لم يكن حاضرًا في الركاب ، فقد صمم على محاربة الروس. وبالمصاحب لهذا الحال، عُرِض على واقفي حضور العظمة بأنه قد حدث سوء ظن لنظر على خان حاكم أردبيل وفرج الله خان نائبها من نجف قُلي خان كروس، الذي كان مكلفًا بتنظيم قلعتها، وفرا مع طائفتيهما، وقبضا على حسين قُلي خان باكويه الذي كان قد أصبح سببًا لقتل إيشبخدر قائد روسيا ، وتوجها إلى ناحية "لنكران" التي كانت محل اختيار مصطفى خان طالش الذي صار أيضًا بسبب هذا المعنى خائفًا ومرعوبًا نظرًا لصلته بهما ومجاورته لهما، والجميع يتخيلون إحداث فجوة في روس تلك المناطق، فتوكل نائب السلطنة على خالق الجزء والكل، وباقتضاء الحلم الموفور لم يلتفت لهذا المحذور، وتحرك من منزل "جورس"، وقدم إلى ساحل نهر آرس، وأمر بالتوقف على بعد نصف فرسخ من مدينة نخجوان وأرسل الأمر المكتوب إلى القائد حسين خان وفرج الله خان : "بأن يُسيرا فوجًا من الفرسان في صحبة أمان الله خان إلى الركاب المستطاب" .

ولأنهما كانا مطمئنين بالكامل من أمر قلعة إيروان، بالإضافة إلى أن طوائف إيروان ورعيتها، لم يكن لهم ميل لاتباع الروس، وقد رحل بعضهم وعبر نهر آرس وذهب البعض الآخر إلى ناحية قارص، وكانوا في مأمن وحماية من فتنة وفساد الروس، فقد جمع حسين خان وفرج الله خان وأمان الله خان طبقًا لصلاح أحدهما للآخر مجاهدي ركاب أبواب جمعهم، وأدخلوا صادق خان عز الدينلو القاجاري ومعه فرقة الأفشار

الروميين المعفو عنهم فى المفاسد، فى سرعة كاملة إلى ركاب الأمير العالى المقام. وفى خلال هذه الأوضاع، كان قد وصل جيش روسيا إلى مقربة من قرية "قراباپا" بنخجوان، فتوجه الامير سعيد الحظ بنفسه النفيسة، وشاهد وضع العدو وعدده .

وعلى الرغم من أن محل [ص ٢٠٠] نزولهم كان مكانًا مرتفعًا، ولم يكن له اقتحام من أية ناحية وكان صعبًا هجوم الفرسان والمشاة على هذا المكان المرتفع، ودون جدوى أو فائدة، فقد رأى القادة الصلاح فى الحرب على تصور أنهم سيحاصرون أطراف ذلك المكان وجوانبه . فسيحاصرون الروس، وعزم النواب نائب السلطنة أيضًا لصواب رأيهم ، وفى أثناء القدوم إلى تلك المنطقة شاهد ورأى بالمنظار أن جيشًا كبيرًا يقدم من ناحية هضبتى سيستان لإمداد ومعاونة روس "قراباپا" . وبالنظر إلى ارتفاع المكان ووصول كل هذه الإمدادات إلى تلك الجماعة فلم يكن يعتقد أن الإقدام على الحرب وإثارة غبار المعركة متضمنا أى فائدة ، ولكن بسبب أن أحمال وعتاد الجيش المنصور كانت بعيدة ومحل نزول موكب النصرة كان واقعًا وسط دره وكان ممكن السقوط والتوقف فى ذلك المكان ومع احتمال إغارة جيش الروس ليلاً الخارج عن رؤية الحزم والصرامة ، فلم تكن العودة دون حرب أيضًا جديرة بالغيرة ولائقة بمنزلة العظمة والشوكة، وعلى الرغم من وصف إصرار الواقفين فى حضوره على الممانعة من الحرب، فقد أصدر النواب نائب السلطنة ثانيةً الأمر بمحاربة الروس إلى القائد حسين خان وأمان الله خان الأفشارى ومعهما فرقة محمد خان زنكنه ومحمد بك القاجارى الأفشارى، الذى كان قائد جنود النيران وذلك من ناحية اليمين وإلى فرج الله خان الأفشارى وعلى خان القاجارى ومعهما فرقة حاتم خان بك الدنبلى ونبى خان كزازى وهم الذين كانوا أيضًا قادة الجنود القاذفين بالنيران من ناحية اليسار ووصلت فرقة الجنود التبريزيون ، نظرًا لشجاعتهم ومهارتهم، إلى ذلك الجبل المرتفع، وأسقطوا جمعًا من الروس من فوق قمة الجبل كالحجارة ، وأسالوا دماء أجساد الروس القذرة على كل واحدة من هذه الصخور والتراب ، وبسبب جهاد الجنود الباحثين عن النصر كادت تُقام قمة جبل من الروس. حيث وصل فجأة إمدادهم من الخلف ، فأظلمت ساحة المعركة بسبب غبار الجنود، وظهر الفرسان من الخلف ودارت الحرب العظيمة ولم يحتمل الفرسان وهُزِمُوا، وأحاط الجنود بالعدو [ص ٢٠١] من الجانبين ، وأصيب بطعنة منكرة محمد بك الذى كان

قائدهم، فاضطر إلى الرجوع. ومع أنهم كانوا فى أول عسكريتهم، فقد أوصلوا محاربيهم فى جميع الاماكن إلى القلب فى أدب ونظام كامل، واندهش الروس وكادوا يرفعون لواء المعركة إلى القلب، ولم يتحمل الطبع الغيور حرارة اندهاشهم، فهجم عليهم مع فرسان فرقة مبارك ، فجعل مائة وخمسين رأساً منهم مزدانة بالرماح وردهم على أعقابهم. وفى تلك المعركة ، قُتِلَ مايقرب من ألف شخص من الطرفين، وفى وقت العودة، لم يستطيعوا أن يخرجوا من الميدان ثلاث عربات مدفعية، فصار مدفعيوهم موضع المحاكمة واللوم .

١١١- عبور نائب السلطنة من مياه نهر آرس، ومجيء موسى لاجار الفرنسى من قبل الجنرال غاردان خان من أجل المصالحة، وإصرار كدويتش على أخذ قلعة إيروان :

فى أثناء قدوم الروس إلى نخجوان، رحل أحشامها ورعاياها من مساكنهم طوعاً ورغبة، وألقوا برحلهم على شاطئ الجانب الثاني فى المكان المسمي بـ (دره شام) والمتصل بنهر أرس، وعندئذ، و[illegible] إلى قلعة إيروان من الجيش، عبر النواب نائب السلطنة مياه نهر أرس وأمر الموكب المنصور بالتوقف فى منزل "قبانباسان"، وكلف على خان القاجاري وإبراهيم خان رئيس فرقة الغلمان ومعهما فوج من الفرسان بتأديب الروس في نخجوان [illegible] وقد القدوم إلى نخجوان وصل على خان نفسه إلى الروس وقتل عدة أشخاص منهم الذين كانوا خارج خندقهم ، فرحل الروس من ذلك المكان لفرط دهشتهم، وجعلوا المدينة الخربة نخجوان حصنهم واستولى على خان على الغنائم الكثيرة وانضم إلى الموكب المظفر ثانية.

وفى تلك الأوقات، أراد العقل السليم السامي [illegible] ويُدعم أمر أمير خان قائد أردبيل وموغان، فسرى الحكم بأن يوفق القائد المذكور فى مسئولية رفع وإزالة وحشة حكامي طالش وأردبيل وخوفهما، فإذا وجدا الاستمالة سببا يكون المطلوب ، وإن لم يكن

فسوف يصبحا في وادي الحيرة والتشتت [ص ٢٠٢] وسوف يُبرز جليا إلى منصة الظهور كل ما كان قد خُط على لوح التقدير وما كتبه قلم القضاء على صفحة الأجنبة.

وفي سياق هذه الأحوال، قدم "موسى لاجار" إلى المعسكر، وفي منزل "قبان باسان" تشرف بالحضور وهو في غاية الضعف والنقاهة من المرض والتعب، وقد أصر كثيراً على أنه مكلف بإبلاغ خطاب الجنرال غاردان خان ووصيته ولم يقبل من مقرب الحضرة أي ممانعة على الإقدام في الذهاب. وفي أثناء الذهاب، عرض لاجار: "بأنه طبقاً لما هو متبع بين ملوك الفرنجة وهو بأنه في كل وقت يتردد فيه سفير من أجل إتمام الصلح بين العدوين، يجب أن يُغمد سيف الخلاف والعناد في جرابه من الجانبين حتى عودته. وبناءً على طلب هذا العبد وهو أن يمنع نائب السلطنة في هذه الأيام الجيش المُحرق للعالم من عمل الحرب والقتال، وذلك إلى أن يظهر عهد الجنرال حسب تعهده، ويحصل في هذا الأمر على الوجه الأبيض غالبا." فرجع نائب السلطنة بسبب إبرامه وإلحاحه من منزل "قبان باسان" إلى قصبة "جورس" ولحق موسى لاجار بكدويتش، وأبلغه خطاب الجنرال وتوصيته واستمع إلى جوابه على تصور أنه ربما يستولي على قلعة إيروان بالغلبة والقهر، ويخرب قلعة الملوك في أثناء ذلك. وبمفاد أن المأمور معذور، فكان قد بذل المساعي الكاملة لأن يُسلم القلعة حكامها دون حرب وصراع إلى سيطرة الروس ويخرج أهلها منها ويرجعوا إلى أوطانهم. وبسبب مقولة هذه الترهات والأساطير، التي كان كدوتيش يدخرها لحاله، كتب إلى حسن خان القاجاري وأهل القلعة، فتبدل جوابه من التحرك للانسحاب إلى المدفع والبندقية. وقد وصل أيضًا إلى ساحة "ماكو" وعلى حين غرة سماندوويتش بجمعه الغفير، وسلب من الرعايا عدداً من الدواب والأغنام، وعاد إلى إيروان .

فكلف النواب نائب السلطنة القائد حسين خان وفرج الله خان الأفشاري وصادق خان القاجاري وأمان الله خان [ص ٢٠٣] الأفشاري ومعهم فوج بمحاربة الروس ومقاتلتهم وإمداد قلعة الملوك. ولكن في أثناء وصول جيش ملجأ الظفر إلى تلك المنطقة كان قد هطل جليد ضخم فلا كان الفارس قادراً على الحرب ولا كان الجواد له المقدرة على الثبات والوقوف. وكان لا بد من الرجوع مضطرين من ذلك المكان إلى موكب النصرة .

١١٢- بيان هجوم الروس على قلعة إيروان وقتلهم وهزيمتهم بعون الله المنزه، وعودتهم إلى ناحية الكرجستان وهلاك جمع منهم بسبب شدة البرد :

وبعد أن اطمأن كلويتش بسبب عودة القواد، فأخلى الغابة من الأسود الماكرة ورأى أمره مهيئًا على حسب ادعائه، وتيقن بأن تجمع الجيش بعد هذا سيكون باعثًا على تفريق جيشه، واغتنم الفرصة، وجعل المعركة حامية الوطيس في بداية برودة الهواء وفي نهاية اشتداد البرد، وقام مع جميع جيشه بالاستعداد للهجوم. وبعد ذلك، خرب من كل ناحية جدران القلعة، التي لم يكن لها ساتر ترابي، بقدر ذراعين أو ثلاثة وذلك بضربها بدانات المدافع، واستسهل مرور الجنود وعبورهم من ذلك المكان. وفي ليلة التاسع من شهر شوال القريبة بطلوع الصبح الصادق، هجم على أطراف قلعة إيروان عازمًا إخضاعها وبسبب مشاهدة هذه الحالة ، غلب على حراس القلعة، الذين كان قد تمنوا في الليالي والنهار مثل هذه الليلة وتضايقوا لمحاصرة قلعة إيروان فتمنوا الحرب، نوعٌ من الشوق للحرب وكفاح من أجل الشهرة والصيت ، كأن يقال سحب العاشق الهجران، فبعد فترة طويلة، عاود محبوبته مرة أخرى، وبالرغم من يأسه من نور البصيرة أبصر الدنيا بعينه بعد فترة طويلة .

وفي حملة واحدة، خرجوا من الأطراف والجوانب وفي أيديهم الخناجر اللامعة والسيوف الناثرة للدم والبنادق الناثرة للنيران، واصطفوا على برج القلعة وحصنها مستعدين للمعركة ومنتظرين القتال. وقفلوا الشفاة عن الثرثرة والهمس، وقعدوا في كمين العداوة بقصد صيدهم مثل الأسود المزمجرة [ص ٢٠٤] إلى أن عبر الروس جميعهم من الخندق ووصلوا إلى موطئ جدران القلعة بآلات ومعدات فتح القلعة والسلالم التي في قوة المجرة، وأحكموها من الجوانب على الجدران ، وصعدوا إلى أعلى القلعة مثل الدخان، وبعد ذلك وضعوا أقدامهم على البرج ، فأشعل أبطال الإسلام الشمع والمشاعل من كل جانب، وفتحوا ساعد القوة لصد الروس وطردهم، وعلى الرغم من أنه في ذلك الوقت، قد طرأ على مزاج حسن خان القاجاري أعراض ألم شديد ولم يكن قادرًا على الحركة، فإنه اعتمد أيضًا على طالع نصر المطالع السلطانية وكان له الحراس المشغولون بأمر الحرب والقتال كما ينبغي، فقد وضع أساس الحرب أشرف

خان الدماوندى أيضاً مستظهراً بالتأييدات الإلهية فى ناحية الجدار التى كانت مهدمة من ضرب قذائف المدافع ، وكان معه على تقى خان الإسترابادى وكلب على خان القاجارى وسائر القواد ، وكان الغلمان حملة البنادق الخراسانيين وغلمان حملة بنادق خاصة النواب نائب السلطنة وسائر القواد وأفراد الجيش والجند القناصة (الصائنون للعدو) واقفين ففتحوا ساعد دحر العدو على الروس ، فكان كل واحد من أبطال الروس كان يضع قدم جلادته على درجة السلم ، كان يسقط على الأرض كالحمامة المذبوحة من ضرب رصاص القدر والقضاء المقصود ، وصرخت فوهات البنادق الثعبانية من كل ناحية، وأعلن فى العالم عن اضطراب فوضى القيامة بسبب طلقات المدفعية : شعر [ترجمته]

سقط الروس جميعهم فى الدم والتراب

والصدور مقطعة إربا إربا من الحراب

وأجساد الرجال ممزقة بالسيف الحاد

جميعهم قطعا وفتاتا

انهارت من البرج كما المطر الشديد

الرءوس والصدور والأقدام والرجل فى الخندق

فصارت بحيرة دماء من حفر الخنجر

وجرى من جدران القلعة جدول دماء

من سيف الأبطال فى ذلك البعث

وقد تبعثر القتلى فى الخندق والتراب

والخلاصة، أنه قُتل ما يزيد عن ثلاثة آلاف شخص منهم، حيث كان منهم بولكونيك ومايور والقبطان "وافى سر" والباقى من الشباب الأبطال المشهورين، وقد أودعوا جميعهم إلى الفناء على يد مجاهدى الإسلام، وقد جُرح وأصيب منهم ما يقدر بألفى شخص ولما رأى الباقون من السيف [ص ٢٠٥] (الأحياء) ضياع أمرهم، انسحبوا إلى خنادقهم بمتعبيهم ومرضاهم، وانزووا فى زوايا الأسوار والخندق .

وكان في هذه القضية عون ومساعدة فيض الفضل الإلهي، بحيث إنه على الرغم من الثورة والجلبة، فقد شرب شخصان من أبطال الإسلام كأس الموت من يد ساقي الأجل، وجُرح خمسة أو ستة أشخاص أيضاً، ولم يكن القتلى والجرحى أكثر من عشرة أشخاص. أما كدويتش فقد كان مع حظه في الحرب ينزف قلبه دماً وهو في تردد كامل في أمر الفرار والهروب أو الإبقاء والتوقف في خندقه وحصنه، حتى إنه قبل وصول هذا الخبر إلى معسكر نائب السلطنة، وصل إسماعيل خان القاجاري بالجيش الجرار من البلاط السلطاني وقد وصل بالذهب المسكوك والأسلحة والعتاد وسائر الاستعدادات والضروريات الزائدة عن حد الكفاية من حكومة السلطان عالي الجاه، ولم تبق حالة التعطيل والتعويق من أجل أمر الحرب والمعركة مع الروس القادمين إلى إيروان ونخجوان.

وقد تحرك النواب نائب السلطنة ومعه جميع الفرسان والمشاة الذين كانوا حاضرين في الركاب المستطاب، من فرسان أفشار وخمسه وجاربولي ومن المشاة الملايريين والجنود المشهورين، من "جورس" وتوجه إلى نخجوان. وفي ذلك المنزل، قسم ووزع من معسكر الظفر المتواصل الجماعات من الأسود المنطلقة. فكلف حسين خان القائد وإسماعيل خان القاجاري مع جمع من الجيش المنصور على إيروان، وسير على خان القاجاري وأمان الله خان الأفشاري أيضاً إلى نخجوان في مقدمة الموكب المُزين بالنجوم، وقد وصلت أصوات تلاطم هذين الجيشين العظيمين إلى أذن كدويتش والجنرال نباستين، فتزلزلت أركان استقرارهما، ووضعا الأيدي على قلبيهما وأقدامهما بسبب دموع الدم التي كانوا ينزفونها.

وعلى كل، فقد فروا مضطرين من خنادقهم، في ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شهر شوال، وعبروا طريق المذلة والإدبار، وهجم حسين خان القائد وإسماعيل خان القاجاري لتعقبهم، فوصلوا بأنفسهم إليهم، وأفقدوا الكثير من جنودهم الحياة وأسروا جمعاً، كما ولى جمع منهم بوجههم من معسكرهم بسبب فرط دهشتهم [ص ٢٠٦] وألقوا بأنفسهم إلى معسكر أثر الظفر لنائب السلطنة، فوجدوا الأمان لأرواحهم. وقد صارت عربات كثيرة وأدوات وآلات لا تحصى من تلك الطائفة نصيب وغنيمة مجاهدي النصر. ولأن برودة الهواء كانت في غاية الشدة، وحتى وصول كدويتش إلى الكرجستان، فقد أعجز هجوم برد وبرودة الأربعين الشتوية أيدي وأقدام جمع كثير من

الروس، وفرغت أرواح جمع غفير من قوالبها أيضًا من جرحى جيشه على قمم الجبال والتلال ووسط الجليد والوديان العميقة، وعاد قادة الجيش المنصور بالنصر وحسن الحظ إلى خدمة من هو فى رتبة الفلك ومنزلته، وفى مقابل هذا النوع من المرحمة والموهبة من الوهاب [الله جل جلاله] ذى الجود والقوة لإقبال كسرى القوى كالقدر، قدموا مراسم الشكر.

ونتيجة لهذا، فإنه بمجرد عبور على خان القاجارى وأمان الله خان الأفشارى وفتح على خان نورى رئيس فرقة الحرس التى كانت حراسًا للجيش من نهر أرس ، لم يتمالك الچنرال نبالستين نفسه، وفر بجمعه بروح لا نفس فيها، فقابلهم فجأة الرجال المكلفون على بعد أربعة فراسخ من بلدة نخجوان، وشرع السيف اليمانى فى تبختره ، وأوصلت المدافع والبنادق دخان شرارها ونيرانها إلى الفلك الدخانى فقُتل جمع من زُمرة الروس وأُسر جمع أخر ، وتوارت الشمس خلف ستارة الغروب، وألقى الروس برحلهم فى المكان نفسه ، وتحصنوا وسط مركباتهم، وتوقف الرجال المكلفون أيضًا بالقرب منهم ، وكانوا فى انتظار تنفس الصبح الصادق ، فأدرك الروس هذا المعنى والقصد، وفى أثناء الليل ولوا بوجههم من هناك إلى وادى الفرار ووصلوا بأنفسهم بألف مشقة إلى قرية "قرابابا" التى كانت موقعًا للمعركة السابقة بين الفريقين ، فأدرك النواب نائب السلطنة الروس فى ذلك المكان وأيقن الچنرال نبالستين بسبب مشاهدة هذا الحال بأنه إذا تقيد بالمركبات والأحمال والأثقال ، فإنه لن يبقى أثر من وجود أبطاله الرجال فى لحظة واحدة ، فأحرق مضطرًا المركبات والأحمال وحتى البارود والذخيرة والمؤن والخبز ، وصمم بأن يوصل الجنود كفوارس مجهزين حتى سيستان بقراباغ، وينقل جميع المدافع [ص ٢٠٧] إلى الأمام ويتوقف الجنود على قمم الجبال، ويحرسون الطريق ، حتى تصل المدافع إلى الأمان وعلى الرغم من ارتفاع هضبة وتل سيستان الواقعة تحت سيطرة الفارين والوديان الصعبة وقمم الجبال والتلال ، حيث كان هجوم المشاة والفرسان صعبًا [فإنهم] كانوا على مقربة من طريق الجنود. ومرة ثانية، كلف النواب نائب السلطنة كريم خان كنكرلو وجمعا آخر بمحاربة الروس ومقاتلتهم عن طريق "باريك" الذى كان فى وسط التل ، وعين فرقة ملايرى وفوج الجنود على الجانب الأيمن من الطريق الجانبى لربما يسلكه الروس ، فيترصدون الطريق

عليـهم، ونظرًا لصـعوبة الجـبل ووعـورة الصـخـور ، فلم يكن فى المقـدور عـبـور المشـاة والفرسـان بسـبب ضيق الطريق، وكان الموكب المنصـور خلفهم بأقل فـاصل فكان يكلف رجـاله بمراقـبـة المعركـة ، حـتى دخـل الليل ، وتأخـر الروس قليـلاً على تلك الهـضـبـة وفى أثناء الليل فروا على عجل تام، ونزل الموكب المظفر فى منزل قراباباً.

وفى اليـوم التـالى، كلَّفَ أحـمـد خـان مقـدم من ناحـيـة اليـمين، وأخذ الموكب المنصـور فى التحرك عن طريق "سلوارتى" بحيث يترصدونهم من الطريق المضلل، وفى تلك الحـالة اشـتـدت إلى أقـصـى درجـة ريح الشـتـاء وبردهـا ، بحـيث لم يسـتطـع الرفـاق رؤية وجـه بعضـهما بسبب هـجـوم الرياح الشـديدة المتقلبة، وعلى النحـو الذى كان، وصـل المشـاة والفرسـان فى وقت راحة الروس، فقدموا على المعركة والقتـال، وقتلوا بعضـاً من الروس وأسـروا بعضـهم، وفر البـعض الآخـر عندما رأوا أن الأمـر قد ضـاق عليهم، وقدموا إلى ركاب آثار النصرة ، وانسـحب الباقون من السيف أى الأحياء منهم إلى الجبال المرتفعة بأنفسـهم فى أثناء الليل، وأوكل النواب نائب السلطنة إكمـال أمرهـم إلى صـولة البـرد وسـورة الشـتـاء، وعـزم على الرجـوع، واسـتـولى جيش ملجـأ الظفـر على غنيـمـة العـدو، وعـادت راية الفتح من هناك إلى قرا بابا. وفى اليوم التـالى، قدم [ولى العـهـد] إلى بلدة نخـجـوان، ونظم أمـور وشـئـون تلك المنطقـة فى يومين أو ثلاثة، وأمـر الموكب المنصـور بالتـحـرك من هناك، وقـدم إلى دار السلطنة تبـريز، وفى الطريق [ص ٢٠٨] وصل إلى مقيمى الحضرة بأن كثيراً من الأحياء الفارين هلكوا فى طريق قراباغ وتفليس، وكل من بقى حيا ، فقد أعجزت البرودة يد وقدم حيلته .

وأوصـل النواب نائب السلطنة إلى عـاكفى الجـلالة التـقرير المفصـل بالأمـور ، فـأمـر الحضرة العلية الخاقانية فى مقابل هذه الجندية والفدائية، بافتخار ورفع رأس كل واحد من خادمى الأثر كل على قدر مراتبهم ودرجاتهم بالخلاع الفاخرة والإنعامات المتكاثرة، وقد صـار هذا الإنعام والإحسان على الغلمان باعثًا على تشجيع وتشويق الآخرين على بذل أرواحـهم، وأمـر بمنح مـبـالغ كـبـيرة لمسـتـحـقـيـهـا فى كل البلاد وخـاصـة فى بلاد أذربيجان شكرًا على هذه المرحمة.

وفي تلك الأوقات، وطئت أقدام على خان القاجارى، الذى كان قد وقع مصابًا فى أثناء المعركة، إلى روضة الجنان، وبسبب وقوع هذه الكارثة له، اغتم خاطر النواب نائب السلطنة فى إجلال إلى دار السلطنة تبريز، وقام بتنظيم أمور الرعية والجند والمشاة والفرسان وجيش آثر الظفر.

١١٣- قدوم السير هيرفرد جنس برونت سفير دولة إنجلترا وتوطيد قواعد العلاقات بين الدولتين العليتين إيران وإنجلترا :

عندما شاع خبر مصالحة دولة فرنسا مع دولة إيران، لم يدرك مسئولو دولة إنجلترا صيرورة هذا المعنى الذى كان مورث المفاسد لهذه الدولة ، فعين حاكم الهند مرة أخرى الجنرال ملكم بهادر بالسفارة إلى دولة إيران، وقد أعلن الجنرال المذكور لمسئولى الحضرة السلطانية بمجرد أن وصل إلى البلاط السلطانى: "لو يصرف مسئولو دولة إيران النظر عن الصداقة مع دولة فرنسا، فسوف تتحقق بقوة الصداقة بين الجانبين (الإيرانى والبريطانى)، ولسوف يزداد يومًا بعد يوم تحالف واتحاد الدولتين" .

وعلى الرغم من أن حكام دولة إيران العلية، كانوا قد أدركوا فى باطنهم بسبب طول مدة إقامة عسكر خان فى باريس، أن عهد دولة فرنسا لا وفاء له، فإنهم لم يعلنوا من قبل ذلك حقيقة أمرهم على الجميع وذلك لأن أخلاق السلطنة وروية المُلك والدولة لم تكن تقتضى ذلك. فيظهروا سرهم على العالم ، ولقد كان قبول إملاءات الجنرال ملكم مع أن يكون ذلك سرا ، هو الأمر المنافى لروية حسن العهد وصدق الوعد والوفاء والمخالف للشهامة الملكية الشاملة، ولم يجد الميل الكامل لسفارته من قبل دولة إيران [ص ٢١٠] واستقر سفير دولة فرنسا أيضًا وكما كان فى مقر الخلافة. وبسبب وقوع هذا التصرف المقنع، وبالرغم من ذلك، كلف فى ذلك الوقت وبصواب رأى وزير دولة إنجلترا "لاروحق"، الذى اشتهر بمتانة الرأى ورزانة الفكر وسلامة التفكير وكان موكولا إليه كفاءة عهد ونظم واجبات ومهام الدولة، السير هرفرد جنس برونت بسفارة الدولة

العلية [إيران]، وقد عُين لإتمام أمر صداقة الدولتين، وقد كان هو نفسه ذكيا وحكيمًا، وسافر أكثر من فترة إلى مملكة فارس أيام الحكام الزنديين، واطلع على عادات وطبع أهالي إيران .

وبعد قدومه، أحدثت أقواله وقعًا كاملاً في الحضرة العلية، ومالت قلوب القائمين بأمر الحضرة الخاقانية إلى أمر صداقة الدولتين العظيمتين الخالدتين .

وطبقًا لحكم الهمايون، عين لاستضافته محراب خان الأفشارى نائب رئيس حرس الديوان الأعلى، الذى كان من الأشخاص المعتبرين لبلاط موطئ زحل، وقدم إلى دار الخلافة فى إعزاز لائق، وفي يوم التشرف بحضور حفل القدوم، أبلغ رسالة دولته، التى كانت بعنوان صحيفة المحبة، وذلك بطريقة حسنة وبأسلوب جذاب. وكان قد وضعوا فى الرسالة المشهورة الماس القيم الذى يثير غيرة نجمى السهيل والشعرا حيث تأثر نظر شمس الأثر فى أثناء الافتتاح المشهود ثم تشرف بأنوا ع الهدايا اللائقة والتحف النادرة .

وبعد ذلك شاهد أنوا ع ومختلف الشفقة والرحمة فى دار الخلافة طهران من أمراء ووزراء البلاط، وأُعطى له الإذن بالانصراف من هناك، وفى دار السلطنة تبريز انضم إلى خدمة النواب ولى العهد، وتشرف من النواب المستطاب بالرحمة والإشفاق الزائد عن الحد والغاية. وأصبح مختصًا بشرف الدخول فى خدمة الساطع النور ومحرم الحفل الخاص ونديمه، وكان يشاهد أنوا ع المكرمة والإنعام من مقربى حضور خازن العطاء، وبرونت هو منصب الشريف باصطلاحهم، وكل شخص يفوض إليه ملك إنجلترا بمنصب برونت، سيبقى هذا الشرف فى أسرته. والخلاصة، أنه بمجرد قدوم السير هرفرد جنس برونت إلى إصفهان تحقق المقصود [ص ٢١١] الأصلى لدولة إنجلترا. فقد تحرك الجنرال غاردان خان من مقر الخلافة، وتوجه إلى أذربيجان، وصارت أحوال وأوضا ع السير هرفرد جنس برونت وأقواله وأفعاله مقبولة يومًا بعد يوم لدى الطبع الخاقاني، وعقد مع مسئولى الدولة فى محادثات وتباحث حسن القول والعلم بالنظام عهود الصداقة بين دولتى إيران وإنجلترا كما ينبغى وفقًا لمصلحة الدولة، قاطعًا حبل الانفصال .

وبالمصادفة فى تلك الأيام، كُلف مرة أخرى الچنرال ملكم بهادر، الذى كان مصدقًا من أقرانه بفنون الأدب والفتوة، بالسفارة من قبل الحاكم [الإنجليزى بالهند]، وفى [يوم] حضوره إلى الميناء، أعلن لمسئولى دولة إيران عن تنصيبه وتعيينه .

وعلى الرغم من أن تعقل وخبرة السيد هرفرد جنس برونت وكفاءته فى السفارة كانت قد أظهرت مرة أخرى اتحاد وتحالف الدولتين، وكان قد أُرسل حقيقة ذلك مع البيان المرفق لميرزا أبو الحسن خان، ابن أخت الحاج إبراهيم خان الوزير السابق، إلى دولة إنجلترا، لكنه كان يستلزم إعزاز جانب الجنرال ملكم أيضًا فى سُنة اتحاد الدولتين توءم الخلود، وبناءً على هذا، صدر الحكم المُحكم بإحضاره .

وفى الفترات التى كان فيها المرج الخلاب "سلطانية" موضع غيرة الجنة الخالدة بسبب نزول الموكب السلطانى، حصل الچنرال ملكم بهادر فى إعزاز وشرف على تقبيل بساط الحضرة، فأصبح موضع الإنعام الكامل .

وبالمصاحب لهذا الحال، وصلت إلى تبريز الموافقة على سفارة السيد هرفرد جنس برونت أيضًا من دولة إنجلترا، فوجب تحركه إلى معسكر الهمايون، وفى الساحات المروحة للنفس "سلطانية" كان السفير ذو الأفعال والتدابير المحمودة والچنرال ذو الخصال الطيبة بالاتفاق مستفيدين من العوارف التى لاحدود لها فى معسكر كسرى ربيب الحنان .

فأما الچنرال المشار إليه [غاردان خان] ولأنه كان فى تلك الفترة مستقراً، فقد اطلع إطلاعًا كاملاً على أمر وفعل السير هرفرد جنس برونت وكفاءة رأيه ورويته، وبسبب إنصاف طبعه، فلم ير لزامًا لوجوده مع وجوده [السير هرفرد]، فبقى عدة أيام فى تبريز ، ومنها عاد عن طريق الكردستان وكرمانشاهان بضيافة لائقة وجديرة وعزة واحترام كاملين [ص ٢١٢] .

ولما كان أغلب واجبات توطيد أكثر الأمور مع الدولة العثمانية وأوربا – طبقًا للأمر السلطانى– موكولاً إلى النواب نائب السلطنة، فإنه لم يكن يستريح لمحة ولحظة سواء

فى هذه الأمور وسواء فى معركة الروس الذين كانوا فى ذلك الوقت على خصام وعداوة مع دولتى إيران وإنجلترا وعلى وفاق وسلام مع فرنسا، لذا كان يلزم حضور السفير المشار إليه نظرًا لرأيه القوى وفكره البعيد، إلى خدمة ولى العهد الجليل المتمكن، ومن أجل ذلك، وطبقاً للأمر السلطانى، توقف السفير المشار إليه فى تبريز وذلك بعد انتهائه من عقد العهد وإتمام الاتفاقية[1] وبعض الأمور، وأصبح مكلفًا بالدخول فى خدمة النواب نائب السلطنة وبحسن خدمته ووفرة غيرته وجد فى تلك الإمارة المحرمة الكاملة والاختصاص المتفرد، وقد صار محسوداً من أغلب مسئولى الخدمة القدامى .

١١٤- وقائع سنة ألف ومائتين وأربع وعشرين هجرية، وعودة الجنرال غاردان خان من إيران دون إذن نابليون :

بعد انقضاء مهرجان النوروز، اقتصر رأى مُزين المُلك الخاقان فاتح البلاد على أداء وإنجاز مهام المملكة وواجباتها، حيث وصلت فى ذلك الحال رسالة تفسيرية من "موسى شامبانى" وزير دولة فرنسا، وكان مضمون الرسالة بشأن عهد دولة فرنسا مع دولة إيران، وإرسال عسكر خان الذى كان تأخير حدوثه منوطًا ببعض الأمور، وكان موسى جوانين ملتزم الركاب السلطانى، وبقى عسكر خان فترة طويلة مُعطلاً فى "باريس"، وقد أخذ نابليون منه قائمة بأسماء ولايات إيران الخاضعة تحت سيطرة روسيا بحيث يبحث ملك فرنسا هذا الموضوع فى أثناء الاجتماع الثانى مع ملك روسيا، وقد فشلت هذه المباحثات من القرار الذى اتضح فى هذه الاجتماعات. أما ما كان لازمًا من الضيافة وإكرام الضيف، فقد أداه نابليون بشأن عسكر خان واحترمه احترامًا زائدًا عن الوصف .

(١) يقول عباس إقبال : إن هذه الاتفاقية وقعت فى عام ١٢٢٤ هـ.ق وفيها تعهدت إنجلترا بموجب هذه المعاهدة أن تمنح إيران سنويا ما دامت الحرب بينهما وبين روسيا مشتعلة مائة وعشرين ألف ليرة إنجليزية وأن تتحد البلدان ضد روسيا . (انظر تاريخ إيران بعد الإسلام ، الترجمة العربية ، ص ٧٦١)

أما الچنرال غاردان خان وعلى النحو الذى سبق ذكره، فإنه بعد عودته من خدمة زحل الرفعة الملكية [فتح على شاه] كان ملتزمًا ركاب النواب نائب السلطنة [ص ٢١٢] وكان يعيش في عزة واعتبار كاملين، وكان يُخص كل يوم بعناية جديدة ومكرمة بلا حدود.

ولما كان للنواب نائب السلطنة ميلاً ورغبة لتعلم نظام الحرب في أوربا (العسكرية الأوربية)، فقد كان للمدعو "موسى ويردى"، الذى كان من المرافقين للچنرال غاردان خان، مهارة كاملة فى هذا الفن فقد جعله سائرًا فى حضور نائب السلطنة، والحق أن موسى ويردى أيضًا قد أدى جهدًا كبيرًا في هذا الشأن، وقد أعطى النواب نائب السلطنة أيضًا نظرًا لحسن نيته وصفاء طويته، إلى يده الكفء زمام اختيار الجنود العسكريين بحيث لايتحرك أحد من كل ذلك الجيش دون إذنه أو رأيه، فطالما لم يصدر أمر أو إشارة من قِبل موسى ويردى فإن جميعهم كانوا كما يقال جسد بلا روح.
[بيت شعر ترجمته]

صار الجميع نقوشا على سقف الدار

فلا طاقة للحركة ولاقوة للكلام

وقد حضر المهندس "موسى لامى" أيضًا الذى كان مكلفًا على تفليس من قِبل الجنرال غاردان خان، وبعد حضوره إلى تبريز أُوقف رحيله، وطبقًا لأمر نائب السلطنة انشغل بتعليم علم الهندسة وتعلم الرسوم الهندسية على الطريقة الفرنسية لعدد من الشباب الأذكياء أصحاب الفراسة والكياسة، والحقيقة أنه بذل جهدًا فائقًا فى هذا الشأن.

وفى تلك الأثناء، قدم كدويتش عود البيلسان إلى إيروان، وبدأت الحرب بين جيش إيران وروسيا، واستعد النواب نائب السلطنة وتجهز للحرب، وأشار إلى موسى ويردى وموسى لامى بأن يلتزما مع المتعلمين بالركاب المقترن بالنصر وبأن ينشغلا بإعداد لوازم الانتقام، فأوضحا: "بأنه قد وصلت إلينا رسالة مفصلة من قبل الچنرال غاردان خان الموجود فى دار الخلافة طهران، وذلك مضمونها: ولأنه قد تحقق السلام الشامل فيما بين ملكى فرنسا وروسيا فيجب عليكم ألا تحوموا حول الأمر الذى يساعد على

إعانة جيش إيران ، وبأن تتوقفوا فى آذربيجان كضيوف، ونحن معافون ومعذورون من خدمتكم" .

ولكن "موسى لامى" ذهب فى الوقت نفسه إلى قلعة إيروان كمتفرج لها، وبعد عودته [ص ٢١٤] عرض ذلك: "ذهبت لمشاهدة جيش الروس الذين كانوا بالقرب من إيروان، ورأيت برأى العين مثلما أعلم أن ذلك الجيش سيُخضع هذه القلعة فى ثمانية أيام أو ستة عشر يومًا" .

ومع أن النواب نائب السلطنة اعتمد اعتماداً كاملاً على صداقته، ولم يأخذ هذا الكلام بسوء نية[1]، ولم يقلق مطلقًا نظرًا لتوكله واعتماده على خالق الجزء والكل، ولم يخشْ من العدو.

والذى حدث أن الچنرال غاردان كان معززًا ومكرمًا فى العتبة السلطانية كما كان موسى ويردى وموسى لامى معززين ومكرمين فى خدمة نائب السلطنة وذلك إلى أن وصل إلى الچنرال غاردان خان فى دار الخلافة طهران الخبر بأن: السير هيرفرد جنس برونت قد كُلف من الدولة العلية إنجلترا بسفارة إيران وبأنه قد حضر إلى إصفهان، وعما قريب سيصل إلى دار الخلافة طهران، فاضطرب الچنرال غاردان خان من سماع ذلك الخبر، وأعلن لمسئولى الدولة أنه فى هذه اللحظة نفسها التى تعين فيها هذا الشخص [يقصد نفسه] يجب أن تخرجوا سفير إنجلترا من مملكة إيران أو أحصل [أنا] على الإذن، كى أعود أنا إلى مملكة فرنسا. وعلى الرغم من أن الحضرة العلية السلطانية ومسئولو الدولة البهية قد تحادثوا معه بالمشافهة لعدة أيام، وقالوا له: مثلما فى الدولة العثمانية يتوقف عدة سفراء من قِبل ملوك الفرنجه مع بعضهم البعض فى أيام الحرب والسلام، ولم يكن بينهم أحاديث مطلقا، فلماذا أنت تكلف نفسك هكذا، وتُجبر هذه الدولة أيضًا على هذا الحكم نفسه. ولم تجدْ [منه] فائدة بسبب عناده، وترك

(١) تقول أمينة باكروان : إن تاثيرات سلطات الأجانب ونفوذهم فى الجيش الإيرانى قد لعبت بالإيرانيين فقد كانوا يصرحون لهم بالتأكيدات المزعومة والمزيفة بأن هذا مستحيل وهذا لا يحدث ولكن كانت تأكيداتهم دون دليل وبرهان . (انظر Abbas Mirza, Emineh Pakravan, tame II, P.2.)

موسى جوانين فى العتبة السلطانية حتى يخبره بحقيقة الأخبار يومًا بعد يوم، وعزم هو فى عجلة كاملة ، واتفق مع مسئولى الدولة على ذلك: "سأتوقف في تبريز وسأرفع التقرير إلى نابليون وسأكون منتظرًا جوابه" .

وقد أدى الحضرة العلية الملكية له ما كان لازمًا لرعايته ولم يقصر أو ينقص فى إعزازه واحترامه. وبعد قدوم الچنرال غاردان خان إلى تبريز [ص ٢١٥] عدل عن قرار العتبة السلطانية وانصرف عن نية التوقف فى حضور نائب السلطنة، وصمم على التحرك من هناك وعاد إلى دولة فرنسا. وبالغ نائب السلطنة أيضًا سواءً بالمشافهة أو عن طريق موظفي الديوان، لربما يستقر على قرار البلاط السلطاني أو يتوقف حتى يعرض تقريره على بلاط الخلافة ويحصل على الرد. ولم يمكُث، وعزم [على الرحيل] . وقد أدى النواب نائب السلطنة له لوازم الإعزاز، وعين فتحي على خان نورى رئيس الحرس المسلح لاستضافته .

ولما كان قد وصل إليه فى ذلك الوقت خبر بأنه قد وقعت خصومة بين الدولتين العثمانية والفرنسية، ومع الاحتياط بأن يصبح كموسى جوبر، الذى سبق ذكره قبل هذا، موضع الإهانة في عرض الطريق من باشوات الدولة العثمانية، فقد توجه عن طريق تفليس. وبالمصادفة، كان عود البيلسان كدويتش قد أُستُقدِم إلى دولة روسيا فى تلك الأثناء، فلم يحدث للچنرال غاردان خان العناية الواجبة من قِبله أو من قبل "طورمصموف" الذى كان قد وُضِعَ مكانه. وعلى الرغم من هذا، ترك موسى لاجار هناك، وتوجه هو [غاردان خان] إلى باريس. وتوقف موسى لاجار بعد فترة فى تفليس وكان يكتب الخطابات المتتابعة إلى موسى جوانين بأن جيش روسيا مثلما وكيفما قدم إلى تفليس، فينبغي عليك فى عالم حسن النية أن توضح الوضع مع مسئولى دولة إيران العلية، وبعد ذلك كان يَسير إلى "بطرس بورج" ومن هناك كان ينقل الأخبار بأن موسى لاجار سيُعين بسفارة إيران وسيحضر إلى إيران عما قريب من أجل إنهاء أمر إيران وروسيا وإتمام أمر تعهد نابليون .

وبعد قدوم الچنرال غاردان خان إلى باريس، وُضِع موضع الغضب بسبب تقصيره لأنه عاد دون إذن نابليون ودون تصريح من الحضرة العلية السلطانية

والنواب نائب السلطنة، واستدعى نابليون عسكر خان، وأدى له لوازم قبول العذر وقال له: إنه إذا كان قد حدث تساهل فى الوفاء [ص ٢١٦] بالعهد والإيفاء بالوعد فإنه كان بسبب انشغالى بأمر إسبانيا وبعض المشاغل الأخرى التى حدثت وعما قريب سأسمح لك وأبعث بك مقضى المرام[١].

والخلاصة أنه بعد عدة أيام، سمح نابليون لعسكرخان بالانصراف، وبعد حضوره إلى البلاط السلطانى، أوصل رسالة نابليون، وخلاصة مضمونها هو: أننا أدينا مراسم السفارة لعسكر خان على النحو الذى كان مرضياً لطبعنا، وأننا أذنا له بالعودة، وأن غاية الإمال هو صداقتى الكاملة وإتمام مرام تلك الدولة ". وقد جاء معه أيضا المدعو "موسى اوثره" وكان خطابه مطابقًا للمضمون نفسه .

ولما كان موسى جوانين الفرنسى قد أقام - على النحو الذى سبق تحريره - فى دار الخلافة طهران لفترة بعد رحيل الجنرال غاردان خان عنها، فمع وجود السير هرفرد جنس برونت، فلم يكن وجوده هو نفسه مناسبًا فى ذلك المكان، فتوجه طبقًا للأمر السلطانى إلى أذربيجان، وبعد نزول الراية السلطانية إلى أوجان -حيث تشرف موسى جوانين بالحضور السلطانى- كُلِفَ من هناك بأن يتوجه إلى باريس ويسأل عن أحوال نابليون بالأوضاع التى تجب وتليق .

١١٥- بيان توجه الراية الخاقانية إلى مرج أوجان، ووصول النواب ولى العهد والخلافة إلى عتبة الخاقان الموفق المقبلة :

فى أوائل شهر جمادى الثانى، تواتر خبر نهضة راية العُقاب الخاقانية على ساحة مرج أوجان الخلابة بأذربيجان، وبسبب وفرة الشوق والنشاط الذى كان عند النواب نائب السلطنة، فقد كان مختزنًا لسنوات فى مخزن عقله جوهر أمل تقبيل ركاب الشهريار الموفق، فإنه لم يلتفتْ لتكليف آخر، وقد أعطى قرار العمل على هذا النسق

(١) لاحظ مراوغة نابليون ملك فرنسا لفتح على شاه ملك إيران فى تنفيذ وعده الذى تعهد به من قبل . (المترجم)

وهو طالما أن قمير الراية الملكية لم يُلقْ شعاع وصوله على ساحات أذربيجان ولم يحصلْ على الإذن والإجازة من قبل الخاقان الموفق، فإنه لا يقدم على أمر المعركة ولا يفتح عنان عزيمته إلى أية جهة ويستعرض على نحو لائق تجهيزات المشاة والفرسان والمدفعية والطوربيدات وسائر أسلحة الحرب والمعركة ولوازمها التي كان قد قضى سنتين أو ثلاث [ص ٢١٧] من عمره الغالي في استجماعها واستحضارها ، وذلك بقصد أن تُصبح على شكل مجلس جماعي مرعي بالنظر الكسروي ذي الأثر الكيميائي وأن ينتظم ببركة الرد والقبول الخاقاني وكان قد اتضح أن ساحة مرج "أوجان" الخلابة سوف تكون مقر ألوية الخاقان فاتح البلاد المظفره .

وقبل نزول موكب الهمايون، ألقى [ولي العهد] برحل الإقامة في مرج أوجان مع جميع الجيش المظفر والتجهيزات واللوازم التي لانهاية لها والقواد وأمراء وحكام وفضلاء وأعيان أذربيجان، حتى موعد قدوم الموكب المسعود إلى تلك المنطقة وحيثما يجد الإذن ويعلم مقربو حضور زحل التاج الكسروي ماهو مناسب فيقدمون لوازم الاستقبال .

ومع أن النواب ولي العهد كان متمنياً أن يأذن له بالاستقبال حتى جبل "قابلان"، وهو الحد الفاصل بين العراق وأذربيجان، فقد توقف هناك لأنه لم يجدْ الإذن بزيادة عن فرسخ واحد، وكانت له عيون الانتظار على الطريق، وحضر في مقدمة موكب الهمايون النواب الأمير محمد علي ميرزا مع فوج من الجيش الجرار من المشاة والفرسان والمدفعية وأدوات وآلات المعركة ، فالتقى كلاهما بالآخر لمدة يومين أو ثلاثة في فرح وانتصار.

وفي الثاني والعشرين من شهر جمادى الثاني، الذي كان يوم قدوم كوكبة الهيبة الخاقانية، أُوقفت صفوف نجوم العظمة من اليمين واليسار، فصارت ساحة أوجان شبيهة ببحرى القلزم وعمان(١) بسبب تلاقي هذين الجيشين العظيمين، وصارت أشعة الأسلحة ساطعة ، وأقتلعت سنابك الخيول الصخرة الصماء، وأخذت الأحصنة السائرة كالبرق في الصهيل، واشتعلت المدافع وحركة الخيول بسبب الإثارة، وتبدل دخان النهار اللامع بالليل المظلم .

(١) بحر القلزم هو البحر الأحمر حاليا ، أما بحر عمان فهو ما يعرف ببحر العرب أيضًا . (المترجم)

وعندما ظهرت شمس الطلعة السلطانية من بعيد، هبط النواب نائب السلطنة من على الجواد، وأوصل نفسه إلى ركاب الهمايون وهو لايعرف رأسه من قدمه، وصارت نار شوقه كالشعلة وانسالت دموع السعادة والفرح من عينيه دون إرادة، وقد صار هذا المعنى باعثًا على رقة الجميع. وقد أمر الحضرة العلية الظل الإلهى بالاستعراض الدقيق [ص ٢١٨] لصفوف الفرسان والمشاة والجند وحاملى بنادق الجزائر ذات الماسورتين والمدافع ومدافع الهاون وآلات وأدوات الهجوم، وأثنى عليها ثناءً بالغا، وبعد النزول إلى معسكر سماء العظمة سارع القواد والزعماء ومشاهير الجيش والرعية والسادات والأعيان وأصحاب العمائم وأهل الفضل والكمال أفواجًا أفواجًا بالتشرف بحضرة مثال الخُلد، فوجدوا شرف الاعتبار والافتخار من قرب الحضور الباهر النور.

١١٦- ذكر توجه نائب السلطنة العلية إلى ناحية كنجه بفرمان الحضرة العلية الخاقانية، ووقائع ذلك الأوان ، وظهور خلاف مصطفى خان [حاكم] طالش :

عندما عُرض على لاعبى المحفل المشابه للجنة بأن طورمصوف قائد روسيا، الذى كان القائد للجيش الروسى بعد غراف إيوان كدويتش، متوقف فى منزل "سوغانلق" على بُعد فرسخ واحد من تفليس، وقد عَيَّنَ الجنرال نبالستين مع الأفواج الكثيرة على ناحية قراباغ وكلف أيضًا فوجًا من جيشه لحراسة حدود حماملو و بيك كندى، وأعد جناح جيش من مناطق بنبك وشوره كل ، وأرسل دلى بولكونيك مع فوج آخر لحراسة كنجه وطوائف القوزاق وشمس الدينلو. فقرر رأى مُزين العالم بأن يقوم جيش ملجأ الظفر من كل ناحية بمقابلتهم ومقاتلتهم .

وبالمصاحب لذلك الحال، وصلت عرائض ولاة أخسقة وباشاتشق ، فاتضح أنهم وأهالى الكرجستان، الذين رأوا فى العدة سنوات هذه أنواع العطف والرعاية والراحة والاطمئنان من النواب نائب السلطنة، وسمعوا من القريب والبعيد وصف ملاطفة

الخادم ورعايته وأداء حقوق الخدم والعمال والفدائيين ، وقد وقع لهم الاعتقاد الكامل والاعتضاد الشامل فى إخلاص وخدمه حضرته ، انتهزوا الفرصة وذلك بأن يهجموا كل وقت على جيش الخاقان صاحب عرش جمشيد فى تلك الناحية، وأن يجعلوا إخلاصهم الباطنى فى تنفيذ الخدمة الظاهرة .

وبناءً على تمهيد هذه المقدمات ، عين الحضرة العلية السلطانية الأمير محمد على ميرزا، الذى كان حديث السفر إلى أذربيجان ، على هذه الخدمة التى كانت أعظم الخدمات والأعمال ، مع الجيش الموفور والعدة اللامحصورة [ص ٢١٩] . ولما كان أمير العالم محرومًا لعدة سنوات من تقبيل العتبة العلية، فقد تقرر أن يوفق لعدة أيام من سعادة إدراك الحضور اللازم العز والسرور السلطانى الذى هو غاية تمنيات حضرته.

وبعد عدة أيام، كلف [الخاقان] النواب نائب السلطنة وعن طريق مرج كوكچه الصيفى وذلك بأن يتوقف فى تلك المناطق ويقف على مجارى أمور النواب محمد على ميرزا ويهتم بأمر طوائف كنجه ، ويتحرك إلى كل ناحية تكون ضرورية بالجيش الذى شعاره الظفر. وعين أيضا فرج الله خان رئيس الجلادين على قيادة مناطق موغان ورئاسة حدود ولايات الطوالش ، وبأن يقيم فى نواحى أردبيل ويقوم بتنظيم أمورها المختلة، حيث إنه كانت قد حدثت اختلالات فى أمور طوائف الشاهسون فى العام الماضى فى أثناء محاصرة إيروان بواسطة القرابة التى كانت لنظر على خان شاهسون مع مصطفى خان الطالشى، وهو مناف لعدم الاهتمام بها مع عادات الحزم وإدارة المُلك .

١١٧- ذكر تقرير رحلة عمل الأمير محمد على ميرزا إلى الروس والهجوم على بعض من طائفة بزتشلو ، والعودة إلى إيروان :

توجه النواب محمد على ميرزا مع الأفواج القاهرة من المشاة والفرسان إلى إيروان، وجعل القائد حسين خان الحاكم العسكرى لإيروان ملتزمًا الركاب، وتوقف فى مرج "أباران" وفى البداية، كلف مقرب الحضرة إسماعيل بك الدامغانى مع فوج من الجيش بتأديب روس حماملو وبيك كندى، وقصد القائد المذكور طبقًا للمقرر، فأدى

معركة شجاعة، حيث اختار جيش الروس التحصن، وكانوا يرون الهزيمة فى كل مرة يخرجون فيها أقدامهم من القلعة ، ورأوا وجه الأمل إلى أن عجزت عن حراستهم جماعة "بزتشلو" والرعايا والطوائف التى كانت قد ذهبت فى الأزمان السالفة من إيروان إلى بنبك وشوره كل، وبسبب اعتداء الجيش المنصور حضروا متأملين إلى بلاط الدولة القاهرة، وجعلوا القائد المعزى إليه شفيعا لزلاتهم [ص ٢٢٠]، وتعهدوا بعدة خدمات والتى ظهرت أيضاً فى ذلك الأوان بعض منها، وكان تقى بك بزتشلو وهو أحد رؤسائها، قد أظهر جوهر جلادته فى إيقاف معارك الروس وتخريب ولاياتهم وأبهر حجة إرادته فى سد طريق المؤن والأعلاف عليهم ، فصار موضع العنايات والاهتمامات المتنوعة، ووجد درجة الاعتبار والترقى .

والخلاصة أن النواب محمد على ميرزا قد قام بالإغارة على طائفة "بزتشلو" ونهبها، فصارت الغنائم الكثيرة من نصيب وكسب المجاهدين الذين شعارهم النصر، وعاد إلى إيروان عن طريق قارص وجلا، وكان متوقفًا فى ساحل قراسو بإيروان حتى عاد النواب نائب السلطنة أيضًا، فسعد وسر الأخوان بالرؤية الميمونة لكليهما. وتحرك [محمد على ميرزا] من هناك، وبعد زيارة الحضرة العلية فى سراب توجه إلى كرمانشاهان .

١١٨- بيان كيفية سفر فرج الله خان :

قدم فرج الله خان طبقًا للمقرر إلى أردبيل، وألقى برحله فيها لعدة أيام، واعتنى بشأن نظرعلى خان شاهسون، الذى كان مفتخراً بحكومة ذلك المكان فى ذلك الوقت، وأدى له لوازم الإعزاز والإكرام. وطالما أن فرسان الشاهسون، الذين يجب طبقًا لأمر الهمايون أن يحضروا إلى مكان المعسكر وينسلكوا فى سلك المجاهدين المنصورين، لم يحضروا فى الموعد المقرر، فقد عُلِم أن بناء الأمر يقوم على التعلل، وأن حركات مصطفى خان الطالشى وأفعاله المتعلقة والمرتبطة به والمنسوبة إليه، ليست مرتبطة ومنسوبة مع عادات الطاعة والخضوع. حيث إنه فى تلك الأثناء قد رَحَّلَ جمعًا من معارفه وجيش طالش وسحب أحماله وأثقاله إلى قلعة "جاميش وان" التى تقع على

ساحل بحر الخزر وتتصل بسارى بشت ميناء الروس، واستراح. وأرسل ابنه مير حسن خان مع فوج جيش طالش إلى حسين قُلى خان الباكويى وهاشم خان الشيروانى وعلى خان الرودبارى ومحمد خان بيكدلى وقت راحتهم ، حيث كانوا متوقفين فى حدود "أوجارود" ، وعلى حين غرة هجم عليهم، وأثار غبار أنواع الفساد. [ص ٢١٢] وقبض على على خان الرودبارى ومحمد خان بيكدلى وأخى هاشم خان الشيروانى، ومن هناك رفع راية العودة إلى ناحية طالش .

وعندما وجد فرج الله خان، الذى كان حتى ذلك الوقت يسلك طريق المواساة وحسن السلوك مع نظر على خان، الإذن بالانصراف من بلاط صاحب زحل السلطانى، بحيث يُنجِز ماهو صالح للوقت فى الأمور الموكولة إليه، وبسبب مشاهدة هذا الحال والوضع غير سلوكه وتصرفاته معهم . وقبض [فرج الله خان القائد] على نظر على خان وفرج الله خان شاهسون وأرسلهما محبوسين إلى البلاط السلطانى، وأرسل أطراف وجوانب الجيش إلى مصطفى خان وعلى التعاقب أرسله هو أيضًا، وسوف يوضح قلم البيان نهاية أحواله عما قريب .

١١٩- ذكر تحرك النواب ولى العهد إلى ناحية كوكجه وكنجه وأحداث ذلك الإقليم :

وعلى النحو الذى سبق تدوينه، توجه النواب نائب السلطنة إلى مرج "كلنبر" وتوقف هناك لعدة أيام ، وكلف أبا الفتح خان جوانشير ومعه جمع على رأس طوائف ورعايا قراباغ المتصلة بمناطق قبان ومقرى ، التى كانت تحت سيطرته ، وذلك لكى يستميلهم ويشغلهم بخدمة الدولة الأبدية الاتصال ، وانشغل أبو الفتح خان بالخدمة المذكورة ، فعين عدداً من فرسان شاهسون بيكدلى وذلك من أجل أن يذهبوا إلى مناطق باكويه ويعرفوا خبراً عن روس تلك الحدود وأوضاعهم، ويعرضوها، وحدث فى عرض الطريق وقبل طلوع طليعة النور أن تقابلوا فجأة بفوج من الروس، فقاموا إليهم وقد وجدوا أنفسهم معهم فى ظُلمة الليل غرقى، وتحاربوا معهم فى معركة رجولية بالسيف والحربة، وقتلوا جميع الروس، وأحضروا رءوسهم مع دواب العربات إلى بلاط صاحب الفلك، فوجدوا الإنعام والإحسان اللامحدود من الخاقان المستولى على الممالك .

وتحرك ولي العهد من مرج "كلنبر"، وسار من طريق أردوباد الذي كان عبوره صعبًا بسبب وعورته، ونقل في مشقة كاملة المدفعية والمُلك والأحمال والأثقال والخيل والجند والمشاة والفرسان المنتصرين [ص ٢٢٢] .

وفي منزل نخجوان كان قد سُمِح للبولكونيك بارون ويردي وأصيصور ميخائيل ابن أخي طورمصوف ورسالته بالتشرف في حضور صاحب السعادة، وخلاصة مضمونها ذلك: "بأن تفوض بعض من ولايات مملكة إيران من قِبل الدولة القاهرة إلى دولة روسيا حتى تنتقل في المقابل إلى دولة إيران وعن طريق موافقة دولة روسيا مملكة أرض الروم وبغداد وأقاليم حدود المملكة العثمانية المتصلة بإيران" .

وبسبب ترتيب مقدمات هذه الترهات المظلمة، أضاء شمع عقل ادعائهم في عش دماغهم، وكان يقول "مصراع" [ترجمته] "لا تُطلق الغزال الحر على الوادي"

وكان ضمن هذه الرسالة: "بأنه إذا كُلِّف سفير من الدولة العلية إلى دولة الروس فسوف يتم الأمر بالسلام الأصلي والحقيقي، وإذا لم يُفصل فرضًا في أمر المصالحة حسب ادعاء مسئولي تلك الدولة ، فلن يحدث نقص أو ضرر على تلك الدولة العلية " .

فسير نائب السلطنة مبعوثيه إلى دار السلطنة تبريز وبعث بالرسالة إلى بلاط الخاقان صاحب عرش جمشيد من أجل أن يعطيه الجواب على النحو الذي يستقر عليه رأي حلال العقد السلطانية. وحرك راية النصرة المهابة عن طريق نخجوان الذي كان اثني عشر منزلاً حتى كنجه. ولما كان يضطر للوقوف أحيانًا في المنازل الضرورية، وكانت الأعلاف والمؤن غير متوفرة في المعسكر، فقد رأى تجهيز وإعداد الأعلاف والمؤن لعدة أيام في بلدة نخجوان، وتوجه إلى مرج كوكجه عن طريق شرور، وتحمل شدة البرودة وصعوبة الثلوج بالرغم من وجود متاعب برودة وثلوج ذلك الطريق الكثيرة إلى أن حدث نزول الألوية المنصورة في مرج كوكجه. وفي أثناء القدوم إلى مرج كوكجه، كلف بيرقُلي خان القاجاري والحاج محمد خان قراكوزلو مع فوج من الجيش لتنظيم طوائف كنجه ، وأمرهم ضمن تلك التأكيدات البليغة بأن يُسيروا إلى الركاب المستطاب من هذه الطوائف المذكورة كل شخص يسلك طريق الطاعة وعظماء ورؤساء تلك الطائفة، وبأن يقوموا بتاديب ومعاقبة كل شخص [ص ٢٢٣] يتخلف وينصرف عنهم .

وتحرك الموكب المنصور من هناك، وعبر مع جيش الفرسان والمشاة من طريق الغابات الوعرة والمعابر الكثيفة الأشجار، وقد طوت طوائف تلك الحدود والأقاليم رحلة وادى الانقياد وفى شوق كامل بمجرد حضور بيرقُلى خان والرجال المكلفين والاستما ع لبشرى قدوم نائب السلطنة وأسرع رؤساؤهم وجيشهم من الفرسان والمشاة إلى الخدمة وهم فى منتهى الارتباك بسبب غاية الشوق، فصاروا موضع العناية والإحسان اللذين لاحد لهما .

وبمجرد معرفة دلى بولكونيك واستنباطه وَضْع خدمتهم إلى الدولة الخالدة القرار، حمل جمعه واختار الفرار من وسط الطائفة على البقاء بينها، وكلف النواب نائب السلطنة أمير خان القاجارى مع فوج مر ′لجيش على مدينة "كنجه" ، وفى أثناء قدوم أمير خان إلى مقربة من مدينة كنجه صار عدة من الروس طعمة لسيف المجاهدين، فأسرع وضيع وشريف تلك المنطقة إلى أمير خان وهم فى كامل الأمل ، ومن هناك قصدوا الحضور باهر النور ومشمول العواطف اللامحدودة، ومهد جمع من أرامنة كنجه بأن لو يجدون أمانًا واطمئنانًا من مدبء ى أمر البلاط العالى، يضعون قلعة كنجه تحت تصرف الجيش المنصور، وفى تلك الأثناء وصل إلى حجاب ولاية العهد بأنه من ناحية، اطمأن "طورمصوف" بسبب سماعه لعودة محمد على ميرزا إلى قرب إيروان فقدم إلى "زكن" وهى من أعمال "كنجه" بجميع جنوده وجيشه المليء بالشر والفتنة، ومن ناحية أخرى، بأن الچنرال نبالستين رأى أن فرج الله خان مشغولاً بالتعرض لطالش بسبب اعتداء قراباغ، فلحق بجيشه إلى "طورمصوف" وانضم دلى بولكونيك أيضًا مع جمعه إليه واستعدوا للحرب والقتال، وصمم جميع الروس عدا حراس القلاع على الحرب مجتمعين. واطلع "طورمصوف" على تواطؤ الأرمن، فأرسل شخصًا إلى روس القلعة، فحبسوا هم أيضًا بموجب إشارته رؤساء الأرمن .

وعلى الرغم من أن جيش ملجأ النصرة كان ربع جيش الأعداء فى العدد، وكانت المؤن فى المعسكر نادرة مثل وجود [ص ٢٢٤] العنقاء والإكسير وكان البرد والبَرَد إلى أقصى درجة ولم يكن عبور ومرور الجيش المنصور إلى إيروان ونخجوان فى الإمكان،

فإن النواب نائب السلطنة توكل على خالق الأنس والجان ولم يفكر في الطريق بأي وجه، وترك المُلك والمتاع والأحمال في المكان نفسه وكلف مهدى قُلي خان قوانلو القاجاري بالحراسة، وهجم هو نفسه على رأس الأعداء كالسيف المسلول، وطوى كلا الجيشين الطريق في ذلك اليوم حتى المساء للانتقام من بعضهما، وقطعا مسافة جميع الأماكن إلى أن جاء وقت المساء وحيث أغار جيش الظلمة على [جيش]النور، فجاء وقت إراحة كلا الجيشين .

وعلى تصور أن عين حارس المعسكر المنصور قد ذهبت للنوم مثل ضوء النهار، سير "طورمصوف" جمعًا من أفواج الجنود والفرسان والمدفعية للإغارة ليلاً على المعسكر العالي، فقدموا أيضاً بأمره إلى مقربة من الغابة القريبة من المعسكر المنصور فكان إبراهيم خان بيات مع فوج من غلمان الخاصة الشريفة مكلفين بحراسة ذلك المكان، وبسبب صوت حوافر الأحصنة ، وصهيل الخيول العربية الأصيلة وهمهمة الرجال وسط الغابة، وقع خوف لا حد له في قلوبهم على ظن بأن النواب نائب السلطنة أيضًا عزم على الإغارة عليهم ليلاً، فرجعوا في سرعة كاملة دون نيل مرامهم ، ولم يستعدوا من هذا المجيء والذهاب سوى الخجل والمشقة الكاملة وقد أيقنوا من هذه المسألة نفسها على يقظة طالع المجاهدين .

وفي الصباح دخل "طورمصوف" من باب السلم والصلاح، فأرسل الرُسل والرسائل إلى بلاط صاحب الشوكة والعظمة وتحدث بلسان الخجل وتعهد بأن يسعى بقدر الإمكان في تعهدات حسن نية الدولة القاهرة وبألا يخربش صورة العهد بأظافر النقض والخلاف وبأن لايتعرض فرسان الجيش المنصور لمعسكره، وبألا يتعرض هو أيضًا للطوائف وللرعايا الذين قعدوا تحت ظل راية جيش الإسلام وعقدوا من جديد حزام الخدمة والطاعة .

وفي اليوم التالي أنس جيش روسيا إلى الراحة، وارتحل برحله إلى طريق الكرجستان وتوجهت الطوائف ، التي كانت سالكة طريق خدمة الدولة القاهرة [ص ٢٢٥]، إلى إيروان قبل تحرك الموكب العالي، ورجع الأمير الموفق أيضًا في سعادة ونصر من ذلك المكان وتوجه إلى ناحية إيروان .

ومن الناحية الأخرى، حضر إلى إيروان النواب محمد على ميرزا، الذى رجع من رحلة الهجوم على النحو الذى وضح. ونظراً لأخبار الأراجف، التى سمعها عن معسكر نائب السلطنة، ثارت فى جنباته عروق الفتوة وحنان الإخوة، وعزم على الركوب دون إرادة منه وأصدر الأمر إلى جمع أفواج الجند، فأرسل أولاً حسين خان القائد والحاكم العسكرى لإيروان مع الجيش فى سرعة وعجلة كاملتين كالسيل الجارى، وتحرك هو على التعاقب، وعندما وصل إلى المعسكر العالى، فإنه كان قد نقل وحول ملتزمى الركاب من مضيق شعاب الفراق إلى صحراء كوكجه الصافية، وكان قد نصب سرادقات الشوكة والنصرة ورفع حجاب الكلفة عن العقول. ولا جرم أنهما سعدا لعدة أيام فى تلك الساحة الخلابة بزيارة بعضهما البعض وانشغلا بمعاشرة شاهد عشرتهما.

ووجد النواب محمد على ميرزا الإذن بالانصراف من خدمة الأخ ورجع إلى إيروان، وقصد على الفور الموكب العالى، واسترد كثيراً من الأسرى، الذين كانوا فى يد الجيش المنصور، وبذل زيادة كبيرة فى مقابل ذلك الإنعام الذى سوف يكون طوق تلك المنة وحق تلك النعمة حتى نهاية القيامة على روح العبد الحر، ومن هناك أحضر مبعوثى "طورمصوف" الذين كانوا مكلفين فى هذه الفترة إلى تبريز، وأمر بأن يسيروا إليه مقترنين بالخلعة والإنعام والرعاية.

وبعد فترة، وَجَّهَ [ولى العهد عباس ميرزا] النواب محمد على ميرزا مع جيش أبواب جمعه طبقاً للأمر السلطانى إلى البلاط الملكى، وتوقف هو بنفسه فى إيروان من أجل تنظيم أمور القائد حسين خان وانهاء تجهيزات دار السلاح وتخزين القلعة بالقدر الذى كان لازماً.

ولما انقشعت سحابة جيش الصيف، واقترب وقت برودة الهواء ووصول الشتاء، طلب من حضرة الهمايون بألا يسافر الموكب المنصور [ص ٢٢٦] فى المشقة والتعب أكثر من هذا وبأن لا يحمل وجوده المبارك أساس الرحمة، مشقة التعب، وبأن يوكل ويرجع خدمة هذا الإقليم ، الذى هو أمر غير جدير أمام همة أولياء الدولة، إلى حراس ومحافظى الإقليم نفسه ، وهم جميعاً الذين أوقفوا أرواحهم على الطاعة ورءوسهم فى طريق الخدمة.

وفجأة، تصاحب وصول العريضة مع سقوط الثلوج، فالذى كان قد حدث فى ذلك اليوم، لم يكن قد حدث فى العهد كله، وفى تلك الشدة نفسها من نزول الثلوج وثورة

الهواء والجو، فتح اللواء طاحن الفلك رايته إلى ناحية دار الخلافة طهران. ونثر نائب السلطنة العنبر على ساحة تبريز من غبار الموكب المُزين بالنجوم .

١٢٠- بيان كيفية إطاعة مصطفى خان [حاكم] طالش، وتدوين بعض الأمور :

عندما رأى مصطفى خان الطالشي نفسه في لنكران من كل زاوية على شكل المغناطيس الجاذب لقيود الجواد الأشهب الحديدية وأطراف السيوف والحراب المُدببة، بسبب أفكار رأسه العنيدة المخرفة ووساوس نفسه الأمارة بالسوء، فقد طلب الأمان وقصد مع أعوان طالش حصن "جاميش وان"، وولى بوجهه من لنكران التى كانت مقر استقراره الأصلي، وفي ذلك المكان وجد الصبر والتحمل لمرسى ذلك البحر المتسع عبارة عن ذلك الهم والغم، لأن اختيار ذلك المحل من أجله قد رأته آفة الدهر مأمنًا له، وقد اشتعلت والتهبت سقوف وجدران أبنية لنكران، التى كانت من القش والشوك وألواح الأخشاب، على يد العساكر السلطانية كيوم فراق صدور العشاق الخربة ووقت وداع قلوب المهجورين الوهنة. و"جاميش وان" هو المكان المتصل بلنكران طالش الواقعة على ساحل بحر الخضر [بحر الخزر] وأطرافه تجذبها مياه بحر الخضر والبحيرة، ولكن أحد جوانبه يابسة والذى يصير منه طريق الوصول إلى لنكران. وبعد الاستقرار فى ذلك المكان، ظهر كمستجدى للعون والمدد من المعرفة والغريب، فأحضر لإمداده ومعاونته فوج من الجنود الروس مع عدة مدافع .

وعلى الرغم من أن عُمر سلطان، الذى كان أعظم أعيان شيروان، قد حضر إلى هناك فى ذلك الوقت من أجل [ص ٢٢٧] تأسيس أساس اتحاد مصطفى خان الطالشى ومصطفى خان الشيروانى وترحيل طائفتى موغان وشيروانى اللتين كانتا قد رُحلتا طبقا لأمر نائب السلطنة من شيروان وسُلمتا لمصطفى خان الطالشى، فقد حدث أن وقعت مشاجرة ونزاع بينه وبين مير حسن خان الطالشى ولد مصطفى خان، فانهدم بنيان عمر سلطان وحدثت خصومة كاملة بين المصطفيين(١).

(١) أى بين مصطفى خان الطالشى ومصطفى خان الشيروانى . (المترجم)

وفى هذا الوقت وبواسطة اقتضاء المقام، أغمض مصطفى خان الطالشي عينه عن العداوة والخصومة، وأرسل ابنه ميرهدايت إلى منزل مصطفى خان الشيرواني وطلب منه المدد والعون، فأرسل مصطفى خان أيضاً، بسبب خصومة قتل عمر السابقة، فوجاً من حملة البنادق من ساليان إلى" جاميش وان" فضيق الرجال المكلفون بالحصار، بسبب مشاهدة هذا الحال، الحصار على المحصورين أكثر من الحصار السابق، فكان يفر كل يوم جمع كثير من أعوانه وأنصاره وأنسابه ، وكانوا ينضمون إلى فرج الله خان الأفشارى، وكانوا يصبحون من راغبى إخضاع ذلك المكان. وهلك كثير من إناث وذكور المحاصرين وصعبت معيشة مصطفى خان من هذا المنطلق وازدادت وحشته وخوفه، فأرسل مضطراً شخصاً عند فرج الله خان وطلب الأمان، وعرض مراتب ندمه على العتبة العلية السلطانية وطبقًا لأمر الحضرة العلية الخاقانية، عُين ميرزا الكبير وزير ولي العهد وكُلف بأنه إذا شاهد أثار الصداقة والصدق مثل باقي الغلمان فيمنع الجيش الملىء بالشدة والطيش من التعرض لمصطفى خان ويذيقه زلال العدل ، وألا يجعل السيل دون حذر أى الجيش الجرار مطلق العنان لتخريب بناء وجوده، ويوصل وجوده إلى ذروة السماء بسبب إثارة غبار سنابك الخيول .

وبعد وصول الوزير الذى لامثيل له إلى لنكران، كان الجيش قوة السيل يصر على مهاجمة "جاميش وان" على هذا النحو وهو أن يتعهد فدوية جيلان بإخضاعها من ناحية البحر بالسفن والزوارق وأن يتقبل دانيو إستراباد [ص ٢٢٨] ومازندران إخضاعها من الطريق البرى، وأن يصمم مخلصو طالش على إتمام أمرها من جانب البحيرة كطائر مائى فى الماء .

ولأن أمير كونه بك بن عم مصطفى خان، الذى كان رجلاً إنساناً ومتميزاً بالصدق ومعروفًا بالصداقة، قد أدرك من قبل تدارك الأمر وأدرك الوزير الفكر الطيب من قِبل مصطفى خان، وبسبب صداقته وإرادته وصفاء ضميره جعل حضرته مطمئن الخاطر كما يليق وينبغى وشرح حقيقة هلاك جمع من سادات وأهالى ذلك المكان، فقد كان مهاجمة ذلك المكان متضمنًا أن يُهلك جمع من السادات الأبرياء بسبب هجوم الجيش وأن يصبح شرف سائر المسلمين، الذين كانوا مجبرين على التوطن فى جاميش وان، هدفًا للفضيحة والشناعة. ومن أجل هذا وامتثالاً للأمر الأعلى واطلاع الوزير

واستحضاره عن رحم ومروءة حاكم العالم ورعايته لجانب صالح وطالح السادات، فقد منع الرجال المكلفين فى مقام اتحاد القلوب من معارضة ومعاداة السادات والآخرين، وجعل مصطفى خان ولقاءه قريناً للحياة الرغدة ببشرى جميع آماله الكسروية السابقة، فأصبح مصطفى خان واضعاً رقبته فى ربقة الطاعة والخضوع، وصار متصدياً لخدمة الدولة الخالدة . وانصرف القائد فرج الله خان أيضاً مع جيشه بإشارة الوزير الصالح الفكر والتى كانت بموجب الأمر السلطانى وسلك طريق دار الإرشاد أردبيل .

١٢١- تنصيب وتعيين الحضرة العلية الخاقانية لميرزا محمد حسن بوزارة نائب السلطنة والخلافة، ومجيء بارون ويردى من أجل الهدنة :

عندما صار نور هلال الراية البيضاء الملكية مشعًا ومشرقًا، بعد الاطمئنان على أمور أذربيجان، من مرج أوجان إلى دار الخلافة طهران، توجه الوزير الفريد إلى بلاط صاحب العالم، ولما وجدت المرحمة الملكية حد الكمال بشأنه نظراً لسيادة وقدم خدمته فقد استدعى أن يفوض منصب وزارته إلى خلفه الأرشد [ص ٢٢٩] سلالة الكرام والأطياب ميرزا محمد حسن الذى امتاز واستثنى بحسن السلوك والخُلق الحسن والصفات المستحسنة والحلم الفائق والتواضع اللائق والأدب الزائق والذهن الوثيق واللسان الذليق والوجه الأنيق وأن يُكلف حضرته بنفسه فى العتبة الملكية وهى مقام الصادقين (العدول)، والحقيقة هى، أن لخلفه النبيل وقارالشيوخ على الرغم من شبابه. ففى أوائل كسبه للتجربة كان يغرس نقش صلاح أمور المجتمع على صفحة خاطر الشيخ والشاب، ومنذ أول شبابه كان مكرماً ومعظماً بأخلاق الحلم والتواضع ومسلماً له بالأسلوب العظيم والكاتب الكبير والابن الكبير. شعر [ترجمته]

كله قلب بلا حرص وبخل
كله روح بلا كبر وحقد
لم يغضب قط على أعدائه
ولم تر العين العبوس على حاجبيه

ولأن ابن الوزير المُعظم كان منظورا بالعناية السلطانية نظراً لاستعداد وقابلية فطرته، وكانت رعاية خاطر ميرزا الكبير أيضًا للحاكم المستولى على البلاد بسبب ظهور الخدمات اللائقة تفترض فرض العين وعين الفرض اقتران ملتمسه بالقبول فوكل خدمة وزارة النواب نائب السلطنة والخلافة إلى ميرزا محمد حسن وتزين صدره وكتفيه بخلاع الشمس السلطانية المشعة الفاخرة وافتخر ميرزا الكبير أيضًا بالمنزلة الجليلة القدر القائم مقام ونيابة وزارة الديوان الأعلى، وامتاز عن أقرانه وأمثاله بارتداء الخلاع الفاخرة وشرب كاسات الرعاية والعنايات المتكاثرة .

وفي نفس تلك الأوقات صار مكلفًا على أذربيجان، بحيث يجعل خلفه السعيد مستقلاً في أمره، وأن يقيم (هو) من أجل راحته الكاملة في عتبة زحل .

ومن الحوادث المصاحبة لوقت حضور حضرته إلى أذربيجان، حضر إلى النواب نائب السلطنة البولكونيك بارون ويردى الروسى من قبل "طورمصوف" قائد جيش الروس، وأرسل له العريضة والمتضمنة على ذلك: "وصلنى من قبل ملك روسيا رسالة، وقد صار واضحًا وظاهرًا أن ملك روسيا راغب فى الصداقة [ص ٢٣٠] مع دولة إيران وكلفنى من أجل اعداد قواعد المصالحة وتمهيدها والبعد عن أسلوب المعاداة والمخاصمة، ولو يكن رأى مسئولى دولة إيران مستقرًا على الهدنة؛ ففى فترة الهدنة تُشرق شمس السلام الحقيقى على الأقطار والأمصار بسبب تردد السفراء والمجتمعين، وتجد كلتا المملكتين الراحة بواسطة هذا السلام والصلاح ، ويُسرع التجار من الجانبين بفراغ البال وعدم الاضطراب إلى كل فائدة ونفع وبنفس هذه الشروح المؤكدة، كتبت إلى كل واحد من رؤساء الأقاليم الحدودية، وطويت بساط المعركة من كل زاوية وجانب، وأرغب منكم أيضًا، أنه بما أن إنهاء أمر الهدنة موقوف على أن أتشرف بحضور نائب السلطنة فى موقع إقليمه الخاضع للسيطرة أو ألتقى مع أيا من ميرزا شفيع معتمد الدولة أو ميرزا الكبير نائب الوزارة، وبناءً على ذلك أرسلت بارون ويردى، وسوف أنتظر حصول المأمول " .

وقد أوصل بارون ويردى أيضًا شفاهةً إلى نائب السلطنة بأنه إذا اقترن سؤاله هذا بالقبول، فسيترك مسئولو دولة الروس المناطق المحتلة إلى مسئولى الدولة القاهرة بحيث إنه بمجرد تردد السفراء الروس سيسحبون أيديهم عن الولاية المحتلة دون

محادثات والتكليفات الشاقة وبمراعاة مراسم الوفاق والاتفاق سيخرجون قدم الاستيلاء والاحتلال، ومن بعد ذلك لن يحدث من تلك الطائفة الأمر المخالف لرؤية الصداقة .

ولأن عقلاء الروس قد علموا بالتجربة أنهم فى هذه الفترة لم يستفيدوا مطلقًا من الولايات المحتلة ولم يشربوا لفترة جرعة ماء واحدة براحة في تلك الأمكنة والبلاد ، وقد أتلفت المعركة جمعًا كثيرًا وأموالا ضخمة من دولة روسيا فى العدة سنوات هذه، ولم يربحوا، وخسروا من أيديهم نقد الأرواح فى هذه التجارة .

وقد ظن ولى العهد ظن الصدق بتقريرات بارون ويردى، وكان له بدلها لأن ترتيب هذه المقدمات وأخذ نتائجها موافق لقاعدة الحكماء والعقلاء، ودون فى إجابته على كتابات "طورمصوف" بعد الاستئذان من البلاط المشبه بالفلك "بأنه [ص ٢٢١] لن يُحدث نزول الموكب، الذى كان قبل الاستعداد لوقت السفر المظفر والذى كان معهوداً فى كل عام إلى الأقاليم الحدودية، وميرزا شفيع الذى هو أيضًا مثل العرض اللازم للجوهر ودائمًا ملتزمًا لركاب العادل المنتسب للنصر، ليس من المقدور والميسور فى هذا الأوان مجيؤه إلى هذا الإقليم، ولكن بعد النوروز، وسوف يتوجه إلى تلك الحدود الوزير ذو التدبير الصائب ميرزا الكبير القائم مقام طبقًا لأمرنا من أجل بناء وتأسيس أمر قراجه داغ، وسوف يقابلك من أجل أمر الهدنة، وقد قررنا لأمراء الإقليم وكلفناهم بأن يغمدوا سيف المعركة والعداوة فى غلافه ولاينحرفوا عن أمرنا " .

وتوقف بارون ويردى بنفسه في تبريز من أجل إتمام الأمر الذى كان فى منظوره، وبعث بآخر مع جواب نائب السلطنة وقام بإبلاغ "طورمصوف" ولكنه فى تلك الأوقات، هجم وعلى حين غرة، فوج من ناحية شروان على حدود موغان، ونهبوا مايقرب من عشرين ألف رأس غنم من طائفة قراجه داغ، ولم تقم الطائفة المذكورة بالانتقام والقصاص خوفًا من عقاب نائب السلطنة، وعرضوا الوضع على الواقفين فى حضور صاحب السعادة، وبعد إعلان مسئولى البلاط لبارون ويردى وإبلاغه عن هذه الحركة الشاذة، وأرسل فى الحال شخصًا إلى "طورمصوف"، وأعلن غضبه الشديد، فكتب "طورمصوف" فى إجابته بأن هذا الإقدام حدث على خلاف أمرى وأن جمعًا من الأتراك

المتهورين قد فتحوا الكمين من أجل سرقة الأغنام وسوف يُظهر لنائب الوزارة فى أثناء لقائه كيف سأخرج من عهدتى إزالة ورفع هذا الانفعال والغضب الذى يجعل الوجه يتصبب عرقاً بسبب حرارته .

وأيضًا فى تلك الفترة، قدم على حين غرة، فوج من الروس إلى " مقرى" بقراباغ التى كانت حتى تلك الفترة تحت سيطرة أبو الفتح خان من قبل الأمير الموفق. وبمجرد وصول هذا الخبر واطلاع بارون ويردى وإيفاد شخص عند الروس المذكورين وإظهار التأسفات الكثيرة دون أن [ص ٢٣٢] يصلوا إهانة إلى أحد. ورجع الروس من مقرى، ولم يُعرف ماذا كان المقصود من هذا المجيء والعودة .

ولأن النواب نائب السلطنة، يميل دائمًا إلى رضا مبعوثى الأصدقاء والأعداء، فقد كان يسلك مع بارون ويردى نوعًا من السلوك، بحيث أن خجل تلك الألطاف أنهى لكل شخص، كان مستفيداً من هذا الشعور كلية، كل نوع من الانفعال كان يظهر عليه، ومن جملة ذلك كان مسموحاً له أن يذهب إلى كل مكان يريده ومع كل شخص يرغبه، وأوطنه طريق الاختلاط والمعاشرة ، وحتى فى يوم السماح له بالانصراف وفى أثناء الذهاب بالإنعام الوافرة والخلعة الفاخرة، صدر فرمان من ملك روسيا وأُعلنَ إلى البولكونيك غماندات، الذى كان حاكمًا على كنجه من قبل الروس وكان قد قدم فى السنة السابقة إلى بلاط نائب السلطنة مبنى على إغراء وتحريض الروس وإغرائهم بالفرار من كنجه والكرجستان الذين كانوا فى عهدته وكان قد جاهد كثيراً أيضًا لإغرائهم على عودتهم، ولم يستر (يكتم) غماندات المذكور هذه المسألة، وأفصح عنها فى خدمة النوّاب الأشرف وعرضها بصدق وكما هى .

١٢٢- وقائع سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين هجرية، وتعيين ميرزا الكبير القائم مقام بهدف إقامة الهدنة بناءً على رغبة طورمصوف وعدم اكتمال تحقيقها :

مرة أخرى جعل فصل منتصف الربيع ساحة المرج أينع وأنضر من الجنة، ومنحت عظمة الحفل المبارك الكسروى الخلعة الجديدة للعالم القديم، وبذل خازن الهمة العالية

بذور الذهب وكنوز الجواهر على الوضيع والشريف، فصار محسوداً من فيضان السحاب وإشراق شمس العالم. وبعد طي بساط السرور والفرح، تقدم لنظم واجبات المُلك ومهامه، وعلى الرغم من أن نهب أغنام طائفة قراجه داغ وذهاب الروس إلى مقرى قراباغ وعودتهم ووسوسة بارون ويردى إلى غماندات، كان يُظهر علامات الخدعة والحيلة وفساد طورمصوف. وقد وصل في تلك الأثناء أيضًا الخبر بأن الروس لعبوا نرد الحيلة مع والى "باش أتشوق"، فألقوه طرح الفتى ورغبوا معه اللقاء، ووقتها قبضوا عليه [ص ٢٢٣] وحملوه إلى تفليس. ولم يوقف النواب العالى تعيين القائم مقام على هذه الأخبار والترهات ولم ير تأخير وعده الكريم، وكلفه مع عدة أشخاص من غلمان بهرام الانتقام، وأمره بأن يُسرع إلى كل مكان يحدده "طورمصوف" دون تمهيل وتسويف، وأن يرفع خيمته عند القدوم مع خيمته بأقل فاصلة وأن يقيم معسكره المبارك (خيمته الكبيرة) بالاسم السامى لدولة الهمايون، من أجل أن يشاهد أيضًا على الستارة شاهد مقصود الدولتين دون حجاب وتظهر أسرار الملك من جلباب خاطر مقربيه، فإذا رأى أن بناء أمر "طورمصوف" قائم على الخدعة والحيلة، فينوى على الرجوع في الحال ودون تفكير ويختار العودة، وإذا استنبط من أحواله عذرًا في الاحتفاظ بقصده، فلا يُظهر القائم مقام أيضًا التضايق في الجدال. وطبقًا لما هو مقرر، توجه القائم مقام، وكان "طورمصوف" قد عين في بادئ الأمر ثلاثة أماكن متتالية من أجل اللقاء وكان قد أخبره بها وعلى الفور كان قد أعلن أسفه، وفي النهاية، حدد مكان اللقاء في ناحية عسكران وتوجه القائم مقام دون تفكير إلى هناك وقد عمل ما كان مكلفًا به ومع أن "طورمصوف" قرن، وطبقًا لما هو ظاهر، لوازم الاستقبال والإعزاز والاحترام، زيادة عن ما كان مظنونًا، مع أدب التواضع والخضوع، فلم يغفل دقيقة عن العادات الإنسانية. وقد صدر فرمان ملكي الدولتين أيضًا على الوضع اللائق، وطبقًا لصلاح الجانبين. وتقرر كتابة اتفاقية الهدنة، ولم يحدث فرق واختصار في تدوين آداب وألقاب ملكي الدولتين القويتين الأساس، ولم يحدث من الطرفين الأمر المخالف في الظاهر للنظام والقانون، ولكن في النهاية، انصرفوا عن تقريرات بارون ويردى وتفسيراته بشأن أغنام قراجه داغي .

وبالإضافة إلى هذا، ففي أيام توقف نائب الوزارة في عسكران، عُين فوج روسى مرةً ثانيةً على مقرى، وبعد اطلاع نائب الوزارة على ادعائه بإخضاع وإفساد مقرى، وكان ظاهر هذا الادعاء وهذا الزعم جوابًا غير صحيح وعذرًا غير مقبول؛ لأن سماعه كان هكذا: قبل هذا كان فوج من روسيا قد تردد لمدة يومين بالمجيء والذهاب إلى هناك [ص ٢٣٤] ، ومقرى هي من جملة قرى قراباغ، وبالفعل استقر الجنود فيها. وهذا الزعم والمزعوم لا محل له .

ولكن الصخرة التي صدمت أساس هذا السلام كانت هي تكليف طورمصوف وأمره: "بأنه بعد المصالحة مع هذه الدولة سوف أنقل الجيش من ناحية أخسقه وقارص إلى ناحية الروم [العثمانيين]، وينبغي ألا تُمد [الدولة العثمانية] من طرف هذه الدولة (إيران) بأي وجه من الوجوه " ، ونظرًا لما كان من الشروط المؤكدة بين الدولة العلية والدولة العثمانية بأن يكونا متفقين في السلم والحرب ولا يطالب أحد قط بالسلام دون الآخر، ونظرًا لحفظ عهد واتفاق النواب نائب السلطنة على تلك الشروط والمبادئ فلم يقبل هذا السلام، وكلف القائم مقام بالرجوع، ورضى بالقضاء وتقديره واعتبر أن مخالفة الشرط والاتفاق عار على الدولة، وبناءً على رفض نائب السلطنة، فقد ترك نائب الوزارة الهدنة لهذا السبب نفسه، وبدأ الاستعداد للعودة.

فسعى "طورمصوف" مرة ثانية إلى قاعدة التظاهر والمراءاة، فازاد عن الوصف في الأدب والاحترام والإكرام والتوديع. ولو أنه كان يرغب أن يسلك معهم سلوك سليمان خان والى باش أتشوق، فلم يكن يُفيد بسبب شجاعة غلمانه ومرافقيه توعى الجلادة، بل إن المسألة أثمرت النتيجة على العكس.

والخلاصة، أنه على الرغم من أن مقرى قد دخلت تحت سيطرة الروس مع وصف المعارك الكثيرة وهلاك الرجال من الطرفين في المعركة بحكم القضاء واقتدار القدر، لكن أبا الفتح خان رحّل جميع أهالى ذلك المكان والقرى المجاورة والقريبة منها، وأحضرهم إلى الجانب الثانى من نهر آرس، وبأمر نائب السلطنة فُوضت حكومة "دزمار" إلى أبى الفتح خان ورجعت إليه. وبسبب اعتداء بيرقلى خان القاجارى، الذى

كان قد فتح طريق الإغارة لمرات بأمر النواب نائب السلطنة، رحلت طائفة قراباغ وتفرقت أفواجًا في ناحية نخجوان وسائر الولاية المحروسة. وكلّف إبراهيم خان القاجاري من بلاط زُحل الخاقاني على ساحل نهر كر وبرئاسة إقليم ذلك المكان. وهجم أغورلوخان الكنجوي عدة مرات على كنجه وذهب إلى حدودها، فجعل عددًا [ص ٢٣٥] من الجنود طعمة للسيف، ورحل جميع طائفة إيرملوى الكنجية، التي كانت من أهم طوائف ذلك المكان وأغناها، وقدموا إلى ناحية شرور ونخجوان .

١٢٣- تدوين بعض الأحوال وتوجه النواب الأمير على خان لنهب جمع من طوائف القوزاق وعودة حضرته :

في أواخر فصل الربيع، وحيث كان قد صار مرج أوجان موضع حسد وغيرة روضة العالم بسبب قدوم الميمنة الواجبة للحضرة العلية السلطانية، استقرت راية العُقاب في إجلال على أرضها وموطنها، وعلى الرغم من أن نائب السلطنة كان في ذلك الوقت مُشرفًا في مرج "دوكيجان" فإنه بسبب غلبة شوقه فقد أوصل نفسه إلى هناك وفي استعجال كامل وفي خلال اثنتى عشرة ساعة لاستقبال الحاكم ذى الخصال الجمشيدية. وأدى لوازم تقبيل الركاب .

ولأن طاحن الفلك السلطاني عند قدومه إلى مرج سلطانية، كان قد كلف النواب الأمير على خان مع جمع غير محدود من الفرسان والمشاة على إيروان، فقد ذهب حضرته إلى مرج قراباغلو بنخجوان وكان في انتظار قدوم موكب النواب نائب السلطنة المسعود، وقد سمح الحضرة العلية الظل الإلهي لنائب السلطنة بالانصراف عن الركاب المستطاب، وقد أعطى حضرته في أثناء توقف الأمير نائب السلطنة في نخجوان، الأمر العملي إلى الأمير الموفق على خان، فأرسل حضرته إلى مرج أباران بإيروان. وكلف الأمير على خان لمرتين المجاهدين المظفرين بالهجوم على "حمالمو" بقيادة إسماعيل بك الدامغاني رئيس خدم الديوان السلطاني ، وباقي قواد أثر الجلادة، وتحاربوا مع "بارت نكين"، فقتلوا جمعًا من الروس. ومن هناك أرسل الأمير [على خان] من أجل تأديب

متمردى شمس الدينلو وسائر طوائف كنجه والقوزاق والاشتباك مع الجنرال نبالستين الذى كان مقيماً فى ذلك المكان، وعاد هو نفسه فى عزة وإقبال. وبعد قدوم الأمير الحر إلى كنجه وعلي مقربة من تلك الحدود تصادف مضطراً مع طائفة القوزاق، فنهب من الدواب والأغنام زيادة عن العد والحساب، ولأن الجنرال نبالستين ومعه جيش روسيا وفرسان القوزاق وشمس الدينلو كانوا جميعهم [ص ٢٢٥] فى أطراف وجوانب الأموال المنهوبة مهيئين ومجتمعين على هيئة أفواج، فقد بدءوا الحرب والقتال من كل ناحية، فجعل الأمير الحر فوجًا من الجيش مشغولاً بأمر المعركة على كل جانب. وعطف الأمير الشاب ذو الحظ الموفق وملتزمو ركاب النصرة عنانهم من تلك المناطق ومعهم الرايات والأسلاب الكثيرة والأسرى التى لا تحصى والغنائم الوافرة وقدموا إلى إيروان .

ولما كان قد تحقق في تلك الأثناء من قرار الأخبار المتوالية، بأن "طورمصوف" عاد من جانب صدقلو إلى تفليس، أرسل نائب السلطنة بالأمير على خان إلى البلاط السلطانى مع أغلب الجيش وطلب ألا تتوقف النفس السلطانية النفيسة أكثر من هذا التحمل فى مرج أوجان ، وهو مصيف شديد البرودة وأن تنصرف الراية السلطانية إلى دار الخلافة .

١٢٤- تعهدات شيخ على خان [حاكم] قبه ومصطفى خان الشيروانى، وتكليف إبراهيم القاجارى على ساحل [نهر]" كر . :

على النحو الذى ذُكر سابقًا فإن إبراهيم خان القاجارى صار مكلفًا على ساحل نهر كر، فكان هذا باعثًا على أن سليم خان [حاكم] شكى وحسين قلى خان [حاكم] باكويه، وهما المستظلان فى ظل مرحمة الدولة القاهرة، قد تشرفا بالحضور السلطانى فى مرج أوجان، وقدم غلمان شيخ على خان أيضًا بعرائضه ، فكان مطلب الجميع هو أن: " يُعين قائد مع فوج من الجيش علي موغان، وأن يُرسل أموالاً إلى شيخ على خان

من الخزانة العامرة ، وأن يُصبح مصدر استقلال سليم خان فى شكى مع مصطفى خان الشيروانى، الذى أظهر الندامة عن سوابق أعماله، ومع شيخ على خان، الذى اتحد فى خدمة الدولة العلية وتخالف مع الروس، وبأن يذهب حسين قُلى خان أيضا عند شيخ على خان ، وبالاتفاق يجمعون أنصار ومؤيدى لكزية ويقومون مجتمعين بمحاربة الروس .

ومع أن الحضرة العلية الظل الإلهى لم يعتمد على هذه الأقوال، فإنه لمجرد رعاية خاطرهم قبل سؤلهم هذا، فعين إبراهيم خان القاجارى مع فوج من الجيش الجرار، ووهب الأموال لهم التى تنبغى، وقرر بأنه إذا ظهر أثر [ص ٢٣٧] من خدمة مصطفى خان أو استقام أمر شيخ على خان وأى واحد يريد عبوره والجيش المنصور من نهر كر، يذهب إلى ذلك الجانب، ولا يرضى على إمدادهم ومعاونتهم بتقصير منه، وألا ينهب قراباغ، وأن يكون لحسين قُلى خان أيضًا الإصرار على الذهاب عند شيخ على خان، ويصل إليه بكل عدد الفرسان التى يريدها والنقود المطلوبة، وقد عمل إبراهيم خان أيضًا طبقًا لما هو مقرر وتوقف فترة فى "أصلان دوز" بموغان، ولم يشم منه مطلقًا رائحة الصداقة فقام مضطرا بنهب قراباغ على النحو الذى كان مكلفا به، وحصل على الأموال والبضائع والأحمال والأثقال والدواب والأغنام الكثيرة ورجع من هناك .

ومرة أخرى، توقف فى "أصلان دوز"، وطبقًا للأمر الملكى، حضر مع بيرقُلى خان القاجارى، الذى كان ملتزما ركاب نائب السلطنة المُظفر، من إيروان، وكُلف برئاسة إقليم موغان. وكُلف ميرزا الكبير نائب الوزارة أيضًا بأن ينقل فوجًا من مشاة وفرسان الجيش من المعسكر السلطانى ويسلمه إلى بيرقُلى خان وبأن يصفى أمور قراجه داغ ودزمار، ويعود. وقد عمل القائم مقام حسب الأمر المقدر، وأحضر إبراهيم خان إلى بلاط الفلك وقدم إلى المعسكر الهمايونى. وجمع بيرقُلى خان أيضًا بمجرد حضوره إلى قراجه داغ جيوش النصرة، وتوجه إلى قراباغ مع الحاج محمد خان قراكوزلو حاكم قراجه داغ، وعندما عبروا نهر أرس طلبوا أولاً: أن يؤدبوا مهدى قُلى خان القراباغى،

الذي كان مشغولاً في قلعة عسكران بحراستها، تأديباً كاملاً، ولايضعوا له قدما على الأرض. وتوجهوا من نهر ترتر بغرض مهاجمة طائفة جبرئيلو، وكانت الطائفة المذكورة قد انسحبت إلى حصن محكم، فهجم الجيش المنصور واستولى على حصنهم وأغار عليهم ومن هناك رفعوا راية العودة إلى قراجه داغ. ولأنه في أثناء عزيمة القائد المذكور، كان قد صدر الأمر بأن تعبر جماعة جلبيانلو نهر أرس، فقد كانوا يتذبذبون وسط الطريق الضال [ص ٢٣٨] ، فرحلهم وأحضرهم إلى هذا الجانب المائي، وعمل القائد المذكور بموجب الأمر ورحلهم مع طائفة يوسفانلو وأحضرهم إلى تلك الناحية من الماء .

ولما عُرضت هذه المسألة على نائب السلطنة، أصدر الأوامر المحكمة لحراسة شرف الإسلام، وذلك بأن يأخذ مرة أخرى الحاج محمد خان أسرى الشيعة والسنة من الجيش المظفر ويسلمهم إلى أصحابهم .

١٢٥- أسر طورمصوف لسليمان خان والى باش آتشوق، وهزيمة القائد حسين خان في آخسقة من الروس، وتعويض [هزيمة] القائد مع الروس والاستيلاء على حصن حاجى قرا وقتل وتفريق جمع الروس الذى كان في ذلك الحصن :

ذهب طورمصوف القائد الروسى مع جمع إلى بداية حدود تفليس وباش آتشوق، وبعث برسالة إلى سليمان والى باش آتشوق وذلك بأن "نتقابل مقابلة الأصدقاء مع بعضنا البعض وأن نفتح أبواب الصلاح والفلاح على وجه عهدنا" وقد أعد في الخفاء لوازم القبض عليه عن طريق الحيلة والمؤامرة، وبعد اللقاءات والمحادثات، ألقى القبض على سليمان خان وحمله إلى تفليس بمساعدة عدة أفراد من طائفة "باش آتشوق"، الذين كانوا قد عقدوا حزام وسطهم في الظاهر من أجل خدمته وهم في الباطن تحالفوا مع طورمصوف ، وقعدوا لسليمان خان على مرصد الغدر والمكيدة. وبعد فترة أوكل إلى مسئولي الروس بأن ينقلوا سليمان خان في أثناء الليل محبوساً من تفليس

إلى بطرسبورج، فأُخبر سليمان خان ليلاً فى مجلس الشراب عن هذه العملية، فخلص نفسه من المجلس بتدابير كثيرة، وفر مع عدة أشخاص، وخرج من بوابة المدينة بلطائف الحيل وتغيير ملابسه، وفي الخارج حصل على الجواد والمرشد وتحرك بسرعة كاملة. وقد روى عن قول الحكماء: إن العاقل ليس ذلك الذى يصون نفسه عن فخ البلاء وورطة العناء بل إن العاقل ذلك الذى إذا وقع فى الهلاك يخلص رقبته من مخلب البلاء بمعاونة فكره القويم، ويشد سفينة جسده من دوامة الهلاك إلى ساحل النجاة بعون رُبان التدبير (العقل)[ص ٢٣٩] .

والخلاصة، أن سليمان خان وصل بنفسه إلى ولاية آخسقه، وبعث بسليمان بك أمير الديوان، الذى كان من مقربيه وأخيرهم، إلى بلاط ملجأ العالم السلطانى، وطلب صدور الفرمان بافتخار حسين خان القائد وشريف باشا والى آخسقة، وطلب أن يصدر الحكم من بلاط سماء الجاه بإخراج نفقات قيادة الجيش لمعاونته. "فاقترن" مطلبه بالنجاح وتوجه حسين خان القائد بفرمان السلطان إلى آخسقه ومعه الخزانة العامرة والجيش الجرار، وفي بداية قدوم القائد حضر عدة أفراد من ملاحى كارتيل وقراقلخان، الذين كانوا قد ضاقوا من سوء سلوك الروس، ورغبوا فى تعيين لوان ميرزا ابن والى الكرجستان على ذلك الإقليم فقبل حسين خان القائد ملتمسهم، وأرسله إلى كارتيل بالتجهيزات والاستعدادات اللائقة.

وقد تحارب سليمان خان بعد حضوره إلى باش آتشوق عدة مرات مع روس ذلك المكان فقتل بعضا من تلك الجماعة ونكب وخذل بعضهم ورجع، ولم يبقْ فى محل باش آتشوق فى يد الروس سوى قلعة واحدة، وبعد قدوم لوان ميرزا إلى كارتيل جمع جمعًا من أهالى كارتيل وقراقلخان، وأعد لوازم السعى فى الحرب والصراع مع الروس.

ولكن شريف باشا والى آخسقه، الذى لم يسترح حتى ذلك الوقت من تعرض الروس وأذاهم، وكان سليم باشا الوالى السابق لذلك المكان قد تحالف مع الروس ولم يتركه ساعة واحدة مستريحًا، وبسبب مساعدة الدولة القاهرة له وعزيمة حسين خان القائد، فقد صار مرفه الحال من جميع النواحي، فبعد قدوم القائد المذكور إلى آخسقه ونظرًا لاطمئنان القائد على الانتظام والهدوء لأمور شريف باشا وظنه فى حاكم الحدود، فلم يراع طريق الحزم والاحتياط، ولم يتركْ حراس فى جميع الطرق والشوارع وبسبب

عدم انتظام أمور شريف باشا، ذهب فوج من الروس فى أثناء الليل وعلى حين غرة وفى وقت راحة القائد وعن طريق لم يكن به حراس، وأطلقوا نيران المدافع والبنادق بالقرب من المعسكر، [ص ٢٤٠] وكان القائد والجيش جميعًا غافلين عن هذا الأمر الخاطئ، فحدث اضطراب وكان بعضهم يقظًا وبعضهم نائمًا، وبسبب مشاهدتهم هذا الحال، خرجوا من المعسكر، ودخل الروس إلى جانب من المعسكر، وشرعوا فى الاعتداء والتطاول، وفى تلك الأثناء انصب على رأسهم على تقى خان الفندرسكى الإسترابادى ومعه فرقته، واشتبك معهم كالشعلة الحارقة بالقش، وأنزل بهم الهزيمة الصادقة، واستولى منهم على الرايات والبيارق الكثيرة والغنائم والأسلحة التى لا حد لها. ورجع الروس، ولم يرْ حسين خان القائد صلاح حاله فى الإقامة والتأخر فى تلك الولاية، وعاد من أجل الاستعداد والتجهيز لأمر الروس .

وبعد عودة الأمير على خان وجيوش ركابه إلى أوجان، حضر إلى معسكر نائب السلطنة، وطلب تعيين فوج الجند والغلمان حملة البنادق معه من أجل إخضاع أيٍ من خنادق "بنبك"، فعين نائب السلطنة طبقًا لمطلبه محمد بك القاجارى الأفشارى القائد وقاسم بك قائد الغلمان حملة البنادق ومعهما فرقهما، وتوجهوا بموافقة القائد، وفى الثالث والعشرين من شهر الصيام خط الرجال المكلفون رمح الهجوم والإغارة بجوار قراكليسيا بنبك (كنيسة بنبك السوداء)، وعلى الرغم من أن البَرْد والثلوج كانت قد سدت الطرق وأصبحت الدماء بسبب برودة الهواء متجمدة فى الأبدان، فإنهم طووا على أرجلهم الطريق بطول ثمانية وعشرين فرسخًا فى يوم واحد، وعلى بعد ثمانية فراسخ من بنبك رتبوا الصفوف بطريق ونظام تامين، وقطعوا الطريق وبقوا لمدة ساعتين حتى الصباح، حتى وصلوا إلى مقربة من خندق "حاجى قرا"، وفى ذلك المكان تأخروا لمدة ساعة، إلى أن يحصل خمسة أفراد من طلائع الجنود، الذين كان قد أرسلهم من أجل معرفة الأخبار واستعلام الآثار على مقربة من الخندق، على الاطلاع عن الأمر والعمل والرأى وطريق الهجوم ولوازمه فتقابلوا فجأة بالقرب من الخندق بشخصين من حراس روسيا اللذين كانا خارج الخندق، فألقوا القبض عليهما وأسروهما وأحضروهما إلى القائد، فاحتاط القائد أيضًا ألا يُحدث اختلالاً أسر حراس الروس [ص ٢٤١] وفى اللحظة نفسها التى كانت على وشك الصباح، توجه مع الجند إلى الخندق، وبمجرد وصول الجيش فى تلك الليلة المظلمة قام الروس أيضًا بإشعال نار

الحرب لأنهم كانوا واقفين فى الحراسة، واشتغلوا بالحرب والقتال وهجم الجنود الصائدون للعدو مرة واحدة من الأطراف والجوانب إلى داخل الخندق ودون أن يفتح الروس الطريق وأحاطوا بهم داخل الدائرة، وأخضعوا خندقًا صعب الإحكام الذى كان متصلاً بعدة خنادق لأفواج جُند الروس وفتحوا عدة قرى لتجمع حملة البنادق الأرمن وكثيرين كانوا فى [قرية] إيكون، وقاموا بقتل جميع روس الخندق وبأسر ونهب جميع نساء وأطفال ومتاع وأحمال أرمن القرية المتصلة به.

وبعد طلوع الشمس، اشتغلو بالذبح والأسر والإحراق، ولأن جمعًا من جنودهم كانوا قد اختفوا فى منازل الأرمن، فأحرقوها جميعًا وأشعلوا نار الغضب فى بنيان وجودهم، وحطموا مدافعهم، وأخذوا الدواب والأغنام من الأرمن مع الأسرى، ورجعوا مظفرين ومنصورين .

وتعقب روس الخندق المتصل بحاجى قرا المجاهدين المنصورين على تصور أنه ربما يغيرون، فيستطيعون إيقافهم، وطووا مسافة، ولكن بمجرد رجوع عدة أشخاص من الغلمان حملة البنادق وإطلاقهم عدة طلقات بالبنادق، التى فوهتها أوسع من فوهات مدافع الزنبورك [مدافع الهاون]، قُتل وأصيب عدة أفراد من الروس، فرجعوا إلى مكانهم دون الحصول على مرامهم.

واستولى القائد، الذى رفع الغضب عن نفسه بسبب استعداده للروس، على القادة والأسرى والأموال ، وحضر إلى نائب السلطنة بمراسم لائقة، فجعل النواب نائب السلطنة كل واحد من العمال والخدام موضع الإحسان والإنعام كل على قدر مراتبهم .

١٢٦- بيان قدوم ملكهم بهادر، وإحضار المدفعية الإنجليزية إلى بلاط ملجأ العالم، وتفويض المدفعية المذكورة إلى نائب السلطنة :

تعتبر المدفعية الإنجليزية من جملة التجهيزات الحدودية والآلات الكبيرة المختصة بالنيران والناثرة للصواعق والتى لم تكن متداولة فى إيران فى أى وقت.[ص ٢٤٢] قد

أُحضرت إلى بلاط سماء الجاه فى صحبة ملكم بهادر ومعها المدفعيين المهرة وداناتها وأدواتها ولوازمها الكثيرة ، وذلك عن طريق الهند وفارس وبسبب الرأى الصائب لمستر كرشط ومستر لزى المدفعيين، وكانا موصوفين بالخبرة ومعروفين بجوهر الجلادة الذاتية، ومعهم عدة أشخاص آخرين والسفير المذكور. وطبقًا للأمر السلطانى، فقد فُوضت المدفعية المذكورة إلى النواب نائب السلطنة، وقد كُلف بالتوقف فى تبريز مستر كرشط ومستر لزى المذكورين وعدة أشخاص آخرين الذين كانوا مهرة فى عملهم وصنعتهم، وقد أوكل نائب السلطنة نظام رئاسة المدفعية وإدارتها إلى مستر لزى الذى كان مزينًا باللياقة الكاملة وقرر أيضًا لجمع من الإيرانيين بأن يتجندوا عند المدفعيين المذكورين، ويتعلموا قواعد وقوانيين ضرب المدفعية على طريقة المدفعيين الإنجليز، وهم الآن يتدربون على إطلاق المدفعية بسعى كامل وجهد لاجدال فيه، وقد حصلوا فى هذا الشأن على مهارة كاملة ففى خلال دقيقة واحدة يعمرون المدفع ويفرغونه سبع مرات، فيصير الدخان متصلاً ببعضه البعض .

١٢٧- التفويض بالفصل فى أمور الإقليم المجاور لحدود بغداد إلى نائب السلطنة بموافقة الأمير محمد على ميرزا :

فى هذا العام ، كُلف حالتى أفندى رئيس الكتاب السابق بالدولة العثمانية باستمالة واسترضاء عبد الرحمن باشا الذى كان قد توسل بمسئولى هذه الدولة الخالدة إلى الأبد [إيران] ولم يكن له أى مسلك مع أى واحدة من الدولتين، وكان الحضرة العلية السلطانية قد اعتبر إعانته ومساعدته، ونظرًا لأسباب عديدة، منافيًا لقانون ورؤية الصداقة مع الدولة العثمانية، وقرر بأن تُراعى فى هذا الخصوص صداقة الدولة العثمانية وبألا يحدث الأسلوب الباعث على نقض [عهد] الدولة العثمانية والانزعاج بين الدولتين، وبأن يفصل فى شئون هذه المنطقة نائب السلطنة بموافقة الأمير محمد على ميرزا .

وعزل حالتى أفندى سليمان باشا بمساعدة عبد الرحمن باشا، وتحارب عبد الرحمن باشا مع سليمان باشا، وألقى القبض عليه وقتله، وأوكل عمل الوزارة [ص ٢٤٣]، وقبل وصول الفرمان من الدولة العثمانية، إلى عبد الله أقا المدعو بالكرجي والذى كان عنده. ولم يحصلْ حالتى أفندى على تغيير بسبب ملاحظته لتعند عبد الرحمن باشا وتسيبه ولم يحتملْ مسئولية تغيير سلوكه الظاهر أيضًا ووبخه على الملأ العام. وبعد ظهور هذا الأمر، سير أحمد أغا، الذى كان من مشاهير العراق العربى وملقبًا فيما سبق بأحمد شلبى، إلى البلاط السلطانى، وقام بإعلان درجات الإخلاص والمحبة مع هذه الدولة الخالدة إلى الأبد.

ولما كانت قد أوكلت الأمور الحدودية لجميع أقاليم الدولة العثمانية وطبقًا للأمر السلطانى إلى النواب نائب السلطنة، فقد كُلف يس زاده عبد الوهاب أفندى سفير الدولة العثمانية، الذى سيدون قدومه إلى بلاط صاحب زحل عما قريب بقلم البيان، بالتوقف فى خدمة نائب السلطنة .

ولما كان ولى العهد راغبًا على الدوام فى زيادة اتحاد دولتى إيران والعثمانية وسد طريق باحثى فتنة المفسدين، فقد قرر أن يُظهر الدقة الكاملة فى أمور إقليم حدود بغداد، وبأن ينظم النواب محمد على ميرزا شئون حدود بغداد وأمورها بحسن رأى كليهما.

١٢٨- ذهاب طورمصوف للسيطرة على آخسقه، وهزيمته من شريف باشا :

بعد عودة الموكب المُزين بالنجوم من إيروان إلى مستقر جلالته، رأى طورمصوف قائد روسيا الساحة خالية، فانتهز الفرصة، واستدعى الجيش، الذى كان قد نهض لإخضاع "باش آتشوق" وجعل أطراف مدينة وقلعة آخسقة مضربًا لخيام عساكره. وبسبب الاستماع لهذا الخبر، فإن سليم باشا الوالى السابق لباش آتشوق الذى كان سالكًا طريق العناد على الدوام مع شريف باشا فى ولاية حكومة آخسقه، قد ترك العناد والصراع والنزاع، وأرسل ابنه مع جمع كامل لإعانة وإمداد شريف باشا، وقد صار هو نفسه مستعدًا للقتال والصراع .

ويقي "طورمصوف" وجيش الروس ثلاث ساعات حتى الصباح، وهجموا من الأطراف والجوانب، ودخلوا مدينة آخسقه بالغلبة والقوة، فبدأ أجا قلويان وصولى بك [ص ٢٤٤] وسائر الأبطال وشريف باشا والى ذلك المكان بالقتال والاشتباك، وقد مرت ساعتان من النهار وتنور الحرب مشتعلة ويد المجاهدين مشتعلة باللعب بالبنادق، وقد وصل الأمر إلى استعمال السيف والرمح فأصبح جيش المسلمين غريقًا مع جيش روسيا.

وفى النهاية، انهزم "طورمصوف" ومعه جيش الروس، وسلك وادى العودة والإدبار، وأخرجهم شريف باشا وجيش آخسقه من المدينة، وردوهم على أعقابهم لمسافة فرسخ من المدينة، وعلى التعاقب كان المدد يصل بسعى أمين باشا قائد العسكر من ولاية أرض الروم وقرى وضواحي تلك المناطق، وتيقن الروس بعد يومين أو ثلاثة من هزيمتهم، فعقدوا مجتمعين حزام الهجوم على أطراف وجوانب مدينة آخسقة، وجلسوا بين الجانبين كحيوان السمندل وسط شعلة النار. والخلاصة، أن جيش الروم فرق وبعثر جيش الروس عن بعضه بسبب ضرباته المتتالية بالسيف الحسام ومصائب قذائف المدفعية والبنادق ؛ إلى درجة أن سلسلة نظام الجيش الصائد للعدو قد تفسخت من بعضها، وفقدوا معسكرهم وقت الهزيمة، وقابلوا بعضهم على بعد أربعة فراسخ من آخسقه، ولووا زمام العودة إلى الكرجستان محطمى الأسلحة ومفلوتي العنان.

وعرض شريف باشا كيفية الأحداث على بلاط نائب السلطنة، فوهب إلى شريف باشا الخلاع الفاخرة من المخزن الخاص وإلى سائر أبطال ومجاهدى تلك الولاية وعلاوة على ذلك، عطف على شريف باشا بالخنجر المرصع وأعطاه النصيب من الإسطبل الخاص الجواد السريع السير مع السرج المُزين بالذهب .

١٢٩- وفاة الوزير المعظم ميرزا محمد حسن فى الثانى من شهر محرم الحرام :

فقد مرض لعدة أشهر الوزير المعظم وصاحب المقصد الطيب المفخم ميرزا محمد حسن ، الذى كان قد وجد شرف الامتياز والافتخار فى هذا العام بين أقرانه وأمثاله

بوزارة الأمير الفريد نائب السلطنة العلية، فوقع على بطانة العجز والمرض وسعى الأطباء إلى علاجه ومداواته ولم ينفعْ، وفى النهاية عقد إحرام كعبة الوصال فى الثانى من الشهر المحرم [١١٢٥ هـ.ق] مصراع [ترجمته] ص٢٤٥] أدرك تلبية صراخ لقاء الأرواحَ

فتكدرت غرة السلطنة والخلافة الغراء لنائب السلطنة بسبب هذا الحزن، وسالت الدموع من جزع مبصرة العالم اللؤلؤ المتلألئ، ونثر القائم مقام دموع الحسرة من عينيه بسبب مشاهدته لحالة ولده المؤسفة، وقد أجلس الفلك الظلوم الجميع فى نار الغصة والحزن بسبب هذا الهم والغم ، وبعد إسعاد روحه بختمات كلام الملك العلام [الله جلا جلاله] وإطعام الطعام للفقراء والأيتام، وطبقًا لأمر النواب نائب السلطنة نقلوا نعشه المطهر إلى المشهد المقدس بالنجف عليه من الله التحية والتحف فى رفقة نجف قُلى خان كروس الذى كان دائمًا مؤلفًا ومؤنسًا له فى حياته وبالأثاث اللائق الذى أعده نجف قلى خان ومعه جمع من القراء والحفاظ وقد أوكل ضمنًا بعض المهام والواجبات الخطيرة أيضًا إلى نجف قُلى خان والتى يؤديها فى الرحلة المذكورة، وذكرها يخرج عن هذا الأمر المراد.

١٣٠- تكليف جمع من الجند على محاربة الروس فى شيخ آويز واستئصال جماعة الروس على أيديهم

فى أواسط الشتاء، عُرض على واقفى الحضور اللامع النور أن جماعة الروس قد أحضروا المؤن والعتاد من قراباغ وسائر الأماكن التى تحت سيطرتهم، وجمعوها فى قرية "شيخ أويز" التى كانت مكانًا صعبًا، وينقلونها من هناك ويحولونها إلى مقرى . فقرر النواب نائب السلطنة بتكليف فرقة القائد محمد بك القاجارى الأفشارى مع فرقة إحسان خان الدنبلى وقليل من الغلمان حملة البنادق بالاستيلاء المحكم على شيخ آويز، فعبروا بسرعة كاملة من نهر أرس، وفى الوقت، الذى كان فيه الجليد قد غطى الجبال وعلى غفلة، أحاطوا بشيخ أويز وحاصروها، وعندما أُخْبِرَ ساكنوها من الروس والأرمن فقد وجدوا أنفسهم أسرى لمصيدة البلاء، وقد وجد الفرصة من تلك الجماعة خمسة

عشر نفر، حيث استولوا على الأسلحة والعتاد، ووصلوا إلى سطح كنيسة كانت على شاطئ شيخ أويز، وحملوا أنفسهم، وفتحوا أيديهم بإطلاق البنادق، وأُسر الباقي منهم جميعاً على يد الجنود الذين شعارهم الجلادة، وقُتل البعض [ص ٢٤٦] من إصابتهم بالقذائف، وقبضوا على بعضهم وجروهم خارج خنادقهم، وذبحوهم في وسط القرية مثل الخراف، وفر جمع منهم من أمام الجنود، واختفوا في أحد المنازل، فقذف الجند عدة قنابل وسطهم، فانفجرت، ولم يجد الجميع مجالاً للتأخر، فجروا خارجه، وذبحهم الجند وقتلوا كل هذه الجماعة تماماً عدا شخصين هربا على الأحصنة، وأغاروا على كل شخص نجا وكل ما وجدوه في شيخ أويز.

وفي هذه المرة لم يُقتلْ ولم يُصبْ أزيد من ثلاثة أو أربعة أشخاص من الجيش المنصور، وقد رفع الجنود رءوسهم على سونكي البنادق ولحقوا بركاب الظفر، وإزاء هذه الخدمات الجليلة صاروا موضع الإحسان والإنعام من نائب السلطنة.

١٣١- وقائع العام ذي الطالع الميمون [سنة الكبش](١) وهي سنة ألف ومائتين وست وعشرين [هجرية]، ومجيء يس زاده عبد الوهاب أفندي سفير الدولة العلية العثمانية

بسبب يُمن وبركة مقدم النوروز المنتصر، عاد الشباب إلى الدنيا العجوز بتوافق إلى الاعتدال، وارتفعت العصافير والبلابل على أغصان الورود في أغنية السلطان. وبعد انقضاء المهرجان النوروزي، قام (السلطان) بإكمال المهام والواجبات القريب منها والبعيد، وارتفعت الراية الموفقة إلى الفلك الأعلى. وبالمصاحب لذلك الحال، قدم يس زاده عبد الوهاب أفندي، الذي كان مكلفًا من بلاط الدولة العثمانية برسالة إلى إيران في أواخر شهر ذي الحجة الحرام إلى دار السلطنة تبريز، فاستقبله عدد من الأعيان بأمر النواب نائب السلطنة، وبعد تقبيل بساط العز، قصد دار الخلافة طهران وأبلغ الرسالة

(١) قوى ئيل: سنة الكبش، إحدى سنين التقويم التركي الشرقي. (انظر: المعجم الفارسي الكبير، ج٢ ص ٢١٢٣)

الملكية وهدية المحبة وصار موضع التفقدات والعنايات الخديوية، وسمع من ألفاظ واهب الجوهر المقولات الحسنة والأحاديث الجذابة والتي كانت مورثة لمزيد من الترابط بين الدولتين العليتين، واعتكف لفترة في العتبة السلطانية، وكُلفَ بالتوقف فى حضور النواب نائب السلطنة .

١٣٢- تعيين ميرزا أبو الحسن خان بسفارة إنجلترا وعودته ومجيء السير [ص ٢٤٧] جوراوزلى سفيرًا فوق العادة بسفارة صاحب بلاط زُحل :

بعد قدوم ملكم بهادر، عين النواب الحضرة العلية الخاقانية ميرزا أبو الحسن ابن أخت الحاج إبراهيم خان معتمد الدولة السابق، الذى كان على علاقة قرابة أيضًا مع أمين الدولة الحاج محمد حسين حاكم إصفهان ، من الدولة القاهرة إلى دولة إنجلترا، وبعد قدوم ميرزا أبو الحسن خان إلى تلك الدولة، وجد الإعزاز والإكرام الفائق عن الغاية وسُمِحَ له بالعودة مقترنًا بالعزة والاحترام. وقد كُلفَ السير جوراوزلى برونت، الذى كانت منزلته فى دولة إنجلترا أعلى بعدة درجات من السير هرفردجنس برونت، بالتوقف فى إيران وكلفه بتوقيع الاتفاقية وسط مسئولى دولة إيران وإظهار فيما بينهما آثار الوفاء بالعهد الموافق للعهد والميثاق ووصل خبر قدومه بمرافقة سفير إيران إلى البلاط السلطاني، فعُين ميرزا زكى مستوفى الديوان الأعلى لضيافته، وتصادف مع السفير فى ميناء "بوشهر" فأحضره إلى شيراز بجميع أنواع إعزازه واحترامه فى كل مكان، وأرسل النواب الأمير حسين على ميرزا حاكم مملكة فارس جمعًا من كباره وأعيانه ومقربيه لاستقباله ، وبعد عدة أيام من استضافته وإعزازه وإكرامه الذى لا شك فيه، وصل من شيراز إلى إصفهان، واعتبر الحاج محمد حسين خان أمين الدولة وأمير أمراء إصفهان أيضًا مقدمه إكرام له، وأحضر إلى دار الخلافة طهران فى احترام وإعزاز لا حد لهما فى كل مكان. وكما وجد السير هرفرد جنس برونت السفير السابق الإذن بالانصراف من البلاط السلطانى حسب المرام بعد إكرامه وإعزازه كثيرًا، ومعه الرسالة السلطانية، وتوجه إلى مقصده عن طريق إسلامبول ، وتشرف السير

هرفرد جنس برونت السفير السابق الإذن بالانصراف من البلاط السلطاني حسب المرام بعد إكرامه وإعزازه كثيرًا ومعه الرسالة السلطانية، وتوجه إلى مقصده عن طريق إسلامبول وتشرف السير جورأوزلي برونت بالحضور في عتبة فلك الأركان السلطانية، وأبلغ لعظمته على وضع لائق رسالة الدولة الشهيرة وتذكار الصداقة، وتم عمل كل أنواع لوازم الإعزاز والإكرام الذي لم يكن مقدورًا لغيره حتى تلك الفترة له من قبل صاحب الشرف السلطاني [ص ٢٤٨] . ومن جملة العنايات الخديوية بعد توصيل تذكار الدولة العلية إنجلترا والذي كان في غاية النفاسة، قال الحضرة العلية السلطانية بلفظه المبارك الذي كالجوهر بأن أفضل تحف وهدايا تلك الدولة التي أحضرتها هي [الماسة] التي عكست عند النظرة الأولى إليها صورة أوصافها الحميدة على مرآة ضميرنا المنير، وقد أثرت حكمتها وآدابها ولطافتها في عقل الهمايون بسبب مشاهدته لأطوارها وسكناتها.

وبعد التشرف بالحضور السلطاني، قام السفير المشار إليه بأداء مراسم حسن نية الدولتين، وأظهر الأفكار الصائبة، من أجل بقاء اتحاد الدولة الخالدة البنيان والمقوية لجيش وعسكرية الدولة العلية إيران، والتي ذكرها في هذا الكتاب مورثًا للإطناب وبل يزيد من حيز البيان. وحتى نهاية هذا العام والعام السابق كان يتوقف أحيانًا في دار الخلافة طهران وأحيانًا في تبريز في خدمة نائب السلطنة. وأوصل الاتفاقية المفصلة بالتوقيع المبارك ، وكان في أكثر الأوقات في غيبته وحضوره مبتهجًا ومسرورًا من إكرام وعناية الحضرة العلية الخاقانية والأمراء والعظام وخاصة النواب نائب السلطنة الذي كان له شفقة خاصة به. وقد حدثت بينه وبين جميع مسئولي الدولة وأركان الحضرة التوافقات والروابط والعلاقات الكثيرة. وقد رويت أوصافه الحسنة في روايات مجالس الامراء وصار ذكر أخلاقه الممدوحة زينة محافل مسئولي وعظماء السلطنة وكانت له مهارة كاملة في إدراك الأسرار والرموز والتحدث والكتابة باللغة الفارسية ، وكان يكتب الموضوع مترابطًا جدًا ، وقد لاقى التأثير الكامل في أهل العلم وأرباب الكمال ، وكانت سليقته جيدة وحسنة وطبعه مأنوسًا . وقد شيد منزلاً وحديقةً على نحو لائق وذات منظر جذاب ، وحيث كانت عيون مشاهدي ذلك المكان تنبهر من رؤيته وتعتبره الروضة المثالية وكانت روحه في غاية الإكرام والاحترام .

١٣٣- بيان الاحتفال بعُرس الأمراء فى مرج سلطانية

بعد الانتهاء من الحفل [ص ٢٤٩] والمهرجان النوروزى وأنشطته، عزمت رايات القابض على البلاد السلطانية على السفر فى وقت الربيع إلى سلطانية، وقبل التحرك من دار الخلافة طهران، عين للقيادة مقرب الحضرة إسماعيل بك غلام رئيس الخدم، وسيره إلى أذربيجان مع أفواج الجيش من الفرسان والمشاة الفدائيين وحملة البنادق، وبعد نزول الرايات الملكية إلى مرج سلطانية، كلف فوجًا آخر من الجيش ملجأ النصرة خلفه، وأرسل جمعًا أيضًا إلى خراسان، وجعله ضمن أبواب جمع الأمير محمد ولى ميرزا، ومنح الأموال التى كانت لازمة من الخزانة العامرة من أجل نفقات قيادة جيش أذربيجان وخراسان كل على قدر مراتبهم بالإضافة إلى أجور ومستلزمات جيش الركاب .

وبعد الانتهاء من هذه الأمور، قرر فى أيام الإقامة بالمرج المذكور أن يؤسس أمر صلاح الأمراء العظام عبد الله ميرزا حاكم خمسة وشيخعلى ميرزا حاكم ملاير ونهاوند، وأن يُفرح خاطرهم فى ذلك المرج الجذاب الذى لايوجد مكان أفضل منه من أجل الفرح والانبساط، وأن يستفيد قادة إيران من هذه النعمة العظيمة، وأن يسعد الخواص والعوام من هذا الفيض الشامل، وبأن تنتظم لوازم الفرح والسرور على النحو المقرر الذى لم تكنْ قد رأت عين الزمان مثله ، وأن تطول بلا حدود ذكر الألعاب النارية وسائر مستلزماتها وأدواتها .

ولكن كانت مصابيح ذلك الحفل كاملة الصنعة وفى غاية الحداثة، أما خيام المعسكر السلطانى فكانت قد ضُربت جميعها وفقًا للنظام بحيث إنها كانت قد عُملت باتباع صفوف الخيام المتوازية والمتساوية والتى تثير الدهشة فى العقل، وكانت المصابيح تضىء الليل فى المعسكر السلطانى وكل ليل أى من الخيام بطريقة خاصة بحيث كانت تبدو كل خيمة كالسماء والمصابيح كواكبها، وكان المنظر من أمام قصر سلطانية، الذى كان فى غاية الارتفاع، يُمتع العمر الخالد.

والخلاصة، أن الراية السلطانية ألقت برحل الإقامة فى المرج المذكور من أجل تنظيم جميع المملكة [ص ٢٥٠]، وكلف النواب نائب السلطنة بأن يُقدم كل ما يعلمه

صالحًا بشأن معركة الروس وصراعهم وفقًا للنظام والشرع، فوضع نائب السلطنة أيضًا بناء الأمر تدريجيا، وعين أشرف خان الدماوندى وإبراهيم بك قائد جند الفوج التبريزى وعلى بك رئيس فرقة من الغلمان ، ونظر على خان كنكرلو حاكم نخجوان وذلك بأن يذهبوا ناحية قرى مسيحى قراباغ، ويكلفوا كل طائفة بالهجرة والرحيل من ذلك المكان، ويطمئنوهم من ناحية المعيشة حتى يخضع كل شخص للطاعة ويحضر إلى نخجوان وهو موضع الإحسان والرعاية وكل من يتمرد يجعلوه موضع النهب والسلب. وقد أنجز الرجال المكلفون ماهو مقرر على الرغم من أنه في عهد نادر شاه الأفشارى وفى عهد الخاقان المغفور له، وحيث كانوا قد عقدوا العزم على إبادة وتخريب قراباغ، لم يكن لأحد من قواد وأفواج جيش الملكين جليلى الشأن القدرة على إيجاد طريق أو فجوة للمسيحيين [القراباغيين]، فقد هجم الرجال المكلفون بحكم الأمير ولى العهد المقتدر الجرىء على ذلك المكان، وقد سيروا إلى نخجوان كثيرًا من الطوائف والتى قبلت الرحيل، وجعلوا عددًا من الأرامنة، الذين أعلنوا التمرد والعداء، موضع النهب والأسر، وبعد ذلك صار المنهوبون نادمين بسبب فعلتهم، وقدموا إلى نخجوان مجتمعين وسكنوا بها .

واشترى ولى العهد أسراهم من الجالبين لهم بالقيمة المعتادة وسلمهم للأرامنة أصحابهم بمحض ترحمه ومروته . ولأنه كان قد قرر فى بداية الربيع بأن تُبنى القلعة فى صحراء دزمار التى أحد أطرافها نهر آرس، وبالنظر إلى اتصال طرفها الآخر بالجبل وهو ماكان موهمًا على اقتحامها، فقد كان المهندسون الأوربيون والإيرانيون يترددون ويتراجعون فى بناء القلعة المذكورة، فهجم النواب نائب السلطنة بنفسه إلى هناك وعاين القلعة وخطط بناءها بطريقة خالية من أى نوع من العيب والنقص، وأعطى للمهندسين الأمر بالعمل،[ص ٢٥١] ورجع إلى دار السلطنة تبريز.

وفى تلك الأثناء حضر مقرب الحضرة إسماعيل بك الدامغانى والذى كان قد عُين من البلاط السلطانى بقيادة جيش فرسان ومشاة الركاب – فسيره نائب السلطنة مع جمع إلى مرج "كلنبر" وأخذت راية الظفر فى التحرك من خلفه، وكلف من المرج المذكور أمير خان القاجارى الدولويى مع محمد بك القاجارى الأفشارى قائد فوج المشاة وفوج الفرسان بالهجوم على "برجشاط" وبالاستيلاء على قلعة وحصن ذلك المكان، وبعد عبور

الرجال المكلفين لنهر آرس وعلى الرغم من أن أغلبهم كان من المشاة وبناءً على وفرة الاشتياق الذى كان عندهم لتأدية الواجب وبذل الروح، فإنهم طووا مسافة ثمانية فراسخ وقت الذهاب وثمانية فراسخ وقت العودة، وفي ظرف أربع وعشرين ساعة أخضعوها بالقوة والغلبة وسيطروا على قلعة برجشاط وهى المسماة بـ "إله قيا" وهى محتوية على الغربان الكثيرة والغابات والجبال ، وكان أهالى برجشاط قد ألقوا أخشاب الأشجار على بعضها البعض فى مضايق الطرق وذلك حتى لايكون فى الإمكان المرور والعبور من أطرافها وضواحيها، وقد قتلوا الكثير من رجالها في أثناء المعركة ونهبوا جميع أموالها، وصار أولادهم ونساؤهم أسرى الجيش الصائد للأسود ، ومرة أخرى وبمحض مرحمة جبلته ومروءة فطرته اشترى أسراهم من الجيش المنصور وردهم إليهم، وأدى الإحسان والإنعام الكثير بشأن كل واحد من الرجال المكلفين الذين كانوا قد أصبحوا مصدراً لهذا النوع من الخدمة الصعبة، ولظهور هذا النوع من المرحمة حضر أهالى [قلعة برجشاط] إلى قراجه داغ، فصاروا موضع إحسانه وإنعامه اللامحدود .

وفى الوقت نفسه، كلف بيرقُلى خان القاجارى أيضًا مع فوج فرسان ومشاة الركاب وفرسان طوائف قراجه داغ وذلك بأن يذهبوا إلى قراباغ ويكلفوا طائفة جبرئيللو على الرحيل، وإذا ظهروا فى صور التعلل يجعلوهم موضع النهب والإغارة. وحدث تهور لعقل بيرقُلى خان ؛ لأن طريق "تشناقتش" هو من أصعب جميع الطرق، فقد هب بجرأة على خلاف [ص ٢٥٢] دستور النواب نائب السلطنة، وتوجه من الطريق المذكور .

ولما كان الأرامنة وسكان تلك المنطقة قد حملوا أموالهم إلى موضع آخر وقعدوا بأنفسهم على قارعة الطريق، وسدوا الطرق بنوع من الأخشاب المتشابكة والأخشاب التي كانوا قد ألقوها فوق بعضها البعض، وأعدوا خندقًا بحيث يصعب العبور من ذلك الطريق على أية وجه. وكان بيرقُلى خان قد كلف حملة البنادق الإستربادييين أن يهجموا على خنادقهم وأن يتركوا هناك عدداً من البنادق فى كل خندق يخضعونه، وأن يقوموا بالهجوم على خندق آخر، ومن المصادفة أن قُتل في أحد الخنادق شخصان من المشاهير الإستراباديين، ومع أن حرارة الأرمن لم تتوقف ولم تستقر فى تلك الضواحي

والأطراف فإنهم بعد أقل من يوم توجهوا بوجه الأمل إلى هذا الجانب، فتوطن بعضهم في نخجوان وبعضهم فى قراجه داغ .

ومرة أخرى صار ذلك التهور وعدم الحزم لبيرقُلي خان على مخالفته للأمر والحكم غير ملائم لطبع نائب السلطنة، فخاطب بيرقُلى خان وأمراء الجيش بغضب .

ولما وصلت فى تلك الأثناء عريضة أقا بك شيخ طائفة كولانى إلى نظر النواب نائب السلطنة وهى متضمنة ذلك وهو أن جميع الطوائف التى فى ناحية مسيحى قراباغ وتلك الضواحي والأطراف المتصلة بنخجوان تأمل فى عناية الدولة القاهرة خوفًا من هجوم وإغارة الجيش المنصور وإنهم صمموا على الرحيل إلى ناحية نخجوان، ولكنه نظرًا لتوقف الجنرال "خطاكوف" وجمع جنوده وفرسان مهد يُقلى أقا حاكم قراباغ على مقربة، فإنه عند رحيل الطائفة سوف تصل الإهانة الكاملة منهم، فالمطلوب هو أن يعين القائد المقتدر مع فوج الفرسان وحملة البنادق الجرارة كمهاجمين، وذلك حتى نصل دون ضرر وخوف جميعًا إلى ظل الدولة الخالدة" فكلف نائب السلطنة أيضًا بالخدمة المذكورة إلى مقرب الحضرة إسماعيل بك الدامغاني ومعه فرسان ومشاة ركاب أبواب جمعه. ومن المصادفات أنه فى أثناء قدوم إسماعيل بك والجيش إلى وسط الطائفة، رحل أقا بك إلى شوشي من أجل استغفال الجنرال [ص ٢٥٢] ومهدى قُلى أقا وكشف ظنهما، وكان يريد ضمنًا أن يخلص جمعه من هناك. وكان سائر رؤساء طائفة كولانى قد تصوروا أن جميع الفرسان والمشاة قد قدموا من أجل الإغارة عليهم وسلب أموالهم ، فظهروا من طريق الجهل فى مقام التمرد والعصيان. ولأن ذلك الطريق مشتمل على غابة بطول ما يقرب من أربعة فراسخ، وحيث لم يكن ميسرًا عبور أكثر من شخص واحد لعرض تلك الغابة، فإن حملة بنادقهم كانوا قد أغلقوا طريق الجيش ووضعوا بناء الحرب والمعركة من خلفه. وعلى الرغم من اتصاف إسماعيل بك بقدرته على قتلهم وأسرهم ونهبهم ، ومع ملاحظة أن أقا بك دون شك ولا شبهة سيكون بصدد الخدمة والطاعة ، فقد اعتبر الحركة الشاذة للآخرين قائمة على الجهل ولم يظهر مطلقًا فى مقام المعتدى على النحو الذى لم يصل ضرر مطلقًا إلى أحد من فرسان ومشاة أبواب جمعه ، وعاد جميع المحاربين بشجاعة . وبعد مشاهدة هذا الحال الزائد عن الحد

أصبح آقا بك وجميع طائفة كولانى مطمئنين ، فرحلوا إلى إيروان مجتمعين وأتوا إليها، واطمأنت باقى الطوائف المسيحية بمراعاة هذا الذى مضى وحضرت إلى نخجوان وصارت موضع العناية التي لاحدود لها .

١٣٤- ذكر مجيء أمين باشا إلى قارص وتلك الحدود وعودته بتقدير الحي الودود(١) :

عندما عُرِضَ فى تلك الأيام على النواب نائب السلطنة أن أمين باشا قائد جند الدولة العثمانية، الذى كان مكلفًا فى قارص طبقًا لأمر سلطان تلك الدولة صاحب الجاه ومحكومًا بإطاعة أمر وحكم النواب نائب السلطنة، قد تحرك من أرض الروم وتوجه إلى قارص، أوقف نائب السلطنة أيضًا القتال والاشتباك مع روسيا من ناحية قراجه داغ وتحرك من مرج "كلنبر" بالمدفعية المحمولة على النظام الإنجليزى، والتى كانت تحير العقل بسبب مشاهدة تصويبها ودقة أهدافها، والجند وسائر الجيش والأسلحة وآلات الحرب والقتال، وتوجه إلى إيروان وذلك حتى يسعى جيشا الدولتين من تلك الناحية إلى معاضدة أحدهما للآخر لمحاربة روس تفليس وباش آتشرق، ويقوما بصدهم ودفعهم فى تلك المناطق. [ص ٢٥٤]

وبعد القدوم إلى نخجوان، عُرف أن قائد العسكر لم يقدمْ إلى قارص حتى الآن، وفى هذه الأثناء وبناءً على عدم وصول قائد قارص، أغار نائب السلطنة لعدة أيام على قراباغ عن طريق نخجوان، وتوقف فى ظرف عدة أيام حتى يُصبح كل واحد من الطائفة والرعية، المستظلة بظلال مرحمة الدولة الخالدة إلى الأبد، مصونًا من آفة صدمات وضربات الجيش المرافق للنصرة وحتى يقدم جمعه إلى نخجوان وقراجه داغ، وكل واحد يظهر التمرد يجازى.

وبمجرد القدوم إلى تلك الحدود، عين نائب السلطنة صادق خان القاجارى عز الدينلو لتأديب أهالى قرى "كورروس" الذين كانوا فى موضع التمرد والعصيان، وجعل

(١) الله جل جلاله .

أشرف خان الدماوندي وعلى خان نوري مع المجاهدين المشاة الراكبين ضمن أبواب جمع صادق خان، وقد أنزل الرجال المكلفون بالمتمردين التأديب اللائق، فأنزل صوت موكب النواب نائب السلطنة الرعب في قلوب الروس والقراباغيين، فمن ناحية، رحلت طوائف قراباغ فوجًا فوجًا والذين كان من بينهم رعايا طائفتي كولاني ومغاويز، ومن ناحية أخرى تحرك الجنرال "خطاكوف" مع تجمع الروس والقراباغ حركة قاتلة وقدم إلى كوروس، وبعد حضورهم إليها، وبسبب أن الخوف والدهشة كانا غالبين ومستوليين عليه، فقد رأى أن وسيلة أمره منحصرة في أن يعتمد على أكواخ كوروس وعلى القلعة والخندق الشديد الأحكام ويتحصن فيهم، وفر عدة من جنوده وقدموا إلى الحضور الفياض، وأقام نائب السلطنة أيضًا عشرين يومًا في تلك الأطراف، وقد جعل الطائفة والرعية المطيعة المتوجهة بوجه الأمل إلى الدولة القاهرة موضع عطائه وإنعامه وإحسانه، أما المتمردون فقد أنزل بهم العقاب البالغ، فقد قدم على قتلهم وأسرهم وحرق محصولهم وبيوتهم، وفي ذلك الوقت كلف لثلاث مرات أيضًا فوجًا من الفرسان على ناحية كنجه، فكان الرجال المكلفون في كل مرة يظهرون المساعي الشجاعة، وقد جلبوا من متمردي كنجه جميع الروس والغنيمة ورجعوا إلى نخجوان [ص ٢٥٥] وإلى أن عزموا من هناك إلى إيروان، وجيش الدولتين مشغول بأمر الكرجستان.

وبالمصادفة، حضر في يوم القدوم إلى نخجوان رسول من إيروان، فصار من المؤكد أن قائد عسكر الدولة العثمانية وقائد إيروان قد وضعا لقاءهما في بداية حدود قارص وإيروان وكان قائد الجند [العثماني] قد صار من تلك الناحية والقائد [الإيراني] من هذه الناحية بطريقة لائقة إلى مكان تلاقيهما، وبالطريقة المعمول بها في إيران والروم [الدولة العثمانية]، فإنهم في أثناء الطريق، اصطف الخواص من الفرسان والمهرة أمام الجانبين وبدءوا في التدريب على الهجوم وإطلاق البنادق وعلى أعمال الحرب، وفجأة وعلى حين غرة، اخترقت رصاصة بندقية منبت أذن قائد الجند والتي كان قد أطلقها أحد خواصه، فأخرجت معها أسنانه، وفقد وعيه، وحمله رفاقه إلى قارص، ورجع القائد [الإيراني] أيضًا إلى إيروان وهو في غاية الأسف. وانطلق سهم القضاء كي ييسر لقاءهم بعد وضع أساس الأمور على النحو الذي كان مقررًا ويتوجه الموكب العالي إلى إيروان ويتشرف قائد الجند (العثماني) بشرف حضوره .

وبمجرد استماع نائب السلطنة لهذا الخبر، عين شخصًا لتفقد أحوال قائد الجند العثمانى، وأصدر الأحكام السامية إلى كل من [باشوات] كهيا ورؤساء أجاقلو والإنكشارية وحكام قابص وغيرهم من جنوده وذلك بألا يحدث اضطراب لأحد مطلقًا بسبب هذه الحادثة وبأن يعرضوا كل ما هو ضرورى وذلك حتى يراعى بناءً على اتحاد الدولتين، وعين المستر كمل الجراح الإنجليزى أيضًا، الذى كان ملتزمًا بالركاب، من أجل علاجه، وبذل كل أنواع الرأفة الملكية بشأن قائد الجند ، ومع أن جرح قائد الجند عطل العمل، فإنه لم يكن مؤثرًا، فبعد فترة تحسن ورجع إلى أرض الروم .

وفى كل مكان كان جيش روسيا قد اختاره للراحة، كان خاطر نائب السلطنة يكتئب فى ذلك الوقت، الذى كان متوقفًا فيه فى نخجوان، بسبب عدم وقوع الحرب اللائقة واقتراب موسم الشتاء وهى وقت راحة المجاهدين .

وكلف [نائب السلطنة] ميرزا أحمد المستوفى قائد فوج الجنود [ص ٢٥٦] الخاص، الذى كان جميعه من جنود روسيا سواء الذين أسروا فى أوقات الحرب أو الذين فروا من جيش روسيا، وضربوا يد التوسل بذيل مرحمة نائب السلطنة العلية فشرفهم جميعًا بشرف الإسلام، وجعل الجميع صاحب منزل ورحل وأهل وأولاد، وسوف يرجع ثواب هذا العمل على جميع أعماله بالتقرب إلى الواحد [الله جل جلاله] الذى صفته السلبية لم يلد ولم يولد[1] واللائقة بذاته، ولقبهم هو الأبطال [بهادران] وقائدهم ميرزا أحمد المستوفى الكاشانى، وإبراهيم بك باكويه قائد الفوج التبريزى، وذلك بأن يذهبوا إلى مقرى .

وعلى الرغم من أن إخضاع ذلك المكان فى هذه الأثناء لم يكن فى المنظور لبعض النواحى، لكن كان الاكتئاب يرتفع كلية عن عقله وفكره النشط عن طريق الاشتباك والاقتتال مع روس ذلك المكان. وطبقًا للمقرر، توجه الرجال المكلفون إلى [قلعة] كوردشت ومن هناك اصطحبهم مهدى خان هزار جريبى ومعه عدد من حملة بنادق

(١) هذا المعنى مأخوذ من القرآن الكريم فى سورة الإخلاص (١١٢) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ (المترجم)

معسكر قلعة كوردشت، وعبروا مياه نهر أرس، وأخذوا بخناق روس ذلك المكان مثل الموت المفاجئ، وتجاوز الأمر عن استخدام المدافع والبنادق فى أقل معركة ، وانحصر القتال والمعركة بين الجانبين بسونكى البندقية، بل ووصل الأمر إلى المصارعة، وغدا تعلق جميع الجنود المسلمين والجنود الروس ببعضهم. وفى النهاية، انتصر جيش الإسلام وانهزمت جنود روسيا، ولم يُقدر للجنود، الذين كانوا متحصنين فى البرجين المسميين بسيد ومختر أن ينجو أحد منهم من مخلب الجيش الصائد للأسود، وقد جعلوا قرية مقرى سافلها عاليها. وحمل ميرزا أحمد وإبراهيم بك والجنود بيارق وأعلام الروس، وفى نخجوان تشرفوا بحضور ناظر النور وبنظام لائق منتصرين ومظفرين، وصار كل واحد من القواد والقادة ... الإنعام والإحسان الوافر والرعاية اللامحصورة كل على قدر مراتبهم وخدمتهم. وكلف ... الجنود الخوئيين بقيادة إحسان خان القائد مع عدد من الغلمان حملة البنادق بتأديب أرامنة قراباغ [ص ٢٥٧] وعلى الرغم من أن الأرامنة المذكورين لم يأمنوا قلعة "قير" وهى من الحصون المشهورة فى قراباغ ، وكانوا قد تحركوا من المكان نفسه فى اليوم نفسه، وكانوا قد سكنوا بمكان شديد الصعوبة وهو الذى كان محاطًا من كل جانب باثنى عشر فرسخًا من الغابة، فإن الجنود والغلمان حملة البنادق وصلوا إليهم بجرأة عن طريق "آذادتشيران" وأظهروا الحرب والقتال، وفى النهاية، أسروا نساءهم وأطفالهم وأغاروا على أموالهم ومتاعهم، وقتلوا الكثير من رجالهم، وعادوا إلى قراجه داغ عن طريق جسر "خدا آفرين" وفى عرض الطريق أيضًا نجا بقية رجال الأرمن، الذين كانوا قد سحبوا أنفسهم إلى الغابات، من مخلب الجيش المنصور، وكانوا قد ظلوا يومين بليلتيهما يسحبون خفية أنفسهم أفواجًا فى حماية أشجار الغابة، وعلى غفلة، كانوا يقفزون ويتحاربون بالقوة التى كانت لديهم إلى أن قُتل المدعو أقاسى كبيرهم، فنفض الآخرون أيديهم مضطرين من مالهم وأولادهم ، وعادوا إلى المكان نفسه. ولما أيقنوا أن الحصن والغابة والجبل والتل لم يستطيعوا منع هذا المصير، فقد أتوا بعد فترة مضطرين إلى قراجه داغ، واختاروا الراحة فى ظل الدولة القاهرة، ولشدة محبة نائب السلطنة أعطى ثم رحل متاعهم وأسراهم التى كان قد استولى عليها، وأنفق الأموال والبضائع الكثيرة من أجلهم .

وفى تلك الأثناء وصل إلى مسامع النواب نائب السلطنة العلية أن الروس يريدون أن يحضروا مؤن وإمدادات لمعسكر مقرى، ولكن الفكرة التى كانت لدى جيش ملجأ النصرة أن الجنرال نفسه عازم إلى مقرى مع أحد الأفواج من الجنود من أجل حراسة القافلة، وبناءً عليه، عين النواب نائب السلطنة ميرزا أحمد المستوفى مع فوج الأبطال وجعفر قلى خان المقدم وجنوده ومعه مائة فارس من الغلمان آثار الجلادة، وقرر أن يذهبوا عن طريق "أردوباد" ويقطعوا عليهم الطريق فيما بين مقرى وقبان، ويعملوا كل ما يجب من قتال [ص ٢٥٨] مع الجنرال واعتراض القافلة، فتوجه الرجال المكلفون أيضًا بسرعة كاملة، وبمجرد القدوم إلى أردوباد، وصل جواسيس الغيرة إلى الجنرال، فلم يجرؤ الجنرال المذكور على إرسال القافلة خوفًا من الجيش المنصور، وتوقف فى كروس، وبعد اليأس من مجىء الجنرال والقافلة، تشرف الحكم المحكم بالنفاذ وذلك بأن يقدم الرجال المكلفون على ترحيل طوائف قبان، فساروا أيضًا طبقًا لفرمان القضاء المنفذ إلى قبان، وفى أثناء الطريق وصل خبر عزيمتهم إلى الطوائف المذكورة فرحلت على الفور خوفًا على أرواحها والتجئوا إلى ظل عناية النواب نائب السلطنة ورعايته.

وبعد الفراغ من هذه الأمور، توجه موكب أصل النصرة إلى خوى، وبعد قدومه إلى هناك، وصل الخبر بأن الجنرال مرقص قد أبدى لدولة روسيا أن الجنرال بطرويتش طورمصوف يتساهل فى أمر قيادة الجيش والمحاربة مع جيش إيران، وينفق كل هذا المال بلا فائدة ويُهلك جنود روسيا ، وأنه لو أُعين وأُنصب مكانه، فسوف يصبح مصدر الفتوحات اللائقة، فعينته دولة روسيا أيضًا بالقيادة، وأرسلته. وبمجرد قدوم الجنرال المذكور إلى تفليس وتأكده من عودة موكب النواب نائب السلطنة والسماح للجيش بالراحة فى ثكناه، وَجَّهَ جنرال ولاية بنبك إلى إيروان ومعه ثمانية آلاف من الفرسان والجنود وكلفه بأنه لو يستطع أن يرحل الطائفة والرعية من هناك، وإذا لم يحصل على هذه الأمنية، يقوم بالإغارة على أموال ودواب أهالى إيروان ونهبهم أو يحصل على الغلة والأرز والشعير من الصحراء والملح من المنجم .

وفى تلك الأثناء ، وحيث إن ساحة إيروان كانت خالية من الجيش المنصور، فيصبح على أية حال مصدرًا لأمر ما، فإن نائب السلطنة بمجرد سماعه لهذا الخبر،

عين مدفعية الركاب، التى صارت منتظمة على الطراز الإنجليزى وهى عاملة بالفرسان منذ عام ولم ير الزمان مثلها، وذلك مع مستر لزى الذى كان معلمها ومنظمها، وأحضر أفواج الفرسان والجنود، الذين كانوا فى المقدور، وعينهم. وتحرك الموكب العالى أيضًا من خوى [ص ٢٥٩] بعد ثلاثة أيام، وتوجهوا إلى إيروان كمهاجمين، وفى يوم قدوم الموكب العالى إلى منزل قبان باسان ماكو، وهى الواقعة بين خوى وإيروان، أوضحت الأخبار الصريحة أنه بعد قدوم الجنرال المذكور، صعد ثمانية آلاف شخص إلى أعلى الكنيسة، وقام بمقابلتهم من هذا الجانب أيضًا حسن خان أخو حسين خان القائد مع ألفين ومائتين شخص، الذين كانوا قد تجمعوا عنده من الفرسان والجند، ومعه المدفعية الإنجليزية، وكان صوت موكب النواب نائب السلطنة المسعود قد ألقى الرعب أيضًا فى قلوب الروس، فرحلوا من هناك فى أثناء الليل مضطربين وطووا طريق العودة، وبمجرد قدوم القائد الجديد، الذى كان طالبًا للفتوحات الجديدة، أظهر غاية الحذق فى تعيين الجيش ، وفتح أبواب الندامة والحسرة على وجه نفسه، وفر جنرال بنبك وجيشه أيضًا بسبب هذه الحركة القاتلة من مواجهة ألفى شخص، وصار متوجهًا إلى مكانه ، ولم يتعقبهم الجيش المنصور فهلك الكثير منهم فى عرض الطريق بسبب برودة الجو والثلج الشديد الذى كان قد نزل. وعاد النواب نائب السلطنة أيضًا من منزل "قبان باسان" إلى دار السلطنة تبريز .

١٣٥- ذكر هجوم فتحعلى خان حاكم خوى وسلماس على « وان » ووضع تلك المنطقة :

ولما كان درويش باشا قد استولى منذ عدة سنوات سابقة على ولاية « وان » وأموال حاكمها السابق ، وكان قد صدر منشور الحكومة باسمه من قبل قرينة الشرف الدولة العلية العثمانية، فمنذ ذلك العام وحتى الآن لم يؤد خدمة مطلقًا للدولة العثمانية، وكان فى كل وقت يُكلف قائد عسكر من تلك الدولة على قارص، وقد صار أهل « وان » أبواب جمع جيشه، ولم يرسلْ شخصًا واحدًا وتمسك بعذر حدودية إيران. وبعد ذلك، أصبح عناده وتمرده معلومًا لرأى مسئولى الدولة العثمانية، فعزلوه وحولوا حكومة « وان »

إلى عابد باشا وأوكلوها إليه، فأفحم [درويش باشا] عابد باشا وأعلن عصيانه وتمرده على هذه الدولة زيادة عن الحد والحساب .

وعلاوة على ذلك [ص ٢٦٠] كان طائر العنقاء يخطف أموال التجار الإيرانيين والمترددين على "وان" أحياناً بحُجة المساعدة والابتياع وأحياناً دون حُجة، وعلى الرغم من وصف النصائح العديدة والتأكيدات البليغة فإنه [درويش باشا] لم يردْ شيئاً من المال إلى أصحابه، ولم يكتف بهذه الأمور، بل مد يد الاعتداء والإغارة على بعض القرى الرومية وخوى ورعايا مساكنها. وكلما ظهرت أحواله الشاذة على الدولة العثمانية، لم تظهر الفائدة وساءت أعماله أكثر. وحتى الوقت الذى نزل فيه موكب النواب نائب السلطنة نزول الإجلال في سوق "تشالى قراباغ"، وبسبب جنونه وعدم تفكيره تصور اختلالاً فى أمور الجيش المظفر، وكان خبر إصابة أمين باشا قائد الجند أيضاً قد أصبح الباعث على تيقنه باضطراب الجيش العثمانى، فهجم على حين غرة يحيى بك ورفاقه بمجرد قدومهم إلى هناك على طائفة تيمور آغا أخى إسماعيل آغا كبير طائفة شكاك الرومية وقتلوا تيمور آغا وأحد إخوته الصغار وعدة أشخاص آخرين .

وبعد عرض هذا الحال على بلاط صاحب الشوكة النواب نائب السلطنة أذن لفتحعلى خان القاجارى حاكم خوى وسلماس وعسكر خان الأفشارى أمير طائفة الأكراد الروميين بالرد على هذه الحركة الشاذة وتأديب درويش باشا؛ جزاءً لتمرده على الدولتين، فتوجها المشار إليهما أيضاً مع جمع الأكراد الروميين والخوئيين بغرض القصاص ، وقدما إلى المواقع التى تحت سيطرة يحيى بك والذى بمجرد إخباره، أرسل أمواله ورعيته ونساءه وأطفال مسلمى ذلك المكان إلى الأمكنة البعيدة والصعبة، ولم تكن له الفرصة لأن يُنقذ أطفال آرامنة ذلك المكان أيضاً من تلك الورطة، وحمل جمعه ودرويش باشا، الذى كان قد استعد من جديد بغرض الإغارة والنهب، وتوقف فى المكان، الذى كان يعلم أنه صعب، على رأس طريق السيل المفاجئ الجيش الجرار، ولكن بمجرد قدوم الجنود المظفرة، لم يحتملْ حرارة المقاومة وهرب فتفسخ كيان جمعه عن بعضه البعض، وكان الفرسان المذكورون أيضاً قد وصلوا إلى نساء وأطفال الأرمن الذين كانوا زائدين عن العد والإحصاء [ص ٢٦١] وأسروهم جميعاً، ومن هذا المنطلق ، قُتِل أخوه إسماعيل آغا، وكان عرق حمية سائر الأكراد قد أخذ فى التحرك وفار دم

العصبية القبلية، ووقع مواساة الخاطر. وبعد ذلك، منح النواب نائب السلطنة مرة ثانية وطبقًا للمطلوب يس زاده عبد الوهاب أفندى سفير الدولة العثمانية الأموال الضخمة من أجل نفقات جالبى الأسرى من خزانة الرئاسة، واشترى الأسرى جميعًا، وردهم إلى أصحابهم لفرط مرحمة جبلته وطبعه. ولكنه أصدر القرار: "بأنه إذا ظهرت بعد هذا الحركة نفسه والفعل نفسه من درويش باشا وأتباعه، فيُجرى عليه وعلى عياله ما جرى نفسه ويُزيل وشم عار تمرده وعصيانه من على وجه الدولة العلية العثمانية . ويجعل عابد الباشا الآخر، وهو المكلف من قبل تلك الدولة، على حكومة "وان"، ويجعله مستقلا في الولاية بمعاونة حماية النواب نائب السلطنة له .

ولأنه كان قد وصل من البلاط السلطاني، في أثناء توقف الموكب العالي في مرج "كلنبر" الفرمان المبارك، ومضمونه هو: "أن عبد الرحمن باشا [والي] بيان، الذى كان دائمًا مستظلاً بظلال الدولة الخالدة، ذهب إلى بغداد دون إذن وتصريح له وقتل سليمان باشا وزيرها، وكان قد أرسل الأموال الكثيرة وكثيراً من المدفعية من بغداد إلى كوى وحرير، وفي هذه الأثناء من ذلك الجانب أذل وأهان غالب أفندى رئيس الكتاب السابق في الدولة العثمانية وهتك حرمته بطريقة غير مناسبة لذكرها، وقتل أغلب رؤساء بغداد، ومن هذه الناحية أيضًا، فتح يد الاعتداء كثيراً على طوائف الكردستان وكرمان شاهان وغيرهما، وقد أصبح متصوراً تمرده على الدولتين بسبب جهله. فَيُعَين النواب محمد علي ميرزا من كرمان شاهان مع جيش الركاب وولاية كرمانشاهان والكردستان وغيرها لتأديبه ويجب أن يُعين من ناحية أذربيجان أيضًا أحمد خان مقدم أمير أمراء تبريز ومراغة وإبراهيم خان بيات رئيس حرس النواب نائب السلطنة [ص ٢٦٢] ومعهما الفوج عن طريق سردشت ونلبوش ويقصدا معاقبته هو وأتباعه".

فعَيَّنَ النواب نائب السلطنة أيضًا بالفرمان السلطاني أحمد خان مقدم مع عشرة آلاف من الفرسان والمشاة وعدة قطع من المدافع. وبعد قدوم الموكب العالي إلى دار السلطنة تبريز، وصلت الأخبار المتوالية واتضح أنه بمجرد تحرك النواب محمد على ميرزا وعزيمته إلى السليمانية الموطن الأصلي لعبد الرحمن باشا، تشرف بحضور النواب الأمير خالد باشا الذى كان مسئولاً عن أمرها فوضع موضع الإنعام، وأرسل عبد الرحمن باشا محمد مصرف أفندى وزير بغداد أيضًا إلى حضور النواب محمد

على ميرزا، وأظهر قرار إرادة الفريضة على أساس الرضا وتقديم الشكر بسبب العفو عن تأديب عبد الرحمن باشا، ولهذا عين النواب الأمير الفدائيين العراقيين وفوجًا آخر من الجيش المنصور على رأس عبد الرحمن باشا، ومنع أن يحوم أحد من الجيش المرافق للنصر حول رأس شعرة الإهانة والإضرار بمال وحال طوائف ورعايا الأماكن التي في عرض الطريق، وأن يعتبروا التمرد موضع أنواع العقاب والمحاكمة.

ومن ناحية أذربيجان، ذهب أحمد خان مقدم وإبراهيم خان بيات رئيس الحرس وسائر الرجال المكلفين إلى رأس طائفة عبد الرحمن باشا وأتباعه ووضعوهم بطريقة ما موضع القتل والنهب، بحيث فسخوا كيان جمع عبد الرحمن باشا عن بعضه، ولم يجدوا وسيلة لأمرهم سوى الطاعة والخضوع ودخلوا مضطرين من باب العجز، وأرسلوا ولدانهم مع رحلهم والهدايا اللائقة إلى حضور النواب الأمير، وأرسل النواب محمد على ميرزا رسوله إلى البلاط السلطاني وطلب العفو عن تقصيراتهم.

ومن ناحية أذربيجان أيضًا، أرسل النواب نائب السلطنة آصف الحضرة ميرزا أبا القاسم وزير الديوان إلى البلاط السلطاني واستدعي هذا المطلب نفسه فعفى الحضرة العلية الظل الإلهي عن قصوره السابق وجعل زلاته السالفة مقرونة بالعفو والإغماض .

وفي أثناء هذه الأحوال، توجه الأمير محمدولي ميرزا والي خراسان أيضًا وبسبب التمرد والفساد [ص ٢٦٣] الذى كان قد شاهده من فيروز ميرزا والي هِراة، بإذن وتصريح الحضرة العلية السلطانية مع فوج من الجيش إلى ناحية هِراة ، وبمجرد أن استيقظ فيروز ميرزا من نوم غفلته أرسل ابنه مع الهدية اللائقة وطبقًا لطلب النواب محمد ولي ميرزا عفا الحضرة العلية عن جرائمه فافتخر بحكومة ولاية هِراة كما كان .

١٣٦- ذكر معارك شيخ على خان وطائفة لكزية مع الروس وكيفية ذلك :

كان شيخ على خان [حاكم]" قُبة" على الدوام مع أعوانه وأنصاره مشغولاً بالحرب والصراع مع الروس. وفي هذا العام جمع تجمعًا كاملاً من الداغستان. وكان قد شرد

محمد بك القاضى السابق لـ "تبرسران"، الذى كان على وفاق مع روسيا، بالضربات المتتالية من ذلك المكان، وجعل عبد الله بك من نفسه حاكمًا وقاضيًا على ذلك المكان. وبعد ذلك قام بمحاربة الروس مجتمعين فى قبة، وأسرع الروس أيضًا لملاقاته، فأصبح كل ما يمتد من جانب كنجه وباكويه وشيروان الروسية تابعًا لقبه الروسية، ولم تُجد حيلته القذرة ، وحتى الآن تدور الحرب والمعركة فى الداغستان(١) .

١٣٧- فى بيان إطلاق سراح عبد الله خان القاجارى من كنجه ورغبة الروس فى الصلح بين إيران وروسيا :

يئس القائد الجديد لجيش روسيا من الاطلاع على الأمور فى مملكة إيران، فأعلن التقرير وعلى نحو مفصل إلى دولة روسيا، بشأن تعيينه ثمانية آلاف شخص على إيروان فى الوقت الذى كانت فيه خالية من المجاهدين، وفرارهم أمام الألفين، والقتلى الذين وقعوا من الروس فى المنازل والبيوت على طوال الطريق، وفرار الجنود أفواجًا ومجيئهم إلى حضور باهر النور العالى والضربات اللانهائية التى وصلت إلى الولايات الخاضعة للروس من الجيش المنصور والتى ذكر تفاصيلها لم يحرر ولم يدون فى هذا الكتاب، والخراب والقحط والغلاء الذى حدث لهذه الأسباب نفسها فى الولايات المذكورة، والمعارك والفتوحات المجيدة المتوالية لشيخ على خان وطائفة لكزية، وكان قد أظهر [الجنرال مرقص] الندامة الكثيرة بسبب رغبته فى الإقدام على هذا العمل الصعب. [ص ٢٦٤]وقد كتب إمبراطور روسيا أيضًا فى خطابه: "بأن الوسيلة لهذا الأمر هو بالوفاق وليس بالمناوأة ويمكن رفع هذا الاضطراب وإزالته بالصداقة وليس بالعداوة، ويجب أن تبذل المساعى الحميدة بشأن السلام مع الدولة العلية إيران ولا تكن متحكمًا" وسمح القائد المذكور أيضًا لعبد الله خان القاجارى، الذى كان بيرقْلى خان القاجارى قد أرسله إلى شوشى قبل إطاعة إبراهيم خليل خان جوانشير للروس من أجل استمالته، فقبض إبراهيم خليل خان عليه وسلمه للروس ، وكان حتى هذا الأوان مسجونًا فى كنجه،

(١) واضح أن معلومات المؤرخ عبد الرزاق الدنبلي عن المعارك التى حدثت فى منطقة الداغستان بين المسلمين والروس غير كافية ، أو أنه لم يرد الإفصاح أكثر من هذا الذى ذكره ؛ حيث أشار إلى هزيمة المسلمين وخضوع أغلب مناطق الداغستان للسيطرة الروسية . (المترجم)

بالخروج من السجن وأحضره عنده، وأدى له لوازم المحبة والعطف والرحمة، وأرسله إلى حضور النواب نائب السلطنة مع رسالة الصداقة وكان قد ظهر بهذه الوسيلة في طريق أبواب الصلح والوفاق بين الدولتين، كما عين أيضًا مصطفى آغا القوزاقى من أجل أن يُؤسس بناء أمر السلام مع حسين خان أمير أمراء إيروان وقائدها .

١٣٨- ذكر بعض التخريبات التى وقعت بقراباغ وبعض التدميرات التى حدثت للروس هُناك :

إن مقرب الحضرة الحاج محمد خان المستوفى رئيس وحاكم قراجه داغ، الذى لم يكنْ له مثيل فى الغيرة على الدين ولا شبيه له فى خدمة الدولة وقد حَرَّمَ على نفسه الراحة والسكينة مثل سائر الملذات الدنيوية ، وكان يعتبر أن لذة الدنيا والآخرة منحصرة فى تقدم أمر الجهاد ، فقد كان يثير الغيرة فى القاصى والدانى ويشوقهم ويحرضهم على تعلم قضايا الجهاد. ولاعتماد نائب السلطنة الكامل أيضًا على المحصلة لأمانته وتدينه، فقد اختاره لرئاسة حكومة قراجه داغ ، وهى حدود المُلك المحروس ، ومجاورة لقراباغ الخاضعة لسيطرة الروس. وهو يقضى أوقاته ليلاً ونهارًا فى القضاء على الروس واستئصال أتباعهم .

والخلاصة، أنه جمع ولاية قراجه داغ، التى كانت متفسخة من بعضها منذ قديم الأيام، وقد دفع طائفتها ورعيتها عمومًا وطائفة "تشلبيبانلو" خصوصًا للاستعداد دائمًا لأمر المعركة والصراع مع الروس وأتباعهم. وفى هذا العام ذى الطالع الحسن، أخلف الأفكار والظنون، واستولى من ناحية على رأس طريق مواصلات الروس إلى كنجه وقرى [ص ٢٦٥] قراباغ، وأسَرَ المترددين عليه، وكان يستولى على خطابات الروس، التى كانوا يكتبونها لبعضهم البعض، حتى يطلع على خيالاتهم الباطلة وجزئيات أمورهم وكلياتها، ومن ناحية أخرى، كلف أهالى قراباغ بالهجرة والرحيل من هناك وكان يجعل كل واحد ممن قبلوا التكليف وأتوا إلى قراجه داغ، مرفه الحال وفارغ البال عن طريق نفقات الحياة وسائر النواحي من مال عزة رئاسة الديوان. وكان يضع

كل من كـان يتـمـرد مـوضـع النهب والقـتل والأسـر بقـدر الإمكان، ويحـرق بيـوتهم ومحصولاتهم، وكانت الزراعة ممنوعة على الفلاحين. وبعد التـأديب والمعاقبة، كان يأتي مرة ثانيـة إلى كل واحد من المعـاقبين، وكـان يشتري أسراهـم من جالبيـهم من مـال الرئاسة ويردهم إلى أصحابهم، وكان يعطيهم نفقاتهم السنوية من مال رئاسـة ديوان النواب نائب السلطنة. وكان يُرغب ويُشجع الجنود الروس بقدر القوة والاستطاعة، فكان يجعل كل واحد، كان يفر إلى جانبه، موضع الرعاية والمحبة الكاملتين.

ومن جملة أفكاره الجلية، تلك الواحدة وهي أنه كـان قد كلف عدة أشـخاص من طائفة أميرلو القراباغية، الذين كانوا قد أتوا مرحلين حديثًا. بحرق دار سلاح قلعة شـوشي، وكان قـد دخل الرجـال المكلفون إلى داخل القلعة في أثناء الليل على طريقة اللصوص، وعلى الغفلة أوصلوا أنفسهم إلى بوابة "خليفة لو" الشوشية. وأضـرموا النيـران بالتدابير الصـائبة فـي دار سـلاح ذلك المكـان، ولـم يكتـفوا بهـذا العـمل، بل أضرموا النيران في مخزن العلف الذي كان موجودًا داخل وخارج القلعة من أجل عليق دواب العربات الروسية، وكانوا قد أحرقوا أيضًا بعض منازل القلعة .

وكـان الروس قد اعتبروا أن هذه الجرأة والجسارة من قِبل مـهديقُلي خـان بن إبراهيم خليل خـان حاكم قراباغ، وكانوا قد ظنوا بأن أهل المدينة مـجـتـمـعين قد هاجموهم، ولهذا السبب، كانوا يدفعون إلى القلعة المدافع الكثيرة من البوابة والبرج، وكان عدة أشـخاص من الجنود، الذين كانوا وسط المدينة من أجل مهمة، يفرون إلى البـروج، وفي عرض الطريق وصل إليـهم لصوص أمـيرلو. فقتلوا منهم أيضًـا عدة أشـخاص [ص ٢٦٦] . والخـلاصـة أن المعركـة قـامت في تلك الليلة في قلعة شـوشي وخارجها كما لو سيكون يوم بعث الروس.

ومن ضمن أفكار الحاج محمد خان تلك الواحدة أيضًا وهي أنه فكر لفترة في استمالة جعفر قُلي أغا جوانشير بن محمد حسن خان وهو حفيد إبراهيم خليل خان وطمـأنة طائفة جـبرئيلو وهم الذين كـانوا أقـاربه ومرتبطين به. وعلى الرغم من أن اطمئنان كل من جعفر قُلي أغا وطائفة جبرئيلو كان يبدو للناظرين أمرًا مستحيلاً ، وذلك لأن محمد حسن خان والد جعفر قُلي أغا كان متخوفًا ومضطربًا لربما يوكل

الحضرة العلية الظل الإلهي ولاية قراباغ بعد وفاة إبراهيم خليل خان إلى "أبى الفتح" خان أخيه الأصغر والذى كان دائمًا معتكفًا في العتبة السلطانية ومشمولاً بالعواطف اللامتناهية، وبسبب اتهامه بالاستيلاء على جواهر الخاقان الشهيد السعيد بعد مسألة استشهاد حضرته في شوشي ، ومع هذا الظن الذى ما كان بأن يقوم الحضرة العلية الظل الإلهي باسترداد الجواهر المزعومة وبسبب هذا الفكر نفسه، جعله خائفًا ومرتجفًا من الحضرة العلية الملكية ومتمرداً على الدولة الخالدة إلى الأبد كلية، كما جعل إبراهيم خليل خان بالإجبار والإكرام مأنوسًا باتباع روسيا ومبتليًا بمخالفة الدولة الخالدة، فوضع روحه ونفسه على رأس هذا الأمر. وعندما عزم إبراهيم خليل على قتل روس شوشي، أَطْلَعَ جعفر قُلي آغا بنفسه، بسبب جهله وعدم خبرته، [القائد]" مايور" وروس ذلك المكان عن ذلك القصد والنية، وأوصلهم إلى طريق منزله وعلى حين غرة إلى مخدع إبراهيم خليل خان والذى كان خارج المدينة ، وكان قد حرضهم على قتله هو وابنه وابنته وزوجته وجمع كان مقيمًا عنده.

وكانت طائفة جبرئيلو أيضًا، في أثناء عودة موكب النواب نائب السلطنة من معركة "خانشين قراباغ"، وكان [ولي العهد] قد رحل إلى وسط الطائفة ألفين من حملة بنادق فراهان وكزار وسواد كوهي حتى يرحلوا بمعاونتهم ويتوجهوا إلى قراجه داغ . فأرسلوا رسولهم وأحضروا الروس على غفلة وأخلى الروس من ناحية وطائفة جبرئيلو من ناحية أخرى الرجال الألفين من الخيول والأسلحة [ص ٢٦٧] ولهذه الأسباب كان خوفهم الكامل من الدولة العلية وميلهم إلى الروس.

ومرة ثانية، أيقظهم الحاج محمد خان من نوم الغفلة بتكراره لهم الرسائل والمواعظ المقبولة، وجعلهم منزجرين ومتأذين من الروس ومطمئنين ومستمالين من هذه الدولة [إيران] ، وفكروا في الرحيل من قراباغ وخدمة الدولة العلية وصار هذا السر الخفي معلنًا ، وعلم روس شوشي بهذه النية فحبسوا جعفر قُلي آغا ولطف على جبرئيلو مين باشي[1] بلطائف الحيل، وبمجرد اطلاع محمود آغا شيخ جبرئيلو على أسرهم، هرب وأوقف الطائفة في مكان شديد وصعب والذى كان مشتملاً على غابات كثيرة،

(١) مين باشي : كلمة تركية وتعنى رئيس الألف ، قائد الألف .

وأوضح الوضع والحال على الحاج محمد خان الذى عرض الأوضاع على النواب نائب السلطنة. ولأن روس قراباغ كانوا كثرة وكان جمع كثير منهم متوقفًا بالقرب من طائفة جبرئيلو ، وكان لهم الاهتمام الكامل على أن يخضعوا الطائفة وتستولى كل عشر أسرات على أسرة واحدة كرهينة ويحملوها إلى قلعة شوشى، ويرسلوا جعفر قُلى آغا أيضًا مع فوج من الجنود والفرسان إلى تفليس ومن هناك يرسلونه إلى بطرسبورج. ومن أجل هذا ألح الحاج محمد خان كثيرًا وطلب من بلاط النواب نائب السلطنة أن يتحرك إلى ناحية قراباغ ويخلص جعفر قُلى آغا وطائفة جبرئيلو من ورطة الهلاك .

١٣٩- ذكر تحرك النواب ولى العهد من تبريز وتوجهه إلى قراباغ :

فى ذلك الأوان، وحيث كانت تصل عرائض الحاج محمد خان المتوالية، اشتد هواء الشتاء إلى درجة كبيرة، وكان قد أصيب المزاج المبارك للنواب نائب السلطنة بالمرض المُزمن وحيث كان المستر "كمل" الحكيم الإفرنجي يعالجه ، وكان يعتبر أن تقليل عدم الحيطة من البرد يزيد المرض دون العلاج، وكان يُبالغ كثيرًا فى منعه من سفر الشتاء.

وبالمصادفة، مَرض ميرزا الكبير القائم مقام وأصف الحضرة ميرزا أبى القاسم خلفه العزيز الذى كان مُدبر أمر الرئاسة والديوان ، وينبغى أن يقوم بتهيئة وإعداد لوازم الرحلة والسفر ، وكان قد توفى ابن آخر للقائم مقام، وهو المسمى بميرزا حسين [ص ٢٦٨] ولم تكن كمالاته الصورية والمعنوية وجدارته ولياقته أقل من ميرزا حسن ابنه الذى كان قد هُلك فى العام السابق، مع طفل آخر من المشار إليهم. فتجدد أثر وجرح ميرزا الكبير وميرزا أبى القاسم، وجعل مصيبتهما بلا حد ، وبسبب نزول هذه المصائب المتوالية، عجزت الأيدى عن العمل والألسنة عن الكلام ، وكان جمهور القائمين بالأمر جميعهم مُعينين لقلوبهم المحترقة ومؤنسين للياليهم ونهارهم، وكانوا قرناء التأوهات والنواح بسبب هذه المسائل المحزنة. وكان قد تم السماح لأغلب جيش الركاب أيضًا بالانصراف على النظام الدائم للسنوات السابقة بسبب حلول الشتاء ، وتوجهوا إلى العراق وسائر أوطانهم، وكُلف العدد الذى كان باقيًا على إيروان بحراسة ذلك الإقليم .

ولأن قلعة "أخلسكلك" بآخسقه كانت مجاورة لإيروان، فقد دخلت على حين غرة في نفس تلك الأيام تحت سيطرة الروس، وكان القائد حسين خان أمير أمراء إيروان قد فكر في الاعتداء على الروس ومعه طائفته ورعيته التابعة له ، وطلب فوج الجند وعدة قطع من مدفعية الفرسان الإنجليزية، وكان قد جعل أيضًا جنود الفوج الخوئي والأرومي والكنكرلوئي جيش تجمعه. ولم تكن عدة جيوش ملتزمة الركاب العالي، وعلاوة على ذلك ومع هذا، كانت قد مُنحت لنفقات نائب السلطنة ما يزيد عن المائة ألف تومان من العملة الذهبية من الخزانة السلطانية العامرة ، وذلك غير مرتبات مجاهدي الركاب وضرائب أذربيجان، ومرة ثانية وبالنظر إلى نفقات قيادة الجيش وإدراة الحدود لم تكنْ موجودة أموال من أجل نفقات هذه الرحلة في خزانة الرئاسة والولاية(١).

وكان النواب الأمير عبد الله ميرزا أيضًا، الذي كانت محبته الأخوية بالنسبة للنواب نائب السلطنة يمكن أن تكون قاعدة عمل إخوة العهد وأبناء الزمان، قد قدم من خمسة إلى تبريز كمستفسر عن حال ذي العاقبة الميمونة، وبعد الإلمام بنية الأخ الأصغر، أصر وأبرم كثيرًا على رحلة الشتاء على الرغم من وصف مرضه المزمن إلى درجة أنه ربما كلف نفسه بالسفر. ومرة ثانية فسخ نائب السلطنة عزيمة السفر بناءً على وفرة غيرة طبعه [ص ٢٦٦] الغيور بمجرد اطلاعه على أسر جعفر قُلي آغا واضطراب حال طائفة جبرنيلو وتشتتها، وتيقنه من أنه إذا لم يتوجه نائب السلطنة بنفسه النفيسة، فإن الروس بلا شك سوف ينقلون إلى تفليس ومنها سوف يرسلونه إلى ولاية "سيبيريا" وحيث لا يمكن عودته من هناك، وسوف يقضون على طائفة جبرنيلو ويستأصلونها. ولم يعتبر النواب عبد الله ميرزا وسائر الموانع عائقًا ومانعًا من أجل سفره المبارك ، وفي الثاني عشر من شهر محرم الحرام تحرك متوكلاً على الله من تبريز عازمًا مقصده من منزل إلى منزل .

وفي ذلك الوقت، وصل إلى مقيمي بلاط صاحب الشوكة خبر فرار جعفر قُلي آغا وكيفية ذلك التقرير كانت هكذا: "إن الروس قبضوا على جعفر قُلي آغا وأركبوه على

(١) يشير هنا المؤرخ عبد الرازق الدنبلي إلى المصاعب المالية التي كانت تواجه عباس ميرزا ولي العهد في حربه مع الروس ، وحيث كانت نفقات تلك الحرب محل خلاف بين السلطان فتحعليشاه - بسبب بخله - وبين ولي عهده. (المترجم)

جواد دون أن يضعوا قيداً في يده ورجله وأوقفوا لحراسته رسولاً حارساً ومعه خمسة أشخاص من جنود روسيا، لكي يوصلوه إلى قلعة كنجه، وفي أثناء العبور من نهر "ترتر"، يتفرق الجنود على شاطئ النهر كي يستكشفوا طريق العبور ، وكانوا يراقبونه من قريب ومن بعيد، فوجد جعفر قُلي أغا الفرصة، وقطع لجام جواده الذى كان في يد أحد الجنود واستولى بيده على جناح الحصان، وساق الجواد الفار بالمهماز أيضاً وعبر من وسط المياه كالريح وعض الحراس الروس أصابع تأسفهم بأسنان الحسرة بسبب تأخرهم، وفي سرعة كاملة، عقد حبل نجاة قلبه من ساحة الخوف والخطر بقوة طالع عطاء الله ووصل بنفسه إلى طائفة جبرئيلو، وفي ساعة وصوله، أرسل رسوله إلى خدمة نائب السلطنة وعرض كيفية فراره على الواقفين في حضوره، وأصدر الأمر لطائفته بالرحيل في سرعة، وسعد نائب السلطنة وسر بسبب نجاته والتي كانت المقصد الأصلي لمشقة سفر ذلك الشتاء المُتعب، ووضع رُسله موضع الإنعامات والخلاع الفاخرة، وأمر بمنحه أربعة آلاف تومان للرواتب والمقررات علاوة على حكومة قراجه داغ.

وفي الساعة نفسها أصدر الأمر وقرر بأن يتوجه الرحل بعد عبوره [ص ٢٧٠] نهر آرس إلى "أصلان دوز"، وأن يقوده من هناك إلى رأس حصن الروس في "سلطان بود" الذى كان واقعاً بين شكي وشيروان وشوشي وكنجه، وأمر بالنزول في الرحلة الثالثة على بعد ثلاثة فراسخ من سلطان بود. وأصدر الحكم لأميرخان القاجاري والحاج محمد خان وفرسان تشاردولي والأفشار ومقدم وقراداغي وذلك بأن يلحقوا بطائفة جبرئيلو وعشيرتها، ويرحلوها هي وسائر طوائف قراباغ من الغابات والأدغال ويعبروا بهم من نهر آرس، ويجعلوا كل متمرد ومتخلف عُرضةً للقتل والأسر.

١٤٠- بيان تحرك ولي العهد إلى حصن سلطان بود ووقوع معركة عظيمة مع الروس وتحقق النصر للجيش المنصور :

كان "سلطان بود" مكاناً واقعاً وسط قراباغ وشكي وشيروان، وكان الجنرال "مرقص" قائد الروس قد أحكم حصنه، وقد ترك به مايقرب من ألفين أو ثلاثة آلاف من

شجعان روسيا ومحاربيها، وتوجه هو نفسه لاستمالة مصطفى خان الشيروانى ومصطفى خان الطالشى.

وفى صباح ذلك اليوم، الذى كان أوله طلوع شمس الظفر وموعد أفول كوكب إقبال العدو المشئوم، عزم نائب السلطنة على الحرب ومعه المدفعية والأفواج القاهرة من الجند وبقية الفرسان على المعركة. وبمجرد وصوله انشغل أولاً المدفعيون بإطلاق القذائف المحملة بالنيران الصاعقة، فتفرقت صفوف الروس، التى كانت قد انسحبت إلى خارج الحصن، بسبب ضربات المدفعية المدمرة لجبال البرز، وتفرقت أفواج المشاة والتى كانت مستعدة ومجهزة للمعركة. وهجموا عليها فوجًا بعد فوج، وارتفعت من كلا الجانبين نار البلاء، ووقعت المعركة بين مشاة الجانبين لمدة أربع أو خمس ساعات، وقطعت أحبال أرواح الطرفين بمقراض الفناء، وتمزقت الصدور من ضربات دانات المدافع والبنادق المدمرة لجبال البرز وبسبب غوغاء المعركة صار كهول يوم المحشر بُهرا على الجميع.

وفى ذلك الحال كلف نائب السلطنة المستر "لزى" قائد المدفعية الإنجليزية ومعه طاقم ومدفعية تبريز وذلك بأن يحركوا من كل جانب قطع مدفعية الأفعى ذات الهياكل الفلكية السريعة على رأس الروس، وقد عمل المدفعيون بموجب [ص ٢٧١] الأمر الصادر، ورفعوا قطع مدافع الأفعى المهابة إلى رأس حصن الروس وأمطروهم بالشرر الملتهب والصخور الألبرزية المتساقطة. وفى الوهلة الأولى، أخذت مدافع الروس وعرباتهم فى التصويب، فتحطمت آلات وأخشاب العربات الروسية وتناثرت إربًا إربًا بسبب ضربات قذائف المدافع المدمرة للصخور، فيئس من نعمة الحياة خمسة أشخاص من مدفعيى الروس المشعلين للنيران بسبب قطع أخشاب العربات، وحطمت قذيفة المدفع فوهة أحد المدافع الروسية ذات الشكل الشيطانى ورفعت عزيمته بحيث لم تزأر [المدفعية الروسية] مرة أخرى فى وجه الجيش المنصور، ولم تجرؤ على العربدة والغليان والصراخ.

والخلاصة، أنه بسبب هذا التصويب الدقيق والرماية الماهرة، بقيت أسطورة القدر المنزل ذكرى فى أفواه العالم، وضيقوا الأمر على الروس، بحيث إن كل شخص كان يخرج برأسه من وسط الحصن، كانت قذيفة المدفع تسحقه من قدميه.

ومن الناحية الأخرى، هجم أولاً فوج الأبطال على الحصن ومن بعدهم إبراهيم بك مع فوجي جند تبريز وجعفر قُلي خان ومعه جند مراغه وميرزا أحمد ، ونظر على خان ومايوركرشت ومعهم عدد من أفواجهم التى كانت حاضرة هناك، وتقدموا بالحراب إلى الداخل على النظام الإفرنجي ودون تفكير وتأخير دخل فوج كبير من الجنود الروس فى سلك الأسرى مع أحد أفراد مايور المصوب العظيم وعدة قبطانات والأفيال الهائجة العارضين للحراب التى لها شكل الأفاعى، وأحضروا عدة قادة آخرين مصابين وأحياء كثيرين .

ولما رأى الروس أبواب البلاء مفتوحة على وجوههم وقادتهم العظام مقتولين ومصابين، انسحبوا بأنفسهم خوفًا إلى أحد أطراف الحصن، وتروح مهديقُلى خان جوانشير حاكم قراباغ مع فرسانه إلى الغابة، فكان هول معركة النكران، وبسبب مشاهدة أبطال الروس هلاكهم وجدوا الفرصة وفروا من سلطان بود، وأصبح بعض من رفاقهم أسرى الجيش الصائد للأسود.

ولما علم ولى العهد بأن تحرك الروس كان حركة مذبوحة ، وأنه قد غلب عليهم العجز والفتور.[ص ٢٧٢] فأُطلقت الراية البيضاء ، التى كانت علامة الأمان بين الفرنجة، طبقًا للأمر الأشرف، وأصدر الأمر للمدفعيين والجنود بالتوقف عن القذف، وأرسل أحد الأسرى إليهم، وأعلن على تلك الجماعة: "بأنه إذا سلموا مدافعهم وأسلحتهم وتقبلوا الطاعة، فلسوف تكون أرواحهم الحلوة مصونة ومأمونة من ضرر الجيش ونيران مدافع جهنم، وإذا استمروا فلن يتأهبوا للموت إلا وجميعهم طعمة للمدافع الناثرة للنيران وفجوة لحراب البنادق، ولن يسلموا من نيران المدافع المحرقة للعالم ومن هجوم الجند المشعلين للنيران" ولما رأت جماعة الروس الموت عيانًا والنجاة من تلك الورطة المهلكة مستحيلة، فقد أيقنوا بأنهم إذا أظهروا التمرد والتنمر أكثر من هذا، فسوف يتعرضون جميعهم للهلاك وسوف يصبحون هدفًا لقذائف المدافع والبنادق، واعتبروا أن الحصول على الأمان نعمة لا حد لها، وحضر القبطان الكبير إلى صاحب المرحمة وتوسل بذيل الأمان، فأصدر النواب نائب السلطنة الأمر إلى القائم مقام بأن يذهب إلى وسط حصنهم ، وبأن ينقلهم بجميع الأسلحة والأدوات والأعلام والبنادق والسيوف وترسانة السلاح ويحضرهم إلى حضرته ، وذهب القائم مقام إلى وسطهم مع

شخصين أو ثلاثة، واستسلموا جميعًا للطاعة بسبب رؤيتهم لأسلوب حضرته الكريم، وقد جعل حضرته الشريفة أفراد تلك الجماعة مطمئنين ومشمولين بعفو وأمان كافة أنواع إحسان خديو العهد اللامحدود وحضرة نائب السلطنة العلية. وأوصلوا إلى خدمة زحل الرفعة قطعتين من المدافع المحطمة لجبال البرز وعلمين من رايات العُقاب وهما الشارة الخاصة بدولة روسيا مع شارة مايور الكبير وجميع أسلحة الجنود من البنادق والسيوف وترسانة الأسلحة والقبطانات والمهندسين والمحاربين ومعهم ثمانمائة وعشرون جنديا . وكان مايزيد عن المائة وثمانين مصابون منهم ومرروهم من على نظر الأمير العافى عن الجُرم، فألبس تلك الجماعة خلعة الأمن والأمان وكرمهم بالعفو والاطمئنان، وأصدر الأمر إلى الجراحين بأن [ص ٢٧٣] يعتنوا بجرحاهم، ولا يفرقوهم من العساكر المنصورة، ورفض أن يدفنوا قتلاهم على طريقتهم، وأرسلهم فى ساعتها إلى بلاط فلك اقتدار الحضرة العلية السلطانية. ولكن من ذلك الجانب، استدعى أمير خان مع العساكر المنصورة ودليل جعفر قُلى آغا حماية وصيانة الحضرة العلية السلطانية على أنفسهم ؛ لأنه فى تلك الأثناء كان قد استولى لواء قيامة المدافع والبنادق على أماكن الطوائف، وكانت كل أسرة قد انزوت فى هذا المرتفع واختفى كل جيش فى خيمة فى فجوة جبلية بسبب الخوف وغلبة الرعية جميعها عليهم، ورحّلوا منهم ستة آلاف أسرة دون حرب وجدال وأرسلوهم إلى مقربة من قراجه داغ، وحضر أمير خان وجعفر قُلى آغا إلى ركاب النصر نائلى مرامهما، وحصلا على كافة أنواع إنعام وإحسان نائب السلطنة .

ولما كان روس قلعة "بناه آباد" أيضًا قد أرسلوا أربعمائة فرد من الجنود ومدفعًا واحدًا لإمداد المحصورين والمقتولين والرجال المكلفين من الروس فى "سلطان بود"، فأوصل حراس جيش الظفر، الذين كانوا فى طريق "عسكران" أخبارهم، فأمر نائب السلطنة أمير خان بصيدهم، وبمجرد قدوم المشار إليه، رأى الروس صورة استئصالهم وإبادتهم في مرآة خوفهم وفزعهم، فسحبوا أنفسهم إلى قلعة "ترناؤوت"، وانشغل أمير خان بمحاصرتهم، وفى اليوم التالى، هجم نائب السلطنة بجمعه على رأسهم، وفى تلك الليلة نفسها، هرب الروس من هناك وسط البرد والأمطار والبرودة الشديدة، وسحبوا أنفسهم إلى جبل "جمرق" ، وقام جيش ملجأ النصرة بتعقبهم وتتبعهم حتى سفح الجبل، واستولى منهم على عدة حراب، ورجع.

وكان "جنورمايور" وهو أحد أبطال الروس المشهورين، قد قُتِلَ فى اليوم السابق بإصابته بقذيفة المدفع. وكان له زوجة فى سلطان بود، وعلى الرغم من أنها كانت حمراء، وعندها من الأموال اللامحصورة، فإنه عين شخصًا بمقتضى حفظ الشرف ورعايته له من أجل أن يُوصل زوجة "جنور" ومعها المال والذهب المسكوك إلى قلعة [ص ٢٧٤] شوشى، ويعود.

وتحرك نائب السلطنة من هناك، وقدم إلى مقربة من "ترناؤوت" فى وقت الغروب، وعين عونًا من أجل مهاجمة ترناؤوت. ولم يهتم الرجال المكلفون بالهجوم بعد، عرض على الرأى المنيع الضياء بأن الروس هربوا فى ظلام الليل من "ترناؤوت"، وأوصلوا أنفسهم إلى الغابة، وعادوا عن طريق جمرق، الذى كانت صعوبته وشدته بلا حدود، إلى بيان العودة مشردين. وفى اليوم التالى، تحرك [ولى العهد] من هناك، وقام بقصد صد الروس وطردهم ولم يحتملْ روس ذلك المكان حرارة المقاومة، وساروا إلى شوشى من جبل إلى جبل. ورحل الأرمن سكان ذلك المكان وتوجهوا إلى ساحل نهر أرس، وبعد هروبهم وصل الخبر بأن الجنرال مرقص القائد الروسى، الذى كان قد رحل من أجل إخماد ثورة شيخ على خان حاكم قبة ولكزية الداغستان ولاستمالة مصطفى خان الشيروانى، واطلع على قتل الروس وأسرهم ووقائع سلطان بود، فعوقته الأعمال المدونة، ورجع دون نيل مرامه يائس الفكر مثل الطالع المقلوب من الطريق الذى كان قد ذهب منه، وحمل الجمع الذى كان قد تركه على شاطئ نهر "كر"، وعبر بسرعة فائقة من النهر وقدم إلى قراباغ.

فاشتاق ولى العهد اشتياقًا كاملاً إلى محاربته وصمم على مقابلته، وفجأة وصل الخبر بأن مرقص قائد روسيا، لم يتحمل حرارة التوقف فى قراباغ بسبب خوفه من حرب ومعركة الجيش المنصور، وكلف الجنرال "كتلارسكى" بالتوقف فى قلعة شوشى، وتحرك هو نفسه من هناك وتوجه إلى تفليس. ولأن ضربات جيش معجزات النصر فى تلك المناطق لم تكن تبقى ساحة رايات قراباغ الفسيحة عامرة، ولم تكن توجد مؤن الجيش فى تلك المناطق، فقد عبر الموكب العالى نهر أرس، وألقى برحل الإقامة فى "أصلان دوز". وقام بتنظيم مهام وشئون جعفر قلى خان جوانشير وطائفته. وزين

صدور وأكتاف جميع الأعيان كل على قدر مراتبهم بالخلاع الفاخرة، وفوض حكومة "قراجه دا " إلى جعفر قلى خان على النحو الذى كان قد وعد به الحاج محمد خان [ص ٢٧٥] وقرر له أربعة آلاف تومان على هيئة رواتب سنوية لنفقاته .

ومع أن هذا القصد والمعنى كان ظاهراً وواضحًا على الرأى الصائب؛ لأنه بعد هذا الفتح العظيم إذا عزم على قلع مادة فساد روس شكى وإيروان وغير ذلك، فلن يكن لأحد قط قدرة على النهوض وسيخضع الولاية المذكورة فى سهولة كاملة، ولكن بما أن تلك المنطقة وما حولها صحراء كلها وكان ادخار المؤن فى ذلك الإقليم خارج عن حيز الإمكان وحجم المدخر، والذى كان قد أدخر من أجل استهلاك جيش عاقبة الظفر فى "أصلان دوز" يجب أن يصل إلى استهلاك قوت من لا يموت أى جميع الطائفة والدواب، وتحيى جميع هذه النفوس، ولهذا منح الذخيرة المذكورة إلى الطائفة المشار اليها، وأظهر هذه الرعاية من أجل استهلاك كل هذه الولاية.

وتحرك من هناك، وقصد تبريز، وقدم إليها الموكب العالى بالنصر والميمنة قرينة الفتح والنصر ، وجعل النواب نائب السلطنة الوضيع والشريف من الجيش والرعية موضع الإحسان والرعاية، كما جعل كل واحد من المجاهدين والفدائيين، الذين قد كانوا مصدر الخدمات والأعمال فى معركة سلطان بود - مشمولاً بكمال الإحسان والإنعام الواسع. ووظف نساء وأطفال وورثة القتلى طبقًا للنظام الدائم على رواتب ومقررات آبائهم وأسلافهم المقتولين. وفى إزاء هذا المرسوم لم يفوضْ بخدمة وعمل إلى أحد قط .

١٤١- ذكر تكليف أحمد خان مقدم وعسكر خان الأفشارى بتأديب مفسدى بلباس :

عندما وصل إلى المقام العالى بأن طوائف بلباس قد فتحوا أبواب عدم الاعتدال على وجه أهالى "سلدوز" ومدوا يد الاعتداء والتطاول على مساكن قلعة "صاين" فقد كُلف أحمد خان شيخ أذربيجان وعسكرخان الأفشارى بتأديبهم، وفى ذلك الأوان تمت معاقبتهم وتأديبهم ، والذى صار باعثًا على عبرة الآخرين، فمن بعد ذلك لن يصل إلى أحد ضرر وإهانة من طوائف بلباس وسوف تصبح كل الطائفة المذكورة سالكة دروب الطاعة. [ص ٢٧٦]

١٤٢ - وصول أخبار معركة الوالى ألكسندر ميرزا مع الروس ومخالفة أهالى قسق معهم، ومطالبة قائد الروس مرقص بالسلام :

وفى ذلك الأوان نفسه قدم عدة أشخاص من أحفاد الكرجستان إلى الوالى ألكسندر ميرزا الذى كان متوقفًا فى إيروان، واتضح من قرار أخبارهم بأنه بمجرد وصول الخبر المزيد للبهجة وهو فتح سلطان بود وقتل الروس وأسرهم فى ذلك المكان، تجرأ أهالى "قسق"، الذين كانوا قد ضاقت أرواحهم من تعديات الروس عليهم، وقدموا إلى الكرجستان وتعاونوا مع بعضهم البعض فى التمرد على الدولة وقتل الروس فى ذلك المكان، وبالاتفاق انصبوا على رأس الروس حراس ذلك المكان وقتلوهم جميعًا على حين غرة، وأصبحوا متمسكين بالدولة القاهرة. وقد قام حسين خان قائد إيروان أيضًا فى ذلك اليوم نفسه بنهب وسلب بنبك وشوره كل والاعتداء عليها وقتل وأسر القليل والكثير من جنود وفرسان القوزاق الذين قابلهم فجأة فى عرض الطرق، وقد ضاقت أرواح جنود روسيا وفروا تدريجيا ، وكانوا يقدمون إلى بلاط صاحب المرحمة. وبسبب مشاهدة هذا الحال، اضطربت أحوال "مرقص" قائد جيش روسيا، وقد رأى أن وسيلة الأمر منحصرة إما فى وساطة الجنرال "ليسانويتش" حارس شوره كل وبنبك الذى كان متوقفًا فى ذلك الإقليم منذ بدء قدوم الروس إلى حدود إيروان أو كان مرتبطًا ببعض الناس الدون الأذلاء والتجار الذين لا أساس لهم ولا وضع من المترددين على قراباغ وتفليس، وقد وضع فى الظاهر بناء الصداقة مع مسئولى الدولة العلية. وفتح الجنرال المذكور طريق التردد والرسل والرسائل بوساطة الحاج أبو الحسن خان الإيرواني الذى كان فى تلك الأثناء متوقفًا فى شور كل ومشغولاً بمعاملاته التجارية، كما أرسل القائد المذكور أيضًا عبد الله خان القاجارى إلى أرغورلوخان على النحو الذى دُوِّنَ من قبل مع والدة أرغورلوخان بن جوادخان القاجارى حاكم كنجه الذى كان يمر بأزمة بعد قتل جوادخان فى كنجه، وأرسل فى صحبته أيضًا العريضة المختلطة بالمحبة والصداقة .

وفى تلك الأثناء توجه القائد المذكور إلى بطرسبورج بناءً على طلب إحضاره من قِبل دولة روسيا وتعيين مكانه الجنرال [ص ٢٧٧] "رديشتشوف"، الذى كان له درجة التفوق والأفضلية الكاملة على الجنرال "مرقص" ، وقدم إلى تفليس. وكان نائب السلطنة

فى ذلك الأوان والذى كان نهاية فصل الشتاء، قد قام بتهيئة وإعداد لوازم فصل الربيع، وقد نظم من بين ذلك عدة قطع من المدافع المصممة على نظام العسكرية الحديثة التى كانت قد انتظمت فى هذه السنوات متضمنة على بعض طرق ونُظم دولة إنجلترا.

ولأن مصطفى خان الطالشى، كان قد أحضر فوجًا من الروس إلى لنكران بسبب سوء حظه، وأعلن عيانًا التمرد والعصيان على الدولة توهم الخلود، فوجه إليه سيد كاظم، الذى كان مشهورًا بالفضيلة والتقوى وملتزمًا حضور صاحب المروءة ومن جملة بنى أعمامه، من أجل استمالته وإتمام الحجة عليه. وبالمصادفة وقبل قدوم سيد كاظم، كُلف الشيخ على الكيلانى أيضًا، الذى كان علمه وصلاحه فى كامل الشهرة، من قبل صاحب الشرف الملكى إلى تلك الحدود، ويأس من استمالته ورجع، ورجع سيد كاظم أيضًا على المنوال نفسه، ولم تؤثرْ كل هذه الحُجج مطلقًا على حاله.

١٤٤- وصول النوروز المنتصر للعام المبارك سنة ألف ومأتين وثمان(١) وعشرين هجرية، ومطالبة القائد الجديد رديشتشوف بالسلام بوساطة السير جورأوزلى سفير دولة إنجلترا :

لقد وصل النوروز المنتصر، ووصلت الخلاع الفاخرة والإنعامات الوافرة فى مقابل فتح "سلطان بود" من البلاط السلطانى من أجل النواب نائب السلطنة والفدائيين. وحضر أسرى الجنود [الروس] أيضًا الذين كانوا قد وُضعوا محل إنعام نائب السلطنة، وانسلكوا فى سلك فوج الأبطال الروس. وقد تقرر مأتى ألف تومان نفقات أيضًا كإنعام فى كل عام لنائب السلطنة، وأصدر الأمر بأن تُعتبر أربعة آلاف جندى بالإضافة إلى الجند الأذريين السابقين أبواب جمعه (جيشه المقرر)، وقد عمل نائب السلطنة طبقًا لما هو مقرر .

(١) الواقع أن صحيحها سبع وعشرين لا ثمان وعشرين ، وذلك لأنه يوجد خطأ فى ذكر السنوات فى الكتاب نفسه فبعد ذكر سنة ١٢٢٦ هـ.ق ذكر بعدها سنة ١٢٢٨ المقصود سنة ١٢٢٧ ، ثم ذكر كما سنرى فيما بعد سنة ١٢٢٩ هـ مكررة فتكون الأولى صحيحها ١٢٢٨ هـ ، والثانية ١٢٢٩ هـ كما هى . أما عن ترتيب الأحداث فهو صحيح كما ورد فى النص . (المترجم)

وقد أرسل دريشتشوف القائد الجديد للروس القائد المدعو "فريقان" إلى السير جوراوزلي برونت السفير الكبير لدولة [ص ٢٧٨] إنجلترا، وكتب له رسالة موضحة ذلك: "على الرغم من أن عهد الصداقة والاتحاد لم يصبحْ محكمًا حتى الآن فيما بين الدولتين روسيا وإنجلترا ، وبما أن حال دولة فرنسا في خصومة كاملة مع كل دولة، فبالضرورة سيصبح أساس الوفاق والعدل بين هاتين الدولتين محكمًا في هذا الأوان نفسه، ولهذا السبب نفسه كُلفت من قِبل دولة روسيا بأن أضع بناء الصداقة بتوسطكم مع مدبري أمور دولة إيران، وفي هذا الشأن وطبقًا لأمر إمبراطورنا، كتب إليكم السفير "سجليسا"، وهو صديق لكلا الدولتين، رسالة من بطرسبورج بأن توقعه في العام الماضي[١] أن تظهروا في هذا الأمر لوازم الرجولة والثبات." وقد عرض العريضة أيضًا التي كانت في صحبته أمام الحضور الباهر النور العالي.

وعلى التعاقب، أرسل [رديشتشوف]" بابوف" رئيس حراسه ومعتمده بالاتفاق مع الحاج أبي الحسن خان الإيرواني، الذي كان متوقفًا في تفليس على عادة التجارة، إلى بلاط صاحب الفلك، وكان قد أبلغ جواب عريضة القائد السابق في صحبة عبد الله خان القاجاري ورفاق والده أرغورلوخان المشار إليه. وعرض العريضة المشتملة على الاشتياق إلى الصلح والوفاق بين الدولتين ، وكان قد أوكل كيفية ما في الضمير إلى تقريرهم .

ولأن السفير الكبير لدولة إنجلترا، الذي كان قد توجه من دار الخلافة طهران عازمًا دار السلطنة تبريز إلى حضور نائب السلطنة، لم يكن قد قدم بعد، فقد توقف مبعوثو قائد روسيا عدة أيام انتظارًا لقدومه، وبعد ذلك حضر السفير المشار إليه إلى تبريز وصار موضع العناية والرعاية على الطريقة التي كانت لائقة وجديرة به، ووجد القربة الكاملة في خدمة سماء الرفعة، وتحقق له من القرار السلطاني الصادر إلى درجة أن الاهتمام به قد وصل إلى حد الكمال في رئاسة ديوان زحل المقتدر. وصدر الإذن والتصريح أيضًا من قِبل صاحب شرف الدولة العلية بمحادثات السلام بين دولتي

(١) صحيحها : في العام القادم . (المترجم)

إيران وروسيا. وقد أوصلوا شرح رسالة الجنرال رديشتشوف قائد روسيا والسفير سجليسا إلى النظر العالى، وأخذوا الإجابة ورجعوا. [ص ٢٧٩]

١٤٤- ذكر قدوم الرايات الملكية إلى مرج سلطانية وبيان سائر الأحوال :

وفى أثناء الربيع، تحرك اللواء السلطانى الطاحن للفلك من دار الخلافة طهران، ونزل نزول الإجلال مع جيش معجزة النصرة إلى مرج "سلطانية" وأرسل تجهيزات حملات الجيش وقانون عمل فتح البلاد إلى كل واحد من الأمراء الذين كانوا يحكمون ويتشاورون كل فى حدود مملكته. ومن بينهم كلف النواب محمد ولى ميرزا والى خراسان بأن يهتم اهتماماً كاملاً بأمر التركستان، فكلف النواب المشار إليه محمد خان القاجارى مع فوج من المجاهدين على ذلك الإقليم. وأصدر الأمر إلى إبراهيم خان هزاره وبينك بوش خان الجمشيدى مع جمع غفير من جيش أبواب جمعهم كي يسيروا حتى حدود "ميمنه" إلى أحمد خان والى بخارى، ويكلفوه بالإطاعة والخضوع وترك التمرد. وعمل محمد خان أيضًا على النهج المقرر. وتمرد أحمد خان، واصطف لمعركة القتال مع اثنى عشر ألفًا من جيشه المنتخب، وضغط محمد خان وبلنك بوش خان بقدم الجلادة، فقُتل فى أثناء المعركة أحمد خان وابنه وألفان من شجعان جيشه، وبحكم الأمير، عُين أخو أحمد خان رستم خان - الذى كان متمردًا عليه وملتزمًا ركاب الأمير- مكانه .

وكان قد كلف الأمير أيضًا النواب محمد على ميرزا صاحب حكم كرمانشاهان والكردستان ... وذلك بأن يسلك السلوك الحسن مع عبد الله باشا وزير بغداد بالطريقة التى كانوا يسيرون بها فى العام الماضى مع عبد الرحمن باشا حاكم السليمانية، وأن ينظر إلى رعاية جانبه على النهج نفسه الذى كان يتعامل به. ولكن عبد الله باشا، بناءً على أمر الخوندكار[1] [السلطان العثمانى] قام بأعمال سيئة

(١) خوندكار بمعنى سيد ، مولى ، وهو لقب لسلاطين بنى عثمان. (انظر المعجم الفارسى الكبير إبراهيم الدسوقى شتا ، ج١ ، ص ١١٠١)

فى بداية فصل الربيع، واعتمد عبد الرحمن باشا على الدولة العلية [إيران]، وقصد السليمانية بجيش كثيف العدد وانشغل بتأديب عبد الله باشا. وأعلن النواب محمد على ميرزا إلى عبد الله باشا: "بما أن الدولة العثمانية لم تتدبرْ فى أمر عبد الرحمن باشا فى العام الماضى بالرغم من الاحتجاجات المتوالية للمسئولين فى الدولة العلية [إيران] [ص ٢٨٠]، لذا كان الإصرار من هذا الجانب أيضًا على قيادة الجيش وتدميره موهمًا على الاختلاف بين الدولتين، ومن أجل هذا يعتبر وسيلة الأمر منحصرة فى استمالته، وأن يقترن سؤاله، الذى كان الاطمئنان من مناوءة الدولتين له بالحصول، وأن يتعهد له بأن يكون مصونًا ومحروسًا من العزل والسخط والمحاكمة وانتقاص مقداره وعزته ودون أخطاء جديدة. وأن هذا النوع من المشاغبة والتعطيل ينافى العهد المستقيم وغير مقبول لطبع مسئولى الدولة الغيور." ولكن لم تؤثر هذه المحادثات مطلقًا على الوزير، فقام بمحاربة عبد الرحمن باشا، وقُتل جمع من الطرفين وخاصة أخا عبد الرحمن باشا وعدة أشخاص من أعيان طائفته، واستظل عبد الرحمن باشا وهو منهزم مع طائفته وأتباعه بظلال عاطفة الدولة الخالدة القاهرة، وتشرف بحضور محمد على ميرزا فى كرمانشاهان وأصبح موضع العناية ومصاحبًا للاطمئنان والراحة بسبب شدة استحكام العهد والميثاق. وعُرِضَ التقرير على واقفى العتبة العلية السلطانية.

وكما أُعلن أيضًا من قِبل مسئولى الدولة السلطانية إلى أولياء الدولة العثمانية أنه طبقًا لاتفاقية وعهد العام الماضى يجب أن تحول ولاية السليمانية إلى عبد الرحمن باشا وتوكل إليه، وكما أُخبر أيضًا هذا الطلب إلى عبد الله باشا وزير البصرة وبغداد. وفى تلك الأثناء وصل الخبر بأن محادثات الصلح والسلام قد حدثت فيما بين الدولتين الرومية [العثمانية] وروسيا، وإلى الآن لم ينتهْ أمر الوفاق، وفى هذا الشأن أُعْلِن إلى مسئولى الدولة العثمانية عن طريق وساطة السفير الكبير لإنجلترا بأنه قبل هذا قد حدث تكليفى بالوفاق والصلح مع هذه الدولة (إيران) من قِبل دولة روسيا ، وأجاب مسئولو هذه الدولة الإجابة الصريحة: "بأنه طالما لم يتحقق صلح روسيا مع الدولة العثمانية، فسوف تكون أبواب الصداقة مسدودة من هذا الجانب أيضًا، ولهذا فإنه لو يصطلح فى هذه الأثناء مسئولو الدولة العثمانية مع الروس دون حضور وموافقة هذه

الدولة، وحدث مثل هذا الخلاف مع الدولة، فسوف ينجر أمر الصداقة القديمة بين هاتين الدولتين إلى الخصومة، ولسوف يحدث من ناحية بغداد ماهو مُقدر[ص ٢٨١] . وكان مسئولو الدولة العثمانية قد استسلموا مع هذه الدولة، بالرغم من هذه الرسائل المعتبرة إلى شمس العلماء والوزراء، وقبلوا العار والفضيحة، وبالمرة تخلوا عن العهد، وتصالحوا مع الروس، وأحضروا مجموعة أعذار غير مقبولة ، وفى البداية كان هذا التوتر نفسه، ومع تلك المراحل، لم تصلْ إجابة قط عن هذين الموضوعين، وانتهت طاقة النواب محمد على ميرزا وتحمله عن طريق تأخير أمر عبد الرحمن باشا وتعويقه، وحصل على الإذن والعون بالإلحاح والإصرار الكثير من البلاط السلطاني، بالتوجه إلى تلك الحدود، وأيقظ عبد الله باشا من نوم الغفلة، ففوض الوزير المشار إليه حكومة السليمانية وكما كانت إلى عبد الرحمن باشا، وجعله الحاكم فى تلك الولاية. ورجع النواب محمد على ميرزا أيضًا مقضى المرام إلى كرمانشاهان .

وعندما طلب سفير دولة إنجلترا الكبير من البلاط السلطاني: "بأن مسئولي الدولة العثمانية معذورون بعذر ضعف الحال بسبب الإقدام على الصلح مع روسيا، وهو موقف التعويض وعدم الاستعداد للتجهيزات عند القائمين بأمر هذه الدولة، وكان العقل القويم السلطاني مائلاً إلى رعاية واتحاد الدين ووحدته، فقرر العفو عن هذه الحركة الشاذة وقرر بأن يعمل النواب نائب السلطنة من ناحية أذربيجان والنواب محمد علي ميرزا من حدود كرمانشاهان والحويزة ما يلزم من حُسن السلوك والرعاية بشأن رؤساء حدود تلك الدولة [العثمانية] . وتشرف بإصدار الفرمان الملكى البليغ بافتخار النواب نائب السلطنة بذلك ، وهو أنه بسبب إصرار مصطفى خان الطالشى وعناده قد فاق عن الحد والنهاية فى عصيانه للدولة العلية وتشبثه بدولة الروس وسوء سلوكه بالرعايا والبرايا، فلهذا يجب ودون تعطيل وتأخير أن يقوم بقلع وطرد مادة فساده ويُقدم هذا الأمر على سائر الأمور. وأرسل إسماعيل خان القاجارى وميرزا محمد خان ابن أخيه مع فوج كبير وجمع غفير من المشاة والتجهيزات اللائقة إلى أذربيجان، وكما جعل جمع جيلان مع كرجيى ذلك الإقليم جيش تجمع النواب نائب السلطنة من أجل تقدم أمر طالش [ص ٢٨٢] .

وقد تحرك النواب نائب السلطنة أيضًا وطبقًا لحكم الهمايون من تبريز بغرض إتمام أمر طالش، وفى يوم التحرك إلى خارج مدينة تبريز، اتضح من قرار عريضة

أشرف خان الدماوندى بأن أسد سلطان قراجورلو ومعه بقية طوائف مسيحى قراباغ قدموا إلى كنجه، وبمجرد الوصول، أرسل طائفته مع فرسان قراجورلو إلى "كروس" قراباغ، وأدبوا روس ذلك المكان تأديبًا كاملاً، وحصلوا على غنائم كثيرة منهم. وبأن إمام قُلي خان الأفشارى وغلمان فرقته وسهراب بك رئيس مائة من الغلمان ومعه فرقته ونظر على خان كنكرلو وفرسانه وبالاتفاق مع أشرف خان والفرقة الدماوندية والكرمانية قد بذلوا لوازم الكفاح والسعى نحو إتلاف المحاصيل وقتل وأسر الروس وأتباعهم .

وفى اليوم التالى، وصل أيضًا الخبر من إيروان بأن القائد حسين خان قد جعل أمر بنبك وشوره كل كما ينبغى، وفى اليوم الآخر، عاد كل من أمير خان القاجارى، الذى كان مكلفًا على كنجه مع فوجه الكبير، والحاج محمد خان قراكوزلو وعلى خان نورى، اللذين كانا مكلفين مع جمع من الفرسان والمشاة بإتلاف محاصيل خزيزك والمناطق المحيطة بقراباغ، وقد صار من المعلوم أن كل واحد منهما لم يقصر فى التخريب والإتلاف بالقدر المحدد.

وفى منزل "آهر" بقراجه داغ، قدم المستر غاردان، الذى كان قد قصد تفليس من قبل سفير دولة إنجلترا الكبير، إلى الحضور الباهر النور ومعه عريضة قائد روسيا، واتضح من مضمونها أنه بمجرد الهدنة لعدة أيام والحصول على الاطمئنان والأمان من تعرض واعتداء المجاهدين فى كل مكان عدا تبريز التى تشرفت بحضور النواب العالى المساعد، فسوف يستقيم بناء الصلح والسلام. وكتب النواب نائب السلطنة أيضًا إجابة متضمنة الرعاية والعناية، وقَبِلَ الهدنة لمدة أربعين يومًا، وأكد على رؤساء الحدود بألا تحوم يد أحد حول الاعتداء وعين نجفقلى خان حاكم كروس ومعه فرقته ، وطبقًا لطلب سفير إنجلترا الكبير لاستضافة قائد روسيا. وفى النهاية [ص ٢٨٣] أوكل إليه لوازم الضيافة ولكنه كتب صراحة إلى قائد روسيا بأن قيادة الجيش وزحفه إلى طالش موضوع مستثنى من الهدنة، وأيضًا حدد بأنه إذا وصل خبر تحركك من تفليس حتى الثانى عشر من شهر رجب وهو اليوم الثانى عشر من الهدنة، فسوف تُوقف الهدنة وسوف تقضى الأوقات فى الخصومة والعداوة .

١٤٥- ذكر احتلال لنكران وأرجوان طالش، وفرار مصطفى خان إلى جاميشوان :

بعد إرسال حامل البريد [الروسى] إلى تفليس، تحرك الموكب العالى من آهر ومن منزل إلى منزل حتى وصل على حدود "دده بيكلو" وهى من قُرى مشكين، وأرسل أمير خان القاجارى ومعه الجند والمدفعية والفرسان والمشاة إلى طالش، كما عين لمرافقته ميرزا محمد على مستوفى رئاسة الديوان أيضًا الذى كان موضع ثقته ؛ لأنه يجعل الأمور قرينة الاكتمال بالرأى الصائب والفكر الثاقب.

ووجه أمير خان مع فوج الجند وبعض المدفعية من طريق أرجوان وعين إسماعيل خان القاجارى الشامبياتى وصادق خان القاجارى عز الدينلو مع حملة البنادق الإستراباديين والعجم البسطاميين والمازندرانيين من الطريق المخادع والمُضلل، والجمع الجيلانى من طريق أستارا، وكلف الجميع بإطاعة أمير خان .

ونفذ الأمر النافذ، وقطع جميع الجيش المراحل مشيا على الأقدام، وفى يوم السابع من شعبان، وصل أمير خان ومعه المدفعية والجند، وبدون فاصله وصل سائر الرجال المكلفين إلى "لنكران"، ولو أن الروس المتوقفين أقبلوا على القتال، لكانت المدفعية المباركة حاضرة ومستعدة، وكذلك أصدر الأحكام السامية إلى جميع ساكنى طالش، وسار الجند فى المقدمة كالمبشرين بالرحمة والعذاب، بحيث إنه بسبب نزول البلاء وظهور غضب الخديو فاتح البلاد على مصطفى خان يعلم كل واحد أن حصوله على أمنه وفلاحه فى مساندة تولى الدولة القاهرة. ولم يتحرك أحد من مكانه إلى مكان أخر، فلقد دمروا الجسور والمعابر من كل أطراف طرق الغابات والأدغال ومن أرجوان إلى لنكران، الذى كان طريق عبور المدفعية، وكل أماكن مصطفى خان، وأغلقوا الطرق بالأشجار الضخمة. وكان قد أرسل مير حسن ابنه [ص ٢٨٤] ومعه أهل جاميشوان إلى المعابر، لربما يمنع الجيش من العبور ولم يؤثر تأثيرًا ما كالقش على ممر السيل، ومن [خلف] جذع كل شجرة، والتى كانت تظهر طليعة العلم وولولة طبل الجنود وحركة عربات المدافع المحطمة لجبال ألبرز كان جنود المشاة وحملة بنادق طالش يرفعون رأسهم بثبات مثل زهرة القرنفل فى الغابة، وكانت المدفعية والجند تأخذ مكانها. وفى

اليوم الموعود، دخل أولاً: أمير خان القاجارى إلى لنكران والرجال المكلفون الآخرون بعده بأقل فترة، وحيث كانت المدفعية والجنود تعبر الغابة والأدغال فى اليوم السابق، فقد اعتبر الروس استحالة التوقف فى لنكران مع نزول البلاء الفجائى، وفروا إلى جاميشوان. ورسوا بالسفن الحربية الكبيرة، التى كانت مستعدة منذ فترة متأخرة فى بحيرة سارى، مع الزوارق الكثيرة حيث كان يوجد فى كل سفينة ستة عشر مدفعاً وفى كل زورق مدفع ومدفعان على أطراف جاميشوان من البحر والبحيرة وساحل البحر غير المقابل لعمران لنكران ، وخرجوا هم أيضاً من جاميشوان وأعطوا ظهرهم وأحد الجوانب للبحر، والسفن والجانب الآخر لأجمة البوص المتصلة بساحل البحر وهى صعبة العبور، من أجل أن يسحبوا الجنود والمدفعية إلى ذلك المكان لئلا يصلهم ضرر فى ذلك المضيق من ناحية البحر واليابسة، وبمجرد قدوم أمير خان وبمشاهدته هذه الجسارة، لم ينتظر وصول جميع الرجال المكلفين، وقاد بجرأة فوجاً من الجند مع عدة قطع من المدفعية إلى ذلك المضيق، وأقدم على معركة يوم قيامة الروس، وأقدم أيضاً من الأمام ومن ناحية البحر يضربهم بالصواعق الساقطة والنيران المنتشرة من المدافع والبنادق، وقدم معركة عظيمة لمدة ساعتين. ولما كان قد صار جمع كبير من جنودهم طعمة لفوهات المدافع والبنادق، وقد غرق أحد الزوارق التابعة لهم، التى كانت تأتى من السفن الأخرى وكانت الزوارق أقرب إلى التحطيم بضربها بدانات المدافع وطلقات البنادق، وقد احترق من فيها فى نار جهنم. ووقعت الهزيمة على الروس ولاقوا تأديباً شديداً وعقاباً بالغا.

وبالمصاحب لذلك الحال وصل أيضاً بقية الرجال المسئولين. وكان القائد المجهول قد حدد نفس ذلك المضيق لساحل البحر، الذى كان [على بعد] ألف ذراع من جاميشوان وسبعمائة ذراع من مرسى السفن وبعرض سبعين ذراعاً من الطريق وأحد جوانبه الطين والطمى [ص ٢٨٥] وكل أرضه اليابسة، وكان هدف قذائف كل هذه المدافع والهاونات البحر واليابسة، من أجل تحصين الجنود، وأوقف حملة البنادق أيضاً فى منزل "مارشلو"، الذى كان بحيرة ويابسة قليلة أجمة البوص بين ذلك المكان وجاميشوان بأقل مسافة. ونزل هو بنفسه على شاطئ النهر المتصل بلنكران ، وسد طريق الدخول والخروج وهو المواجه للحصنين والمتفرع من معابر قزل أغاج إلى "شلومار" بطريق طوله ستة فراسخ، وقد ترك فى كل مكان عدداً من حملة البنادق،

الذين كانوا فى العمل ، من أجل الحراسة والحماية. وأحدث على سواحل البحر أيضًا وحتى البحيرة طابورًا من الجيش على الجهات الثلاث (المثلثة)، وعين فى كل حصن وبرج فوجًا من الحراس بحيث لايصبح هناك مجال لخروج الروس من الطريق اليابس والبحر. وفى أيام الحصار هجم لعدة مرات المحاصرون فى جاميشوان سواء من ناحية مارشلو أو من ناحية المعابر ، ولم يحصلوا إلا على الندامة، وفى كل مرة قُتل وجُرح جمع منهم ولمدة شهرين متواليين، سقطت قذائف المدافع والهاونات مثل الأمطار من البحر واليابسة على حصن الجنود، وعلى الرغم من ذلك كانت أقل قذائفهم ترد من الحصن، وبمحض الفضل والمرحمة الإلهية لم يُقتل أكثر من أربعة عشر شخصًا من الجند بعشرة آلاف قذيفة مدفعية وهاون، وفى كل هذه الفترة كانت أصوات المدافع والهاونات فى أذن الجند المجاهدين كأنها طنين الذباب، وقد أصبح مثل هذا النوع من الجلادة والثبات والشهرة موضع حيرة الصديق والعدو وأساس عجب القواد الإنجليز، الذين كانوا حاضرين لفترة فى تلك المعركة ونظرًا لصلح إنجلترا وروسيا، فقد تأخروا أيضًا فى أوائل الأمر بسبب المعركة وعادوا .

ولما رأى كبير الروس جسارة وعناد الجيش على تلك الدرجة، وقد ألقى الجيش القبض على زورقه ورسوله أيضًا الذى كان يذهب إلى شاطئ الغابات الكثيفة من أجل إحضار المياه العذبة والحطب، فقد يئس بألوف الحيرة والتأسف من مدافعه وهاوناته، وسلك طريق الهدوء والسكون، وقد وصل خوف [ص ٢٨٦] روس جاميشوان وفزعهم أيضًا إلى درجة أنه فى أثناء الليل غفل عدد من جنود الحراسة عن حراستهم بسبب ظُلمة الليل، وبالمصادفة وصلوا إلى حصن الروس الذين كانوا قد انسحبوا أمام بوابة جاميشوان. فتفرق الجنود الروس الحراس بمجرد اللقاء بالنظر إلى قلة وزيادة تلك الجماعة، وقد أسرت تلك العدة نفسها من الحراس عدة أفراد منهم، وعادوا . وقد ضاقت شدة المحاصرة على المحاصرين، وبسبب قلة الحطب والعلف والمياه العذبة فقد باع مصطفى خان خيله إلى أهالى ساليان بأثمان قليلة، وأرسل البعض الآخر منها لنفقات أعلاف ومؤن الروس، وأرسل جميع أهل بيته ونسائه الموافقين له إلى سارى، وبسبب ضيق المكان فقد شاركهم الروس فى المنزل وحدثت لهم عدة فضائح يخجل القلم عن أن يهترئ بتدوينها بلسان البيان .

ولما كانت بقية عشائر جاميشوان تقرب من أربعمائة أسرة من سادات وعجزة طالش وملهوفيها، الذين نقلوهم جميعًا بالقهر والعنف. ومع وجودهم، فلو كان يُكلف الجيش المظفر بالهجوم من ناحية البحيرة أو اليابسة، لكان يدخل إلى جاميشوان في أثناء الليل، وكان يستحيل منعهم من التعرض لعرض ونفوس سادات المسلمين وملهوفيهم الأبرياء، وقد أدرك مصطفى خان أيضًا هذه المسألة، وكان قد أودعهم في حفظه وأمانه ، وكان قد أخضع جميع ولاية طالش أيضًا ودمرها. وقد رجح حفظ شرف ونفوس السادات والعجزة في نظر الأمير المبارك المظفر على مهاجمة جاميشوان والذي كان متضمنًا ظهور الفضائح والشنائع المذكورة، ومن أجل سد فجوة الروس وحماية حدود إقليم طالش أصدر الحكم بإنشاء وإحداث ثلاث قلاع محكمة ومتينة، واحدة في قصبة لنكران محل استقرار مصطفى خان المتصلة بمدخل البحر، وواحدة في أرجوان، وواحدة في أستارا ، وكلف جميع الجيش بالبناء، وكلف عمال البناء بالكثير أيضًا من الولايات التابعة لها. وبسبب حسن كفاءة وكفالة الوزير ذي الرأي السديد ميرزا أبي القاسم، الذي كان مكلفًا في تلك الأوقات بتنظيم أمور طالش، التي كانت في اختلال كامل منذ زمن قديم [ص ٢٨٧]، شيدت بإحكام كل القلاع الثلاث المذكورة على نظام وشكل القلاع الإفرنجية، ابتداءً من أوائل فصل الشتاء وحتى بداية فصل العقرب، وهو موعد اشتداد الأمطار في الولاية المذكورة، وحيث كان يصعب للغاية البناء على الأرض الطينية. وبسبب نفاذ الأمر الصادر وثبات الرأي الجازم والاهتمام الكامل، كان الوزير المشار إليه يجهز على الوجه اللائق الحراسة وترسانة الأسلحة والذخيرة والمدفعية مع المدافع الكبيرة المدمرة للسفن والمؤن للحراس لمدة عام وجزئيات وكليات أي نوع من التجهيزات والاستعدادت ، وما كان احتياجه ضروريا مع العمال والصناع وأصحاب الحرف، وقد استعدوا وانتظموا في تلك الفترة القليلة والأيام الوجيزة على النحو الذي حير الذاهبين والقادمين ، وقد عين الحاج محمد خان قراقوزلو، الذي كان مختصا ومعينًا في رئاسة ديوان صاحب الشوكة بأعمال استكمال وحراسة حدود قراجه داغ، على حكومة وولاية المكان وحراسة القلاع المذكورة، وطبقًا لحكم الحضرة العلية السلطانية، كُلف جمع من حملة بنادق رشت على حراسة ناحية من قلعة أرجوان، فتحركوا من رشت، وانشغلوا بمسؤولية الحراسة تحت قيادة ميرزا رفيع خان الرشتي .

١٤٦- تعيين ميرزا رضا سفيراً لدولة إيران لدى الدولة العثمانية :

بعد إرسال عبد الوهاب أفندى وجلال الدين أفندى، عينت الدولة العلية العثمانية جلال الدين أفندى بالسفارة، وأرسلته إلى البلاط السلطاني عن طريق بغداد. وبعد قدومه إلى البلاط الكسروى المشبه بالفلك صار موضع عطف وإنعام الوسعة اللائقة والجديرة. وتشرف يس زاده عبد الوهاب أفندى، الذى كان متوقفًا فى دار السلطنة تبريز، بالحضور السلطاني الباهر النور. وبالاتفاق، ذكر جلال الدين أفندى مطالب الدولة العثمانية بموجب الذكرى، وعرض رفيق جلال الدين أفندى إلى مسئولى الدولة العلية التقرير على واقفى بلاط زحل الاقتدار، فصار مطلبه مقترنًا بالانتهاء والحدوث .

ولما كان قد حضر سيد عبد الوهاب أفندى من قبل الدولة العثمانية [ص ٢٨٨] إلى الدولة [الإيرانية] فقد سُمح له بالانصراف من البلاط السلطانى، وقد صار مشمولاً بعنايات سعة حسن الذات والصفات ، كما عزم إلى مقصده وهو قرين الافتخار والمباهاة وقد توقف جلال الدين أفندى، الذى كان مكلفًا بالإقامة فى إيران، فترة فى أوجان وفي دار السلطنة تبريز وفى وان. ونظراً لجلافته وضيق عقله توجه إلى أرض الروم، بدون أن يُطلب من قبل الدولة العثمانية أو يُصرح له من قبل الدولة الإيرانية، بحجة ملاقاة أحمد باشا الصدر الأعظم السابق للدولة العثمانية الذى كان قد أصبح فى تلك الأوقات مكلفًا بقيادة جند أرض الروم، ومن هناك وبدون وعى توجه إلى إسلامبول، وبدون سبب انشغل بإفساد ذات البين. ولكن مسئولى الدولة العثمانية وبناءً على المعرفة الكاملة، التى كانت لهم عن عدم أصله، لم ينصتوا لأحاديثه الباعثة على الفتنة والفساد ، وكانوا قد وضعوا ظنونه موضع اللوم والتوبيخ كثيراً .

وقد تعين من قبَل الدولة العلية الإيرانية أيضًا ميرزا محمد رضا الكاتب وهو من جملة المختصين بالوجود فى البلاط السلطانى ، وكان قد قام قبل هذا أيضًا بسفارة دولتى فرنسا والدولة العثمانية، وهو رجل هادئ وخبير ومُتحدث ومُزين بأكثر وجوه الكمال، بسفارة الدولة العثمانية، وتوجه إلى هناك، وعند قدومه إلى - أرض الروم، أُجريت له لوازم الإعزاز والإكرام من قبِل أحمد باشا قائد العسكر، وعند وصوله إلى إسلامبول صار مشمولاً أيضًا برعاية وإنعام الدولة العلية العثمانية، وتوقف هناك. وقد جعل أساس الصداقة بين الدولتين العليتين كما هو حقه من الاستحكام والضبط، وكان السفير المذكور يرعى مراسم السفارة كما ينبغى ويجب .

١٤٧- بيان المحادثات العديدة التى وقعت لمسئولى الدولة مع قائد الروس بشأن السلام وإنهاء عدم تحقيقه :

ولأنه قبل معركة "سلطان بود" وهزيمة الروس وقتلهم فى تلك المنطقة، قد أرسل الجنرال ربيشتشوف، الذى عُين من قبل دولة روسيا على قيادة جيش الروس ، وقدم إلى الكرجستان، الجنرال مرقص القائد السابق لملكة روسيا [ص ٢٨٩] وتقدم بصدد افتتاح أبواب الصداقة مع الدولة الإيرانية، وأرسل عبد الله خان القاجارى، الذى كان إبراهيم خليل خان قد ألقى القبض عليه فى منزله بعد محالفة الروس وسلمه إليهم، إلى حضور النواب نائب السلطنة، وكان قد كتب له الرسالة الحميمة، ولهذا دون نائب السلطنة رسالة الرد مشتملة على سروره منه بشأن إرسال عبد الله خان، وأرسلها فى صحبة الحاج أبو الحسن التاجر الإيروانى الذى كان متوجهًا إلى تفليس فى عادة التجارة .

ومصادفة فى تلك الأثناء، وصلت رسالة من دولة روسيا إلى القائد المذكور قائمة على وضع أساس الصداقة مع دولة إيران، وكان السفير سجليسا أيضًا، الذى كان مقيمًا فى عاصمة دولة روسيا، قد بعث برسالة إلى السير جوراوزلى برونت سفير دولة إنجلترا المقيم فى عاصمة دولة إيران، وهى: "أنه نظرًا لبداية عداوة روسيا وفرنسا وخصومتهما مع بعضهما وبناء صداقة إنجلترا وروسيا مع بعضهما واتفاقية الصداقة فيما بين دولتى إيران وإنجلترا، فإن مسئولى دولة روسيا يرون أنه من المناسب أن تُصبح أنت واسطة السلام والوفاق بين الدولتين وتزيل الخصومة بينهما." وأرسل قائد روسيا المدعو فريقان إلى سفير إنجلترا، وتوجه المدعو بابوف بالاتفاق مع الحاج أبى الحسن إلى حضور النواب نائب السلطنة، وأعلن طلب الصداقة وإحساس إرادتهم الكلى فى هذا الأمر، وتقبل بأن يُحكم كل واحد من رؤساء الحدود، الذين يعينهم نائب السلطنة، عهد صداقة الدولتين. ونظرًا للمراحل المذكورة وبناءً على ذلك الذى كان قد أُشترط مع الدولة العثمانية وهو بأن يكونا متفقين معًا فى الصداقة والعداوة أيضًا، ومن أجل هذا سمح نائب السلطنة لسفير إنجلترا بالإجابة المقرونة بالصواب، كما كتب سفير إنجلترا أيضًا خطاب الرد فى صحبة المستر غاردان الإنجليزى وهو بأنه إذا كان

الاختيار فى المصالحة الحقيقية والاتجاه إلى تبادل الممالك التى تقع فى اتجاه مشاتى قراجه داغ فتعلن الوضع والحالة قبل التحرك من تفليس حتى تكون مدة الأيام الأربعين [الهدنة] من أجل التردد واللقاءات ومحادثات الصداقة [ص ٢٩٠] ولاتكن الخصومة والصراع [بينكما]، ولكن أمر طالش، وهى الواقعة فى الناحية الأخرى، لن يكون لها دخل بهذه الهدنة. وقد أرسل نائب السلطنة أيضًا بابوف بالاتفاق مع الحاج أبى الحسن وأوكله بتحرير الجواب إلى السفير.

ولقد انتظر قائد روسيا لفترة بعد وصول الجواب وقدوم المبعوثين، وبعد انقضاء مدة الأيام الأربعين قصد القدوم إلى قراباغ، ولكن النواب نائب السلطنة لم يناوئه، وقضى الأوقات على نفس أمر طالش تلك وفقد موسم العمل وكان يراقب قدوم قائد روسيا. وقد أرسل قائد روسيا رسوله، وأعلن عن إرادته الكلية فى المبادلة والإنباء بمجيئه إلى قراباغ وتوجه إلى الحضور العالى، وعلى الفور قدم إلى قراباغ، وقد عين نائب السلطنة أيضًا نجفقلى خان كروس لاستضافته وأرسله إلى قراباغ.

وفى تلك الأثناء كان ألكسندر ميرزا والى الكرجستان، الذى كان فى إيروان، قد ذهب من هناك إلى "تشلدر" بغرض زيارة سليم باشا والى آخسقة، فصار مصدر الثورة هناك. وخاف قائد روسيا أيضًا من هذا العمل وأجل توجهه إلى حضور نائب السلطنة وتمسك بهذا العذر وهو: يجب أن تقع الملاقاة بالقرب من نهر أرس ولا يمكننى الحضور حتى سلطان حصارى ، وكذلك يجب أن يعمل على ملاقاة مساواة الطرفين وبسبب هذه المقولة ظهرت التكاليف الشاقة والصعبة التى لم يكن فى الإمكان تحملها وأرسل الجنرال المدعو "حقويردوف" ، ونكص إرادته الكلية وأعلن: أنه ليس لى الحرية فيما يتعلق ببناء المصالحة وعلى هذا القدر عندى الإذن والتصريح أن أعرض الهدنة حتى يحدث الذهاب والمجيء بين الدولتين. وعلى الرغم من أن السيرجوراوزلى برونت سفير دولة إنجلترا، الذى كان معروفًا بفطنته وذكاوته وحسن نيته تجاه الدولتين وحسن طبعه ونظرًا لرعاية نائب السلطنة له حيث كان قد مدح رأيه الصائب وفكره الثاقب ، وكان يضع أقواله فى مناط الاعتبار والأهمية [ص ٢٩١]، قد أرسل المستر "موريه"

نائبه وأمينه إلى قائد روسيا، وأظهر له ذلك الذى كان لائقًا بعلمهم ووساطتهم، وطبقًا لاقتضاء التقدير لم يقع تدبيره فى هذا الشأن بالإفادة .

ونظرًا لنكوص قائد روسيا عهده، لم يستقر نائب السلطنة أيضًا على إرادته الكلية وهذا النوع من شروط عهده، وأرسل إليه صادق خان بن نجفقُلى خان كروس مع المستر "لزى" المدفعى والمستر كمل الحكيم الإنجليزى بالاتفاق مع الجنرال حقويردوف، وكلفه مرة أخرى بألا يُظهر النكوص الذى كان على القرار السابق، وكلف من أجل إراحته وإعزازه ميرزا أبا القاسم وزير رئاسة الديوان على "آصلان دوز" المتصلة بنهر آرس حتى يوصل يد الوصل إلى القائد المذكور ويبعده عن التشكيك وسوء الظن والوحشة والخوف، وقد أرسل القائد المذكور بالجنرال حقويردوف إلى ميرزا أبى القاسم، فجعل الجنرال حقويردوف موضع إنعامه ومحبته وأرسله بالوداع وعرض بنفسه التقرير فى الموكب العالى، وتحرك من سلطان حصارى (قلعة سلطان)، وقدم إلى آصلان دوز؛ ولأن مطلب الوفاق لم يتحققْ، فقد رحل قائد روسيا إلى تفليس وعين كتلراوسكى جنرال قراباغ لحراستها وحمايتها وسلمه كل أفراد مشاة جنود الروس الذين كان قد شاهد جلادتهم وانتقاهم بنفسه، وقد أرسل هو أيضًا قليلاً من الجند الروس إلى قلعة شوشى، وتوقف هو بنفسه فى قلعة "أق آغلان" .

١٤٨- شرح مشكلة آصلان دوز ، والأحداث التى وقعت :

كيف استطاع حضرة الحق جل وعلا، الذى تشهد جميع الموجودات على وحدته، أن يرفع الفلك مثل هذا الارتفاع، وأن يُزين فضاءه الفسيح الأرجاء بالنجوم الثوابت والكواكب السيارة وشعاع القمر والشمس والأبراج والمنازل، وأن يرفع خيمة الفلك (القبة السماوية) دون حبال وأعمدة، وأن تكون كل تلك [ص ٢٩٢] الأجرام العلوية فى حركاتها وسكناتها ومقارنتها ومقايستها وغروبها وشروقها واستقامتها ورجوعها خالية من النفع والضرر وعارية من الصعود والنحوس، وأن يعتبرها مندهشو عالم التراب، المراقبون لحركات وأشكال الأفلاك، مهجورة من التأثير والخضوع دفعة واحدة على مر السنين والشهور، فى حال أنه فى هذا العام قد صار من المشاهد ومن المعلوم، أنه

بواسطة النظرات والعلامات وبسبب ظهور الخسوف والكسوف قد لاحت حملات الجيوش وسفك الدماء والاضطرابات والفتن والمصائب والمحن في الدول المتعددة والتي صارت باعثة على حيرة عقول أولي الأبصار وأدهشت نفوسهم .

ومن جملة ذلك أن ملك روسيا صمم على العداوة مع ملك فرنسا بسبب صداقته ومحبته مع ملك إنجلترا، ومنع التجار وأصحاب المعاملات من التردد على مملكة فرنسا والتجارة معها والاختلاط بهم، وفي النهاية وقعت بينهما عدة معارك وقُتل جمع كبير من الطرفين، حيث إن شرح تلك الوقائع يطول ، ولا يليق بسياق هذا الكتاب، وأيضًا من تأثيرات النجوم الثوابت والكواكب السيارة في هذا العام ، انتشار المرض الوبائي والطاعون في أهالي إسلامبول فمن وضع أخبار جمع من التجار، وحيث كان الاعتماد على حديثهم والعهدة على روايتهم، أن ما يقرب من ستمائة وخمسين ألف شخص قد ودعوا الحياة وغسلوا أيديهم من الحياة الفانية، وقد وقعت الاضطرابات والفتن والاعتداءات والتدخلات في الأقاليم الحدودية بأذربيجان أيضًا التي كانت خاضعة للاحتلال الروسي، وقد بسط الروس بساط الحيلة والخداع والتزوير ورفعوا غفلة راية التظاهر والتكبر.

أجل، فلو يكن له مع معاوني الدولة الدائمين دولة النصر فلا تظهر لهم درجات الخبرة والعلم بالقدر وتعلم العدل، ولو يصبح القرين صاحب الاقترانات الدائمة شاهد النصر، فلا يستلزم في أي وقت قط حلاوة الغلبة على العدو بعد انحطاط الأمر في مذاق جهدهم وسعيهم، بل يعتبرون الأمر دائمًا موفقًا كالعادة ويعتقدونه مألوفًا وموفقًا بصورة رسمية، فالمعهود في طبيعة إدارة ملكهم هي التوفيق مثل [ص ٢٩٣] الطبيعة الثانية، وقد رووا أن العادة كالطبيعة الثانية حتى لايغلب العطش، فلا يعرفون قدر الماء الزلال، وحتى لا يفرش مساء الهجر ستارة الظلام، فلا يقرعون أية شعاع شمس الوصال المضيئة من أوراق الليل والنهار، فالثبات على حال واحد هو مكن صفات ذات الله ذي الجلال الذي لامثيل له. شعر [بيت ترجمته]

إن الله هو الذي تكون ذاته بلا مثال

ولا تتغير مطلقًا من حال إلى حال

فإن تغير الأحوال الناتجة عن أنوار الفلك الدوار وزيادتها وإدراكها وهى من البديهيات الأولى، مخصوصة بجنس بنى الإنسان بتخصيص الظاهر والواضع فى أمر القادة وفى عالم الإمكان الذى هو عالم الصورة، وهو قائم على الحدود والجهات كيفما تكون ممكنة بحيث يبقى وجه حسناء المكونات خاليًا من وشم التغيرات وعاريًا من خدشة التبدلات. فكل ماهو أعلى درجة ومنزلة فى عالم المعنى والصورة، هو أكثر انخفاضًا وارتفاعًا فى مدارجه ومسالكه، وكيف يكون الغم للأراذل والسفلة من آفة الحوادث، وكيف يكون الألم للدون والأخساء من الدوران المعوج للفلك المليء بالأذى، والملوك فى حسرة وغم من احتلال الأقاليم ؟

ولأصحاب الدول الغلبة فى الهزائم والزيادة فى النقصان. وقد رأى الملوك المقتدرون كثيراً من الاختبارات، وذاق الأنبياء ذوو المنزلة العالية سُم البلية بكثرة، لتعرف الجواهر الصافية أن جزر ومد بحر الطوفان مولد للاستقامة، وليعلم أصحاب الرأى أن الارتفاع والانحطاط فى حركات الشمس والقمر ظاهر وواضح .

والخلاصة، أن هذا التوضيح والتبيين لهذا الادعاء هو أن الهمة العالية النهمة للنواب نائب السلطنة كانت متصورة أن ينتهى أمر الروس فى هذا العام بعون الله الذى لامثيل له [ص ٢٩٤]، وفى تلك الأيام قدم جمع من أكابر شكى إلى الركاب العالى وعرضوا تعديات جعفر قُلى خان الدنبلى ومطالبتهم بتعيين القائد والجيش والتعهدات التى تحت تصرف شكى، وقد جاء الإلحاح، الذى بذله سليم خان لنجاح سؤالهم، معاونًا ومساعداً لهذا المقصود .

وعلى الرغم من أن أغلب الجيش كان مشغولاً بمهام طالش التى كانت أهم الأمور، فقد كان تعسر وتعذر المؤن فى موغان حائلاً ومانعًا من ازدحام كل جيوش أذربيجان فى معسكر أثر الظفر، وقد صار قلع مراد الروس وتحرير عجزة شكى وملهوفيها مهيجًا لأساس الشوق ومشعلاً للنيران فى ذيل غيرة نائب السلطنة، ومن موضع "سلطان حصارى"، كلف بيرقُلى خان القاجارى ومعه ميرزا محمد خان القاجارى وعلى مراد خان حاكم خمسه وجمع كبير من المجاهدين صائدى الأسود على شكى من طريق قراباغ، وتوجهت الرايات المنصورة من سلطان حصارى مع ثلاثة أو أربعة أفواج من

الجند والمدفعية وعدة فرق من الغلمان وجمع من الفرسان إلى أصلان دوز، وقد كان منظور نظر الشمس المنتشرة ذلك بأنه بعد عبور الرجال المكلفين من نهرى أرس وكر وإتمام أمر ولاية شكي، يتوجهون من أصلان دوز ويقصدون قراباغ، وفى بداية قدومهم إلى أصلان دوز، كُلف محرقو العدو بحرق أطراف معسكر الروس، وأحاط الجيش المنصور من حولهم ولم يكن لتلك الجماعة العزم على المواجهة، فانزووا فى قلعتهم وحصنهم بسبب غلبة الرعب والخوف والهلع عليهم. ولم يسحبوا راية العداوة في ميدان المنازلة، وبالتدريج انتهى الأمر إلى الأحسن، حيث صعب الحصول على المؤن والعلف للجنود الروس، وفكر الجنرال الروسى فى معالجة الأمر، فنصب فخ الحيلة وفتح صندوق الغش والخداع، وأرسل عدة أشخاص من القراباغيين العاصين فى زى الموافقين، وبأسلوب الفارين انضموا إلى معسكر المسلمين، والتقوا بجعفر قُلى خان القراباغى، وأعلنوا: "إننا جئنا من قبل طوائف قراباغ لنأخذ جيشًا من الركاب المنصور، ولنُرحل طائفة قراباغ جميعًا من ساحل نهر ترتر ولنحضرهم إلى ركاب سعادة الأثر فانخدع جعفر قُلى خان بحديثهم بسبب سذاجته وبلاهته، [ص ٢٩٥] وأخذ جيشًا من النواب نائب السلطنة بقيادة صادق خان القاجارى وعبر نهر أرس، وبقي شخص أو شخصان من الجواسيس المذكورين كاللصوص فى خيمة جعفر قُلى خان واطلعا على عُدة الجيش وعدده وتعداد مشاة وفرسان المعسكر، وبهذا العذر عبروا نهر أرس من وراء الرجال المسئولين، ولحقوا بمعسكر الجنرال وأطلعوه على حقيقة كل أمر، وقد أدرك هو أيضًا كذلك أن جمع المعسكر منحصر فى عدة أفواج من الجُند المبتدئين وعدة فرق من الغلمان ورجال شكى وقراباغ المكلفين بالأحمال والعتاد. وقد استراح من أمر المعركة المعلمون والمدربون الإنجليز، الذين كانوا مهتمين بتعليم المدفعيين والجند حديثى التدريب، بمناسبة مصالحة إنجلترا وروسيا، وأنه إذا عزم على الحرب، فسوف يكون صيد مراده في الشباك ، وأمره على وفق مرامه وأدرك أن فرسان المسلمين قد اطمأنوا أيضًا بسبب ظهور عجز الروس، ولم يبدوا اهتمامًا بالإحاطة على معسكره كما كان فى الفترات السابقة .

وفى أثناء الليل، وبإشارة مراد خان دلاعرده، الذى كان أغلب طائفته وسط الطوائف القراباغية فى أصلان دوز، قادهم من آق اغلان، وفى منتصف الليل عبروا من

معبر غير معروف كما لحق فرسان عدة من القراباغيين بالحراس المسلمين، حيث قالوا لهم بأنهم رُسل جعفر قُلي خان، وعطلوا الحراس حتى وصوله، وعملوا بموجب التمهيد والخداع .

وبالمصاحب لذلك الحال، وصل الجنرال، وأحاط فرسان القوزاق حول الحراس وأسروهم جميعًا، وساقوهم على عجل، وفى وقت الصباح، أرسلوا جيشًا بالقرب من المعسكر، وقد اعتقد جيش المسلمين كذلك وهو أن صادق خان قد رجع، وعندما نظروا جيداً، ظهرت راية جماعة روسيا ، ولم يجدوا مجالاً لتسوية صفوفهم، وقد لاح فى الفكر استحالة تجمع الجيش، وصعب الثبات والتحمل فى مثل هذا الوقت، فضغط النواب نائب السلطنة، الذى كان الله مدده الذى لا مثيل له وحظه العالي المنتصر فى المصائب، بقدم الثبات والدوام، وأصدر الأمر على الفور بقذف قذائف الهاونات والمدافع الصغيرة، حتى يرجع الجمع، الذى كان قد رحل إلى الصحراء بدوابه [ص ٢٩٦]، إلى المعسكر بسبب تلك القذائف دون أن يدرك وقوع الحادثة وأتى حضرته بنفسه من خيمة الجلالة وسط الجُند والمدفعية، وقرع طبول الحرب، وسوى صفوف الجُند التى كانت متصلة بخيام المعسكر ، ولأنه لم يبق فاصل بين الجيشين، فقد صدر الحكم بأن يُرحل على استعجال كامل عليخان رئيس الجلادين الحرفيين والصناع وعمال المعسكر والسوقة والمسئولين عن أحمال الجيش وعتاده إلى شكي، ويحملهم بعيداً عن معركة الحرب والغوغاء. وقد تجرأ فرسان القوزاق بسبب قلة الفرسان المسلمين وفتحوا عنانهم، فهجم النواب نائب السلطنة مع غلمانه الخواص، وهزمهم من الهجمة الأولى، ودخل وسط الجنود الروس ومدفعيتهم، ولكن مافائدة ذلك للروس ؟! فقد اشتعلت نيران المدافع والبنادق بسبب مشاهدة هذا الحال، وقد طالت ألسنة نيران لهب المعركة كالروس . ولما كان المعلمون الإنجليز قد أبعدوا أنفسهم عن الأمر[1]، فلم يجد المدفعيون المبتدئون الأذربيجانيون أيضًا استقلالية فى هذا الأمر، ولم تكن معركة المدفعية طبقًا لرغبة نائب السلطنة وأمنيته. وتحرك من تحت جواد السماء، وأحكم ذيله،

(١) نلاحظ هنا موقف المعلمين الإنجليز الخاذل لجيش إيران فعند الضرورة أبعدوا أنفسهم عن المعركة ، وكما يقول المؤرخ ، وكأنهم كانوا يريدون الهزيمة لجيش إيران ، وهذا ماحدث بالفعل . (المترجم)

الذى كان قطعة حريرية تلف حوله، على حزام وسطه، وكان ينثر بيده كالبحر قطعات اللهب من فوهات المدافع جهنمية النيران على ذيل الفلك الدوار ، وكانت صواعق المدافع والبنادق من الجانبين مثل سحاب الربيع الساقط للصواعق ، وكانت ساحة المعركة مثل هواء الهاوية المثيرة للنيران. وقد بذل نائب السلطنة البطولات فى مثل ذلك اليوم ذى العاقبة المحرقة والتى صارت باعثة على حيرة القاصى والدانى، وهجم بالمدفعية على صفوف الجند، وشجع الرجال الأسود على المعركة والقتال ، ورفع ساعد الجلادة والبسالة. وكان فوج الجند الموجود، الذى كان أقل في العدد بمراحل من الجنود الروس، قد بذك المساعى البطولية، وأصبحوا سدا فى وجه النيران لمدة ثلاث أو أربع ساعات حتى وصلت أكثر دواب أهل المعسكر، كما وصل جمع خالٍ من آداب المعركة بأنفسهم من وسط النيران المحرقة إلى طابور الأمن والسلامة .

ولم ير ولى العهد [ص ٢٩٧] التوقف أكثر فى ذلك المكان مقرونًا بالمنفعة والفائدة وانسحب من ذلك المكان إلى بداية (قدم) هضبة آصلان دوز التى لم تكن مفصولة عن الروس بأكثر من مسافة سهم مصوب إلى هدفه. وفى ذلك اليوم ظهرت القوة المحرقة ذات القدم الثابت من جعفر قُلى خان مقدم الذى كان قائد فوج مراغة، وقد صارت مصابرته أساس قوة الجُند الشقاقيين والنخجوانيين الجُدد. وقد سمع فى معركة القتال الإثناءات المتنوعة من لسان نائب السلطنة فى معركة القتال ، وقد سوى الروس صفوفهم وعبئوا ألوفهم فى مكان المعسكر ، ولم يتنفس جيش المسلمين المتصل بهضبة آصلان دوز الراحة فى ذلك اليوم وحتى المساء، وحدثت المعارك المتوالية ، ولم تحتمل غيرة نائب السلطنة تلك الخسارة من روسيا، ولم يكن للروس حيلة سوى الدفاع والمقاومة .

وفى أثناء العصر، كانت حرارة ضجة المعركة تشتد أكثر ، وكان المجاهدون المسلمون يقومون بالحملات القابضة للروح، وعندما انسدل الستار الأسود على وجه الفلك، انسحب الروس بأنفسهم إلى سفح التل الذى كان متصلاً بمكان المعسكر، على هذه النية وهى أن يطووا طريق العودة عندما يصير الجو أكثر ظلمة، ولذلك وطبقًا للحكم، سيطر جنود مراغة على قمة التل، وتمركزت الأفواج الأخرى والمدفعية على سفحه، وعَينَ الحراس من أجل أن يرصدوا تحركات الروس، ومصادفة فى تلك الليلة

السوداء، وجد جمع من الجنود الروس من أسرى [معركة] سلطان بود، الذين كانوا وسط فوج الأبطال، الفرصة بأن يلحقوا بالروس، وعندما كان الروس قد عقدوا حمل متاع العودة، منعوهم من الرجوع ، وقالوا: "إذا ظهر منكم عزمًا، نُصبح نحن في المقدمة، ونصطحب بعضًا من الجنود الشقاقيين والنخجوانيين، ونوصلكم إلى وسط الفوجين، وأُعجب الجنرال بذلك الرأي وعمل من قرار تمهيدهم ، وعندما أفاق الجنود الشقاقيون والنخجوانيون لأنفسهم، وجدوا أن الروس وسطهم، فاشتبكت المعركة، وتصاعد دخان البنادق في ذيل الفلك. وبالطلقة الأولى قُتل المستر كرشت قائد فوج الشقاقيين والنخجوانيين، الذي كان مستريحا من الاشتغال بالمعركة واشتعال نيران القتال، كما قُتل وأُصيب عدة أشخاص من القادة [ص ٢٩٨] ولم يجدْ الجُند المذكورون المجال للمعركة، وتوجهوا إلى جانب من تل أصلان دوز وأعقبتهم المدفعية أيضًا. وبسبب مشاهدة هذا الحال وبسبب عدم صد هذه الواقعة، ألقى نائب السلطنة بنفسه في هذه المعركة، ومصادفة، وقع جواده المسرع للسماء في حفرة عميقة فانفصل عن السرج، واعتقد الغلمان هكذا ، وهو أن ضرراً قد وصل إلى جسده المبارك، وارتفعت الأصوات من كل ناحية، وانزوى كل من سمع بنفسه إلى جانب ورأى جند مراغة أيضًا مثل الجنود الروس والمجاهدين المسلمين قد توجهوا معًا مختلطين إلى التل، ولم يكن ذلك التل هو المكان الواجب حراسته وبعد جذب ومحاولة دون فائدة تتبع الآخرون، ولما كان لطف الخالق حافظًا لوجود النواب نائب السلطنة المسعود، فقد أوصل نفسه إلى أوج السلامة من ذلك الحضيض المليء بالخطر، وقد رأى فارس كان يدفع جواداً ويجر آخراً، وعلى تصور النواب الأشرف أنه من فرسان العدو ويحمل جواداً غنيمة، فقصده مترجلاً ومستلاً سيفه، وصرخ في وجهه صرخة مهابة، وكان ذلك الفارس نفسه من حراس (خادمي) الديوان، فعرف صوته المبارك ورمى بنفسه على الأرض من على الجواد ، وقاد الجواد وأركب نائب السلطنة، واستبشر الناس من سلامة وجوده، واعتبر حضرته أن المحاولة أكثر من ذلك غير مناسبة، وجمع الجيش الذي كان مجتمعًا في المكان المسمى "بحاجي حمزه لو"، واختصه بالمعركة .

وبالمصاحب لذلك، وصل الخبر بأن الروس قد استولوا على عدد من بنادق القتلى، ولم يعتبروا التوقف والإقامة لهم في ذلك المكان جائزًا ورجعوا، وعبروا على عجل من

نهر آرس. وفى اليوم التالى توقف نائب السلطنة فى ذلك المكان نفسه، وعين الرسول الذى يحضر العتاد والأسلحة ، والتى كانت باقية فى المعسكر ويدفن شهداء الجهاد، ورجع بيرقُلى خان أيضًا إلى ذلك المنزل نفسه. وقد حدد بأن يكون قد وصل إليه بعد عبوره نهر كر خبر الإغارة على الروس ليلاً وخبر عودة الموكب العالى، وأيضًا اعتبر التوقف فى حدود [ص ٢٩٩] شكى دون نتيجة، ورجع، وعبر نهر كر وآرس دون حرب وقتال وانضم إلى الركاب، وقد وصل فى عقبه صادق خان وجعفر قُلى خان من ناحية قراباغ وإبراهيم خان من ناحية ساليان بمجرد سماع هذه الأخبار إلى ركاب أثر السعادة .

ولما كانت الأجواء باردة والعُشب غير متوفر فى الجبال والصحراء ، وكان العمار بعيدًا بمسافة عن ذلك المكان، فقد رجحت عزيمة التوقف فى مشكين وتوجهوا إليها، وتوقفوا هناك لفترة من أجل أن يجمعوا أدوات وأسلحة المعركة ويعقدوا الهمة للتعويض والانتقام .

وبالمصاحب لذلك الحال، وصل خبر هجوم الروس على الطوائف المسيحية التى كانت تسكن فى "دره ايلدجز" بنخجوان، وقد جذب هذا عنان موكب أثر السعادة إلى ناحية تبريز، وقد أعطى الجيش الذى يليق لأمر طوائف ذلك المكان .

١٤٩- ذكر الوقائع بعد الحضور إلى تبريز ومسببات تحرك رايات السعادة المعجزة وحوادث طالش :

بعد قدوم الموكب المسعود إلى تبريز، لم يكن يقدم العقل السليم فى تلك الأيام على مهام سوى الاستعداد لأمر العدو، ولم يكن يميل إلى عمل سوى التهيؤ لأمر الانتقام، وكانت جميع همته مصروفة على هذا وهو أن يعمل على تعويض [الهزيمة] فى ذلك الشتاء نفسه .

وفى تلك الأثناء وصل خبر بأن الروس يتحالفون مع شيخعلى بك كنكرلو أخى نظر على خان حاكم نخجوان الذى كان قد أسره الروس فى معركة أصلان دوز ويحضرونه كى يحفروا فجوة فى حدود نخجوان بمساعدته ، ومع أن الظن لم يكنْ يذهب إلى أن

يصبح شيخعلى بك مصدراً للخطيئة والخيانة، ولكن نظراً لمراعاة حزم إدارة المملكة، فقد تقرر إحضار نظر على خان إلى الركاب وجعل كريمخان كنكرلو مكانه على الحكومة، وقد نجا شيخ على بك أيضًا بمفرده من يد الروس وانضم إلى ركاب الهمايون، وقد صار وكما كان منسلكًا فى سلك غلمان الخدم. وقد فسخ الروس عزمهم إلى نخجوان بسبب فكرهم ونيتهم السيئة فى التوجه إلى نخجوان ومخادعة شيخعلى بك الذى كان مطلبه النجاة منهم. وبناءً على [ص ٣٠٠] وسوسة مصطفى خان الطالشى، تحرك الروس إلى ناحية موغان بقصد طائفة "والوسى" التى كانت قد ذهبت إلى المشتى، وقد تصاحب وقوع هذا الخبر مع خبر وصول إسماعيل بك والجيش المكلف من الحضرة العلية السلطانية إلى منزل "ميانج" فأحضر نائب السلطنة فوج الجند، الذى كان قد كلفه على نخجوان ومرند، إلى تبريز. وكلف إسماعيل بك على موغان من طريق أردبيل. وبعد الوصول، حمل الجند ومدفعية الجيش وتحرك إلى موغان من طريق قراجه داغ، وبسبب تأثير برودة جو الشتاء كانت ريح النفس ترتعد من الزمهرير، وكان الجليد قد شمل الصحراء والبادية إلى درجة أنه لم يكنْ من الممكن للفرسان والمشاة التحرك على أى وجه .

وبعد التحرك من تبريز، وصل الخبر بأن طائفة قراباغى قد سمحت للروس بالدخول وسطهم، وأن عطا خان وجعفر قُلى خان أيضًا قد وقعا فى فكرة حراسة سائر الطوائف، وشدوهم جانبًا من مقام الأذى والضرر، وسمح الروس لطائفة قراباغى بالتحرك من المكان الذى كانوا فيه، وعلى الغفلة قصدوا أرجوان، فاضطرب على خان نورى، الذى كان حارسًا لأرجوان مع عدة أشخاص من الرجال المكلفين بسبب الاستماع لخبر الطائفة، وأخلى أرجوان دون حرب وصراع. وبعد رحيل الرفقاء وقف ميرزا أحمد مستوفى رئاسة الديوان، الذى كان فى عهدة رعايته تنظيم أمور الروس المسلمين، وسط المعمعة والفتن، وذاق شربة الشهادة عند لقاء الروس ومحاربتهم، وتوجه إلى روضة الجنة. وتوجه الروس من هناك إلى لنكران .

وقصد موكب نائب السلطنة مهاجمة طالش، وفى مشكين تحدد أن يصل إسماعيل بك بنفسه من تلك الناحية إلى "أرشق"، واتضح أن جماعة الروس قد هجموا فى ليلة

عاشوراء على قلعة لنكران، ووقعت من الجانبين معركة عظيمة وجهد ملىء بالخوف والفزع، وكان حملة البنادق اللاهيجانيون، الذين كان قائدهم قد قُتل فى بداية الأمر، قد أخلوا البرج الذى كان فى عهدة حراستهم، وصعد الروس على ذلك البرج، وبسبب القذف بالمدافع والبنادق، الذى كان تحت إشراف جند محمد بك القاجارى الأفشارى، وصل الدخان إلى السماء [ص ٣٠١] واستمرت المعركة لمدة خمس أو ست ساعات بين الروس ومجاهدى الإسلام، وقد رست على شاطئ بحر الخزر سفينة أجسام الروس والمسلمين بسبب طوفان الدماء فى الطين.

ولقد قاوم بثبات صادق خان القاجارى، الذى كان قائد جيش لنكران فى ذلك اليوم، مع محمد بك الأفشارى، الذى كان قائدًا فاضلاً وغيورًا كالنمر ، وشجاعًا فى الحرب، فى معركة ومصارعة الروس ومقاومتهم لفترة حتى قُتِلَ. ومع أن الروس قد سلكوا طريقهم إلى قلعة لنكران، فإنه لم يبق من كل الجنود الروس ثلثهم، وقد زاد عدد القتلى من الروس عن الفين وخمسمائة شخص، وقد أُصيب ذلك الذى كان باقيًا أيضًا. وأصيب الجنرال كتلراوسكى بثلاث طعنات منكرة والتى كانت عسيرة العلاج، وقد سعى الجراحون الماهرون فى معالجته، وقد شُلت بعض أعضائه وجوارحه عن العمل وصار معوقًا .

وقد أرجع ولى العهد القتلى والجند وحملة البنادق المصابين وطيب خاطرهم ورعاهم كثيرًا وألبسهم لباس المرحمة ومعطفها، وقرر المُقررات والواجبات على مدار العام لورثة القتلى، وبسبب حُسن مرحمته والعلم بالقدر وقع الأحياء فى هوس حياة الخلود، وفقدوا لذة الحياة حيث كانت السعادة فى دار الشهداء، وكان نصيب الأشخاص، الذين حرموا من هذه السعادة، الحُزن والخيبة والفشل.

ولما كان توقف كل ذلك الجيش فى شدة الشتاء باعثًا على المتاعب الصعبة ، وكان يصعب وجود الرعايا والعبيد فى ذلك المكان بسبب ضيقه وبرودة الأيام الأربعين الشتوية، فقد أمر إسماعيل بك وجيش تجمعه بالقدوم إلى أردبيل والتوقف بها .

وبالمصاحب لذلك الحال، وصل فرمان من مصدر الجاه والجلال الخاقان ذى الخصال الفريدونية مشتملاً على مطايبة خاطر النواب نائب السلطنة ، ووقف الانتقام

والتأثر بعون الله تعالى إلى وصول أيام الربيع واعتدال المناخ، فامتثل نائب السلطنة للأمر السلطاني ورجع إلى تبريز. وهناك وصله خطاب قائد روسيا ، وكان قد أرسل خطاباً إلى سفير إنجلترا أيضاً بأن نابليون ملك فرنسا [ص ٢٠٢] لم يحتمل حرارة المقاومة بعد فتح مسكو بسبب فكرة احتشاد الروس، ورجع، ولكن كان قد رجع بسبب شدة البرد كما أصبح معلوماً .

١٥٠- تكليف الأمــراء على مــقــدمــة الموكب المُزين بالنجــوم إلى أذربيجان وتحرك الراية الملكية إلى مرج أوجان، وبيان وقائع سنة ألف ومائتين وتسع[١] وعشرين هجرية :

صممت إرادة مُزين العالم الكسروى على السفر إلى آذربيجان فى أول ربيع الطراوة ، وفى الوقت الذى أعطت فيه الرياح النوروزية للتراب الميت فائدة الإعجاز المسيحى، وفتحت فيه ترشحات السحاب مفاتيح أبواب الخضرة والنضارة على وجه العالمين. وقد تشرف بالصدور فرمان العالم المطاع ، وذلك بأن يتوجه الأمراء فردوسى المحيا واللُقا النواب على خان والأمير محمد تقى ميرزا كل واحد منهما مع فوج كأمواج البحر ومعهم الأمراء والقواد كالقائد يوسف خان قائد الأفواج القاهرة الفدائية وفرج الله خان رئيس الجلادين فى مقدمة الجيش والمعسكر المُزين بالعظمة، وبأن تتحرك من خلفهم الراية البيضاء السلطانية المضيئة .

وبالمصاحب لانتشار هذا الخبر، وبسبب تأثيرات يمن القدوم السلطانى وظهور الفيض اللامتناهى، وفى فترات ما كان النواب نائب السلطنة قد طلب حسين خان قائد إيروان للحضور ، وكان قد تشرف فى تبريز لعدة أيام فى خدمة الساطع النور الأشرف، وصل من إيروان هذا الخبر: بأن القائد الروسى أرسل ما يقدر بحوالى ألفى

(١) صحيحها ثمان وعشرون ، وذلك كما أوضحنا فى تعليقنا على هذا الخطأ من قبل . (المترجم)

شخص بقيادة الجنرال "بلنك جوهر" من طريق بنبك وشوره كل من أجل أن يسلبوا أموالاً من القرى والمناطق المحيطة بإيروان ويستولوا على الغلال، ويحملوا من معادن تلك المناطق عدة أحمال من الملح. ومن هناك سمع النواب نائب السلطنة لحسين خان القائد بالانصراف لمحاربتهم ومقاتلتهم، وتوجه القائد المذكور على عجل كامل، ولأنه لم يكن له جيش تجمعه (المقرر له) من الركاب المظفر، ففي تلك الحالة كان قد طلب ما يقدر بنحو ألفي شخص من أهل إيروان كانوا قد أرادوا الجهاد وزينوا أنفسهم بسلاح المعركة، وقد ألقى عدة أشخاص من الفضلاء وأصحاب العمائم وأهل الزهد والتقوى الكفن على أعناقهم [ص ٣٠٢] وأشهروا سيف النصرة واكتفى حسين خان بنفس تلك الجماعة، وهجموا في مضمار الجهاد. وبسبب مشاهدة هذا الحال رتب الجنرال الروسي وجنوده صفوف المعركة واستعدوا للحرب، والتقت جماعة المجاهدون والجند والقائد حسين خان لمجرد ملاقاة العدو دون ذلك الترتيب لفرقة الجيش، وهجم الجميع على الشرح السابق وماتت الأيدي على البنادق والسيوف والخناجر واشتعل من كلا الجانبين برق البلاء الهاطل، فنفرت الأرواح من أبدان الروس ، وبعد ثلاث أو أربع ساعات من الجد والكفاح في ميدان المعركة، وقعت الهزيمة على الجنرال وجنوده واختاروا الفرار بدلاً من البقاء، وصارت الأشواك والحسك في الوادي في لون شقائق النعمان من دماء تلك الجماعة المقيرة. وفي هذه المرة، ذاق ثلاثون أو أربعون شخصًا من المجاهدين المسلمين شربة الشهادة، وأتى من جماعة الروس مابين مقتول ومجروح ومأسور ما يقرب من أربعمائة شخص طبقًا لرواية الثقات الذين كانوا حاضرين في تلك المعركة[1]. ورفع القائد والمجاهدون راية الظفر إلى إيروان، وأرسل الأمير رءوس الروس برفقة عريضة العبودية المفروضة إلى بلاط صاحب العالم السلطاني، وقد وصلت الرءوس في الوقت الذي حلق فيه طائر العنقاء برايات فاتح العالم بأجنحته من دار الخلافة طهران، وقدم معسكر قبلة العالم بنصر وإقبال إلى مرج سلطانية، ومنها أخذ في التحرك باتجاه أذربيجان .

(١) هذا دليل على أن المؤرخ عبد الرزاق الدنبلي كان يعتمد في أخباره على الرواة الثقات الذين حضروا المعارك . (المترجم)

وفي الخامس عشر من شهر رجب المرجب، وصل موكب محمد تقي ميرزا ويوسف خان القائد واثنا عشر ألف شخص من الفدائيين وفرج الله خان الأفشارى ومن خلفهم النواب الأمير علي خان مع جيش أثر الظفر. وتحرك حضرة نائب السلطنة في الثاني عشر من شهر رجب من تبريز، وقد سعد الإخوة العظام في "مرج أوجان" بلقاء المحبة الزائدة لنائب السلطنة حيث كان شوقهم بملاقاته المسعدة لهم. وقد سعدوا وسروا برؤية بعضهم البعض .

وقدمت أفواج الجند القاهرة [ص ٣٠٤] المُزينة بالنصر خلف راية النواب نائب السلطنة معجزة النصر إلى مرج أوجان، وقد صارت ساحة مرج أوجان باعثة على غيرة روضات الشقائق بسبب ألوان بيارق المجاهدين ، ولأنه قبل هذه الأحوال بثلاثة أو أربعة أشهر، كان قد تشرف بالصدور فرمان العالم المطاع بأن: يسعوا في أذربيجان على زيادة أفواج الجند وفرسان الجيش الذين كانوا يعتنون بتعليم المستر دراويل (دورويل) الإنجليزى، ولم يكن يتضايق على أى وجه في إرسال الأموال أيضًا من الخزانة السلطانية بقدر الضرورة في تجهيز وإتمام الأمر، ولهذا قطع النواب نائب السلطنة الراحة على نفسه في هذين الشهرين أو الثلاثة أشهر، وكان قد جهز خمسة أو ستة آلاف من الجنود وفرسان الجيش على نحو الاستعداد حيث كانوا قد حصلوا جميعهم على خبرة زائدة عن الحد في التدريبات ودرجة كاملة في الرماية والتصويب وفي فنون الآداب الحربية. وقدم إلى مرج أوجان بما يقرب من اثني عشر ألف جندي من القدامي والحداثي متعاقبين كالموج الهائج، وقد صُمت آذان الفلك من زمجرة صوت بنادقهم وأُظلمت عين الشمس منيرة العالم من برق سيوفهم .

وفي يوم الثاني والعشرين من شهر رجب المرجب، وحيث كان موكب ظل الفلك السلطاني يضييء ساحة أوجان العامرة، أمر نائب السلطنة بالاستقبال العاجل مع عدة أشخاص من الغلمان الذين كانوا حاضرين في الركاب، وأدرك في معسكر الحضرة العلية الملكية شرف تقبيل عتبته، وتم السماح له بالانصراف من خدمة فلك المنزلة وبالإسراع إلى ترتيب صفوف الجند والفدائيين وفرسان الجيش والمدفعية. وقد أسرع لاستقباله الأكابر والأعيان والمشايخ الفضلاء والقضاة والأمراء والقواد في مملكة أذربيجان، وأدركوا شرف تقبيل أرضه وفيض حضوره .

وكان الحضرة العلية الظل الإلهي يتشرف بمشاهدة جيمع الأماكن من الناحيتين على صفوف الجيش ملجأ النصر من المدفعية والمدفعيين والجند والفدائيين وفرسان الجيش ، وقد وقع كل الإعجاب الملكي بالنظام والاستعداد وقواعد وضوابط الفرسان والمشاة واستحسنها استحسانًا بليغًا، وسُر من آداب وحكمة وقيادة الابن [ص ٣٠٥] الشاب حسن الحظ أكثر من ذى قبل. وقدم كسرى الموفق الشرف الزائد لقصر أوجان وعماله بلوازم القربى والهدايا، كما أثر تخطيط عمارة أوجان وتجهيز جيش مريخ المهابة ونظام الديوان، الذى كان قد لاقى الترتيب من النواب نائب السلطنة، فى نظر الشمس السلطانية تأثيرًا بالغًا وأثنى عليها لمرات بلسان السلطنة، وأظهر الألطاف والإشفاقات اللامحدودة على النواب نائب السلطنة والأهالى والأعيان والفضلاء والقضاة في تبريز وسائر أهالي أذربيجان، وقد دعا جميع الرعايا والبرايا للدولة الخالدة العهد، وبسبب مقدمه المبارك حيث من جديد أرواح أهالى أذربيجان الميتة وقلوبهم المتجمدة. وصار باعثًا على سعادة وفرح الشيوخ والشباب وأعد جيشًا من المشاة والفرسان فى مرج أوجان، وأعد جيشًا فى روضة ذلك المكان متلاصقًا والذى أنسى الفلك قدرة جيش سليمان وجمشيد العالم، ووضع عهد قوة تيمور والإسكندر على طاقة النسيان .

١٥١- اطلاع قائد روسيا على قدوم الموكب الملكى إلى مرج أوجان وتحريك سبل السلام بوساطة السفير الإنجليزى السير جوراوزلى بارونت :

عندما سمع قائد روسيا بخبر قدوم موكب نجوم العظمة إلى مرج أوجان وباجتماع الجيش اللامحدود واحتشاده الذى ضاقت به الوديان والجبال من كثرة أعداده ، غلب عليه الفكر والتفكير، بالإضافة إلى أن ملك فرنسا أيضًا قام مرة أخرى بترتيب الجيش وإعداده، وقصد الممالك الروسية ، وكان قد دخل إليها بجيش وافر وعظمة زائدة، فازداد اضطرابه وقلقه من الناحيتين فكتب الرسالة المفصلة إلى السفير الإنجليزى الذى كان ملتزمًا ركاب ظل الفلك السلطاني، واستدعى منه مصالحة الدولتين : إيران وروسيا بوساطته، وكان السفير الإنجليزى يبذل المساعى، حسب

استدعانه، وكان يُظهر المزايا في النظر الملكي، وكان الصدر الأعظم ميرزا محمد شفيع أيضًا وبمقتضى صلاح [ص ٣٠٦] الفكر يوافقه، وفي الحضور الأقدس كان يزين الكلام بالرأى الحسن. أما النواب نائب السلطنة والقائم مقام والأمراء وقواد الجيش الذين أوكلت إليهم أمور أذربيجان[1] عرضوا (اقترحوا) في وجود موطئ عرش السماء المنيرة، وهو أنه في العام الماضي قام الروس بحركة قبيحة، وما دام أن تعويضها لم يكتمل على الوجه الأكمل، فلن يُتصور حدوث السلام والصلاح ، وتمني الخير والفلاح. وتعهد السفير ، في الإجابة على اقتراحاتهم التي عرضوها، بأنه إذا تقرر بناء الأمر على الوفاق فإنه بعد مجيء وذهاب (مبادلة) السفراء، سوف يوافق سفيرا الطرفان في النهاية على رغبة الدولة العلية، وسلم رسائل عديدة ، التي كانت مناط الاعتبار والأهمية ومتضمنة شروح قائد روسيا المدونة، وهي مشتملة على تعهداته التي كانت بخط يده .

وفي سياق هذا الحال، وقعت بعض الاضطرابات في أمور خراسان، حيث كان بذلك السبب، وبناءً على قلع بقية فساد الشيخ الكاشغري وسط التركمان وتجمعهم في الصحراء، أولى وأنسب لعودة موكب الهمايون إلى دار الخلافة، ومن أجل هذا، كُلف ميرزا أبو الحسن خان من بلاط صاحب العالم، وبادر قائد روسيا أيضًا بلقائه وعقدوا اتفاقية وعهد الوفاق[2]، وتم وضع الأمر بين الطرفين على هذا المطلب وهو أن يتحرك السفراء على جناح الفلاح في الربيع القادم، وأن يفتحوا أبواب الصلح والسلام على وجه العالمين، وأن تُحدد أسس الأمور على الوضع الذى سيكون، ورضي رأى مزين العالم طبقًا لهذه المصلحة، وعزم على العودة إلى عرش السلطنة .

(١) لاحظ مخالفة ولى العهد للسلام والاستسلام لروسيا ، ودور سفير إنجلترا في هذا الموضوع . وحيث إن روسيا كانت في مأزق بين الجانبين الفرنسي والإيراني، إلا أن إيران لم تستثمر هذه الفرصة جيدًا لصالحها ، ولم تستمر في الحرب واستسلمت هي لشروط روسيا وبريطانيا ووافقت على اتفاقية أجحفت حقوقها التاريخية في أذربيجان، وذلك كما سيتضح فيما بعد. (المترجم)

(٢) يقول عباس إقبال عن هذه الاتفاقية : وقعت معاهدة "كلستان" في التاسع والعشرين من شوال ١٢٢٨ هـ وهي التي أنهت الدور الأول لحروب إيران وروسيا في قرية "كلستان" من أعمال قراباغ بتوسط من السيد جور أوزلي وبتمثيل حاجي ميرزا أبي الحسن خان من طرف إيران ، وهي بفصولها الأحد عشر من أسوأ المعاهدات التي أبرمت في تاريخ إيران الحديث ، بل إنها ولدت أسبابًا لشقاء عظيم لمستقبل إيران بسبب أنها أول معاهدة مضرة عقدها أولياء إيران ، وقد بلغ بهم الجهل مبلغه مع دولة أوروبية ، ولم يدركوا أنهم استسلموا لقبول كل مطالب هذه الدولة في وقت كانت فيه فريشة أكبر المصائب في أوروبا. (انظر : تاريخ إيران بعد الإسلام ، الترجمة العربية ، ص ٧٧٠)

١٥٢- حضور موكب الحضرة العلية الملكية إلى دار السلطنة تبريز وبيان عنايات حضرته اللائقة على أهالى تلك المنطقة :

كان قد أدى أهالى تبريز- لصدق نيتهم ووفور إرادتهم وإخلاصهم - الخدمات اللائقة والجديرة فى السنوات الماضية بشكل عام ، وفى هذه السنة بشكل خاص، وكانوا قد وضعوا أرواحهم وأموالهم فى سبيل الدين والدولة. ومن جملتهم "أسد الله سلطان حاجى عليلو" الذى كان قد مات له تسعة أولاد فى الحروب الروسية المتعددة، وثانيًا عوض باثنى عشر فردًا من أولاده [ص ٢٠٧] عن المقتولين بسبب التضحية بأرواحهم .

وبعد وقوع هذه الحوادث المهولة، وقع أهالى تبريز فى دوامة الفوضى والاضطرابات وصاروا رفقاء للغصة والحزن، وعوضًا عن كل شيء كان قد زال فى الحروب، فقد أكملوه وأتموه بسرعة، ومرر من أمام نظر النواب نائب السلطنة سبعة آلاف شخص مسلحون وبكامل عتادهم ومتطوعون للجهاد دون أجر ومتاع أو حقوق وواجبات مقررة. وفى سبيل إزالة ورفع ضرر الخصم وتعويض خسائر الأسفار المليئة بالخطر، فقد وضع كل شخص كل ما كان عنده على طبق الإخلاص. ولما كانت الاستعدادات والتجهيزات تصل من كل جانب، فلم يقترن سؤالهم فى خدمة نائب السلطنة بالقبول، وبسبب الاستماع لأخبار الاضطرابات التى كانت تصل إلى تلك المناطق، فقد تمنى جميع أهالى الولاية سلامة ذات النواب العالى ونفسه الفريدة، حتى أن عجائز النساء منحن الذهب للفقراء من قيمة خيوط مغزلهن، وقد شاهد الحضرة العلية الملكية فى يوم الاستقبال له ناحية حال إخلاصهم ومودتهم اللذين لا حد لهما وشوقهم وشفقتهم التى بلا حصر، ولهذا، ومن أجل افتخار كبير تلك الولاية وصغيرها، فقد سلم فى السابع والعشرين من شهر شعبان معسكر زحل العظمة إلى نائب السلطنة، كما ترك الصدر الأعظم ميرزا محمد شفيع فى خدمة حضرته. وقد أمر بتزيين وإنارة دار السلطنة تبريز لاستقبال قدوم صاحب العظمة والعزة، وقد قام بسرعة الاستقبال سبعة آلاف فرد من حملة البنادق من أهل المدينة، ولم يبق فى ذلك

اليوم شيخ أو شاب فى البيت، وقد نثر كل شخص كل ما كان عنده تحت أقدام كسرى الأوحد، ولكنه لم يقبل الهدية من أى شخص، وعطف على الصغير والكبير.

ومع أن طبعه الأشرف لم يلتفت كثيراً إلى اللهو واللعب بسبب كثرة مشاغل المُلك والحكم وتنظيم أمور الرعية وشئون الجيش، فإن أهل الولاية قاموا فى ميدان الجند الذى كان واسعًا ورحبًا بتجهيز الألعاب النارية وبإطلاق مدافع الهاونات والمدفعية، وقد جعلوا الليل المظلم مضيئًا كالنهار بسبب الألعاب النارية، وألقوا نيران الخجل فى أرواح الثيران والأسود بسبب شجاعة أفيال المعركة وأسود النيران [ص ٣٠٨]، وقد بعثروا فى فضاء السماء والفلك الدوار الشهب المشتعلة وألسنة النيران من أشعة قلاع النيران. وقد صار كل أهل الولاية واحدًا واحدًا مفتخرين ومتباهين بالعطف والعناية والثناء والإعجاب. وفى اليوم التالى، ركب الجواد فى عزة وإقبال، وقام باستعراض ومشاهدة دار الأسلحة ودار المدفعية ومبنى دار الذخيرة التى كانت قد شُيدت خارج المدينة بتخطيط غريب وتصميم عجيب ، وكانت قد صُممت على تخطيط نظام دار الذخيرة الأوروبية (الإفرنجية) وبعد الاستعراض والمشاهدة، نزل فى قصر ذلك المكان مثل الشمس المزينة للعالم فى برج الأسد، وقد فتح اليد الناثرة بالذهب من على أعلى رأس الوضيع والشريف والقوى والضعيف وجمعت الخلائق الذهب، وقد جعلوه رأس مال عزتهم وزينة كيس ثرائهم من أجل التيمن والتبرك به. وتحرك من ذلك المنزل، وقد صار المعسكر للمرة الثانية موضع حسد جنة الخُلد بسبب يمن وبركة مقدمه المبارك. وفى غرة رمضان المعظم تحرك فى نصر وإقبال إلى دار الخلافة طهران .

١٥٣- ذكر ظهور فتنة خواجه محمد الكاشغرى وانتهاء أمره بسعى الجيش السلطانى :

كان خواجه محمد الكاشغرى من أمراء الصين، وقد اختُبر [بمحنة] الجلاء عن وطنه بعلة تقلب أوضاع الزمان، وقد تنقل لفترة فى مملكة بلاد الهند ، وفترة فى بعض

دول الفرنجة، ومنها، انتقل إلى بلاد الروم [الدولة العثمانية]، وفى عالم السياحة التقى الدراويش (الصوفية) ووقع تحت غوايتهم ومكرهم، إلى أن انتقل إلى المملكة المصرية، وهناك، فتح دكانا لخداع وتلبيس العوام، فاجتمع حوله جمع من الدروايش، وادعى رئاستهم، ووصل إلى ولاية ذلك المكان، وبعد فترة، كشفوا خداعه، فأرادوا قتله، وهرب من مصر وذهب إلى ديار إنطاكية، وأقام فترة فى تلك المدينة الجميلة، ومنها عزم إلى السليمانية وشهرزور. وخدع عبد الرحمن باشا حاكم بابان بالسحر والطلسم وجعله من ضمن المعتقدين به، ووسوس له، فحمل على بغداد [ص ٣٠٩]، ودمرها وبقى عدة أيام فى بغداد مع عبد الرحمن باشا، وعرض أهالى بغداد كيفية إثارته للفتنة وثورته واعتداء عبد الرحمن باشا على بلاط سلطان الروم، وطبقًا للفرمان الصادر، طرد أهالى بغداد عبد الرحمن باشا منها، وكان خواجه محمد معه، فرجعا إلى السليمانية، وتكدرت علاقة الصداقة والاتحاد، التى كانت بين دولة الروم (العثمانية) وإيران كلية، بسبب فساد عبد الرحمن باشا.

والخلاصة، أن الحضرة العلية السلطانية، عين، من أجل إزالة هذا الشجار، النواب الأمير محمد على ميرزا لتدمير واستئصال عبد الرحمن باشا، فهجم جيش الأمير على رأسه، فهرب، وكُنست ولايته حتى حدود ذهاب وما حول بغداد بمكنسة النهب والإغارة، ومن بينها، نهبوا أموال خواجه محمد المذكور أيضًا، وأسرع هو إلى دار الخلافة طهران، وأدركه الحاج محمد حسين خان المروى الذى كان على معرفة سابقة به أيام الشباب، فجعله شفيعه، وأخذ منه عريضة الطاعة للأمير محمد على ميرزا، ورجع إلى كرمان شاهان، وبناءً على رعاية الحاج محمد حسين خان وشفّاعته له، استرد الأمير أموال الخواجه من الجنود وأعطاها له، ومن هناك اتجه إلى دار الخلافة، وأراد العودة إلى وطنه المألوف وعزم الرجوع إلى دياره .

وفى تلك الأوقات كان قد تضايق تركمان إستراباد من سوء سلوك ميرزا رضا المازندرانى وزير الأمير محمد قلى ميرزا، وكانوا قد انزعجوا انزعاجاً كاملاً، وانطلاقًا من أن التركمان لهم الاعتقاد بالدراويش، فقد نشروا بأيديهم رائحة الإرادة وفتحوا

بأقدامهم النار وسفك الدماء على مملكة إستراباد ومازندارن، ووقعت بين تلك الجماعة وجيش الحاكم سليمان العظمة المعارك العظيمة، وهُزم التركمان وهربوا، وقد صار الخواجه محمد المذكور من بين القتلى، وخمدت ثورة التركمان وفتنتهم، وندمت تلك الجماعة عن أفعالها وأعمالها، ومع الانفعال الكامل خوفًا من السطوة الملكية وجدت أبواب النجاة مسدودة في وجهها. فلم يسرعوا لفترة إلى رأس الطاعة [ص ٣١٠]، وسحبوا رءوسهم إلى جيب الخمول وانزووا في زوايا الفشل، وأصدر الخديو ذو الفرمان المنزه الأمر بتعيين محمد زمان خان القاجاري، الذي كان حاكم إستراباد السابق، وقد سعد التركمان لحسن سلوكه، على حكومة إستراباد .

١٥٤- بيان وضع بعض القوانين الملكية ونظام الجيش، وتوجه النواب نائب السلطنة إلى دار الخلافة طهران لتقبيل بساط الحضرة العلية الخاقانية وعودة حضرته إلى مركز الدولة (تبريز) :

انصرف النواب نائب السلطنة بألف حرمان من ركاب خديو العهد ، ولحق بمركز الدولة وانشغل بتجهيز وإتمام الخدمات السلطانية وإجراء الضوابط العسكرية والنظام واخترع القواعد والقوانين الحسنة وأبدع العادات الحميدة، ومن بينها، فقد نفذ الحكم الأشرف بأن يقيموا في كل واحدة من ولايات أذربيجان مقر الديوان الخاص، وأن يُجلسوا في الديوان أميرًا ذكيا وفطنًا مع أحد المشايخ الفضلاء من أجل تنفيذ الأوامر الشرعية ، وأن ينجزوا أمور الجند والمدفعيين ومدفعيي الهاونات وسائر المرتبطين بالعسكرية وفق الشرع الشريف، وقد بنوا كذلك دار المشورة في الركاب العالي وذلك من أجل أن يستقر فيها عقلاء أهل الجيش ويقوموا بتسيير أمورهم فيها.

فالعقلاء يرون أن عين الفلك العجوز، الذي رأى كثيرًا من الأكاسرة الأطهار، لم ير بعين التجربة مثل هذا الأمير العاقل ، ولم تسمع أذن الدهر المزينة للفتنة والمفتوحة دائمًا لأصوات وقوانين الملوك، عن قواعد وقوانين من أي صاحب تاج وخاتم قط مثل قواعد وقوانين هذا الأمير المقتدر. بيت [شعر ترجمته]

أين فـــــريـدون كي يرى هذا القـــــانون

وأين الإسكـنـدر كي يـرى هـذه الآداب

ولما كانت المدينة الجميلة خوى واسعة فى الحجم والمكانة وكبيرة فى عدد السكان، فقد أراد محبوب سُياح الآفاق أن يجعلها أيضًا مثل دار السلطنة تبريز بمكانتها فى نفسه النفيسة محكمة لعدله وعزته ومسكنًا لراحته وأمنه، فيرتعد من الفرح والسرور والحبور.

ولهذا، يتحرك من تبريز، ويُلقى ظل الدولة والحشمة على رأس ساكني تلك الديار ويجعل ذلك المكان مكان التوقف والإقامة والاستقرار وموطئ قدم الدولة الثابت [ص ٣١١]، ومع زيادة أشغال إدارة المُلك والحكم وزيادة العمل ، وعلى الرغم من ذلك، فكان قد نفذ فرمان الهمايون السلطاني مجدداً لإتمام وإكمال ثلاثين ألف جندى، وينبغى أن ينتهى القبول بسرعة، وكان تفكيره في تجهيز وإعداد الجند والمدفعية ومدفعية الهاون والفرسان العسكريين، والذى كان عملا عظيما وأمرا صعبًا أيضًا، أكثر من شوقه لتقبيل عتبة الحضرة العلية فلم يعرف رأسه من قدمه ، وتوجه إلى بلاط ملجأ العالم، وعلى الرغم من ذلك أدرك الحضرة العلية ملك الملوك تصوره لتأخير الأمور وتعويقها، فلم يرض فيض حضوره عن حضرته، وسلم النواب نائب السلطنة أذربيجان إلى هلال أفق السلطنة وطليعة دوحة المكرمة وبرعمة روضة العزة النواب الأمير محمد ميرزا، وكما قرر للقائم مقام [بأن يكون] فى خدمة الرأس الجديدة وروضة الاحتشام لأداء الأمور وقطع دابر المهام. وفى غيبة حضرته، فلو أنه كانت قد ظهرت آثار نقض العهد من جماعة الروس، واعتبروا تخطى مشكين جائزًا لهم، فإنهم لم يتجرءوا أكثر بسبب يقظة قادة الجيش وانضباط أمور الأقاليم الحدودية وتنظيم شأن القاصى والدانى. وقد أصبح ألفان من الجند تحت رعاية القائم مقائم فى ولاية أذربيجان مجهزين ومستعدين لجميع أعمال التدريبات ، وقد جاءت كل الأمور منضبطة ومنسقة وكل الأعمال فى غاية الازدهار بسبب السعي الوافر. ومع أنه كان قد اختلط الجيش بالرعية فى تلك الحدود، إلا أن كل شخص منهم كان مشغولاً بعمله، ولم يحدث فساد وفتنة .

ولما كان النواب نائب السلطنة قد لحق بالبلاط، فقد صار قرينًا للسرور والفرحة الوافرة من رؤية الهمايون الحضرة العلية السلطانية، كما وجد العنايات اللامحدودة

وكافة أنواع الإنعام والإحسان من الحضرة الخاقانية. ومن جملة الإحسانات، فقد مُنح النواب نائب السلطنة السرج واللجام والجواد الخاص بركويه الذى كان أحسن الخيول المسرعة كالبرق. ولما كان حضرته يبسط فى سلوكه وتصرفه بأسلوب غلمان العبودية، فقد امتنع عن قبولها، ويعجز وإلحاح كثير أعاد الدر إلى البحر والياقوت المتلألئ فى أصدافه [ص ٣١٢] ومع أن قبولها كان ثقيل الظل على الطبع السلطانى ولكنه قبلها بواسطة بأس خاطر النواب نائب السلطنة .

ولأن دخول (موارد) أذربيجان فى أغلب الأوقات كانت قاصرة عن كفاية الأمر مثلما هى فى السابق، فقد كان مدبرو أمر ديوان صاحب الوسعة يتعطلون بسبب حاجتهم إلى نفقات نقدية زائدة، وفى الحقيقة أن النقود والأموال السلطانية الرائجة مخزونة لنفس هذه النفقات، ومن أجل هذا، مُنح مبلغًا ضخمًا من الخزانة السلطانية ، بالإضافة إلى مقررات كل عام، وحصل على الإذن من خدمة من هو فى منزلة الفلك. وفى السابع والعشرين من شهر جمادى الأول، لحق بمتكأ الشوكة والإجلال فى دار السلطنة تبريز فى عزة وإقبال .

١٥٥- السماح للسير جور أوزلى برونت سفير دولة إنجلترا الكبير بالانصراف من البلاط السلطانى وتحركه من تفليس وبطرسبورج من أجل محادثات السلام ومصالحة دولتى روسيا وإيران وإظهار العنايات السلطانية وإشفاقات نائب السلطنة بالنسبة له :

ولأن السير جور أوزلى برونت سفير دولة إنجلترا قد وطد قواعد الصداقة فيما بين دولتى روسيا وإيران، فقد فرغ من هذه المهمة الجسيمة، ولم يبق له القلق والانتظار، ولم يترك فى أمور السفارة النقص وعدم الاكتمال، وكان له من قِبل الدولة العلية إنجلترا الإرادة الكلية فى الحركة والسكون وسائر الموضوعات، وبناءً على صدق القول واستقامة العهد، فكان يريد أن يجعل أركان هذه الصداقة والمصالحة فيما بين

الدولتين موافقة للعهد المحكم والقول الثابت وهو المقصود الأصلى لدولة إيران من المصالحة والسلام. ولهذا - وبالرغم من ذلك الوصف - كانت ألطاف السلطان شاملة لأحواله إلى درجة أنه كان يصعب فى نظره حرمانه من فيض الحضور السلطانى. وقد ظهر لمرة ثانية لمجرد التفكير فى صلاح الدولة لطلب الإذن والسماح له، وعلى الرغم من أن الحضرة العلية السلطانية لم يكن يسمح له بالانصراف من بلاط صاحب الفلك نظراً لشدة اهتمامه به، فقد رأى أنه من الأولى قبول سؤاله، وسمح له بإعزاز كامل ووجهه إلى مقصده فى إكرام لا كلام فيه [ص ٣١٣] ومن جملة الإنعامات السلطانية، التى لم تكن قد تيسرت لأحد ، فقد منحه الأطباق الذهبية من أجل حفل ضيافته الملوكية ، وقد أعطاها له بيده المباركة، وقد بذل النواب نائب السلطنة أيضًا بشأنه الرعاية والعناية التى لم يكن قد فعلها بشأن أى شخص من مقربيه وحاشيته ومسئولى حضرته. فقد منحه الإبريق والطشت ذات الأرجل، وكان ملحوظًا أنه يؤدى معه مراسم الصداقة والمحبة أكثر من مسئولى الدولة، وقد توطدت - إلى حد لا نهاية له - العلاقة والروابط الخصوصية بينه وبين السفير ، وكان يحزن ويغتم لفراقه الزائد عن الحد، فلو كان قد رجع من مملكة إيران لكان دائم المطالبة بهوس لقائه ، ولم ينمحْ أمل رؤيته من القلوب ، وفى الواقع أن مكانته التى كانت له لم تنقص فى المراتب الإنسانية. وقد كان يرفع راية الوفاء والرجولة والحقوق فى مضمار الصداقة .

والخلاصة أنه كتب رسالة الصداقة إلى دولة إنجلترا وأرسلها فى صحبته، كما كلف ميرزا أبو الحسن خان الشيرازى أيضًا بالسفارة لروسيا، من أجل أن يظهر فى دولة روسيا باسترشاد واستصواب السفير المشار إليه ما يجب ويعلموا صلاحه، وحتى تقترن مطالب دولة إيران المنظورة بالحصول. وقد كلف السفير المذكور أيضًا المستر موريه نائبه، بالتوقف والبقاء فى إيران، وأعطى له الإذن بالعمل مفتوحًا، وتوجه هو بنفسه حيث يسير إلى وجهته من طريق بطرسبورج كى يلتقى فى عرض الطريق بالقائد الروسى فى تفليس، ويمهد المقدمة المعهودة ثم يسعى فى بطرسبورج لإكمال مهام ميرزا أبى الحسن خان وحصول مُرام دولة إيران من دولة روسيا حسب تعهده، وبعد حصوله على قدر من الراحة يتوجه إلى مقصده من هذا الطريق. وقد تم عمل كل ما كان لازمًا لإعزاز وتعظيم السفير المشار إليه وإكرامه وتبجيله من قبل كبير وصغير

أهالي ولاية إيروان طوال مسافة الطريق وذلك من دار الخلافة طهران وحتى نهاية ولاية إيروان [ص ٢١٤] . وبالمصادفة، قدم السفير المذكور إلى تبريز في يوم قدوم نائب السلطنة إليها، فصار موضع العناية التى لا حد لها من حضرته، وتوجه إلى مقصده .

١٥٦- وقائع سنة ألف ومائتين وتسع وعشرين هجرية، وذكر بواعث نهضة الهمايون إلى ناحية خراسان، وتعيين إسماعيل خان الدامغاني رئيس فرقة الغلمان على قيادة ذلك المكان، وفتح هراة وفراة :

بعد انقضاء حفل النوروز المنتصر، صممت الإرادة السلطانية على إخماد ثورة أمراء خراسان وإسكاتها. فأحوال ذلك المكان على سبيل الإجمال هي: أنه كانت قد صدرت الفرامين والأوامر المطاعة من مصدر العز والجلال إلى حكام خراسان بسبب ثورة خواجه الكاشغرى وجمع التركمان وعدم اعتدال تلك الجماعة، وذلك بأن يجتمعوا ويحتشدوا، ويقوموا بعزم صادق وهمة وافية بصد تلك الجماعة وطردها، فقام الأمراء المقترنون بالإرادة وبسبب كمال إخلاصهم وطاعتهم بجمع الجيش، وجعلوا وجهة همتهم صد التركمان. وبعد قتل الخواجه محمد الكاشغرى وهزيمة التركمان، كان النواب الأمير محمد ولى ميرزا يقوم باستعراض جيش جند خراسان بالقرب من نيسابور وذلك من أجل أن يسمح لهم بالانصراف ويأذن لهم بالعودة إلى أوطانهم. وفي هذه الرحلة كان حكام خراسان قد أدوا لوازم الغيرة والرجولة والشجاعة ، كما كانوا قد جدوا وجاهدوا جهاداً بالغا في إعداد الخيول وتجهيز العتاد والأسلحة للمعركة. وقد شاهد الأمير عرضهم، فطمع بعض من مقربي حضرة الأمير ومسئولي بلاطه في الخيول والعتاد الموجودة بجيش خراسان وأخذوها منهم بالإكراه ، وفي الحقيقة أنه كان طمعًا فجًا وناقصًا ومضرا لشرف وسمعة عرش السلطنة، وقد طلب الأمراء متضرعين بأن الجواد المسرع كالبرق والأسلحة والعتاد هي وسيلة الجهاد والكفاح في سبيل خدمة هذا البلاط وأساس أمل أفراد الجيش وانتعاشهم، فماذا يفعل الرجل دون أسلحة

وعتاد فى مقابل الجلادة ، وكيف يفتح المشاة بدون خيل ميدان المعركة وفى مواجهة الفرسان [ص ٢١٥] وأن استرداد العتاد والأسلحة من الجنود الذين يظهرون الفخر والفدائية فى ميدان المعركة، يبعث على يأس وحزن أمراء وجيش هذا الإقليم. ولم يقع هذا الاستدعاء والطلب موقع القبول، وتحرك الأمير مع خواص حضرته من نيسابور إلى مشهد المقدسة. وفى غيبة الأمير، استرد مرة ثانية حكام خراسان خيولهم وأسلحتهم، ووضعوا بناء الثورة والفساد، وقدموا إلى قلعة مشهد الرضوية المقدسة، وأعلنوا عبارة العصيان والتمرد، فقام الأمير باسترضائهم وبذل الإحسان والإنعام على تلك الجماعة بلا حدود. وأصروا على العناد واستكبروا ولم يتركوا جانب غير النادمين. وفى خلال هذه الأحوال، وصلت أوامر العناية الملكية والخلاع الفاخرة من بلاط صاحب العالم السلطانى لافتخارهم ورفع رأسهم، فجعل أمراء خراسان من الخلاع زينة أكتاف وصدور افتخارهم ومن الأوامر الملكية زينة عمامة اعتبارهم ومكانتهم. وأيضًا بالنسبة لخدام الأمير الذين كانوا على رأس الخلاف والمعارضة، فقد وصلت كيفية هذه الأخبار فى دار الخلافة طهران إلى مسامع إقبال مقيمى صاحب بلاط زحل السلطانى. وكُلف إسماعيل خان الدامغانى بقيادة خراسان وبتأديب المتمردين ومعاقبتهم. وقد فتحت من خلفه راية عقاب الخاقان المستولى على البلاد أجنحتها من دار الخلافة طهران إلى ناحية خراسان. وبعد وصول القائد المذكور إلى مقربة من تلك الحدود والثغور، دخل قلعة مشهد المقدسة، ومنها هجم بجمعه على أمراء خراسان، وتقدموا هم أيضًا بقدم الإقدام والقتال، ووقعت معركة قوية، فهجم حكام خراسان على رأس مدفعية الطراز الإنجليزى، وأحرق المدفعيون المهرة طبقًا لقواعد التدريب والقذف والدخان المتلاحق ما يقدر بحوالى مائة شخص من الأبطال الخراسانيين المشهورين كما الفراشة بسبب نيران مدافع صوت الرعد، وبسبب مشاهدة هذا الحال فر بقية أمراء خراسان وجنودها ورجعوا إلى قلعتهم . وأرسل أمراء خراسان [ص ٢١٦] مثل رضا قليخانزعفرانلو و نجفقلى خان شادلو، الذى كان قد تجرأ فيما سبق ببعض الأفعال والحركات السيئة، عريضة الضراعة مع مبعوثيهم المعتبرين بوساطة قائد خراسان، الذى جعلوه شفيعهم

في منزل تشـشمـه علىّ، وقدمـوا إلى بلاط صـاحب العـالم وطلبـوا العفـو عن سـوالف أفعالهم الشاذة وغير المقبولة. وكما كانوا، صاروا متقبلين الخدمة والطاعة.

ومن المصادفات الحسنة ، وحيث كان الطالع السلطاني دائمًا هو المستعان في كل أحوال العون والتأييدات الإلهيـة، ففـي هـذه الرحلة، تيسر فتـح هـراة وفراه بسهولة لم تكن فى حسـاب وتعداد مسئولى الحضرة. وتوضيح هذا القول هو أن كامران ميرزا الأفغانى تحرك من قندهار ومعه جيش الأفغان والجيش الجرار، وعزم إلى هراة وفراه، وحاصر البلدة الطيبة هراة ، وقصر همته على تحرير المدينة وطرد فيروز ميرزا ، ولأن فيروز ميرزا قد رأى نزول البلاء وصد الحادثة فى غير مقدوره، فقد جر نفسه إلى ظل حمـاية الخاقان الموفق وتوسل إلى مسئولي الدولة القاهرة من أجل صد الحادثة ورفع المصيبة بيمن وبركة العنايات الكسروية ، وتنجية نفسه من ضرر جيش الأفغان وأذى جند كامران ميرزا. فقبل طبع الهمايون المتربى على الضعف، الذى كان دائمًا مجبولاً على حفظ جانب إرادة المخلصين، طلب فيروز ميرزا . وأصدر الأمر ذا القدر بافتخار القائد إسماعيل خان وذلك بأن يسعى إلى إمداد فيروز ميرزا ومعاونته ، وتحرك القائد المذكور بالجيش اللامحصور من الأرض المقدسة. ودون توقف، كلف بسرعة، وقبل وصوله هو ، محمد نظر خان إلى ناحية هراة وفراه ومعه سائر فرسان الطوائف المكلفة على خراسان وسيره في مقدمة الجيش، وبمجرد قدومه ووصوله وقائد خراسان إلى هراة تفرق كامران ميرزا وجيش الأفغان كبنات النعش، وفروا إلى مقربة من قندهار، وصفى القائد المشار إليه أنحاء الولاية المذكورة من فسادهم وطهرها من فتنتهم، كما سلم فيروز ميرزا مفتاح القلعة، وتقدم هو بنفسه لتقديم كامل الشكر [ص ٢١٧] لملاقاة القائد بقدم الثبات والإخلاص، وصار ملتزمًا بتقديم الجزية والخراج. وصدر من قبل الهمايون الأشرف مرسوم ولاية هراة وفراه باسمه، وصار ولده مفتخرًا بملازمة بلاط الهمايون، وتزينت السكة والخطبة بالاسم الكسروى المشهور وصارت الولاية المذكورة، وهى مُلكٌ واسع وعريض، ضمن الممالك المحروسة، وخط قلم العفو والصفح على جرائد جرائم مخطئ خراسان .

١٥٧- كيفية ثورة وفساد محمد زمان خان عزالدينلو القاجارى مع جماعة التركمان ويموت فى إستراباد وأسره على يد أهالى وأعيان ذلك المكان :

فى فترة توقف معسكر زحل العظمة فى فيرزوكوه، وصل خبر تمرد محمد زمان خان القاجارى عزالدينلو حاكم إستراباد وحاكم التركمان إلى المسامع الجليلة. وتوضيح هذا المقال على سبيل الإجمال هو: أن محمد زمان خان كان قد وضع بناء التحالف فى أثناء حكمه لإستراباد مع طائفة تركمانية ذلك المكان "خذلهم الله"، وقد أحضر معارفهم وأعيانهم ومعهم ثلاثون ألف فارس على بعد ثلاثة فراسخ من إستراباد، والتقى معهم وعاد إلى المدينة، ورفع صوت طبل التمرد والعصيان عاليًا، وفى مبنى الخاقان المغفور له اتكأ على مسند الجلالة، وقبض على بعض الحكام والأمراء القاجاريين الذى كانوا متوقفين فى إستراباد، وحبسهم، واستولى منهم على مبلغ ضخم بالإجرام وأعطاه لرؤساء التركمان، ورَحَّل بعضهم إلى "مير محله" وحبس بعض الأعيان القاجاريين، وذهب بالرحل إلى قلعة "ماران"، وأغار على دوابهم وأثاث بيوتهم.

وعرض أهالى إستراباد كيفية تمرده وعصيانه فى فيروزكوه إلى المسامع الكسروية العلية فتحركت راية الهمايون من فيروزكوه ونزلت بإجلال وتكريم فى "تششمه على"، وصدر حكم الهمايون إلى فداوية دار المؤمنين إستراباد، وذلك بأن يقبضوا على المذكور والمتحالفين معه من التركمان الموجودين، ويرسلوهم إلى البلاط السلطانى. فأخبر محمد زمان خان، بسبب سماعه خبر قدوم معسكر الهمايون إلى "تششمه على" [ص ٢١٨]، التركمان فى جهارباغ وهى الواقعة على بعد فرسخ واحد من المدينة، وفروا هكذا مع بعضهم من أجل أن يظهر التركمان مرتدين الوقاحة وعدم الحياء ويتقدموا إلى معسكر الملك المظفر، ويلحق بالتركمان محمد زمان خان بنفسه بعدهم وذلك بعد جمع المشاة والفرسان من إستراباد.

وبعد رحيل التركمان، تشجع أهالى وأعيان إستراباد وحكامها وقويت قلوبهم بسبب استماعهم لقدوم الموكب السلطانى إلى "تششمه على"، وتحرك الراية الكسروية

بغرض إستراباد، واحتشدوا وأحاطوا بمكان إقامة محمد زمان خان، واشتعلت شرارة الحرب والقتال من أول الليل وحتى الصباح، وعند بداية طلوع الشمس سقطوا على مبنى الديوان. وانشغل محمد زمان ومعه عشرة أو خمسة عشر شخصًا من حكام وعظماء يموت مثل أغا محمد حسين يخشى قوجاق وأدينه حسن خان تاتار وأمير حكومتهم جعفر باى ونوروز خواجه وقوجاق صوفى ألقى وطغان نيازخان يخمر وابن عم قربان قليج وأحد الأشخاص المنسوبين إلى ولى كافردوحى وجمع آخر من كبارهم بالصبر والتحمل والعظمة فى العمارة المباركة، وقُتل ثلاثة أشخاص، وضرب محمد زمان خان خليل أقايسيانلو بالبندقية وقتله، وكانوا يحاربون طالما أن الذخيرة والبارود كان معهم. وبالمصادفة قبض محمد حسين بك شامبياتى على ثلاثة أشخاص من التركمان خارج المدينة، وعراهم من خيولهم وسلاحهم وقبض على ما يقدر بمئتى شخص من التركمان فى القرى والريف، ولم يكن فى المقدور الحصول على هؤلاء الأشرار من أقصى الوادى بالأفواج اللامحصورة. وقدموا بأقدامهم إلى الفخ والمصيدة بسبب خيالهم وفكرهم الباطل، فأصبحوا أسرى لتقديره ومأسورين لفعلتهم الشاذة بقوة التأييدات الإلهية وقوة الطالع السلطانى، وقُيد محمد زمان خان ووضع في الأغلال على يد أهالى إستراباد وأعيانها. وبسبب السلطنة قضى اثنى عشر يومًا فى ملله وغمه ورأس فضوله منطوية في جيب خموله [ص ٣١٩] وقد صار ذيله وحاشيته مبتلة من مياه عينيه. وتفرق باقى التركمان بسبب استماعهم لهذه المسألة ورحلوا بعيدًا متوجهين إلى ديارهم. وقد عرض أهالى إستراباد كيفية [الأحوال] على موطئ العرش الأعلى، فكلف [السلطان] ميرزا يوسف خان مستوفي الممالك من "تششمه على" ومعه فوج من الغلمان الخواص من أجل الذهاب إلى مدينة إستراباد وإرسال محمد زمان خان وسائر المحبوسين إلي بلاط بطل العصر. ودخل ميرزا يوسف إلى إستراباد وسلم له أهالى المدينة محمد خان مع التركمان، وأرسلهم إلى بلاط الفلك الوقار .

ولأن محمد زمان خان كان يريد أن يمتطى جواد الدولة المتبختر بسبب تمرده وعصيانه، فقد ركب بالأمر السلطانى على حمار وساروا به. وبعد التشهير به وجعله عبرة للشاب والشيخ، فقد عُرى مع أخيه أمير خان وشخص آخر من أقوامه المذلولين من زينة النظر وذاق التركمان جرعة الفناء من سن سيف الياصا، وخمدت الفتنة فجأة.

١٥٨- وقائع العام المبارك سنة ألف ومائتين وثلاثين المطابق لعام الخنزير التركى[1] وذكر سفارة ميرزا أبى الحسن خان إلى دولة روسيا

فى ربيع هذا العام، وعلى النحو الذى كان قد سبق الإشارة إليه، كُلفَ ميرزا أبو الحسن خان الشيرازى ومعه فيلين وبعض التحف والهدايا من بلاط صاحب السماء بسفارة دولة روسيا، ومع أنه كان طبقًا لقواعد وعادات السفارة المحلية، ولكن كان ينبغى أن يطلب بعض مطالب هذه المناطق. وقد ألقى النواب نائب السلطنة إليه بعض العادات والأداب التى كانت لائقة بشأن الدولة العلية. ولما وصل إلى مقربة من "بطرسبورج" أكرم مقدمه إمبراطور روسيا، وبغرض جمع شتات جيشه وإظهار كثرة عاصمته، عين منزلين أو ثلاثة لاستضافة ميرزا أبى الحسن خان فى بطرسبورج واعتنى باحترامه. وبعد احتشاد الجيش واجتماعه وترتيب الناس وزينتهم استدعاه إلى عاصمته وفى يوم قدومه، اصطف بطول فرسخ واحد على الطريق من الجانبين خمسمائة ألف من جنود الروس [ص ٣٢٠] وعشرة آلاف فارس روسى وستون عربة مدفع، ووقفوا منسقين. ولم يحدث الإعزاز، الذى وقع له من قِبل إمبراطور روسيا، لسفير فى أى عصر وزمان، وإن شاء الله سيوضح قلم البيان كيفية ووقائع عودته.

١٥٩- وفاة مصطفى خان الطالشى وأحوال أبنائه من بعده، وكيفية أحوال جعفر قُلى خان، وثورة أهالى شكى وما آل إليه حالهم

فى هذا العام، كان مصطفى خان الطالشى، الذى كان الأوحد فى عدم الطاعة والتمرد واللجاج وقد سالت الدماء من المسلمين والروس بسبب عناده وصراعه، قد مرض وتوفى، وقد أظهر الخلاف أولاده مير حسن ومير حسين وعباس بك فيما بينهم، وكانت أمهم تتدخل كل يوم فى عمل أحدهما بواسطة مدبرى أمورها فكان الآخرون يثيرون العداوة والعناد معه لهذا السبب، ولم يزدهر أمرهم على هذا المنوال، وفى تلك

(١) تنكوزئيل : سنة الخنزير فى التقويم التركى الشرقى وهى السنة الثانية عشرة من الدورة الثانية عشرة من تاريخ الأتراك . (انظر : لغت نامه ، على أكبر دهخدا ، جلد بنجم ، ص ٦١٩١)

الأسرة، التي تصيح فيها دجاجاتها بدلاً من ديوكها، لم يكن قد مر بعد شهران على وفاة مصطفى خان حتى مرض جعفر قُلي خان في شكي وانقضى أجله، وهو كان في أخر حاله نادمًا علي أفعاله فقد كان يمرغ وجه الحاجة والمعوذة على عتبة الإرادة والإخلاص، وكان يُرسل الأشخاص الفصحاء إلى خدمة نائب السلطنة وفي فكره تعويض ما مضى وما فات ، وكان يفصح بالحجة المفحمة والسوداء وإبداء الأعذار، ولكن الأجل لم يمهله الأمان .

ومن بعده، كان أعيان وأهالي شكي يريدون عدم إطاعة ابنه إسماعيل خان بحيث يطردون أعقابه من بينهم، فاطلع قائد روسيا على هذا المعنى والقصد فقبض على أهالي شكي وأرسلهم إلى سيبيريا، وأعطوا مرة ثانية لإسماعيل خان الاستقلال في أمور شكي. وقد وجد خلاصه وحصل علي حريته الأمير أصلان خان أخو جعفر قُلي خان وهو أمير وقور وفصيح ومذهبه في الإخلاص وفكره في الصداقة وفي هذه الفترة لم يكن مبتليًا ببلاء مرافقة أخيه بإرادته واختياره، وتوجه مع جمع من إخوته وأبناء إخوته وأقدم بوجه الحاجة إلى بلاط سماء الجاه، فرأى الإكرام والإنعام من الحضرة العلية السلطانية [ص ٣٢١] وقد اختاره النواب نائب السلطنة من بين أقرانه وأمثاله بسبب لياقته وجدارته وخبرته وعلمه بالقواعد والقوانين وهو الآن يُعتنى به العناية الكاملة. وهو متشرف بالخدمة المفتخرة ويعلو المنزلة الممتازة في الظاهر والخفاء وفي الخلوة والعيان .

١٦٠- بيان هلاك إسحق القرائي وابنه بحكم الأمير محمد ولي ميرزا وثورة حكام خراسان، ومجيء رحيم خان الأوزبكي وعودته

لقد اعتقد الأمير محمد ولي ميرزا أن انتقاص أموره وتعطلها في حياة إسحاق خان تربتي ولهذا قضى على إسحاق خان وابنه الذي كان عنده في مشهد المقدسة، فأخذت الوحشة والخوف محمد خان والأبناء الآخرين الذين كانوا في قلعة "تربت

حيدرية" بسبب استماعهم لهذا الخبر، وأقفلوا الأبواب على أنفسهم ومكثوا متحالفين خلف الجدران والأسوار. فعين الأمير الجيش على رأسهم، ولم يفعلوا [الجيش] أمراً (شيئًا) ورفعوا راية العودة دون مرادهم وقد أنكر حكام خراسان أيضًا هذا العمل. وانفزعوا كالغزال الوحشي، وانسحب كل واحد منهم إلى قلعته طاوياً أقدامه في ذيل العزلة، وسكنوا إلى الراحة، وأرسلوا إلى بلاط العظمة عرائض الحاجة المشعرة على الطاعة والعبودية للحضرة العلية حضرة ملك الملوك والدالة على عدم الرضا من سلوك وتصرفات الأمير محمد ولي ميرزا، وتحدثوا بلسان العجز والتضرع. فأصدر الخاقان فاتح البلاد الأمر بأن يتوجه الأمير إلى دار الخلافة، وبأن يُعين في افتخار إسماعيل خان القائد الدامغاني مع جمع لائق على قيادة خراسان وذلك من أجل أن يدخل إلى قلعة مشهد المقدسة ويستقر بها، وإلى أن يُعين أحد الأمراء لإدارة ذلك المكان. وتوجه إسماعيل خان إلى مشهد المقدسة وبمجرد قدومه إلى الأرض المقدسة جهز أكراد تلك المناطق جمعًا كاملاً وقاموا بمعارضة ومحاربة القائد الذي ضغط أيضًا بقدم الثبات وأنزل الهزيمة الفاحشة بتلك الجماعة. ورأى رحيم خان الأوزبكي في تلك الحالة ساحة خراسان محلاً للفتنة والشر والفساد واعتبرها غنيمة للسارق والمُغير [ص ٣٢٢] وقدم إلى مقربة من إستراباد مع أربعين ألف شخص. فكُلف مهديُقلي خان القاجاري الدولوي وذو الفقار خان بتأديبه. وبالقرب من "سيرك" تحاربوا في معركة عظيمة وانهزم رحيم خان، وعاد إلى ناحية خوارزم مخذولاً ومنكوبًا.

١٦١- بيان وقائع سنة ألف ومائتين وإحدى وثلاثين هجرية الموافقة لسنة الفأر التركية[١]، وتعيين الأمير حسين على ميرزا على خراسان ووقائع أخرى

من أجل إخماد ثورة خراسان وتهدئتها، أصدر الحضرة العلية السلطانية الأمر بتعيين النواب الأمير حسين على ميرزا، وبعد قدوم الأمير إلى مشهد المقدسة

(١) سچقان ئيل: سنة الفأر وهي اسم السنة الأولى من الدورة الثانية عشرة في تاريخ الأتراك. (انظر لغت نامه ، على أكبر دهخدا ، جلد هشتم ، ص ١١٨٨٩)

الرضوية، وجه همته إلى انضباط أمور خراسان، فقام باستمالة حكامها. وفى تلك الأوقات هجم القائد إسماعيل خان بجيشه وحمل على جماعة هزاره واستولى على الغنائم والأموال الكثيرة منهم، وفى أثناء عودته وبسبب غروره نزل على بعد فرسخين أو ثلاثة من العدو وجلس هناك لتقسيم الأموال المنهوبة، وكان الخصم خلف المهاجمين، فلحقوا بهم للإغارة على أموالهم مثل الشمع المحترق ومثل الذئب الغضبان، وأنزلوا الهزيمة بالقائد وأسروا جمعًا من الجيش المنصور. وتعقبته جماعة هزاره، وكانت راية الأمير المطرزة متوقفة على مقربة من ذلك المكان، فكل شخص يصل من تلك الجماعة خلف الجيش السلطانى، كانت تأسره شحنة غضب الأمير وتمزق بطنه.

١٦٢ - بيان الإغارة على طائفة بلباس مرتين بقيادة أمير خان القاجارى

فى هذا العام ولعدة مرات، قامت طائفة بلباس الضالة بالهجوم على نواحى منطقة ساوجبلاغ، فقتلوا عدة أشخاص ونهبوا عددًا من الدواب والأغنام، وعرض بوادق خان المكرى كيفية الاعتداء على بلاط صاحب العظمة، فكلف نائب السلطنة القائد أميرخان القاجارى ومعه جمع من الجيش الجرار وجند آثار الجلادة باستئصال تلك الطائفة، وقام القائد المذكور مع جيشه بالخدمة المقررة. ورأت جماعة بلباس كأنه سيل البلاء فى أماكنهم ورحلوا خوفًا على أرواحهم وفروا هاربين [ص ٣٢٣] وهجم القائد بالجيش على كل الأماكن، حتى أدركهم بالقرب من "جرميان"، وقام بالأسر والنهب والإغارة، وكانت الجماعة المنحوسة قد أقامت ثلاثة مخيمات محكمة بالقرب من جبل، وسحبوا أموالهم ودوابهم ونساءهم وأطفالهم إلى تلك الأماكن المحكمة. فتطوع يوسف خان قائد طائفة بهادران (الأبطال)، وهى مكونة من الروس المسلمين، للسيطرة على مخيمات بلباس، وحصل على الإذن من القائد واستولى على المخيمات فى أقل فترة، وقتل مايقرب من ثمانمائة فرد ، وأغار على كل ما وجده وأحضر أسرى كثيرين، فصار موضع إعجاب القائد. ورفع القائد والقواد راية العودة بعد إتمام أمرهم إلى بلاط صاحب الفلك .

وفي العام التالي أدخلت الطائفة المنحوسة مرة أخرى رأسها في العناد في إقليم أرومية ومدت يدها بالإغارة وقطع الطريق. فعين النواب نائب السلطنة على رأسهم مرة أخرى القائد أمير خان القاجاري ومعه جمع بوادق خان وجند القائد إبراهيم بك وجعفر قُلي خان [حاكم] مراغة والجيش الجرار من المشاة والفرسان. وتجمعت جماعة بلباس بالقرب من جرميان التي كانت مكان مخيمهم وتجمعهم وبالقرب من شهر زور والسليمانية، واصطفوا للقتال والمواجهة مع الجيش المنصور، فأحكم القائد وقادة الجيش قدم الجلادة والشجاعة. ولأنهم قد تحملوا الهجمات السريعة، فقد صارت رءوس بلباس كالكرة تضربها عصي قوائم الخيل في ميدان التدحرج ، وقد سالت الدماء في جداول من أسنة السيوف والرماح المدمرة للعدو. وفي النهاية، لم يتحملوا حرارة ضربات الأبطال الشجعان، فنفضوا أيديهم وفروا هاربين، ومد الجيش المظفر أيديه في جبال جرميان، التي هي نهاية مكان استقرار أولئك المضللين، بالإغارة والنهب والقتل والأسر، فصار قدر من الأغنام والأبقار وأنواع الأثواب والبضائع الغالية الثمن من الذهب والفضة من نصيب مجاهدي لواء الظفر ، وقد اعترف المحاسبون بعجزهم وقصورهم عن إحصائها وتعدادها أيضًا [ص ٣٢٤] وأعطوا لأولئك المضللين عقابًا قاسيًا إلى درجة أنهم لن يخطر ببالهم خيال المفسدة بعد هذا لسنوات، وسوف يطوون رأسهم في جيب الخمول ويستريحون في منازلهم .

١٦٣- وقائع سنة ألف ومائتين واثنتين وثلاثين والمطابقة لسنة البقرة التركية[1]: في بيان عودة ميرزا أبي الحسن خان ومجيء ألكسندر يرملوف سفير دولة روسيا بهدف إتمام السلام فيما بين دولتي إيران وروسيا وذهابه إلى دار الخلافة طهران وعودته :

مرة أخرى وبسبب تأثير الربيع الجديد تجدد شباب الدنيا العجوز، وزينت أذن وأعناق سيقان أشجار البلاط السليماني والمجلس العالي بسبب تفتح الأوراق، كما انتفض غبار الهم والغم عن أطراف عقل الشيخ والشاب .

(١) أودئيل : سنة البقرة وهي السنة الثانية في التقويم التركي الشرقي . (انظر المعجم الفارسي الكبير ، إبراهيم الدسوقي شتا ، جـ ١ ، ص ١٩٩)

وبعد انقضاء حفل النوروز السلطاني، توجه الحضرة العلية الخاقانية لأداء مهام وواجبات المُلك والأمة، فأضاءت الراية البيضاء ساحة مرج سلطانية المنيرة وفى المنزل المذكور، وصل إلى مقربى مجلس الحضور بأن ميرزا أبى الحسن خان قد حصل على الإذن بالانصراف من إمبراطور الروس، وأنه قد جعل ألكسندر يرملوف قائد جند روسيا وصاحب الأمر فى الكرجستان وكلفه من خلفه بسفارة إيران.

وكيفية هذا التقرير هو أن يرملوف السفير الروسي قد قدم إلى الكرجستان ومعه رسالة الصداقة والتحف والهدايا وتوقف هناك لمدة شهرين، وعندما وجد الأجواء معتدلة توجه من الكرجستان عازمًا تبريز. وعين النواب نائب السلطنة لاستضافته عسكر خان الأفشارى الذى كان سفيرًا فى دولة فرنسا قبل هذا وهو رجل مطلع وخبير. وعند قدومه إلى تبريز كان بعض من الأمراء وحكام مملكة أذربيجان حاضرين فى الركاب الفائز بالظفر فحضروا لاستقبال السفير. وكان في استقباله جماعة الفرسان والمشاة والمدفعيون العسكريون وأفواج الجند والمجاهدون من قرية سهلان وحتى باب دار الدولة. وقد أوقف ولي العهد خمسة عشر ألف جندى وخمسة وعشرين ألف فارس وعشرين ألفًا من المجاهدين [ص ٣٢٥] ومجموع أربعين ألف شخص من المشاة وأربعين عربة مدفع، ونظمها ورتبها بهدوء، وكان حاضرًا فى العرض ما يقرب من أربعين ألف شخص من أهالي تبريز وغربائها ومن الحرفيين وغيرهم، وعند قدوم السفير، كان الناظرون وجميع هؤلاء القوم والحرفيون والخلائق قد رتبوا واصطفوا بحيث إنه لم تظهر منهم أية حركة أو رعشة ولا صوت ظاهر وكأنهم كانوا جميعًا نقشًا على الجدران ، وقد أعطوا آذانهم للأمر، وأدخلوا السفير إلى منزله باحترام كامل .

وفى غد ذلك اليوم أدرك شرف حضور النواب نائب السلطنة اللامع النور، ولما دار حديث الصلح والسلام على الألسنة، ولم يكنْ لحضرته ميل يذكر للسلام، فلم يحصل السفير المذكور على المحبة والترحيب الكامل ، ولم يحدث الانشراح والسرور الذى كان فى منظوره. وبعد عدة أيام من التوقف، توجه من تبريز إلى دار الخلافة طهران. وقد مل من القائم مقام صدر الدولة بسبب بعض المحادثات التى لم تكنْ مفيدة للسفير. وفى تلك الأوقات كان المعسكر الهمايونى المبارك منيرًا لساحة مرج سلطانية فقدم السفير إلى معسكر قبلة العالم وأدرك شرف حضور الهمايون، وكان قد أرسل الهدايا النادرة

والتحف التى من بينها سلسلة فيل صنعت من الذهب باليد الماهرة لصانغى سامرى الصنعة الروسية ، وكانوا قد زينوها بالأشكال البديعة، وحوض بلورى (زجاجى) وفى مقابلة مرآتين (كأسين) مصور للعالم وبطول ذراعين ونصف مع سائر التحف والهدايا. وكان قد أرسل التحف والهدايا لكل واحد من أركان الدولة ومقربى الحضرة الصدر الأعظم والقائم المقام واعتماد الدولة والوزير ، وقد مرت التحف والهدايا على النظر المبارك ومعها رسالة الصداقة من إمبراطور الروس والتي كانت تتمنى الصلح والسلام بحيث يُغمد سيف الخلاف في غمده بين الطرفين وتُكمم يد الحقد فى مقبرته. ولهذا، أصدر الحضرة العلية الخاقانية ونائب السلطنة والخلافة الأمر بأنه نظرًا لرغبة إمبراطور الروس وتمنيات السفير المذكور، فُتغمد السيوف فى جرابها وتُخمد الفتنة فى مهدها وبألا تدوى بنادق الموت فى وجه الجنود والقواد من الطرفين [ص ٣٢٦] ، وبألا تثور من الداخل غضبًا المدافع المدمرة للصخور بأيدى النيران المحرقة للعالم ، وبألا تغلى فتيلة النيران المشتعلة المحرقة لعمر الأبطال. والخلاصة أن مسئولى الدولة الخالدة، قرنوا مطلبه بالنجاح، ورجع سعيدًا ومقضيًا المرام .

وفي أثناء هذه الأحوال، مرض أحمد خان شيخ أذربيجان وأمير أمرائها وهو من غلمان هذا البلاط منذ زمن ومن حاملى أسرار قصر سماء العظمة، ورحل عن الدنيا الفانية. فاغتم خاطر النواب ولى العهد وعقله الكبير من تلك الواقعة المؤلمة للنفس ، ومال إلى أولاده وأحفاده والمنسوبين إليه، فأمر الفقهاء والمجتهدين أن يقسموا أمواله على الورثة من الإناث والذكور، وقسم أموالهم بينهم حسب الشريعة النبوية. فأعطى مناطق "ديزجرود" إلى ابنه الأكبر حسن آغا الذى انفصل لفترة عن أبيه فى حياته ، وكان مقيمًا في دار السلطنة تبريز وفى شمس الرأفة اختار الراحة فى خدمة نائب السلطنة، وأرجع إليه بعض الخدمات الديوانية في تبريز. كما فوض حكومة مراغه إلى ابنه الآخر "نور الله خان"، وأبقى ثانية منصب قيادة جند مراغه وتوابعها وكما كان لجعفر قُلى خان الذى كان قد أظهر آثار الشجاعة وقدم الثبات فى معارك الروس وبلباس؛ وعلاوة على هذا، جعل منطقة دهخوارقان ضمن المنصب المذكور وجعله – وكما كان – موضع إنعامه ورعايته ومفتخرًا بين أمثاله وأقرانه ومرفوع الرأس بين الجميع .

١٦٤- وقائع العام المبارك سنة ألف ومائتين وثلاث وثلاثين المطابقة لسنة النمر التركية[١] وتحرك الرايات السلطانية المتألقة كالشمس بغرض تنظيم أمور خراسان، وهزيمة فتح خان الأفغاني واضطراب ممالك قندهار وهراة وهروب رحيم خان وكف بصر فتح خان على يد كامران ميرزا :

تحولت شمس العالم المضيئة إلى منزل الحمل، فتبدل العالم إلى السعادة [ص ٣٢٧] وغردت طيور الماء والزرازير على الأغصان الأرجوانية وتزين شاهد الورد في ساحة المرج. وبدأ ملك الملوك سليمان الحكمة الجالس على عرش ملك العالم في نثر الذهب وفتح أبواب الإحسان والإنعام ثانيةً على وجه العالمين .

ولما انقضى حفل النوروز، واختلت أمور إقليم خراسان، فقد عين سلالة الأطياب معتمد الدولة ميرزا عبد الوهاب على تلك المناطق بحيث يقوم في خدمة الأمير حسن على ميرزا باستمالة حكام خراسان. ولم يكنْ محمد خان بن إسحاق خان تربتي متخوفًا إلى حد أنه يميل إلى التضحية بروحه وتقديم الطاعة عن طريق الرسل والرسائل، وكان قد ضرب يد التوسل بذيل دولة الأفغان من أجل رفع هذه الأحوال، ومن ناحية حرك الحكام الآخرون رحيم خان والى "أركنج"[٢] وأحضره إلى حدود التجن[٣].

والخلاصة، طلب فتحخان الأفغاني، الذى كان وزيرًا لمحمود شاه، ودون أن يُظهر له المصلحة والمشورة، الجند والجيش من جميع طوائف الأفغان وأرض الله من ولاية كشمير وبيشاور وكابُل وقندهار، فاجتمع لديه ثلاثون ألف جندى، واستطاع على هذا القياس جمع سائر تجهيزاته وعتاده، وقدم إلى مقربة من هراة ومعه أثاث السلطنة

(١) بارس نيل : سنة النمر وهى السنة الثلاثين من الدورة الثانية عشرة من تاريخ الأتراك. (انظر لغت نامه على أكبر دهخدا ، جلد جهارم ، ص ٤٦٤٦)
(٢) إركنج . اسم مدينة فى خراسان (انظر: المعجم الفارسى الكبير : إبراهيم الدسوقي شتا ، ج ١، ص ٦٠)
(٣) التجن : اسم نهر ينبع من أفغانستان ويمر بإيران . (انظر: المرجع السابق ص ٧٠٢)

ولوازمها بغرض الحرب والقتال. وفتحت راية العُقاب الخاقانية أجنحتها تجاه ولاية خراسان بهدف قنص العدو وطرح الخصم أرضًا، ورشح فى المقدمة الأمير حسن على ميرزا مع جيش أبواب جمعه لطرد فتح خان. فاصطف الأمير للقتال بالقرب من هراة. ووضع فتح خان الأفغانى أيضًا مع الأبطال الأفغان أقدامهم فى ميدان الشجاعة، وبدأ السيف المغرور من مبارزى كلى الطرفين فى التبختر، ووضعت الحراب الشبيهة بالأفاعى الكثيرة والوقحة أساس قبض الأرواح وتقدمت وسط الحرب السلطانية. وكان الأمير حسن على ميرزا يسعى فى ميدان المعركة ليخوض تجربته المباشرة فى الحرب. وفى النهاية، هب نسيم الفتح والظفر على راية الأمير المظفر، فانقلبت راية جيش الأفغان، واختار جيش الضلالة، الذى كان بعدد النمل والثعابين، [ص ٣٢٨] مع فتح خان وشيردل خان وإخوته الفرار على البقاء. ووقع فى الأسر عشرة آلاف أو اثنا عشر ألفًا من تلك الجماعة ، ولم يوقف الفارون من ذلك القوم عنان خيولهم إلى قلعة هراة. وقد وقع ميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة، الذى كان حاضرًا فى معركة القتال ، على خلاف العادة، أسيرًا فى يد الأفغان. وبعد وصول بشرى النصر، تزين موكب الهمايون كسرى العادل من مرج ميدان النهضة بغرض تأديب ومعاقبة رحيم خان والى "أركنج" الذى كان قد أقدم بقدم الجسارة حتى حدود التجن بسبب عدم تعقله وطلبه للفتنة. وفى البداية كلف [فتحعليشاه]الأمير محمد تقى ميرزا ومعه الجيش المحطم للعدو ليكون فى مقدمة موكب بحر الصخب من طريق كالبوش وأخذت رايات النصر فى التحرك على التعاقب من طريق جاجرم وأسفراين. وبعد الوصول إلى حدود بام، التى كانت معبرًا للمعسكر المنتهى بالنصر، وكانت مأمنًا ومقامًا لسعادت قُلى خان والقواد البغايريين، استولى جنود الجيش على أطراف قلعة بام، وأطلق المدفعيون أيضًا النيران بالمدافع الثعبانية على قلعة الملوك، وفى خلال ساعتين، سووا برج قلعة بام بتراب الطريق، وجعلوا فتنة يوم المحشر عيانًا. وطلب أهالى القلعة الأمان، وحرض سعادت قُلى خان الأخ والابن والعلماء والسادات للتشفع بكلام الله، وسحبوا أنفسهم إلى ملجأ إصطبل الديوان السلطانى، وألقى سعادت خان بنفسه أيضًا سيف العجز والاستكانة على رقبته، وتوجه ملتجئًا إلى بلاط سماء العظمة بوساطة محمد قاسم خان صهره، فأصبح

مشمولاً بعفو العناية الملكية من المراحم الكسروية اللامحدودة، وكان يقوم مع أولاده وأحفاده بتقديم لوازم التضحية والفدائية فى الموكب المطرز بالظفر.

وفي خلال هذه الأحوال، عُرض على مقربي بلاط الجلال بأن رحيم خان قد ألقى بنفسه إلى حدود "دره كز" بعد وصول الأمير محمد تقى ميرزا من ذلك الإقليم، وأقام بناء الخراب والفساد فى تلك المناطق. ولما كان المنظور من هذه الركضة الميمونة هو تدمير وتأديب ذلك الشقى المشئوم [ص ٣٢٩] فقد هجم الحضرة العلية الخاقانية ومعه خيرة الجيش الجرار. وعلى بعد ثمانية فراسخ من "دره كز" اتضح أن رحيم خان لم يَرَ فى نفسه التحمل والثبات بسبب علمه بالهزائم البطولية، فترك أساس ملكه وأحماله مع عدة عربات من المدفعية، وفر عن طريق الصحراء القاحلة، وهلك أكثر مرافقيه بسبب العطش وحرارة الشمس. وأغارت جماعة تكه وفوج من العساكر المنصورة، الذين كانوا مكلفين بمعاونتهم، على أثاث ملكه وأحماله .

ولما كان نجفقلى خان شادلو قد انزعج بسبب أعماله السابقة وتحصن فى قلعته، فقد استولى بنشاط فعال الأمير محمد تقي ميرزا مع جيشه المظفر على أطراف القلعة، وقام بإجراءات القتل والإغارة. وقد رأى نجفُقلى خان الساحة ضيقة على نفسه، فدخل من باب اليأس، وطلب العفو عن تقصيراته بوساطة الأمير محمد تقى ميرزا، وقد صار ملتمس الأمير مقرونا بالإجابة، وسلم ابنه آغا خان وأخويه محراب بك وشرف خان بك وعشرين شخصاً من أعيان ورؤساء طائفة شادلو وشيوخها كرهائن ، وقد صار متقبلاً الطاعة والخدمة وكل أنواع الأعمال الديوانية.

وقد أقدم الأمير حسنعلى ميرزا، الذى كان مكلفًا، بعد هزيمة فتح خان، بتأديب محمد خان قرائى وبانتظام ولاية حيدرية، على التوجه مع العساكر المحطمة للعدو إلى تلك المناطق، فأقدم أولاً على تسوية قلعة "بوريا آباد"، التى كانت حصنًا حصينًا وقلعة متينة بالأرض، بضربات المدفعية المدمرة للقلاع، وأخضع الجيش عاقبة الظفر بُرج (قلعة) "بوريا"، ودمر المتحصنين فى ذلك المكان. وبعد ذلك، قام بإخضاع قلعة تربت حيدرية، ورأى محمد خان قرائى نفسه أسيراً فى ورطة الهلاك، فألقى سيف الضراعة على عنقه، وحضر مع إخوته وأتباعه إلى موكب الأمير، وطلبوا الأمان، فشملت أحواله

المراحم الملكية اللامحدودة وصدر له الأمر بالعفو الشامل. وفي مجرى هذه الأوضاع، قدم جاغلان خان رئيس رجال الدين عند الملك محمود الأفغاني [ص ٣٣٠] إلى خدمة الأمير حسن على ميرزا طالبًا عذر تجرأ وإقدام فتح خان ومتمنيًا المصالحة والسلام من قبل مسئولي الشوكة والعظمة الأبدية، وأراد الحضور إلى معسكر الهمايون. فعرض الأمير خبر مقدمه، وأمر الحضرة العلية السلطانية بألا يعطوا للمشار إليه الإذن بالمثول إليه في معسكر قُبله العالم وبأن يُعلن الأمير إلى عمال الملك محمود بأنه إذا أتى فتح خان مقيداً ومغلولاً إلى بلاط العدالة جزاءً لجرأته وجسارته التي مارسها، فإننا سوف نفتح ثانية أبواب الرحمة ، وكما كانت في وجه آمالهم، وإن لم يكنْ، فسنكون مستعدين إن شاء الله الرحمن من أجل فتح قندهار وكابُل، وتكون الجنود الجرارة مستعدة للمعركة. وقد قدم إلى الهمايون بقدم الطاعة والدخول في خدمته جمع من بينهم ملبوس خان الأخ الأكبر لسيد محمد حاكم "محلات" ، ومعه زعماء وعظماء آل جلائر وشيوخ طوائف تكه وسابور وساروق وأهالي ولاية سرخس ومهين ودرون وأبيورد ونسا، وقد دخلوا موضع العنايات الملكية والإنعامات والاستقبالات الكسروية. وقد صار مدخراً للشرف ومشمولاً بالمراحم اللامحصورة بدرخان أخا بنيادخان الهزاري أيضًا ومعه أعيان طائفة "هزارة" وشيوخها . وفي هذه الركضة الميمونة، اقترنت جميع أمور ومهام خراسان وثغورها وأقاليمها الحدودية بالنظام، وحصل جميع الأمراء والعمال والحكام على الإنعامات والاستقبالات الملكية .

وفي الثامن من شهر شوال، توجه الموكب المطرز بالنصر إلى مشهد المقدسة العلية بغرض زيارة وتقبيل العتبة العلية لعرش مقام الروضة الرضية الرضوية. وبعد الحصول على الزيارة عاد إلى دار الخلافة [طهران] وقد سار بنياد خان الهزاري إلى معتمد الدولة ميرزا عبد الوهاب ومعه أعيان ورؤساء هزارة للدخول في خدمة الأمير حسن على ميرزا، وتوسل للأمير بجرائمه وطلب العفو عن إعراضه السابق وهو في كامل الندم ، وتعهد بالخدمة والطاعة وطلب الإحسان الملكي عليه. وانتقل معتمد الدولة من خراسان [ص ٣٣١] إلى دار الخلافة طهران.

وبعد هذه الأحوال، أسرع الأمير محمود إلى قندهار، وقدم كامران ميرزا إلى هراة، وسجن الوزير فتح خان وأخاه شيردل خان، وفقأ أعين فتح خان المبصرة للعالم

بكزلك القهر، وفر شيردل خان من مدينة هراة، وتوجه إلى قلعة "ناد على" وهناك جمع أتباعه وعماله من طائفتى الباركزائيه والغلجائية، على نية أنه أينما خرج كامران ميرزا من هراة يقطعوا عليه الطريق ويقبضوا عليه ويطلقوا سراح إخوته فتح خان الأعمى وشيردلى خان[1] وبسبب سماع كامران ميرزا لهذا الخبر، فقد وضع بناء الصلح والوفاق مع شيردل خان، وسمح لبردل خان بالوصول إلى قندهار.

ومن واقع العريضة التى كان قد أرسلها شيردل خان إلى بلاط صاحب العظمة، فقد نظر في أصل هذا الموضوع على أنه عندما يصل خبر إعماء فتح خان إلى أطراف ممالك قندهار وكابل وكشمير، فإن إخوته الذين كانوا أصحاب حكم واستقلال فى كل مكان، قد تمردوا بسبب هذا العمل ولوى كل واحد رأسه بالعصيان والفساد بحجة أن الأمير من أولاد تيمور شاه وغيرهم. وأجلس محمد عظيم خان والى كشمير لدوست محمد خان ويار محمد خان إخوة فتح خان الأمير أيوب على العرش فى بيشاور، واستولوا على بيشاور وأرضه وتحاربوا مع الأمير محمود وهزموه واستولوا على كوهات ويوسف زائى حتى "جلال آباد". وفى المرة الثانية، أرسل محمد عظيم خان الوالى عبد الجبار خان أخا فتح خان بجمع كبير ونفقات كثيرة من كشمير إلى بيشاور من أجل أن يقوم فى صحبة محمد زمان خان بإخضاع كابل وأيضًا أرسل محمد عظيم خان وإخوة فتح خان أخيه محمد زمان خان وأحضر الملك شجاع الملك شاه الذى كان وسط الفرنجة، وتقابل مع سمندرخان حاكم دره وهزمه، وهرب الأميران المدعوان محمد هاشم وسلطان أسد من أمام الملك محمود [ص ٣٣٢] وذهبا إلى شيردل خان وإخوته، وذهب بردل خان مع جمع فى ركاب محمد هاشم إلى ناحية بلوشستان من أجل جمع الضرائب الديوانية من ذلك المكان، وانعقد جمع شجاع الملك ومحمد زمان خان والأمير محمد هاشم وبردل خان في بلوشستان، واستعدوا وتجهزوا بالجيش المزين، ومن كابل أيضًا [تجمع] عبد الجبار خان ودوست محمد خان والإخوة فى ركاب الملك أيوب، وجزم شيردل خان أيضًا مع سلطان أسد وجمعوا جميعًا عزمهم

(١) بردل خان : لأن شيردل خان هو الذى جمع أتباعه ، وكما ذكر المؤلف وخرج للقبض على كامران ميرزا وأطلق سراح أخويه فتح خان وبردل خان .

على أن يذهبوا إلى قندهار فى أول النوروز وينتقموا من الأميرين محمود وكامران. وكان شيردل خان قد رسم فى عريضته ألا يبقى تحت سيطرة محمود غير هراة ونصف قندهار ، ويكون نصف قندهار مع طوائف وقبائل غليجائى و مهمند و يوسف زائى ونصف درانى تحت سيطرة شيردل خان. ويكون لمير أفضل خان إسحاق زايى الحرية فى أن يطيع ويخدم أولاد تيمورشاه وقد شجعوه وحرضوه وجعلوا رأيه منحرفًا (متطرفًا) وتوجه إلى بلوشستان مع بُردل خان.

والخلاصة، أن الفتنة العظيمة تقوم فى هذه المناطق والحدود حتى يظهر ما يحدث من وراء ستارة الغيب فوقوع كل هذه الأمور هو من قوة الطالع السلطانى .

ومن جملة الوقائع المزيدة للحزن فى نهاية هذا العام والتى وقعت قبل ثلاثة أيام من العيد السعيد وهى وفاة محمد حسين خان القاجارى المروى: وهو من أكابر أمراء بلاط زحل، وصاحب فضل وإدراك ومعروف بطلاقة اللسان ومشهور بفصاحة البيان، وأديب كامل، وأمير حسن العقيدة، وصاحب قلب نظيف، ورجل هادئ ، وفصيح كامل الوزن والمقدار، وهو دائمًا الرائى لرأى ملك الملوك الموفق فى خلواته وجهراته، وهو موضع مخاطبات ومحادثات جمشيد العادل. وقد أنشأ قبل وفاته بقليل المدرسة فى نفس [دار] الخلافة طهران، وكان يمارس بشأنها غاية الذوق والنظافة والبهاء، وكان يختار لها المدرسين الأفاضل، وقد وضع الرواتب [ص ٣٢٣] ومقررات الطلاب من دخوله وأمواله الخاصة. وكان يُزين حجرات المدرسة بوجود الطلاب الأذكياء والمجدين والساعين ، وكان بعد عودته من حضور فيض الخازن السلطانى، يغير ملابسه، ويستقر فى حجرة من حجرات ذلك المكان، التى كانت مخصوصة له، بالمحاسن البيضاء والحظ السعيد، وكان ينشغل بالعبادة والمذاكرة والقراءة ومحادثة العلماء والأمراء والمعارف والعظام والأعيان، وكان له غاية العزة والاعتبار فى خدمة السلطان الموفق والأمراء العظام. وكان يعيش معززًا ومكرمًا ، وكان الشاه والأمراء فى بعض الأوقات يجعلون منزله موضع حسد قصر الجنة الخالدة بيمن قدومهم السعيد. وكان هكذا حتى رحل عن متاع الدنيا بمرض القولون الذى كان قد طرأ على مزاجه، وترك الدنيا على من فيها، وقد عاش سعيداً ومات حميداً . وبعد وقوع حادثة وفاته، تغير العقل السلطانى السليم بسبب أنه كان الخادم المحظى بالرعاية وقدره معروف، وقد حزن جميع الأمراء.

فبدلاً منه ينبغي أن يربى الفلك المنحنى الظهر لفترات مثل هذا الأمير صاحب الفضل والقدرة .

والخلاصة، أن مدبرى أمر البلاط السلطاني وطبقًا لفرمان الحضرة الخاقانية قد نقلوا نعشه باستعدادات وتجهيزات لائقة وبعثوه إلى النجف الأشرف .

١٦٥- بيان وقائع العام المبارك سنة ألف ومائتين وأربع وثلاثين هجرية، ووفاة الصدر الأعظم ميرزا محمد شفيع :

لقد ازدادت الدنيا رونقًا آخر من حسن قدوم موكب الربيع، وقد عزفت طيور الماء والزرازير موسيقاها على الأغصان وترنمت بأنغامها، فأصبحت الدنيا شابة وصارت روضة الأرض محسودة من روضة زهور السماء بسبب طراوة [رياح] فروردين[١].

وبعد انقضاء حفل النوروز، توجه النواب الحضرة العلية السلطانية إلى أداء واجبات ومهمام المُلك والأمة، وفتح اليد الشبيهة بالبحر ناثرة الجوهر. وفى أثناء الرحيل من دار الخلافة طهران إلى مرج سلطانية، طرأ على الصدر الأعظم ميرزا محمد شفيع مرض، فلم يجد القدرة علي مرافقة معسكر زحل العظمة [ص ٣٢٤] وبموجب فرمان القضاء النافذ، تخلف عن الركاب الشبيه بنجم الجوزاء، ونُقل وحُول إلى دار السلطنة قزوين، عسى أن يجد صحته فى ذلك الإقليم بمداواة الأطباء المهرة الحاذقين له، فيسرع إلى خدمة سماء المنزلة.

وبعد الوصول إلى قزوين، اشتد مرضه يومًا بعد يوم، وتوجه إلى عالم النهاية، وكان عمره يزيد عن السبعين عامًا، وهو من أعاظم مقربى حضرة فلك المنزلة، ومنذ بداية دولة الخاقان المغفور له وهو من غلمان الدولة الثقاة ومشهور بالوزير الغيور والصدر الفطن وبالخبرة والإدارة فى عتبة سماء القدرة ، وقد طوى مراحل الشباب

(١) فروردين : اسم ريح تهب من الغرب فى شهر فروردين وهو الشهر الأول من السنة الشمسية من ٢١ مارس إلى ٣٠ أبريل . (انظر المعجم الفارسي الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٠٢٠)

لسنوات بجلائل الأمور والخدمات السلطانية ، وقد ابيض شعره فى الطاعة والفدائية. وقد أُرسل نعشه أيضًا في كامل الإعزاز والاحترام ومعه القراء والحفاظ والأمناء المشرفين إلى النجف الأشرف. وبعد فترة، فوض بالصدارة العظمى إلى الحاج محمد حسين خان الأصفهانى، وقد أزاد هذا المنصب، الذى هو عمدة المناصب ، وكان يعتبره أساس افتخاره واعتباره على مناصبه الأخرى .

١٦٦- بيان حفل عُرس النواب الأمير الأعظم الأفخم محمد ميرزا :

كان يقتضى عزم النواب نائب السلطنة العالى النهمة بأن يخطب للنواب الأمير الأعظم درة من دُرر السلطنة وجوهرة قيمة من مخزن المُلك والعظمة. وقد اعتبر الحضرة العلية السلطانية درة صدف الإمارة المقبولة وعظمة المهد العالي ومصونة حرم المجد والجلالة الصبية المرضية لفخر الأمراء الكبار محمد قاسم خان القاجارى، التى كانت قد وُلِدت أيضًا من جواهر بحر السلطنة مناسبة له ، وأعطى الإذن بالحفل والفرح. وبناء على هذا، أرسل النواب نائب السلطنة الابن المحبوب ومعه التجهيزات اللائقة والأشخاص الأذكياء والقائد حسين خان الحاكم العسكرى لإيروان إلى دار الخلافة طهران. وقد وُضع حفل العرس طبقًا للرغبة فى ذلك الإقليم فى ظل السلطنة ، وظل رأفة الخاقان صاحب عرش جمشيد ودعوا الصغير والكبير والأمير والوزير إلى حفل الفرح والسرور [ص ٣٢٥] وقد زينوا مجالس الطرب ومهرجانات الفرح كوجه الحور. وبعد اتصال القمر بالشمس، مرت الهدايا من الأمراء والوزراء أمام الحضور الخاقاني، وقد تحلت وتزينت رءوس وصدور كل واحد من العمال والخدم بخلاع الشمس المُشعة. وبعد عدة شهور من الإقامة، سُمح للأمير بالانصراف من البلاط السلطاني وقصد دار السلطنة تبريز مع حرمه المحترمة وجمع من خواص وجوارى حرمه. وفى ذلك الإقليم (تبريز) أقاموا أيضًا مراسم الزينة والأنوار والاحتفال بالفرح والسرور واللهو . شعر[ترجمته]

ما دامت الدنيا عامرة فكلها عامرة بسعادة الملك

فحضرته مأمن الأحرار وقلب العارف العامر

يوجه جيشه لتدمير العدو

والمدد من اللطف الإلهي ورجال الله العامرين

الظفر والنصر والإقبال والإلوهية والجاه

فأينما توجهت راية الملك يصحبها العمار

١٦٧- بيان وقائع العام المبارك سنة ألف ومائتين وخمس وثلاثين هجرية :

مرة أخرى، تجددت سعادة العالم على عادة ما سبق، وزينت المشاطة وجه شاهد الورد باللون الأحمر وارتفع صوت البلبل عاليًا فى حرم المرج وجلس الشاهنشاه (ملك الملوك) الأعظم ملك ملوك العالم على قمة عرش جمشيد من أجل الاحتفال النوروزى، وزين مرة أخرى مدبرو أمر بلاط صاحب السماء مجلس ومهرجان العيد، وبدأت أيدى يمين بحر اليسار السلطانى فى نثر الذهب بالتوفيق. ولما انقضى مهرجان العيد، توجه السلطان الموفق لأداء واجبات المملكة ومهامها. وكانت الخلائق مستريحة فى مهد الأمن والأمان. وفى هذا العام، فإن الشىء اللائق فى سياق التاريخ، لم يظهر من وراء ستار الخفاء إلى مسرح الظهور، إلا أن جماعة الروس قد بدءوا سوء التصرف فى الولايات الخاضعة لهم مع سرخاى خان اللكزى ومصطفى خان الشيروانى ومهديخان القراباغى. وقد قدم هؤلاء من وطنهم المألوف المشتعل بالنيران وقدموا بوجه الأمل إلى بلاط صاحب الرأفة نائب السلطنة. وقد صاروا موضع الإنعام والرعاية من ملك الملوك ملجأ العالم وحضرة نائب السلطنة. ورَحَّل كبير الروس جماعة [ص ٣٣٦] شيروانى من "جبل فت" وأسكنهم فى المدينة القديمة "شماخى" ووضعوا أساس عمرانها. وفى نهاية هذا العام، شُرد قاسم أغا حيدرانلو بالقرب من جالديران وقرى خوى مع جمع طائفته الذى لانهاية له، وذهب إلى [بلاد] الروم. وفى مملكة الروم [الدولة العثمانية]

وضع منشأ الفساد والفتنة، فزاد من سوء سلوك الباشوات وصار باعثًا على الخراب والقتال بين دولتى إيران والروم، وتفصيل ذلك سيحرره ويدونه قلم التأليف إن شاء الله تعالى.

١٦٨- بيان وقائع سنة الفيل المطابقة لسنة ألف ومائتين وست وثلاثين هجرية ، وتوجه الرايات السلطانية المباركة إلى ناحية خراسان وإطاعة جميع حكامها :

لقد جعل سلطان الربيع مرة أخرى العالم أجمل وأطيب من عهد الشباب، ورفع أشجار السرو والصنوبر متبخترة وزاهية بلباسها الأخضر ذى القوام الآسر للقلوب. فجلس ملك الملوك ملجأ العالم على العرش المرصع من أجل مهرجان النوروز المنتصر. وبسبب أشعة التاج الوهاج تحطمت عظمة تاج سلطان النجوم (الشمس)، وفتح يد الجود والإحسان، وسد أبواب الفتنة فى وجه الخلائق. وبعد انقضاء المهرجان النوروزى بسعادة وانتصار، نهضت همة الهمايون لأداء شئون المملكة وتنظيم أمور الدين والدولة. ولأنه منذ عدة سنوات كانت أمور ممالك خراسان مختلة، فقد حلقت عنقاء راية الهمايون باتجاه تلك المملكة. ووضع حكام تلك الحدود على كفوفهم نقد إرادتهم وأرواحهم المهدرة، وأتوا أمام الحضرة بالعجز والحاجة، وابتعد عصاة ذلك الإقليم بحثًا عن الحجج والأعذار غير المقبولة. وكانوا قد بسطوا بساط الصداقة والخدمة والطاعة. وبسبب انتشار أخبار النوايا التى لها أثر البرق وبالاستماع لتحرك الرايات التى شعارها النصر، ندموا على أفعالهم وأعمالهم السابقة، وبسبب رعبهم وخوفهم تمسكوا بذيل العفو والإغماض الكسروى. وبعد وصول الموكب المزين بنجوم العظمة إلى مرج "نمكه"، توجه رضا قُلى خان الإيلخانى حاكم خبوشان وبيكلرخان حاكم دره جز ونجفقلى خان شادلو وأبناؤهم وإخوتهم كرهينة ومعهم أعيان ولايات أبواب جمعهم [ص ٣٢٧] والهدايا اللائقة إلى بلاط ملجأ العالم. وفى المرج المذكور، سُمح لهم بالارتماء فى الركاب المنصور وتقبيل تراب حضور صاحب الشوكة والعظمة. وعندما صار موكب

سلطان الآفاق الملازم للنصر زينة ساحة المرج ذى المصيف اللطيف، أدرك أولاد الحكام من الأعراب وقرائى وغيرهم وهم أمير علينقى خان حاكم تون وطبس وأمير على خان حاكم قاين ومحمد خان حاكم "تربت حيدرية"، شرف تقبيل عتبة السماء، والتزموا الركاب والتوقف فى دار الخلافة طهران، وأرسلوا رحلهم وأطفالهم إلى الأرض المقدسة، وقد وصلت فيوض الطاعة من القائمين بأمور ذلك المكان إلى نظر أولياء الدولة القاهرة، كما صار الجميع متقبلين كل أنواع الخدمة ومتكفلين بالعبودية والطاعة من وجه الضراعة.

١٦٩- تكليف الأمير حسن على ميرزا بتأديب بنيادخان وهزيمة جيش هزاره بركضة المجاهدين المظفرين

عندما انخدع بنيادخان الهزارى بإعانة والى "ميمنة" و "بالامرغاب" وبإغواء ومساعدة جماعة هزاره وطوائف منطقة هراة، فتل إنشوطة التمرد والفتنة وشحذ سيف الغرور بهوس الغلبة على الجيش المنصور، وأشعل شرارة النيران بمساعدة خمسة أو ستة آلاف أسرة من هزاره، وبالقرب من باخرز وشهرنو رفع راية الفساد والتكبر. وعلى التصور بأن العساكر المنصورة لم تلحقْ بالأمير حسن على ميرزا بعد، فينتهز فرصة فى هذه الأثناء ويخطف كرة النصر. ومع أن أكثر غلمان الولايات البعيدة عن خراسان، الذين كانوا مكلفين بالأقاليم الأخرى، لم يلحقوا بالركاب، فقد كُلف الأمير بفرمان الخديو العادل الهمة لصد بنيادخان بنفس تلك الأربعة أو الخمسة آلاف من الفرسان والمشاة، الذين تجمعوا من مشهد المقدسة وقرى تلك المنطقة. وأعد بنيادخان بغرور واستكبار صفوف القتال مع الأمير الحر فى مرج باخرز وحدثت بينهما معركة شديدة. وبعد صراع وقتال، وقعت الهزيمة على بنيادخان [ص ٢٣٨] وقتل جمع كبير وأسر جمع غفير، وسلك بقية السيف الأحياء وادى الفرار والإدبار، فأصبحت الغنائم والمكاسب العديدة من نصيب المجاهدين الخراسانيين المظفرين. ودخلت قلاع أطراف باخرز، التى كانت تحت سيطرة بنيادخان، تحت سيطرة الدولة الخالدة الأساس. وقدم أعيان هزاره الذين كانت لهم المكانة والمنزلة فى تلك المناطق إلى خدمة الأمير بوجه

العبودية والابتهال للدولة الخالدة، وتعهدوا بالطاعة. وأوكل الأمير أعيان هزاره إلى إبراهيم خان أمير أمراء هزاره، الذى كان منسلكًا فى سلك الخدام والعمال. وخمدت فتنة بنيادخان فى تلك المناطق .

١٧٠- تكليف الأمير محمد قُلى ميرزا بتأديب تركمان تكه واستئصال تلك الجماعة بتحرك الراية معجزة النصر

فى تلك الأوقات، تجرأ أتراك تكه بالتطاول والإغارة وهى عادتهم، بإغواء وتحريض رُحيم خان والى خوارزم لهم، وكانوا قد أنزلوا ضررًا وخسارةً بأهالى جرين وسبزوار. ومع أن على مراد خان القليجى حاكم جرين كان قد قطع الطريق على تلك الجماعة أثناء عودتهم، واسترد الأسرى والأموال المنهوبة منهم، وكان قد قتل ما يقرب من أربعين شخصًا أيضًا من تلك الجماعة المحرضة على الفتنة كما أسر ما يقرب من مائة شخص حى، وأرسل رءوس القتلى مع الأسرى إلى بلاط سماء العظمة. ولكن مثل هذه الجسارة كانت تستلزم التأديب الكامل. فكلف ملك الملوك ملجأ الإسلام الأمير محمد قُلى ميرزا والى إستراباد ومازندران ومعه جمع من عساكر النصر بتأديب طائفة تكه. وبعد عبور الأمير [لنهرى] السند وتشندر، تقدم ذو الفقار خان الدامغانى أمامه مع جمع من فرسان الركاب وحملة بنادق إستراباد ومازندران الجلدين، وكلفهم بقتل وأسر جماعة تكه الساكنة فى بام وبورمه[1] وهم الأشخاص الذين كانوا مهمين فى تلك الطائفة. وهجم فجأة الرجال المكلفون فى صبيحة عيد الفطر السعيد، الذى كان ليل حياة وصبح ممات تلك الزمرة معجزات الخباثة [ص ٣٢٩] وفى الصدمة الأولى، جعلوا جمعًا كثيرًا من رجالهم طعمة للسيف، كما أسروا ألفى شخص من صبية ورجال مشكين ونسائها ذوات الخال الأسود فى أنشوطة الأسر والإبادة، وغنموا مايزيد على خمسين ألفًا من الجمال والبقر والأغنام والخيول والأحصنة والأموال والأسلحة. ورفعوا راية العودة. وقد تخلص أسرى عديدون من زوار مشهد المقدسة والتجار وأصحاب

(١) بام وبورمه : اسم قلعة ومنطقة فى ما وراء النهر . (انظر : لغت نامه : علي أكبر دهخدا ، ج٣ ، ص ٣٧٠٨)

المعاملات وغيرهم، الذين كانوا قد وقعوا أسرى فى السنوات السابقة فى أثناء السرقة والإغارة فى يد تلك المجموعة الباحثة عن الخذلان، وكانوا أسرى المشقة والشدائد اللامحدودة من تلك الزمرة التى لا عاقبة لها، بسبب هذه الغارة، ووضعوا أقدام خلاصهم على طريق أوطانهم المألوفة وقد أطلقوا ألسنتهم بالشكر والدعاء للدولة المتزايدة يوماً بعد يوم والثناء عليها. وبسبب تأييدات الإقبال الخالدة، فإن مبعوثى الأمراء، الذين كانوا مبشرين بأخبار النصر وناشرين آثار الرحمة قد وصل كلاهما فى يوم واحد بفاصل ساعتين عن بعضهما إلى معسكر قبلة العالم .

١٧١- شرح بعض سوء سلوك حكام مناطق حدود ممالك الروم (الدولة العثمانية) مع مسئولى الدولة القاهرة، وبواعث تحرك راية نائب السلطنة العلية المطرزة بالنصر إلى تلك الحدود والمناطق :

ومن جملة الأطوار والأحوال الشاذة والقبيحة والمخالفة لقاعدة الصداقة بين الدولتين كانت هذه الواحدة وهى أن سوء سلوك الباشوات كان فى التزايد مع الحجاج والزوار الذين كانوا عازمين بيت الله الحرام، وذلك كل عام بالنسبة إلى العام السابق. ومع أن ذلك كان يُعلن ولعدة مرات إلى مسئولى تلك الدولة، وقد صدرت كل سنة الأحكام المتعددة وذلك بأن يلتزم الباشوات فى كل واحدة من الولايات العثمانية بحسن السلوك والمحبة مع الحجاج والتجار وبعد صدور تلك الأحكام جميعها، وصلت شدة عمل الحكام إلى درجة أنه فى العام الماضى كان جمع من خدم الحرم السلطانى فى طريقه إلى الحجاز، وفى ولاية أرض الروم وحلب صمم جمع من عمال الجمارك بأن يدخلوا إلى خيمة خادمى الحرملك، وأنه إذا رأوا مالاً فيها، يستردون جمركها. وفى الواقع لم يعتنوا بأحكام الدولة التى كانت فى أيدى [ص ٢٤٠] مرافقى حرمة الحرم ولم يحترموا ويقدروا مقرب الحضرة ميرزا على رضا وهو من أولاد معتمد الدولة السابق الحاج إبراهيم خان الشيرازى .

وبعد ذلك، وصلت هذه الأعمال إلى أسماع مسئولى تلك الدولة، ولم تُعلنْ أية اعتذارات على أى وجه فى هذا الشأن ولا حتى ما يصل من عقاب ومحاكمة لمرتكبى هذه الأعمال .

وفى تلك الأوقات أيضًا، كان قد سُرق مال من تجار هذه الحدود بالقرب من أرض الروم على يد لصوص تلك المناطق المتهورين. وفى الواقع أن خسرو محمد باشا لم يتمعنْ فى الأمر؛ لأنه عندما خرج فى مهمة الاستيلاء على الأموال من الجناة، احتفظ لنفسه بكل ما كان قد استرده ولم يعط شيئًا من المال لأصحابه.

وأيضًا، وعلاوة على سوء السلوك واللجاج مع الحجاج، الذى كان زائدًا عن حد الذكر والتدوين، جعل حافظ على باشا سليم باشا المسيطر على [قلعة] "مير" مشغولاً بإغراء وتحريض أكراد سبيكلى وحيدرانلو، فكتب إلى سليم باشا رسائل عديدة، وأسند الكفر والزندقة والبدعة بمسلمى تلك الولاية. وتلك الخطابات هى الحجة عند الضرورة والحاجة، وهى الآن موجودة فى أيدى مسئولى الدولة. ولم يقصرْ سليم باشا طبقاً لأمره وإشارته فى التحريض والإغراء، فخدع جميع طائفة حيدرانلو وعدداً كبيراً من سبيكى، ونقلهم إلى تلك الناحية، وتحالف معهم على خلاف الاتفاقية والمعاهدة فيما بين الدولتين. وبعد ذلك لم يفدْ حدوث الشكاوى والاعتراضات المتوالية إلى مسئولى الدولة [العثمانية] وقادة العسكر، وقد توجه حسن خان القاجارى بحكم نائب السلطنة العلية ومعه جمع من المشاة والفرسان من أجل إحضار طائفة حيدرانلو من إيروان إلى تلك الناحية، وكان قد اهتم بالعمل من قرار الحكم الأشرف، وذلك بألا يصل الضرر والأذى بقدر الشعرة بالأموال والأحوال والغلال والمحاصيل طوال عرض الطريق فى أثناء العبور. وفى الواقع، أن حسن خان كان قد أظهر تصرفًا فى تلك المناطق والذى لم يكن فى قوة أى قافلة ، ولأن غرضه ومنظوره كان ترحيل الطائفة بالتأنى والاطمئنان، ولهذا إستراح هو وجمعه فى خيامه ومعسكراته. وعلى حين غرة خرج عليه سليم باشا ومعه جماعته كلها [ص ٣٤١] فكان لابد من أن يقوم حسن خان أيضًا مضطراً بصدهم. ومع أن سليم باشا لم ير فائدة أو راحة من هذه المسألة، ولكنه أصبح مصدراً للفتنة والفساد. وقد ثبت أقدامه كل هذا الثبات فى تحالفه مع طائفة حيدرانلو، فصار مشمولاً بإكرام وعناية قائد العسكر ومسئولى تلك الدولة عن طريق هذا الخلاف ونقض العهد فيما بين الدولتين .

وبعد ذلك، عُين خسرو محمد باشا على قيادة عسكر أرض الروم، على هذا الظن بأنه ربما يكون سلوكه أحسن من حافظ على باشا ولا يرضى عن هذا النوع من الخلاف في حساباته.

وقد كتب مسئولو هذه الدولة (إيران) كيفية الأمور إلى قائد العسكر ومسئولي تلك الدولة، وكان القائمون بأمر هذه الدولة منتظرين أن يُراعي العهد فيما بين الدولتين، بسبب أنه قد أُعلن أحيانًا من ذلك الطرف بأن طائفة حيدرانلو هي من جملة طوائف الولاية العثمانية، وأحيانًا كان هذا الجواب: هو أن الطائفة المذكورة غير مستقرة في الولاية ومطلقة العنان. وحالة إطلاق العنان لهؤلاء الأشرار لم يثمر سوى الأذى والضرر ولم يُوجد أثرًا سوى إفساد ذات البين. ويظهر في غاية الوضوح ما ينفي هذين الحديثين (القولين)، والمزيد على ذلك فإن الطائفة المذكورة تحاربت لعدة سنوات سابقة مع نائب السلطنة وبتحالفها واتفاقها مع جعفر قُلي خان. ولو كانوا متعلقين ومرتبطين بالملكة العثمانية، لكانت هذه المعركة وهذا القتال منافيًا للصداقة والوئام بين الدولتين ولكان نقض العهد الذي حدث في البداية من ذلك الطرف .

وأيضًا، حرض حافظ على باشا الأكراد من أجل سرقة ونهب أموال أهالي سلماس ، وبأمره صار أحد الأماكن في سلماس، الذي يسمى "تشهرى". مأمنًا ومكمنًا للصوص والسارقين من الأكراد، وقد استقر اللصوص في ذلك المكان، فكانوا يقومون بقتل نفوس السلماسيين ونهب أموالهم والإغارة على سائر المسلمين .

وبعد ذلك، عُين خسرو محمد باشا على قيادة جُند أرض الروم، وأرسل أحد وكلائه إلى دار السلطنة تبريز. وقد جاء بصدد ادعائه "تشهرى" ومن هذا الجانب [الإيرانى] ولرعاية إعزاز قائد الجند كُلفَ الحاج على بك[ص ٢٤٢]، الذي كان من جملة مشاهير الحكام والولاة، بمرافقة مبعوثه إلى أرض الروم وذلك لكي يجرى محادثة في أمر "تشهرى" وفقًا للحق والحساب، وحتى يعمل ويرتب بعد عودته في هذا الشأن وفقًا للصلاح والصواب، وقد اعتبر قائد العسكر المذكور أن رؤية صلاح الأمر منحصرة في هذا نفسه وهو أن يحبس الحاج على بك ويكلف ويفوض "تشهرى" لنفسه. وأيضًا،

عُين حافظ على باشا على قارص، بعد عزله من قيادة جند أرض الروم، وأرسل جمعًا إلى حدود إيروان، وقتل جمعًا من منطقة قرى إيروان وأكراد ذلك المكان وأغار عليهم .

وأيضًا، قدم إلى هذه الحدود صادق باشا بن سليمان باشا السابق، وهو وزير البصره وبغداد والمشهور عند العرب والعجم فى تلك الديار وهذه البلاد، وكان يريد أن يتمكن فى إقليم الولاية، فرد مسئولو هذه الولاية في جوابهم بأن محالفتك ومصاحبتك غير ممكنة وبأن توسطك بتلك الدولة سوف يكون مقرونًا بصلاح حالك وفراغ بالك. وقد توجه المشار إليه إلى تلك الدولة مع مضيف من مشاهير هذه الولاية ومعه رسالة الوساطة وهو فى كامل الأمل. وقد حبسه مع المضيف لمدة أربعة أشهر فى أرض الروم وبعد ذلك أرسل المضيف بدون جواب، وقطع رأس صادق باشا مع جميع رفاقه، الذين كانوا عشرين فردًا على وجه التخمين، كالأغنام في ميدان أرض الروم، وأرسل رءوسهم إلى إسلامبول .

وفى السنوات العدة هذه، كان سلوك باشوات أقاليم الحدود من هذا النوع وهو أنهم كانوا يقومون ومع عدم مراعاة اتحاد الدولتين، بإثارة الاضطرابات ومصاحبة الفتنة والفساد بينهما . ومع ذلك، لم يتصور قادة العسكر التمكن فى ولايات أبواب جمعهم لمدة يومين، ولم يكن قد جلسوا على مسند الحكومة بعد حتى كان يصل الحكم بالتمرد ولم يكن قد استقلوا بعد، حتى يصدر من البلاط القيصرى[1] فرمان العزل والقتل. ومع أنه، ولعدة مرات، كانت تعلن النصائح المشفقة والمواعظ العاقلة إلى هؤلاء المغرورين من قبل الدولة العلية، فلم توجد أثر وتفيد بفائدة [ص ٣٤٣] وفيما يبدو ومثلما كان يظهر فإنه قد اكتملت الأعمال المختلة للدولة العثمانية الساذجة ورجال دولتها. وإذا لم يكن فما معني أن يقوم مسئولو تلك الدولة بإثارة الفتنة والوقاحة والحقد والنزاع مع خدام حضرة نائب السلطنة الذى هو صورة الرأفة والرحمة وأساس الأمن والراحة. ومع هذا لم ينقلب الخطر بسبب هذه الأخبار والتصريحات ، ولم يصل الأمر إلى حد أن يتأهب الجيش السلطاني للحرب والصراع ويثير غُبار النهب والقتال، فتتفسخ سلسلة اتحاد الدولتين وتُسفك دماء جمع من الطرفين .

(١) يقصد المؤرخ من البلاط القيصرى البلاط العثمانى فى إسلامبول أى القسطنطنية سابقًا حيث كانت عاصمة ومقر بلاط قياصرة الروم . (المترجم)

والخلاصة، أن النواب نائب السلطنة، الذى كان بحر الحلم وجبل الوقار، لم يتحمل حركاتهم وأفعالهم غير الصائبة، وبعد العرض على بلاط ملجأ العالمين واستشارته، أصدر الأمر بركوب الجيش مُشتت العالم واجتماع مشاة وفرسان الجند النظاميين والمدفعيين، فتيسرت الفتوحات العديدة بركضة ونهضة واحدة. وكيفية ذلك هو أن النواب نائب السلطنة العلية، رحل من تبريز فى الثانى عشر من شهر ذى الحجة الحرام[١٢٣٦ هـ.ق]، وجعل من بلدة خوى مضربًا للخيام عاقبة النصر. وفى أثناء التوقف فى بلدة خوى، قدم أحمد أفندى الدواتى من قبل قائد العسكر بالعجز والتضرع والاعتذار والشفاعة ؛ ولأن تقريراته بين الدولتين كانت مبنية على التسويف والمماطلة وليس على إزالة أسباب العناد وإخماد نيران الفساد، وبناءً على هذا، فقد عين النواب نائب السلطنة حسن خان القاجارى فى المقدمة وأخذ الموكب المنصور فى التحرك على الفور عقبه. وفى منزل "جالديران"، أصبح موصل هذه الأخبار المسرة مبشرًا لبشرى الإقبال وهى أن حسن خان قد هزم جيش الروم واستولى على الأعلام والسيوف والمدفعية والذخيرة منهم، ومن هناك أسرع إلى ناحية قلعة طوبراق، وهى من جملة الحصون المحكمة فى تلك الديار، وأنه قد أخضع بقوة الحظ المبارك قلعة ذلك المكان وفتحها.

وبعد وصول هذا الخبر، أخذ عُقاب الراية المظفرة فى الطيران إلى مناطق بايزيد ووان، وقبل ذلك نزلت أفواج الجيش إلى مكان العشب [ص ٣٤٤] وفى الجانب الغربى من بايزيد فُتحت منطقة "زنك زور"، التى كانت مساوية للقمر والشمس، بمجرد قدوم الحراس المظفرين، وقد توسل عموم أهالى بايزيد بذيل الأمان بسبب خوفهم من صدمة المجاهدين، وقد حضر الأئمة والقضاة والعلماء والسادات إلى معسكر زحل وطلبوا الأمان من النواب نائب السلطنة ، فقرن حضرته سؤالهم بالإجابة، ومنع الجيش من الدخول إلى المدينة والقرى ومزاحمتها، وأمرهم بقواعد حـ ـن سلوكنا، وطمأن أعيان الدولة ووجهاء المدينة .

ومن المفاجآت، أن بهلول باشا الذى كان مسيطرًا على بايزيد سابقًا، وكان محبوسًا لفترة طويلة فى أرض الروم ، وكان يائسًا من منصبه وولايته وفتوح أمره،

تخلص من سجنه بإشارة قائد العسكر، وانضم إلى قلعة آق سراى، وقعد للحراسة ليلاً على مرصد القتال والمعركة منذ الليلة الماضية، وفتح المدفعية والبنادق على جانب من زنك زور التى كانت مكان توقف عدد من الجيش المنصور. وتقع قلعة "آق سراى" على قمة تبة شامخة. وبسبب علوها وارتفاعها أخرجت رأسها من عجلة الفلك ، وقد سقطت قبعة مشاهديها لنظرهم إلى ارتفاعها. وفى الصباح، علم نائب السلطنة بخبر قدوم بهلول باشا، واطلع على فتنة قائد العسكر فكلف فوج الأبطال وفرقة يوسف خان وتحت قيادة أمير أصلان خان الدنبلى على رأس المدينة والقلعة، واستدعى بهلول باشا للحضور. وكان بهلول باشا بعد ذلك قد أعطى أحد إخوته كرهينة إلى قائد العسكر (العثمانى) فأرسل أخيه الآخر مع يوسف خان إلى المعسكر المنصور. ولم يقبل نائب السلطنة عذره غير المقبول، وأكد مهدداً بقوة على إحضاره. واستمال أرامنة المدينة وأغلب الشخصيات الإسلامية بالمرحمة والرأفة الشاملة. وفى اليوم التالى أحضروا بهلول باشا من المدينة والقلعة إلى البساط المقبل. وهجم المجاهدون المنصورون مرة واحدة على أطراف الأبراج والقلعة، ومنذ وقت الظهر وحتى وقت العصر سيطروا على جميع أبراج المدينة والقلعة [ص ٢٤٥] وقد فتحوا قلعة آق سراى، التى كان إخضاعها صعبًا جداً طوال سنة، بقوة طالع ملك الملوك ذى الإقبال العالى فى ساعتين، ودون أخطاء استقروا وتوقفوا على قمتها. وفى اليوم التالى، انضمت أفواج الخواص والعوام وأهل الذمة والمسلمين بركاب الظفر السعيد، وطلبوا الأمان، فمنع نائب السلطنة مجاهدى معجزة النصر من القتل والغارة، وفوض حكومة بايزيد إلى بهلول باشا وقيادة "الشكرد" إلى عبد الحميد باشا، الذى كان من أهلها، كما أوكل لكل واحد من هذين الشخصين خمس قرى من توابع بايزيد، وأرسل القائد حسين خان القاجارى مع الباشا المعين وجميع السادة والأعيان إلى المدينة، وبالفأل الحسن والساعة المسعودة، قرءوا خطبة الفتح والنصر والجاه والعظمة باسم ملك الملوك ملجأ الإسلام فى جامع بايزيد، وقد منح الإنعام والإحسان من النقود والأقمشة والخلاع وغيرها للباشوات والسادة والقادة والأئمة والرؤساء وجميع الأرمن والمسلمين وحتى الفقراء والدراويش وعامة الناس فى ذلك الإقليم على الوضع اللائق الذى لم تكن قد رأته عينٌ قط ولم تسمعه أذن مطلقًا، وبسبب اللحن الناثر للذهب، أشتهر صيت الدولة السلطانية

فى جميع الولايات العثمانية من جانبيه الجمالي والجلالي، كما صار أساس الرعب والخوف وباعثًا على اطمئنان واستئناس القريب والبعيد.

والخلاصة، أنه يمن وبركة الفضل والعون الإلهي، خضع بركضة واحدة وفي أسبوع واحد مثل هذا المُلك، الذي طول طريقه أسبوع، مع خمسة قلاع محكمة ومتينة، التي لايوجد مثيلها في الحصانة والرزانة. وقد تم الاستيلاء على ست عشرة عربة مدفع محطمة للصخور وسائر آلات الحرب ومعداتها. وبعد فتح بايزيد، لم يتحمل الحاج حسن باشا ابن الشيشان، الذي كان مكلفًا مع جيش كثيف على حكم إقليم تلك الحدود، حرارة المقاومة، فتفرق جيشه واضطرب، ولجأ بنفسه ومعه عدة أشخاص من أتباعه والجند إلى قلعة "سنك" الواقعة على قمة جبل عظيم وهي محكمة الأساس. وكلف حضرة نائب السلطنة أمير أصلان خان والمدفعيين وفوج [ص ٣٤٦] الأبطال المكلفين على بايزيد بإخضاع ذلك المكان والاستيلاء على القلعة المذكورة [قلعة سنك] وبعد القتال والحرب، هُزم الحاج حسن باشا، وسلم القلعة ، وسلك طريقه إلى أرض الروم. وكان النواب نائب السلطنة العلية يقطع المسافات متوكلاً على الله بغرض تأديب قائد العسكر وإخضاع أرض الروم، إلى أن اتضح في حدود منطقة الشكرد "بأن تجمع الجيش العثماني ومدفعيته وتجهيزاته، والذي توقف في قلعة حسن، قد تفرق واضطرب دون حرب وقتال بسبب سماعه لخبر فتح بايزيد. وبسبب خوفهم على أرواحهم توجهوا مضطربين ومشتتين إلى قراحصار ومعدن وتريمان وهي في أطراف أرض الروم. فخلت القرى والمدن والأراضي والأحياء في تلك الناحية من الرعية والجيش وبقيت عارية من زينة العمارة والعمران. فعين النواب نائب السلطنة محمد زمان خان القاجاري وحسن خان وعبد الله خان الدماوندي ورحمة الله خان ومعهم ألف جندي وألف من حملة البنادق المهرة وثمانية آلاف فارس كردي وعجمي لتعقب تلك الجماعة. وأخذت الراية المعتادة على الظفر في التحرك من طريق منازل "ملاذكرد" التي كانت متوفرة الغلال والمؤن والماء والعلف. وفي منزل "خامور"، قدم صدقي أفندي مدرس أرض الروم مع جمع من الصلحاء والعلماء والزهاد من ذلك المكان من قبل عظماء المدينة وباشوات الأحياء وزعماء الطوائف، بالعجز والابتهال إلى معسكر قرين الظفر. وتحصن قائد العسكر نفسه في قلعة نارين ، وأرسل العريضة المشتملة على الأعذار طالبًا العفو عن

أخطائه إلى بلاط قابل العفو، وقد صار متقبلاً الضرائب وملتزمًا بأداء الخدمات من الدولتين. ولكن بالمصاحب لذلك الحال ، وصل الخبر بأن سليم باشا والى أرمينية، أغلق طريق الجيش المنصور بأمر قائد الجند قبل وقوع هذه الأمور. وذهب مع ما يقدر بعشرين ألفًا من المشاة والفرسان والمدفعية والذخيرة اللامحصورة، الذين كانوا متوقفين في بولانلوق، على حين غرة لتعقب محمد زمان خان وحسن خان وسائر الرجال المكلفين، وأحاط الجيشان من الناحيتين بالجيش الملازم للنصر، الذى كان شرذمة قليلة إلى جوار جيش الروم (الجيش العثماني). [ص ٢٤٧] وبسبب الاستماع لهذا الخبر، أرسل النواب نائب السلطنة صدقى أفندى مع الحاج ملا باقر قاضى العسكر إلى أرض الروم، وبعث بالرسائل الحادة والفظة إلى قائد العسكر وهدأ الرعايا والطوائف بالعفو والاستمالة. وحتى حدود بولانلوق لم يستقر ولم يتأخر فى أى مكان ومعه جيش مخلب النصر بغرض محاربة ذلك الجمع المتآمر. وبمجرد قدوم الموكب المسعود مع المجاهدين المظفرين، انفسخ كيان جمع الجيش الحقود عن بعضه، وبسبب سطوة هذه الهزيمة، سلكوا طريق الهزيمة. وقام حسن خان وسائر رفاقه بتعقبهم حتى حدود "مجلي صولز" وهى على بعد ثلاثة فراسخ من أرض الروم. وفى ذلك المكان، كلف ما يقدر بعشرة آلاف من المشاة والفرسان وعربيتى مدفع محطم للقلاع بتعقب جيش أرمينية وإحضار طائفة حيدرانلو التى كانت قد فرت إلى ناحية ديار بكر. وقد أسرع المجاهدون المظفرون مثل السيل المفاجئ وشعلة النيران الملتهبة حتى جنجشور وشرشور وترجان وهى على بعد أربعة فراسخ من ديار بكر. وأخرجوا طائفة "حيدرانلو" منها، وسيطر جيش البرق على القرى والمدن والطوائف والمعسكرات بقوة وقدرة . وكل مكان وصلوا إليه مثل البرق المحرق وشعل النيران الملتهبة والسيل المحطم والصاعقة المحرقة، حرقوه وأشعلوا فيه النيران ونهبوه، وخربوا كل مكان قابلوه، وجعلوا جمعًا كبيرًا طعمة للسيف، وغنموا سبع عشرة عربة مدفع وأربعة أو خمسة آلاف أسير شبيه بالشمس ، وما يزيد على مائتى ألف من الأغنام والدواب، كما وقع فى أيدى الأبطال مؤدبى العدو أموالاً كثيرة وأمتعة والتى عجزوا عن حملها ونقلها. وقد ألقوا كثيرًا من الأمتعة والأسلحة فى نهرى الفرات ومراد من أجل تخفيف الأحمال على الدواب .

وجعل سليم باشا ومعه عدد من الخواص من جولكاى ميرزا مناصره، وسحب كل المدينة والقرى خوفًا من صدمة جيش ملجأ الظفر إلى الجبال الصعبة المسالك والوديان الوعرة والمعابر [ص ٣٤٨] الصخرية والغابات الكثيفة، ورحل هو نفسه إلى قلعة "مير"، واحتمى بمتانة القلعة ورصانتها، وثبت أقدام إقامته. فعين النواب نائب السلطنة القائد حسين خان ومعه ستة آلاف من المشاة والفرسان لصده، وكلف إسماعيل خان بيات بفتح قلعة ملازكرد ، وقد أشعل المشار إليه النيران بالقلعة المذكورة، حيث كان عرض البرج ثلاثة أذرع وكانت قمتها تلامس النجوم بسبب ارتفاعها، كما سواها بالتراب عن طريق قوة مجاهدى النصرة والغلمان حملة البنادق. واستولى على عدة عربات من المدفعية والذخيرة والتجهيزات والأسلحة التى كانت فى القلعة المذكورة، ولحق بالقائد. ولم تكن قد بقيت دياراً للرعية والجند فى أية ناحية وذلك حتى ساحل قراسو. ومن المفاجآت، في يوم ما كان جيش القائد متوقفًا على ساحل قراسو ، وكان فرسان الجيش مشغولين بالهجوم والإغارة على الأطراف والنواحى، نصب فوج من أكراد حسنانلو ويزيدى الكمين في إحدى القرى الخربة، وهجموا بغتة على عدة فرسان من تشهاردولي وبزتشلو، فقتلوا وأصابوا عدة أشخاص منهم. واطلع القائد على هذا المعنى فأرسل لإمدادهم بإسماعيل خان بيات وكريم خان كنكرلو وعسكر خان الأفشارى على هيئة أفواج ، ومع كل واحد عدد من الفرسان الذين كانوا فى المعسكر ولم يذهبوا للإغارة ومن ذلك الطرف أيضًا (العثمانى) خرج سليم باشا ومعه جميع الفرسان والمشاة، الذين كانوا حاضرين فى المدينة والقلعة، لإمداد طائفة يزيدى والأكراد، وقد اشتعلت المعركة وتأجج الصراع بين الجانبين طوال ذلك اليوم إلى أن مضى أربع ساعات من الليل. وفى النهاية، انفلت الأمر من المدفع والبندقية، واشتعلت نيران المعركة لما يقرب من سبع ساعات بالسيوف والخناجر. وفى تلك الليلة نفسها، أرسل القائد فوجًا من جنود (فرقة) مقدم مع القائد سهراب بك حيث تركوا فرسان قراباغ وعبروا المياه لمعاونة وإمداد الجيش المنصور. وبمجرد قدوم الجنود النمور، ألقوا الرعب والفزع فى قلوب الأعداء وتزلزل بنيان استقرارهم، ولم ير كل ذلك الجيش فى أى مكان قط مجالاً للتأخر إلى القلعة بسبب هول قذائف البنادق وضجيج طبول المعركة [ص ٣٤٩] .

وفي اليوم التالي، وصل هذا الخبر إلى النواب نائب السلطنة، فرحل من منزل "حسن كهل" وعبر من طريق صعب كان عبوره بين ارتفاعات وانخفاضات الجبال الشامخة والأطواد الباذخة والغابات الكثيفة صعبة العبور. وفي وقت العصر، وصل إلى ساحل قراسو، وسَمحَ للمدفعية والجند، الذين كانوا متعبين من مشقة الطريق الطويل والبعيد وقد أصبحوا مرضى ومطحونين، بالإقامة على حافة المياه. وعبر بنفسه النفيسة مع المجاهدين الفرسان في أثناء القدوم من عرض النهر، وقادهم بسطوة وقهر حتى شاطئ قلعة المدينة، وقام بمحاصرة أهالي المدينة ومعه المجاهدون المنصورون من الجوانب الثلاثة. وبسبب الخوف من الجنود المسعودين، حمل الأشراف والقضاة والسادات والأعيان الخبز والملح والمصاحف وقدموا إلى المعسكر وطلبوا الأمان. فأمهل النواب نائب السلطنة بواسطة العجزة والمحتاجين الجماعة المحاربة والمهاجمة أربع عشرة ساعة ، وكلف محمد حسين خان نائب رئيس حرس الديوان على القلعة، فأحضروا سليم باشا دون تأخير وتعويق ومعه السيف والمصحف أمام مجلس الحضرة، وتشرف بتقبيل البساط. وفي مقابل هذه الخدمة والطاعة، مُنح محمد حسن خان منصب رئيس حرس بلاط صاحب الشوكة. وفي اليوم التالي، كُلف الوزير الفريد سلالة السادات والعظام ميرزا أبو القاسم بقراءة خطبة الفتح في جامع مدينة (بتليس ومير) باسم صاحب الشهرة فاتح العالم. وفي ذلك المقام دخلت سبع عشرة عربة مدفع ضمن الغنائم الكثيرة، وقد أقامت راية معجزة الفتح عدة أيام في ذلك المكان، وقد أحضر محمد زمان خان وحسن خان، اللذين كانا مشغولين بفتح قلعة خنوس، بعد الفتح والاستيلاء على القلعة المذكورة ومعهم جميع الجند والجيوش التي كانت في الأطراف والأكناف. وقد رد كل أسير كانوا قد أحضروه من كل مكان إلى أصحابه، وطمأن الرعايا والطوائف واستمالهم بالمراحم والمكارم السلطانية، كما فوض ممالك ارمينية ، وكما كانت إلى سليم باشا. وقد أدخل ما يقدر بعشرة آلاف فرد من المشاة والفرسان [ص ٢٥٠] من المناطق والطوائف، التي لم تحرق ولم يُغر عليها، في سلك ملازمي البلاط. ومنح محمد بك أخا سليم لقب خان وكما جعله مفتخرًا ومعتزًا بقيادته لهم وجعله ملتزمًا ركاب النصرة. ولأن اتساع الجبل والوادي كان قد ضاق بسبب ازدحام مشاة وفرسان الأكراد والعجم والجيش النظامي والجند السفاكة للدماء

فلم يكن من المقدور تهيئة المحال للعبور وتجهيز مؤن وأعلاف الجيش المنصور من طريق واحد، فقد سمح لسبعة آلاف من جيش القائد بالسير في طريق خامور إلى ناحية إيروان ومعهم الأغنام والأموال الوفيرة، كما سير أربعة آلاف من فرسان شقاقي وشاهسون وقراداغي إلى خوى من طريق كوه سبان ومعهم المكاسب والغنائم الوفيرة، وسير محمد خان من طريق بتليس ومحمد باقرخان القاجاري وحسن خان من طريق أخلاط لمحاصرة وان، وأخذت الراية المطرزة بالظفر في التحرك من طريق أرديش. وفي الحادي عشر من شهر صفر، فُتحت قلعة "أرجيش"، وانضمت اثنتا عشرة عربة مدفع إلى مدفعية الركاب. وقلعة أرجيش هي مكان صعب جداً وأطرافه الثلاثة بحرية وطرفه الآخر لسان، وقد أحكموا (قلعة أرجيش) أيضًا بحملة البنادق البرقية المشعلة للنيران، وبرجها عريض ، وقد رفعوه بالصخور والحديد ولم يكن الاستيلاء عليه ممكنًا. ولقوة التأييد الإلهي والطالع السلطاني فقد تم الاستيلاء عليها (القلعة) بأسهل الأسباب وقد صارت مواقع بكرى وبندماهي ومحمودي ضمن أعمال خوى وسلمت إلى فتحعلى خان القاجارى الحاكم العسكرى لخوى. وبالمصاحب لهذه الأحوال، وصل الخبر بأن مسئولي دولة الروم (العثمانية) قد عزلوا قائد العسكر، وقتلوا ثلاثة أشخاص هم القاضي والمفتي والأفندى الذين كانوا قد أزالوا وجه القائد حسين خان وحسين آقاى زيلان وقتلوهما وكانوا قد أصبحوا من بداية الأمر مصدر هذا النوع من الفساد لباشا بايزيد. وقد وقع الاختلال الكامل في ولاية أرض الروم وإلى الآن غير معلوم من هو قائد العسكر وما حقيقة أمر تلك الدولة .

والخلاصة أنه في خلال مدة الشهرين، التي كانت بداية [ص ٣٥١] تحرك الراية المطرزة بالظفر من بلدة خوى وانتهائها بالرحلة والسفر في الثاني عشر من شهر صفر، قد سيطر على المدن والضواحي وأفواج الأعداء المصابة والقتلى والأقسام المفتوحة ، وقد دخلت مدينة وضواحي بايزيد والشكرد وديادين وملاذكرد وبتليس ومير وأخلاط وعاد لجواز وأرجيش وخنوس ومعها جميع التوابع والطوائف والقرى والرعايا تحت منطقة السيطرة ودائرة النفوذ. والمكان الذى بقي كان قلعة "وان" نفسها حيث إن ذلك المكان أيضًا سوف يُضبط على نحو قرار تعهد سليم باشا. وغير الغنائم والأموال الكثيرة التى وقعت في أيدى الجنود، انضمت من جميع النواحي ما يقدر بثمان

وأربعين عربة مدفع إلى مدفعية الركاب، وقد أنهى جمع من جيش ملجأ الظفر، الذين كانوا مكلفين قبل هذا بالاستيلاء على ألوية حكارى الثمانية عشر، فى هذه الأوقات خدماتهم، وأصبحت هذه الألوية المذكورة أيضًا ضمن الممالك السلطانية المحروسة. وفى الوقت المقرون بالسعادة والمؤيد بالطالع المتزايد يومًا بعد يوم، والذى جزم فيه النواب نائب السلطنة العزم على هذا السفر، كان قد مضى وقت قيادة الجيش وتعبئة الجنود، وكان السحاب الخريفى قد أسدل الستائر علّى وجه الفلك الدخانى، وكانت شمس العالم قد وضعت حرارتها وأشعتها فى كفة الميزان مثل يوسف الكنعانى[1] وفى ممالك أذربيجان والولايات الرومية (العثمانية) كانت بداية برودة الجو ووقت ظهور صولة البرد وخاصة فى الولايات المذكورة إلى درجة أن الجو الحار الموجود فى منتصف الصيف (قلب الأسد) تكون برودة ذلك المكان فوق طاقة المسافرين ولايمكنهم الحياة دون معطف ونيران. وساحة تلك الولاية فى أغلب الأوقات فى فصل الثور والجوزاء وحتى العقرب والقوس لاتكون دون بّرد وعواصف ثلجية. وبالرغم من أن مساحة تلك المملكة، التى تعود الجيش الذى هو فى عدد النمل وقوة الثعابين الإغارة عليها ، وقد أخضع أطراف ولاياتها بأقدام الاقتحام وفتح قلاعها وخطف كرة الظفر من يد الأعداء وأضاف لشهرته وصيته بسبب إظهاره للجلادة، واقعة أغلبها فى ناحية جبال أخسقه واللاز وممتلئة بالبحر الأسود [ص ٣٥٢] وتتصل بالمواقع الخاضعة للروس وأصل ممالك تلك الطائفة وهى فى الواقع إقليم يُعتبر (يُعد) وسط الممالك الرومية (العثمانية) وهى خاضعة لقوة نفوذ وسيطرة الدولة العثمانية ، وتضم طوائف الأكراد والعجم ومشهورة فى العالم بالفروسية والقوة والتسلح بالرمح والقيام بالحملات الهجومية واستعمال المدافع والبنادق . وهى أقرب إقليم إلى إسلامبول وجيش الروم بسيوفها الحادة وحرابها المدببة فعيون الترك والتاجيك سوداء من حملات أهلها البطولية ومن بداية تراب بايزيد وحتى كل الأماكن التى وصلت إليها حوافر خيول أبطال إيران والجنود والمدفعيون الناثرون للنيران، كانت من منزل إلى منزل مليئة بالقلاع المحكمة والحصون المشيدة بالصخور وكان يوجد فى كل واحدة من هذه القلاع المدفعية وترسانة الأسلحة والتجهيزات القديمة

(١) يوسف الكنعاني : يقصد نبي الله يوسف عليه السلام .

والحديثة الزائدة عن الحد والنهاية وكان الاستيلاء عليها منحصراً في حصارها لفترات طويلة والتضييق عليها بالقحط والغلاء والحرب والقتال. فعلى سبيل المثال، لو أنه في كل واحدة من هذه القلاع الصعبة، التي ترفع رأسها إلى فلك الروج بالحجارة والرصاص والجير، كان مدفعيو الجيش المظفر يضربون برجاً من بروجها بعدة مدفعية محطمة للصخور، لم تكن تنشق منها فجوة وثقب ولم تكن تتزلزل أركانها أو تتحرك من مكانها. وكان سليم باشا أحد حكام وباشوات هذه المملكة والذي لم يكن يقرأ من كتاب السلام وحسن السلوك سوى الحرب والنزاع ، ولم يكن يكرر من تعلم (دراسة) الصلاح والفلاح سوى درس الفتنة والقتال، وكان مستعداً ومتجهزاً بأكثر من عشرين ألفاً من المشاة والفرسان ، وكان مستظلاً تحت راية الاستقلال والنفوذ. وكذلك الباشوات وقادة العسكر الآخرون لووا رءوسهم بالعناد واللجاج وعدم الطاعة بسبب غرورهم وحيث كان لهم ذلك القدر من الجيوش الجرارة والاستعدادت والتجهيزات القتالية، بحيث لم يكن جميع معسكر النواب نائب السلطنة بخيله وحشمه، الذي كان قد حركه بغرض هذه الفتوحات وكان يُظهر التمني لهذه الغارة، عشرة في المائة من حيث العدد والعدة إلى جانب وجوار استعداداتهم . وبقوة التأييد الإلهي ويمن الطالع المنتصر للمطالع السلطانية [ص ٣٥٣] وجه نائب السلطنة همته إلى كل ناحية، ففتح المجاهدون المظفرون والمنصورون كل ناحية والتي وجهوا عنانهم إليها وقهروا أعداءهم ودمروهم. وفي فترة الشهرين ومع نزول البرد والصقيع والأمطار وقسوة البرودة الشديدة وطئ دون تفكير خوف وخطر كل ناحية في بلاد الروم تحت نعل الدواب. فتيسرت بالاقتحام مواكب الفتح. وعلى مدى عشرين يوماً من الرحلة والسفر، نُهب وحُرق المُلْكُ الأجنبي واشتعلت نيران النهب والغارة في أهالي البلاد البعيدة عنهم، وانضافت القلاع المحكمة، التي كان يسكن بعضها عشرون وعشرة آلاف أسرة، ضمن الولايات والأراضي الأخرى إلى الممالك (الإيرانية) المحروسة. واستظلت عدة قرى ونواح وعشائر وطوائف تحت ظل راية الجلال، وانشغل كل واحد من عظماء وباشوات تلك المناطق بعمل الطاعة والخدمة وتم اختيار عشرة آلاف فارس تحت الخدمة والطاعة من كل طائفة كانت مستقرة في تلك الحدود. وبحيث كان كل فرد منهم معه ما يعادل مائة تومان تقريباً ، والحصان والأدوات والملابس والأسلحة والمؤن. وهزموا بالجيش القليل الجيش الكثير ،

وقد صار أقل مجند حديث صاحب مال وحشم من أموالهم، وقد دمروا موقعين من الشكرد وحتى مسافة ثلاثة فراسخ من ديار بكر، أحرقوها وأشعلوا فيها نيران النهب والغارة . وكان قد عين على جميع الجهات في تلك الحدود عربتي مدفع وعشرة آلاف من الفرسان والمشاة. وبلا شك كان يوجد في كل واحدة من قرى تلك الديار عشرون ألفًا من المشاة والفرسان الجرارة بالحراب النافذة والمدفعية المحملة بالنيران وسائر معدات المعركة والقتال ، وكان مدفعيوها مدربين على القذف بالمدافع كآثار البرق والفرسان العرب الماهرين في المعركة والمجاهدون الأكراد والألوار وهم فرسان حلبة ومضمار الافتخار، يلقون إعجاب أعين ومصابيح فرسان إيران ، وكانوا يستصعبون هزيمة مائة فارس منهم بمائتي فارس في ميدان المعركة. وبالرغم من ذلك وبالتأييد من الرب المجيد وبقوة الطالع والحظ السعيد، صار الجيش القليل صاحب الوضع عن الجيش الكبير،[ص ٣٥٤] وحصلوا على ذلك القدر من الأسرى، حيث زاد عدد الأسرى المحبوسين على عدد الجيش المأنوس بالنصر. ولو كانوا ينفذون حكم القتل العام طبقًا لقاعدة جيش المغول في حشر مرو ونيسابور لوصل أن يقتل الفرد الواحد من الجيش المنصور عشرين فردًا من الأسرى. ولكن النواب نائب السلطنة، الذي سيطر في هذه الرحلة على تلك الممالك، قد غرس بذور المحبة والإخلاص في القلوب ، وجذب قلب الوضيع والشريف، وحيث اعتبر كل أهالي الروم وعقلاء تلك المناطق والأراضي أن سيطرة وبسط نفوذ الدولة الخالدة هي من أنواع نعم ومراحم الخالق لهم، وأقروا واعترفوا بذلك: "لم نكن قد رأينا مطلقًا من الدولة العثمانية مثل هذا النوع من الإحسان والإكرام وفراغ البال والراحة". وقد صار كل واحد من المجاهدين مصدرًا للخدمة في هذه الرحلة والتي لم تتيسر لهم في أية رحلة مطلقًا. ووصلوا إلى مال وثروة لم تكن تخطر ببال أحد. ولم يكن يرضى أي أحد من الغلمان مريدي الدولة وعبيد الإرادة بتحريك رايات النصر في فصل الخريف والرياح والبرد والجليد هذا وفي الأمر نفسه أيضًا ومثلما كان ولم يكن يصدق بالمصلحة. ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (١) ولكن الألطاف الإلهية الخفية والعطية الكبرى لكبرياء وقوة إقبال فاتح العالم هي الأمر

(١) من الآية الكريمة رقم ٢١٦ ، سورة البقرة . (المترجم)

الفاصل الذى يوصل الفهم الإنسانى إلى كنتها ولاتستوعبه فى صندوق أوهام الخلائق. وإنما هو أمر موقوف على العون والفضل والحال . وقد قال رأى حال العقل والنقل المتأخر: [بيتين ترجمتهما]

عندمـــا يطمــــئن الرجل على علمــــه

يُزجي وقته فيما لاطائل فيه بعين عدوه

ولاينفــــعـــــه العــــراف ولا المتنبئ

فـــلا ينفــعـــه المرشـــد ولا المنجم

والخلاصة، أن نائب السلطنة كان يوصل إلى أهالى كل مدينة قسمًا من الإحسان والإنعام الذى كان يصبح أساس حيرة الجميع وباعثًا على رغبة الرعية ورضا الصغير والكبير فى تلك الولاية، وعلى الخصوص فى أوقات قراءة الخطبة التى كانت تذكر اسم الهمايون صاحب الجلالة السلطانية حيث كان قد أوجب على نفسه أن يرتدى السامع والحاضر الخلعة ويذوق الطعام الحلو من بركة ذلك الاسم الميمون العاقبة [ص ٣٥٥] وفى ذلك اليوم صار جميع الأعيان والأشراف والنجباء والخطباء والفضلاء والزعماء والرؤساء والفقراء وحتى خدام المساجد موضع الخلعة والإنعام والتصدق ومد موائد الطعام والخيرات. وقد صدر الحكم المحكم بأن يستردوا كل شيء وأفراد الأسرى من الأمراء والحكام والجيش المنصور، الذين كانوا قد أحضروهم، ويردوهم إلى أصحابهم ولم يبق لأى شخص أسير تحت الحراسة. وقد قسم الأموال والدواب على فرسان الجيش، والخمس من الغنائم على الجند والمدفعييـن الذين لم يذهبوا إلى الإغارة. ولم يأخذ لنفسه شيئًا من كل هذه الغنائم والمكاسب التى لا تعد ولا تحصى، وكان يشترى حلى خيول المدفعية، التى كانت قد هلُكت فى أثناء المعركة، بسعر أعلى. وفى وضع قيادة الجيش وتوجيهه والإنعام عليه، وحيث كان قد تعهد فى هذا السفر كل أمير وقائد بذلك، فقد كان يساوى فى سلوكه مع جميع الخلائق. ومثلما كان جميع الأبطال وأفراد الجيش المقترن بالنصر يعيشون وقت الأمطار والجليد فى خيمة بلا غطاء، كان نائب السلطنة أيضًا قد حرم على نفسه الخيمة المغطاة والمشمع والسرير فى نومه وراحته، وكان يُقرع الطبول فى الخيمة مباشرة ، وكان ينام مثل سائر الجنود مفترشًا الأرض.

وعندما كان يصل إلى المدينة الكبيرة، فلو كان يوجد أرز أو كان يحصل على الفاكهة من المخزن أو غيره لكان يقسم ما يوازى قبضة الشخص على كل ملتزمى الركاب، وكان يصل لخاصته الشريفة مثلما يصل لأحد أفراد الجند، ولم يكن يفكر في الغد، والشيء الذى لم يكن في مقدور كل شخص لم يكن ينظر إليه مثل السكر والعسل وسائر التنعمات .

والحق أن هذا التقدير وهذه الخصائل الحميدة ورعاية الخدم والأخلاق المحمودة قد محت محاسن أطوار السلاطين القدماء من على صفحة الزمان. وقد حفظت الحكاية التى رواها وصاف الشيرزاى[1] عن جنكيز خان، على رف النسيان. وتلك الحكاية كانت كذلك: وهى أنه [جنكيز خان] ذهب يومًا مع أهله ومقربيه إلى الصيد، ولم يصطد فى ذلك اليوم سوى عصفور، فشوى ذلك الطائر الضعيف [ص ٣٥٦] وقسمه ذرات ذرات على ملتزمى الركاب. وقسم عليهم الذرة منه أيضًا وهى فى الحساب الجزء الذى لايتجزأ وأكل الإحسان الذى لايقبل مضغة بين جنوع الأسنان، وكان الحاضرون فى ذلك الحضور هم الأمراء والقواد أنفسهم الذين لم يبتعدوا عن ركابه فى الشدة والرخاء والحرب والسلام. وعندما أخضع ممالك العالم ودمر الأبطال أطرافه وكان كل واحد منهم يُعرف بالاسم والصفة، ورافقوه لسنوات فى خدمته وطاعته ، وتعبوا لفترات فى ركابه ، وكانوا حارسين لصلحة ملكه وحروبه وغزواته، فكرمهم جميعًا. وجعلهم أصحاب ولاية وحكم وخيل وخدم. ومنذ ذلك، وكتب التواريخ المشهودة شاهدة على ذلك الرأى وحتى آخر الزمان تتحدث عن مآثر ومفاخر الملوك وطالما بقى فى العالم الاسم والرسم يفتشون عن حسن أخلاق الأكاسرة فى صفحات الأوراق. واليوم، والحمد والمنة لله، فإن النواب نائب السلطنة العلية مع عظمة المُلك وتوفيق عظمة الطبع ورحمة القلب يظهر فى جنة المكرمة والفضل مثل شجرة طوبى[2] على رأس الأحرار ملقية ظلها على دفاتر مآثر السلاطين السابقين ، وتحكى قصة الملوك القدامى المخزونة فى حافظة أهل

(١) عبد الله بن فضل الله الشيرازى ، المعروف بوصاف أو وصاف الحضرة الشيرازى وكتابه باسم "تجربة الأمصار وتزجية الأعصار" الذى عرف بـ تاريخ وصاف ، ألفه فى عام ٧١٢ هـ باسم اولجايتو الإيلخانى . (انظر : هزار سال نثر بارس : كريم كشاورز ، جـ ٢ ص ٩٦٤)

(٢) شجرة طوبى : اسم شجرة فى الجنة . (انظر : المعجم الفارسى الكبير : ج٢ ، ص ١٨٦٥)

التاريخ والسير كل الذى رأته مثل هذا الأمير الحر أو ما سمعته مثل هذا الملك مُعين الدولة فى كتاب، والآن يسجله القلم وعلى صفحة الكتاب بأنه يُوفق فى المعركة ويمنح فى الحفل. وقد سأل ربه ملكًا وعالمًا بالفروسية ، فاختار حضرته عن جميع العظماء وقد نال إعجاب ربه الذى [جل جلاله] رأى حضرته لائقًا وجديرًا بتفويضه نيابة السلطنة (ولاية العهد) وإعطائه هذه المكرمة. ومثلما كانت الأبوة كان الابن. والأمنية بحق محمد وآله الأمجاد، هى بأن يغتنى أهل العالم من هذه الدولة وبألا تصل آفة عين الكمال (الحسد) لوجه حسناء الإقبال طالما أن للدنيا البقاء .

١٧٢- وقائع العام ذى الطالع المبارك المطابق لسنة ألف ومائتين وسبع وثلاثين هجرية وكيفية محاربة باشوات الروم [العثمانيين] مع نائب السلطنة العلية فى قلعة طوبراق وهزيمة تلك الطائفة بعون البارى [جل جلاله] على النحو الذى مضى فى وقائع العام الماضى [ص ٣٥٧] :

كان تحرك النواب نائب السلطنة إلى [بلاد] الروم وتأديبه الجزئى لحكام الأقاليم الحدودية وتلك المناطق من أجل أن يندموا على تطاولهم وتبجحهم وتحالفهم معًا وسوء تصرفاتهم. فبعد وقوع هذه الأحوال والأوضاع ازدادوا فى العناد والنزاع أكثر وأكثر، فقد حبسوا التجار وأصحاب المعاملات الإيرانيين فى إسلامبول وسائر بلاد الروم، وتحفظوا على أموالهم فى المحلات والقوافل وأقاموا الحراسة عليها، كما أذاقوا الحجاج محنة الأيام فى عودتهم من رأس النزاع فى الشام، واستولوا على أموالهم. وبعد شهر أو شهرين، مات بعضهم فى السجن ونجا القليل وصاروا فرادى بلا رأس مال وفى الطريق لفظوا أرواحهم ولحقت بالوطن قلة القلة بلا مأوى وفى ذلة وحقارة .

وقد عُين محمد رءوف باشا من قبل البلاط القيصرى [العثمانى] على أرض الروم كقائد عسكر تلك الحدود، وحتى أواسط الربيع، انشغل باستجماع التجهيزات وأسلحة الحرب والمؤن والجنود والمدفعية والذخيرة والبارود والدانات وسائر ما يحتاجونه. لذا تحرك النواب نائب السلطنة فى أواخر شهر شعبان من دار السلطنة تبريز. ومن

المفاجآت في أثناء القدوم إلى بلدة خوى : ذهاب حسن خان القاجارى ومعه جمع من فرسان إيروان لمهاجمة قارص ونريمان والاستيلاء على قلعة "مغازبرد" التى كانت من القلاع المشهورة في تلك الحدود ، وقام بمقابلة ومقاتلة جيش الروم. وفى تلك المعركة أوقع حسن خان القاجارى سعيد أغا المسمى بـ سيواسى قائد تلك الجماعة فى الأسر ومعه ما يقرب من ألف أسير، وسلك الباقون من السيف (الأحياء) طريق الفرار. وأرسل حسن خان القاجارى سعيد أغا سيواسى ومعه الأسرى إلى بلاط صاحب الشوكة. ووصلت تلك الجماعة إلى الركاب المستطاب في خوى. وطلب نائب السلطنة العلية سعيد آغا سيواسى، الذى كان رجلاً لماحًا وذا فراسة، للحضور، وألقى عليه بعض النصائح المفيدة للباشوات وقائد عسكر أرض الروم [ص ٣٥٨] فى ترك المعاداة والتخلى عن سوء السلوك ووخامة عاقبة النزاع وإصلاح ما بين الدولتين العليتين إيران والروم [الدولة العثمانية] وسمح للأسرى جميعهم بالعودة إلى أوطانهم .

وبعد رحيل تلك الجماعة، لم يرفع الباشوات ثانية أيديهم عن العناد على تصور أنه ربما يظهر فى هذه المرة شاهد مرادهم في مرآة ادعائهم، وإنشغلوا بالتجهيز للحرب والقتال. فاعتبر النواب نائب السلطنة أن تهدئة أُس نزاع وصراع الباشوات المغرورين منحصر فى تبختر السيوف المنزفة للدماء وإطلاق نيران البنادق والمدفعية الثعبانية، فأصدر الأمر بتجميع الفرسان والمشاة العسكريين وجيش أذربيجان.

وفى أواسط شهر الصيام، تهيأت للظهور الراية المطرزة بالنصر من بلدة خوى ، وكان منظور رأيه أن يفتتح الأمر من ناحية "وان"، فكلف أغلب الجيش على ناحية الباق وسلماس. وفى [اليوم] الثانى، وصل الخبر بأن باشوات الروم وهم : جلال الدين محمد باشا ، وحافظ على باشا ، وإبراهيم باشا ، ومعهم مشاة وفرسان جيش الروم توقفوا ونصبوا خيام الإقامة بالقرب من قلعة طوبراق، وهم أيضًا فى أثناء ذلك يبذلون الاهتمام الكامل للاستيلاء على ذلك المكان. وفى قلعة طوبراق كان مكلف بحراستها ما يقدر بمائة جندى وتسعة عشر من حملة البنادق الخلجيين. وفى مدة الحصار أصبح دليل كل شيء بذلك العدد القليل، فأرسلوا إليهم الرسالة وذلك بأن يخرجوا من القلعة ويسلكوا طريق ديارهم سالمين غانمين ويسلموا القلعة بلا خوف ولا رهبة. فردت تلك

الفئة القليلة فى جوابها: بأنه طالما الروح في الجسم والرمق فى البدن، فسوف نكافح ولن نسلم القلعة من أيدينا. وبسبب الاستماع لهذه الأخبار واستعدادات الباشوات فى أمر المعركة، أحضر نائب السلطنة الأفواج القاهرة من قرب وان، وتحرك الموكب العالى من جالديران، وقدم إلى أواجق قاصداً الشكرد. ولحقت بالركاب أفواج الجند والفرسان الذين كانوا عند فتحعلى خان الحاكم العسكرى لخوى ومكلفين بحراسة الطائفة. وقد أدركت جماعة الأكراد وسكان وان، الذين كانوا قد أصبحوا مصاحبين لسكتة الخوف والفزع، بيقين أنه [ص ٣٥٩] لم يبق من العساكر المنصورة مشاة وفرسان في تلك الديار، ففتحوا جناح الإغارة ومدوا عنق التطاول والاعتداء، وفى الصباح، انصبوا مع ثلاثة أو أربعة آلاف من مشاة وفرسان الأكراد الروميين والدلى باش والهيطا على رأس طوائف خضرلو وتكورى الذين كانوا يقيمون فى توره وحاجى بيك. وهجموا على عدد من الأغنام قبل تلك الجماعة. واتفقت طائفة تكورى مع الأكراد وجيش وان، وبمجرد قدومهم مع الطائفة والأحشام والدواب والأغنام سلكوا الطريق بمرافقتهم. ومن المفاجآت الحسنة تقدم أمر وظهور كوكبة الإقبال، وهى غير العشرين فوج من جند وفرسان مقدم التى كان قائدها في ذلك الوقت سهراب خان غلام الخاصة الشريفة، وانفصلت عن المجاهدين المكلفين على سلماس، وكانت تطوى المسافة من خلفهم وتقابلوا فجأة مع جيش وان والأكراد، وانشغلوا بالقتال فى ملك الأعداء وصحراء بلا ماء منذ بدء النهار بثلاث ساعات وحتى غروب الشمس، وقد اشتدت حرارة المعركة علاوة على حرارة الصيف، وفسخوا كيان تجمع ذلك الجمع، وقتلوا وأسروا جمعًا، وأرجعوا الطائفة واستولوا على الأغنام والدواب المنهوبة مرة أخرى، وقد وصل هذا الخبر إلى نائب السلطنة عندما لحق محمد زمان خان القاجارى ومعه فتحعلى خان الحاكم العسكرى لخوى، الذى كان مكلفًا بالهجوم على مساكن وان، بالغنيمة والأغنام والدواب بالركاب.

وفى منزل أواجق، وصل الخبر إلى مدبرى أمر البلاط بأن حافظ على باشا، توجه إلى محاصرة وإخضاع قلعة طوبراق، فقد تقدم إلى السور والخندق وضيق الأمر على حراس ذلك المكان وأغلق القلعة من ثلاثة نواحٍ بالمدفعية والمقاليع (المدافع الصغيرة) وفتح بالقلعة فجوة لتخزين البارود واقترب أن ينهى أمر القلعة. وقد وضع أرامنة تلك الحدود أيضًا أقدامهم فى دائرة العصيان والتمرد باحتمائهم فى الجماعة العثمانية. فقد

تجمع ما يقرب من ألفى أسرة مسلحة بالبنادق فى "قراكليسيا" وهى الواقعة على طريق بايزيد وتبعد عن قلعة طوبراق ثمانية فراسخ، وتحصنوا فى كليسيا وجلسوا فيها. [ص ٣٦٠] فتحرك النواب نائب السلطنة من أواجق مع نفس ذلك الجمع الحاضر معه الذى كان أغلبه عائداً حديثاً من وان وهكارى والباق ، وهزم العدو وأغار على أمواله ودوابه وانطلقوا هم والخيل والأسلحة. وارتحل دون تأمل وتفكير من منزل إلى منزل. وفى أثناء المرور على كليسيا، تقدمت جماعة الأرمن طوعًا أو كرهًا بالصليب والإنجيل والقسيس ، وقاموا لاستقباله على عجل. ولم ير نائب السلطنة المصلحة فى تجمع تلك الجماعة فى مكان واحد، فأمر بأن يتفرقوا فى ديادين والمناطق الخاضعة للسيطرة. وفى تلك الليلة، توقف الجيش الباحث عن النصر فى ذلك المكان، وفى اليوم التالى تحرك من هناك، وكان منظور رأيه الأشرف بأن يتوقف فى الليل جيش ملجأ الظفر فى معسكر حسن خان القاجارى ويستريح من تعب الطريق فيقومون للحرب ويقدمون عليها وهم مستريحون. وفجأة وصل الخبر فى الطريق بأن الباشوات العثمانيين وبسبب قدوم الموكب المسعود يقضون أوقاتهم فى الاستيلاء على القلعة وإبادة حراسها ، ويستعجلون أن ينهوا أمر القلعة قبل وصول راية الظفر المعجزة. وفى هذا الحال، كان قد أرسل فدائيو القلعة رسائل عديدة إلى حسن خان، وبسبب الاستماع لهذه الكلمات لم تسكن ولم تهدأ طاقة نائب السلطنة، وعلى الفور ركب جواده ومعه القائد حسين خان وحسن خان وقليل من ملتزمى الركاب، وقادهم إلى مقربة من جبهة القتال والمعسكر العثمانى إلى درجة أن لباسهم كان ظاهراً وواضحًا بين الخيام لمراقبة ميدان المعركة وتحديد مكان اللواء وتدبير زحف المدفعية المدمرة على رأس التلال وتسهيل إغارة الجند وتخطيط ميدان المعركة واستعمال المدفعية والبنادق. وبسبب مشاهدة ذلك الحال تضايق باشوات الجيش العثمانى، فتهيأوا للحرب واستعدوا للطعن والضرب بجيش كثير العدد ، وقد ضاق السهل والجبل من ازدحامه. وأحضروا أربع عربات مدفعية مع أربعة آلاف جندى من دلى باش وهيطا والشجعان المجربين للمعركة من "بناه دره"، التى كانت واقعة فى ذلك المكان، إلى أعلى الهضبة، لمحاولة السيطرة على قمة الهضبة المرتفعة، فيكونون مرتفعين على رأس الجيش المنصور [ص ٣٦١] إذا تمكنوا من القمة أنزلوا هزيمة حقيرة بجيش الإسلام. فاشتبك ولى العهد [معهم] ومعه عدد من الأمراء

والغلمان وغلمان حملة البنادق وغلمان الخدم، وضغط ملتزمو الركاب فى خدمة نائب السلطنة بأقدامهم على سفح الجبل مثل الجبل الراسخ، وكانوا يردون على قذائف مدفعيتهم المتلاحقة بقذائف غلمان حملة بنادق فرقة قاسم خان، إلى أن وصلت بسرعة وعجلة كاملة الأفواج القاهرة من الفرسان والمشاة والجند والمدفعية العسكرية الذين كانوا خلفهم بمسافة فرسخ واحد. ومن ذلك الجانب أيضًا، سيطرت ألوية الباشوات العثمانيين على التلال والمرتفعات والهضاب قبل قدوم الجيش المنصور، وسحبوا المدفعية إلى كل الأماكن، ووقفت المشاة المستعدة سابقًا للحرب والنزاع منتظرة المعركة. وكان منظور رأى نائب السلطنة بأن يعطى أمر الهجوم على قمة الجبل من وسط (بناه دره)، وكان هذا الأمر صعبًا جدا مع تعب الجند وعطشهم وعجز خيول المدفعية وضعفها وذلك لأنهم ساروا على أقدامهم فى ذلك اليوم طريق طوله ثمانية فراسخ فى شدة الحر ودون طاقة وفى طريق ليس به ماء، وقد أسرعوا بالجرى والعدو بطول فرسخ واحد. ومع هذه الأحوال، توكل نائب السلطنة على خالق الجزء والكل [الله جل جلاله] واعتمد على طالع ملك الملوك الموفق، فكلف حسن خان القاجارى ومعه أفواج جند وفرسان إيروان ونخجوان وخوى بالهجوم على تلك الهضبة، فأسرع أبطال إيران كالدعاء المستجاب إلى أعلى، وفى الهجمة الأولى استولوا على المدافع الرومية واشتعلت المعركة، ومن حول ميدان المعركة أخذوا فى تزيين وجه الشمس والقمر وبسبب مشاهدة جلادة الجيش الجرار، هجم متهورو دلى باش وهيطا بشجاعة على المعركة والحرب، وألقوا قذائف نيران المدفعية والبنادق على أرواح بعضهما البعض، فكانت دانات القذائف والقنابل تسقط من أعلى إلى أسفل مثل الشهب المشتعلة، فتهرب الأرواح من أبدان الأبطال، وغضب جيش الروم بسبب مشاهدتهم لجسارة وعناد الجند، فانصبوا فى تهور وإقدام كاملين [ص ٣٦٢] من الثلاثة أطراف وسط جيش إيران، واختلطوا مع بعضهم البعض واشتبكوا مع أبطال إيران ومسكوا فى خناقهم وانتهى الأمر إلى السكاكين والخناجر فسقطت البيارق بين الجنود وانفصلت الرءوس عن الأبدان .

والحق أن راية الظفر قد ارتفعت فى مضمار الفضل، وفاق شجعان جيش الروم على الجنود وقتلوا بيد جلادتهم. وأنزلوا الجيش الجرار من أعلى إلى أسفل مثل الصخور الثقيلة بسبب هجوم السيل، واستعادوا مدافعهم ثانية. وبسبب مشاهدة هذا

الحال، ظهر عبوس الغضب على جبين النواب نائب السلطنة الشبيه بالبحر، وعين فوجى جند تبريز ومرند بقيادة جعفر قُلى خان المرندى وقاسم خان التركمانى ومحمد رضا خان الباكوى أخا القائد إبراهيم خان سرتيب لإمداد حسن خان القاجارى ومعاونة الجند المنهزمين، فارتفع عزم أبطال الجلادة مثل الأسود مرة أخرى مع حسن خان القاجارى وحملوا وهجموا وكان وقت الغيرة والشجاعة، فصار زمن ثبات القدم وحكمة النيران المشتعلة وأثاروا البرق واختلطوا ببعضهم البعض وصبوا النيران، وفى الهجمة الأولى، استولوا على ست عربات مدفعية وعربة مقلاع رومية، وخلعوها جميعًا من أماكنها وأنزلوها من أعلى الجبل إلى أسفل، وفى هذه الأحوال، وقفت صفوف جيش الروم لواءً لواءً، وشاهد الباشوات عظيمو الشأن مثل الناس المشاهدين والنجوم السيارة بعين الفرجة بطولات شجعان إيران، وكان لواء سليم باشا قد وقف فى الميسرة مع عشرة آلاف من مشاة وفرسان الأكراد الروميين مثل سد الإسكندر، واستقر أمامه القائد أمير خان القاجارى مع جيش أبواب جمعه، وفتح سليم باشا قذائف المدفعية المدمرة للعالم على صفوف أمير خان. واستقر النواب نائب السلطنة فى القلب مع اللواء الكبير مثل الشمس المُشرقة ، وكان العلم ذو الشكل الثعبانى يهتز من حركة نسيم الظفر. فأصدر الأمر لحراس بهرام العظمة ذى الثياب الحمراء بأن يهجموا بسرعة، وبأن يتحرك القائد أمير خان بالأمر المشبه بالقدر على رأس لواء سليم باشا. وأمر حضرة [ص ٣٦٣] نائب السلطنة عازمًا على الحرب السلطانية بأن يهجم مشاة وفرسان اللواء الكبير مع الأمراء والقادة والقواد ومشاة وفرسان الجيش الذى هو فى قوة الجبل من القلب والجناح والساق والكمين واليمين واليسار مرة واحدة على صفوف باشوات الروم .

[بيت شعر ترجمته]

كـمـا لو كـانت زلزلـة أركـان الـجـبـل

يتـحـرك حـركـة عظيـمـة

وتحرك الجند والفرسان العسكريون وأفراد الجيش والأمراء من كل جانب، وفتحوا أيديهم المدمرة لخصمهم وأطلقوا عنانهم على رءوس ألوية جيش الروم، وفتح الأبطال

أيدى الاعتداء بسفك الدماء ، فوضع جيش الروم أرواحه في الهلاك والفرار وإثارة الغبار [بيت ترجمته]

جـيش الملك في المعـركـة وفـزج الروم في هروب

والهجوم الحق كان حسنا من الأسد أما الهروب فكان من الثعلب

وفي أول حركة للواء السلطاني محشر النهب، انطلق لطف على خان كتول بغرض الاستيلاء على المدفعية الرومية مع عدة أشخاص من غلمان خدم الخيول، واستولى على المدفعية وبعدها كان قد أسقط شخصين من أبطال الروم بطلقة من بندقيته على تراب الهلاك، وبسبب الطلقة التي جاءت له على فمه، فقد تجمد في مكانه ، وقد كان رجلاً شجاعًا وبطلاً.

وبأمر ولى العهد، أثار مدفعيو النيران وبسرعة كاملة، الذين كان أميرهم إسكندر خان القاجارى، خيول العربات التي هي في قوة الجبل وسرعة البرق، وأشعلوا قذائف النيران في أرواح الروميين [شعر ترجمته]

اضطرب الفلك وقـال ممن هذه الصيحة

وفي الأغلب قد أعلن صور القيامة في العالم

وبسبب القذائف المدمرة للعالم والفاتحة القلاع، التي كانت تقضى على فارس وتخطف فارسًا آخر من جناح الجيش وتضع أقدامه في الركاب. وقد شقت الحراب التي تشبه الأفاعي صدور الجنود وأبقت الرءوس دون أجساد بسهولة. وبسبب هجوم الجيش المنصور تزلزلت أقدام ثبات واستقرار الباشوات المغرورين فتوجهوا جميعًا دفعة واحدة إلى وادى الفرار والتشرد. وعند هجوم الجند والأفواج المشعلة للنيران المحرقة للعدو، فر لواء جلال الدين محمد باشا، الذى كان يزيد عن عشرين ألفًا من المشاة والفرسان وعشرين عربة مدفع محملة بالنيران، باتجاه خنادقهم وحصونهم. [ص ٣٦٤] كما توجه إلى الهزيمة جمع حافظ على باشا الذى كان مايقرب من ألفي فرد وكان قد أحاط بالقرب من قلعة طوبراق بغرض الاستيلاء عليها. وقد أصبح معسكرهم رأس مال غنيمة ومكسب الفرسان العسكريين وغلمان الخدم. وعند هروبهم من جانب القلعة

أمطروهم حراسها من الداخل والجيش المنصور من الخارج بقذائف النيران، كما رحل من قبل لواء إبراهيم باشا، الذى كان سبعة أو ثمانية آلاف من المشاة والفرسان ، وكانوا يحرسون خندق وحصن جلال الدين محمد باشا، وقد فروا جميعًا إلى الخندق. وقد سار وراءهم فرسان الجيش المنصور غير النظاميين. وعلى الاحتياط بألا يصيب حملة بنادق إبراهيم باشا ومدفعيوه الفرسان غير النظاميين ، وكان جيش جلال الدين محمد باشا قد أحكم أقدام الثبات فى الخندق، فيخطفون كرة النصر والظفر من الجميع، فقد أخذ نائب السلطنة كل ما كان حاضراً فى الركاب من المدفعية والجند وقادهم مع القائد حسين خان إلى رأس الخندق، فدخل الجنود المظفرون مثل البرق المشتعل إلى الخندق والحصن من الجوانب الأربعة، واستولوا على إحدى وعشرين عربة مدفع ومقلاع وأربعة عشر رقعة علم ثعبانية الشكل ومعها كل مخازن الذخيرة والأسلحة والمعدات والأموال والخيام والدواب، ولم يتحمل جلال الدين حرارة المقاومة أيضًا فى الخندق، فانفسخ كيان جمعه عن بعضه، وتفرق جيشه عن بعضه، وهربوا. وتحرك القائد أمير خان القاجارى أيضًا بأمر وإشارة النواب نائب السلطنة ومعه جيش أبواب جمعه، الذى كان تحت رايته، إلى رأس سليم باشا الذى ولى هو والأكراد الروميون بوجههم من الخجل والشؤم وأسرعوا إلى صحراء الهزيمة، وتعقب أمير خان تلك الجماعة حتى ممر "خنش" ، واستولى منهم على أعلام وبيارق وخيول وأسلحة بلا حصر ولاحساب، كما استولى على مدفعيتهم أيضًا مع أسلحتهم كلها.

والخلاصة، أنه فى تلك المعركة المضطربة، التى كانت نموذجًا ليوم المحشر، قد حصلوا على قدر من الخيول والبيارق والأحياء التى لم يكن تعدادها فى مقدور المحاسبين [ص ٣٦٥] وعلى هذا القياس كان يمكن أن يسقط أمر جيش الروم من حساب سجلهم وصحيفتهم اليومية بأيدى الجيش المظفر. وكان لهم واحد وخمسون ألفًا من المشاة والفرسان خدامًا بالطعام، وما جعل المشكلة صعبة التحمل هو أن ما يقدر بعشرة آلاف فرد من الجيش الأصحاء الذين لم يصابوا بجرح قد فروا إلى أوطانهم الأصلية من معركة القتال بخيول البراق، وكان هذا الجيش الذى كانت قد جمعته دولة الروم المستقرة بألف جد وجهد وسعى وكد فى مدة تسعة أشهر من الولايات البعيدة

مثل : الشام وحلب وطرابزون ، وهذه الناحية من أقليم الروم من أرض الروم وأرزنجان وسيواس وملاطية وعنتاب وحما وحمص وسائر الولايات البعيدة، وأحضرتهم إلى ميدان المعركة. وطبقًا لتقدير الخبراء والمطلعين فإن قيمة ترسانة الأسلحة وثمن طلقات المدفعية وقيمة البارود ومخزن الذخيرة عدا المدافع والأعلام تصل إلى ستين ألف تومان ، وقد أغارت اليد الماحية على كل هذه التجهيزات والأسلحة ونهبتها في ثلاث ساعات .

ولم يكن قد زاد فرد واحد من جيش العراق علي الأمير المظفر. وكان جيش ملجأ النصرة وعامة الفرسان والمشاة النظاميين وعمال المدفعية والغلمان مع جمع قائد إيروان من جميع الجهات ومع الأحمال والأثقال يبدو للنظر أقل من ثلاثين ألفًا. وكان باشوات الروم قد وضعوا أقدامهم في ميدان المعركة بغرور وجهل واستعلاء واستكبار، بحيث لم يكن يستوعبهم الوصف. وكان للنواب نائب السلطنة وجيش ملجأ الظفر يد التوسل بالحبل المتين الدين المبين والنبى الصادق [ﷺ] وولاية أمير المؤمنين [على ابن أبى طالب] والأئمة الطاهرين[1] وليس الاحتماء بالغرور والجيش وجلادة الجند والفرسان المظفرين والفرامين التى سقطت فى يد مجاهدى نصيب النصر وقت الاعتداء والغنيمة حيث كان مدبرو أمر البلاط القيصرى [العثمانى] قد قسموا بلادنا المختارة أذربيجان كالبلاد المسلوبة لتشجيع الباشوات ووعدوهم بالاطمئنان ، وكانوا قد أعطوا لجيش الروم قلادة الإشفاق من الجلاد بالتصريح بالقتل والأسر والإغارة وسفك الدماء والتهور والوقاحة. ولكن مُحرك هذا [ص ٣٦٦]العالم الإلهي هو الواحد الذى أعطى دولة الغنى والظفر فى يد قدرة الحاكم العادل .

وطبقًا لرأى النواب نائب السلطنة بعد ظهور مثل هذا الفتح المجيد رأى أن أمر قلعة كسرى جمشيد القوى يُمكنَه أن يقيم يومًا فى ذلك المكان، وقد أنعم على كل واحد من قادة الجيش كل على قدر لياقته وقبوله للخدمة بالخلعة والإنعام والمرحمة .

(١) تبدو من المؤرخ نظرته التعصبية للمذهب الشيعي واضحة جدا ، حيث إنه يعتقد إن انتصار جيش إيران وهو الحامي لمذهب التشيع على جيش العثمانيين وهو الحامي لمذهب أهل السنة إنما جاء من تأييد النبى (ﷺ) وعلى رضى الله عنه وأئمة الشيعة الاثنى عشرية لهم على أساس أن مذهبهم هو الحق وما غيره باطل فى نظر أهل الشيعة . (المترجم)

وفي الصباح ، رحل وتوقف في منزل "خالياز" وهي أفضل مصايفهم، وقد رأى جميع العقلاء وأولو الألباب وعرفوا أنه منذ بداية هذا الأمر وحتى آخره كان منظور رأى نائب السلطنة هو أن يُنزل تأديبًا بالغًا وتحذيراً لائقًا بالباشوات المغرورين، وبعد ذلك يُوضع بناء التوحد والسلام بين الدولتين الخالدتين وتُوطد أسس المودة والمحبة أكثر من ذى قبل، وبهذه الإرادة ومن أجل إثبات الادعاء الملكى، عين النواب نائب السلطنة ميرزا محمد تقى المستوفي بالنصائح المشفقة والأوامر البليغة وأرسله إلى أرض الروم. فاقترح محمد رءوف باشا قائد العسكر في الجانب الشرقي، الذى كان رجلاً هادئًا ومطلعًا وفصيحًا وباحثًا عن المصلحة ومريداً للخير، وطلب بأنه مع هجوم الجيش المنصور وإزدحامه فى تلك المناطق لن يحدث الصلح والسلام وبأن يأمر نائب السلطنة بالرحيل، ويعود الأمراء وجيشا الطرفين إلى أماكنهم ويستريحوا عدة أيام، وبعد ذلك، يمهد مسئولو الطرفان بساط السلام والصلح بينهما، ويُعين الوكيل صاحب الاختيار من كلا الطرفين حتى يجهزا للأمر ، ولم ير ميرزا محمد تقى التوقف فى تلك الديار مناسبًا للحال والأمر حتى وصول الأخبار، فرجع إلى بلاط زحل . وهكذا وبعد هذا يدون قلم البيان الوقائع إن شاء الله تعالى. ففي ربيع السنة التالية عُين وكيل نبيل من الطرفين وتيسر قبول أمر السلام .

وقد أرسل حضرة ولى العهد كيفية الفتح فى عريضة إلى بلاط الهمايون [ص ٢٦٧] فوصلت الخلاع وألقاب الخان للفدائيين الذين كانوا قد ثبتوا أقدامهم فى معركة القتال وقد صار حسن خان القاجارى، الذى كان قد سعى وكافح أكثر من الجميع وأظهر آثار الجلادة والشجاعة، ملقبًا من اللسان المبارك بلقب الأسد الأصفر (سارو آصلان)[١] فى محفل السلطنة والتوفيق. وتقرر بأن يفتخر بهذا اللقب فى الأوامر السلطانية القضائية. ورفع النواب نائب السلطنة عنان الفتح والنصرة لراية العودة إلى بلدة خوى، ومنها لحق بدار السلطنة تبريز التي كانت مركز العزة .

(١) سارو أصلان : تركية بمعنى الأسد الأصفر ، وهى لقب كان يمنح لبعض الأمراء فى العصر الصفوى (انظر : المعجم الفارسى الكبير ، ج٢ ، ص ١٤٧٢)

١٧٣- قضية الوفاة المقدرة للأمير ذى الأثر المنزه محمد على ميرزا

كان محمد على ميرزا من أكبر الأمراء في العمر، وكان موصوفًا بالإشادة والشهادة والعقل والذكاء، وكما كان معروفًا ومشهورًا بالخبرة والوفاء والبطش والجلادة. وكان ملك الملوك الأعظم قد فوض إليه بإمارة مملكتي كرمانشاهان ولرستان وفيلي وشوشتر ودزفول وحتى حدود البصرة وبغداد. وكان ذا عزم وإرادة ثاقبة وفكر صائب. وفي صيف هذا العام المليء بالغم، تمرد على طاعته محمود باشا بابان وانضم إلى مسئولي الدولة العثمانية، فأرسل داود باشا وزير بغداد على باشا والي ديار بكر ومعه ثلاثين ألف شخص بغرض تقويته واستمداده وتضامنًا مع طلب السليمانية. وكان عمه عبد الله باشا متوسلاً بالنواب محمد على ميرزا. وبسبب الاستماع لهذا الخبر، أخرج الأمير جمع تلك الحدود مع خمسة عشر ألف شخص من كرمانشاهان، وهزم الجيش الرومي، وجعل عبد الله باشا حاكم السليمانية، وقام بالإغارة حتى ساحل قلعة بغداد . وفي تلك الكمطقة، طرأ على مزاجه الشريف مرض عضال (قوى) وفي شهر صفر وفي ريعان الشباب ودع الدنيا الفانية. فخيم غبار الحزن الكثيف على صفحة عقل شمس المآثر الحضرة العلية ملك الملوك بسبب وفاة ولده الشاب، وقد أوصل المقربون من حريم السلطنة والإجلال الآهات والتأوهات المضطربة إلى أوج الفلك الصدئ . وقد قدم الأمراء الشموس، الذين كانوا حكامًا للممالك والولايات، [ص ٣٦٨] بسبب سماعهم لهذه القضية المحرقة للنفس، مرافقين للغم والحزن ومعاشرين للحداد والمآتم، وقد لُدِغَت قلوب الأقارب وذويهم بشوك الغم، وفاضت دموع عيون الأمراء وقواد الجيش وأفراده والخدم حتى النهاية. وقد فوض الحضرة العلية السلطانية مملكته ، وكما كانت إلى محمد حسين ميرزا الخلف العزيز لذلك الأمير الفقيد الذى مسكنه الجنة .

١٧٤- بيان كيفية الأمراض المهلكة التى حدثت فى السنتين أو الثلاث سنوات هذه في بعض ممالك الصين والهند وإيران، وبيان ارتحال القائم مقام صدر الدولة الصامدة (رئيس الوزراء) من دار الغم والملل

في العامين أو الأعوام الثلاثة هذه، وبسبب تأثير حركات الأجرام العلوية واقترانات الكواكب، حدثت الأمراض المهلكة فى بعض بلاد الصين والهند، فملَّ جمع كبير الحياة وانتشرت [الأمراض] من تلك الحدود إلي بعض بلاد إيران، وحدثت في شيراز وإصفهان ويزد وكاشان وقزوين والعراق العجمى ومنها إلى بعض ولايات أذربيجان مثل مراغه وتبريز وخوى وقراجه داغ ونخجوان. وفى جميع هذه الولايات، شد جمع مزدحم متاع رحل وجودهم إلى قصر العدم والفناء. فبمجرد أن الجو كان قد أظهر عفونة، فكان كل واحد يأخذ هذا المرض. وفى السنة الأولى، كانوا يصبون الثلج والماء البارد على الوجه ويدلكونه، وكان يحدث للغالبية القيء والاستفراغ والإسهال ، وكان يستمر لمدة أربع وعشرين ساعة. وفى هذه الفترة القصيرة كان يذوب وينقص إلى درجة أنه قيل بأن الألم قد استمر لمدة شهرين ، وكان الهالك أكثر من الناجي ، ولم يكن معلومًا أن لهذا المرض انتشارًا فكان يأخذ (يصيب) واحدًا ويترك واحدًا، فكان يمسك غالبًا بخناق الشيوخ ، وقلما كان يتعرض للشباب، وأحيانًا كانت القوة الطبيعية عند الشباب تدفع سمية الهواء وتصده، ولم يظهر سر هذه الأمراض المهلكة على أحد. ولم يكن يستطيع شخص أن يقول بأنها الفجا والوباء (الكوليرا والطاعون) ولم يكن يحتمل غير الفجا والوباء .

والخلاصة أن القائم مقام صدر الدولة الخالدة، قد وضع فى دار السلطنة تبريز نظام العمل وتنظيم أمور الدولة، فقد كان المُمرض للشيوخ والشباب فى هذا الإقليم المحبوب بالعلاج والتدابير. [ص ٣٦٩] ولقد كان يُبدى فى كل الأمور المساعى الحميدة التى كانت عادة حضرته .

وبعد فتح الجيش الرومى وهزيمة تلك الجماعة، حدث أيضًا مرض فى المعسكر الملكى ، وفى فترة رجوع النواب نائب السلطنة إلى دار السلطنة تبريز ودع الحياة في الطريق جمع من الأبطال المسلمين الجُدد (الروس) والجنود الأشداء. وفي تبريز أيضًا كان سوق الاحتضار (خروج الروح من الجسم) حاميًا. وقد فر الوضيع والشريف فى تلك الديار برؤية أركان الدولة الصائبة إلى الأطراف والقرى المجاورة، ولم يتحرك القائم مقام من مكانه. وكان منهمكًا فى إتمام الأعمال الديوانية ومشغولاً بحراسة الملك والأمة إلى أن مرض فى الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة الحرام. وقد سكنت روحه

على فتوحها مع الزهاد والعُباد، ودُفن إلى جوار السيد حمزة. وبسبب الاستماع لواقعة وفاته المؤسفة هذه، انقبض للغاية عقل النواب ولى العهد ومزاجه العالي، فقد كان حضرته من أقدم خدام الدولة الخالدة البنيان ، وكان فكر مرآة فعله وعمله مثل كأس جمشيد التي يرى فيها المملكة ، وكان ضميره المنير يعكس صور تدابير الدولة، ولم يغفل عن الأمور الجزئية للدين والدولة حتى يصل إلى كليات الأمور وكان المؤسس لأساس وقاعدة إيوان السلطنة المجاور للفلك ، وقد أدرك الحزن والملل اللامحدود ملك الملوك ذى الإقبال العالى بسبب خبر وفاته المحرق للروح، وقد أصدر فرمان العالم المُطاع لمواساة ورثته، وفوض بمنصب القائم مقام إلى خلفه العظيم الأديب الأريب العالم بالأسرار والرموز سلالة الأطياب ميرزا أبى القاسم، كما منح المنصب الجليل القدر وزارة نائب السلطنة إلى خلفه الآخر ميرزا موسى خان وزين صدور وأكتاف افتخارهم بخلاع أشعة الشمس، وعطف عليهم بغاية المكارم وهم الآن يسعون ويجاهدون فى طريق الخدمة والطاعة ومشغولون بأعمال وخدمات الديوان .

١٧٥- بيان تطاول الأكراد واعتدائهم على ناحية سلماس وتعيين يوسف خان الكرجى غلام الخاصة الشريفة مع فرقة الأبطال والاستيلاء على قلعتى باشقلان وهكارى وقدوم مصطفى خان وخلعه وعودته إلى هكارى :

[ص ٣٧٠] وفى غيبة الراية المنصورة تجمع متمردو "وان" بمرافقة الأكراد ذوى الأصل السيئ وعلى حين غرة، هجموا على سلماس. ومرروا جمعًا من إناث وذكور تلك الحدود على السيف القاسى (ذبحوهم بالسيف) وبعد الإغارة وسفك الدماء رجعوا خوفًا من تلاقى الأمواج الزاخرة وفزعًا ورهبةً من انتقام الأفواج القاهرة، وانزووا فى مكامنهم مخبئين رءوس اضطرابهم بها.

فعين النواب نائب السلطنة يوسف خان الكرجى غلام الخاصة الشريفة ومعه مجموعة الأبطال وجماعة المسلمين الجُدد لقلع أماكن الأكراد ذوى الأصل السيئ

فـعين النـواب نائب السلطنة يوسف خـان الكرجي غلام الخاصـة الشريفـة ومعـه مـجـمـوعـة الأبطال وجـمـاعـة المسلمـين الجُدد لقلع أمـاكن الأكـراد ذوى الأصل السـيئ وتخريب مساكنهم وصد نيرانهم وفتنتهم. فتحرك يوسف خان من سلماس وجمع عثمان بك الهرتوشي ومعه نصير خان بك، الذي كان ابن مصطفى خان الهكارى ، وكان يُظهر العقوق بالنسبة لأبيه ويصر على إضراره، ثلاثة آلاف شخص من أكراد تلك الحدود، وأسرعوا لمقاتلة يوسف خان فتجهز يوسف خان بمائتى[1] شخص من المسلمين الجُدد واصطف للقتال فى مواجهة تلك الجماعة. وبعد سعي وجد وجهد كامل، وقعت الهزيمة على جيش الأكراد. فسلك عثمان بك مع ابن مصطفى خان وادى الفرار. وتوجه يوسف خان من حول الطريق لإخضاع باشقلان ، وفى البداية وقع خارج قلعة باشقلان على سطح هضبة صعبة وبمحاذاة البرج الذى لم يكن قد وصلت إلى حافة سطحه أنشوطة فكر الرجال ذوى الهمة العالية، وكان داخله مزدحمًا بوجود حملة البنادق، وبمجرد حضورهم صعد الأبطال من كل ناحية إلى أعلاه، وصعد دخان المدفعية والبنادق من الطرفين إلى الفلك الدخاني لمدة ساعتين أو ثلاثة، وكان حظ الأبطال مساعداً بعد ذلك فاستولوا على ذلك المكان الصعب، ورفعوا السيف بلا ندم على أهالى ذلك المكان، وأطلقوا جدولاً دمويا من أعناق الأكراد الذين لا أساس لهم.

وبعد الانتهاء من أمر تلك المنطقة توجه لإخضاع قلعة باشقلان، فصار مالكًا لذلك المكان صعب المسالك وأهلك حراسها بالسيف بلا رحمة. وفي هذا الحال كان عسكر خان الأفشارى مع جمع من أبواب جمعه مكلفًا على تلك الديار بحكم نائب السلطنة، فجعل يوسف خان إبراهيم خان حاكم باشقلان فى صحبة عسكر خان [ص ٣٧١] وأرسلهما إلى بلاط صاحب السعادة. وتوقف هو بنفسه مع الأبطال وسائر جيش أبواب جمعه من المشاة والفرسان فى تلك الحدود. وطيب خاطر رعايا وأكراد تلك الحدود الذين كانوا يخافون من بأس وسطوة زحل المهابة نائب السلطنة، ورحلهم من كل ناحية ونقلهم إلى أماكنهم ومساكنهم، وطمأنهم وأراح خاطرهم بشفقة وألطاف النواب ولي العهد وعطفه.

(١) ورد هذا الرقم فى النص هكذا ، وأعتقد أنه خطأ ؛ لأن مائتى شخص غير كافين للحرب والقتال فى مواجهة ثلاثة آلاف من الأكراد .

العباس ولم يكن قد وضع قدمه فى بلاط أى من سلاطين ملك الملوك، سريعًا على جواد الخدمة والطاعة، وأوصل نفسه فى سرعة كاملة إلى بلاط صاحب الشوكة النواب نائب السلطنة ، ووضع طوق العبودية وطاعة الأوامر على رقبته، وصار ملتزمًا بالخدمات ومتقبلاً إرسال الهدايا وإظهار الفدائية، وتزينت أكتافه وصدره بالخلاع الثمينة، وعاد إلى هكارى مقضيًا المرام وموفقًا . وفى تلك الأوقات أيضًا، عقد ابنه نصير خان بك، الذى كان يُظهر العداوة مع أبيه متاع الرحيل عن الدنيا واستراح والده من شوك تعبه .

وبعد إتمام الأمور وتأديب الأشرار القريب منهم والبعيد، لحق يوسف خان بعتبة الجلالة السنية، وبأمر النواب نائب السلطنة كُلف مائتا شخص من الأبطال بحراسة قلعة "باشقلان" .

وفى هذا العام أصبح القائد أمير خان القاجارى وبأمر ولى العهد مفتخرًا بحراسة وقيادة إمارة خوى وتوابعها، وترك لقبضته المقتدرة سلطة أمور المناطق حتى هكارى وباشقلان والكردستان. والآن فإن جميع الأمراء وزعماء الأكراد وطوائف تلك الحدود على خط طاعته، ولا يجرءون على رد أمره ، ولايجول بخاطرهم التمرد عليه.

١٧٦- بيان توسل محمود باشا بابان ولجوئه إلى النواب ولى العهد، وتعيين إبراهيم خان الباكوى على تلك المنطقة ، وتنصيب محمود باشا على السليمانية، والاستيلاء على كركوك وكوى، وإغارة وهجوم الجيش حتى ساحل الموصل، والتحاق محمود باشا ببلاط زحل [ص ٣٧٢] ولى العهد ، وحصوله على الخلعة والإنعام وعودته :

فوض محمد حسين ميرزا إلى عبد الله باشا بحكومة السليمانية وبابان ، وكما كانت، فذهب محمود باشا مرة أخرى إلى السليمانية مع على باشا والى ديار بكر، وأنزل الهزيمة بعبد الله باشا ، وفرق جيش ساخلوى وشتته، الذى كان قد أوقفه هناك محمد حسين ميرزا ، وجلس [محمود باشا] بنفسه على حكومة السليمانية. وقد

محمد حسين ميرزا ، وجلس [محمود باشا] بنفسه على حكومة السليمانية. وقد وصلت هذه الأخبار المضطربة إلى مسامع الدولة العلية، فتعين الأمير عبد الله ميرزا من زنجان على تلك المنطقة الحدودية. وبعد خراب تلك الحدود بسبب انتشار المرض الذى كان رائجًا هناك، رجع عبد الله ميرزا إلى زنجان، ولم يتحمل محمود باشا أيضًا حرارة المقاومة بسبب انتشار المرض المعهود، وفر هاربًا باتجاه كركوك. وتمكن عبد الله باشا من السليمانية، وجمع محمود باشا تجمعًا من جديد وقصد السليمانية، ووصل خبر عزمه إلى مسامع مسئولى الدولة القاهرة، فكلف الحضرة العلية السلطانية، النواب نائب السلطنة وأمره بأن يضع فى عهده اهتمامه بأمور مناطق الكردستان والعراق العربى ، وأن يعطيها جيشًا وتنظيمًا بحيث لا يصلها عيب ولا نقص فيما بعد بأى وجه من الوجوه .

فعين حضرة ولى عهد السلطنة العلية من بين ملتزمى بلاط صاحب الشوكة محمد حسين خان رئيس التشريفات، الذى كان رجلاً لائقًا ومنفذًا للأوامر، ومعه عدد من الأشداء على تلك الحدود. كما أصدر الأمر وقرر بأن يتوجه محمود باشا إلى الحضور باهر النور أو أن يخرج من الممالك السلطانية المحروسة. وقابله محمد حسين خان فى كركوك، وعرض عليه رسالة كلها تهديد وحمله الرسالة المدونة بالشيم، فندم محمود باشا عن جميع أفعاله وضرب يد التوسل بحبل الدولة خالدة البنيان المتين، وتقبل الخدمة والعبودية والطاعة، وأرسل عثمان بك أخاه الأصغر، الذى كان رجلاً رشيدًا ومجربًا ومحنكًا ، وكان حاكمًا على ذلك الإقليم من قبل أخيه، فى صحبة محمد حسين خان إلى بلاط صاحب الشوكة النواب نائب السلطنة.[ص ٣٧٣] فصارت رأفة ورحمة ولى عهد ملك الملوك شاملة لحاله وكافة أحواله، كما صار موضع الإنعامات اللائقة. وبالمصاحب لهذه الأحوال، توسل عمه عبد الله باشا بالدولة العلية العثمانية، فحصل على الخلعة من داود باشا، وأصبح مستعدًا مرة أخرى للفتنة والفساد، فمنح حضرة نائب السلطنة العلية الخلعة وحكومة السليمانية وبابان إلى محمود باشا، وعين على رأس عبد الله باشا القائد (العميد) إبراهيم خان الباكوى مع فوجى تبريز ومراغه، اللذين كانا قائدهما جعفر قلى خان بن أحمد خان مقدم، وفى صحبة عثمان بك. فأغلق إبراهيم خان الطرق على عبد الله باشا فى أثناء حضوره إلى السليمانية، ولم يجد عبد

الله باشا مناصًا ولا ملجأً سوى بلاط صاحب العظمة، فأسرع إلى بلاط ملجأ الخلائق، فألبسه إبراهيم خان الخلعة ، وحكومة محمود باشا وهى ما بين كوى والسليمانية، ومكنه فى السليمانية .

وبالمصاحب لهذه الأحوال، أعطى داود باشا جمعًا لمحمد باشا حاكم كوى، وأرسله إلى أربيل فَرحَلَ محمد باشا رحْلَ ومُلك محمود باشا، الذى كان فى أربيل، وأرسله إلى الموصل كى يتوجه من هناك إلى بغداد. فأرسلت أم محمود باشا عريضة بكيفية الأحوال إلى بلاط النواب ولى العهد، فالتهبت نيران غضب حضرة نائب السلطنة، وأرسل رسالة كلها تهديد مع القائد إبراهيم خان "بأنه إذا حمل رحل وملك محمود باشا ووالدته إلى إسلامبول فيكون إعادتهم فى اهتمامك ويجب أن تتعقبهم وتستردهم من تلك الجماعة ، وإذا تهاونت وضعفت فى هذه الخدمة، فيكون كل قادتك وجيشك موضع التأديب والمحاكمة والسخط " وبوصول الخطاب الذى يحمل صفة القضاء، سار القائد إبراهيم خان من منزل إلى منزل حتى كركوك، وبمجرد القدوم، حاصر الجيش قلعة كركوك، ولكن أصوات المدفعية والبنادق وضجيج الحرب والمعركة عبرت إيوان زحل، وكانت المناوشات والصراعات تقع كل يوم من الطرفين، ولم يتحمل بكر باشا حاكم ذلك المكان حرارة ضربات الجيش المنصور [ص ٣٧٤] ودخل من باب العجز وطلب الأمان، وأرسل الهدايا اللائقة إلى بلاط صاحب الشوكة. ورحل إبراهيم خان من هناك وتوجه إلى أربيل، وبقدوم الجيش المنصور، أغلقوا الطرق وحاصروا قلعة أربيل. ولم يعتبر إبراهيم خان وسائر القواد الهجوم مناسبًا، على الاحتياط بألا يصل ضرر إلى رحل ، وملك الأخ محمود باشا وأشياعه وأتباعه، الذين كانوا فى القلعة أو يهلك شخص وسط المعركة. ولذا أخرجوا بالشدة والشكيمة الكاملة رحل الأخ وأتباع محمود باشا وأنصاره من هناك وأرسلوهم إلى المعسكر، ومن هناك رحلوا، وسقطوا على ساحل الموصل، وحاصروا كل أطراف الموصل بشدة، وطلبوا رحل وملك محمود باشا وأمه. فأرسل باشا الموصل أم محمود باشا ونساءه وأطفاله مع سائر كل من كان ، وكل ما كان فى عزة واحترام كاملين إلى خارج القلعة ، وبعث بهم إلى المعسكر المُزين بالنصر.

وبعد إتمام كل هذه الخدمات، ذهب إبراهيم خان إلى كوى، وحاصر محمد باشا حاكم كوى، وأغلق الطرق والشوارع من كل ناحية وامتدت فترة الحصار خمسة

محمد باشا حاكم كوى سطوة الجيش المنصور وصلابته، فاعترف بعجزه وقصوره، وطلب السماح له بالخروج وسلم القلعة ولم يتعرض له أحد، وتوجه إلى بغداد. ودخل الجيش المنصور إلى كوى واستولى على أربع عشرة عربة مدفع ومعها مصنع الأسلحة، فدمروا المدافع وأخذوا مصنع الأسلحة. وجعلوا عثمان بك الحاكم المستقل فى كوى. وبعد انتظام أمور تلك الحدود، قصدوا بلاط صاحب السعادة، ومن خلفهم توجه محمود باشا إلى بلاط متكئ زحل، ورأى كافة أنواع الرأفة والعطف والإحسان من النواب نائب السلطنة، ورجع إلى السليمانية، وصار منشغلاً بالحكم فى كامل الاستقلال .

١٧٧- وقائع العام المبارك الموافق لسنة ألف [ص ٣٧٥] ومائتين وثمان وثلاثين هجرية ، وكيفية وقوع المصالحة العامة (السلام الشامل) فيما بين دولتى إيران والروم (الدولة العثمانية) :

فى بداية ربيع هذا العام ذى الطالع السعيد، وحيث كان البلبل واقفًا فوق شجرة الورد نافشًا جناحيه ومغردًا بألف حكاية، وكان طائر الحجل يترنم على غصن شجرة الصفصاف بفصول من قصص العشق والمحبة، وصل فرمان من سلطان الروم عالى الجاه إلى محمد رءوف باشا قائد عسكر الشرق ووالى أرض الروم بشأن اختيار المصالحة العامة (السلام الشامل) والصداقة بين الدولتين الخالدتين إلى الأبد، وقد كان الباشا المشار اليه رجلاً هادئًا وصاحب حال وكمال، ومحنكًا ومجربًا، رأى حرارة العهد وبرودته، فأقر المُعزى إليه المراتب والموضوعات المذكورة إلى مدبرى أمر الدولة الخالدة ، وأخبر بها نائب السلطنة العلية .

وعلى الرغم من أن [ولى العهد عباس ميرزا] قد أضاف عدة ممالك واسعة الأنحاء إلى الممالك السلطانية المحروسة وقت معاقبة وتأديب الباشوات المغرورين وكسر عنادهم وهو ماكان المطلب الأصلى له، فإن رأى مُزين العالم حضرة ولى العهد، الذى هو مُسند أراء هذه الدولة فيروزة المهد، لم يعتبر ثانية أن إثارة غبار الخصومة والنزاع وسفك دماء الأبرياء ووقوع الفوضى والاضطرابات وعدم الأمان فى الطرق والمسالك والمعابر

مناسباً لرعاية وحدة الأمة الإسلامية واتحاد الدولتين الخالدتين دائماً، فعرض كيفية مكنون ضمير السلطان الرومى (العثمانى) عالى الجاه على موطئ عرش سلطنة المصير الحضرة العلية ملك الملوك موطئ زحل، الذى أعطى الإذن والسماح لقبلة العالم والعالمين حضرة ولى العهد وجعله صاحب الاختيار الكامل ، وأذنه بأن يعمل فى كل حال ومقال مايراه فى المصلحة والفلاح .

ومن ثم، وبعد الحصول على الإذن من بلاط سماء الجاه، أرسل النواب نائب السلطنة العلية مقرب الحضرة العلية ميرزا محمد على المستوفى الاشتيانى إلى أرض الروم من أجل إتمام هذا الأمر وإكمال الصلح والسلام الراسخ وأوكله بأن يجلس مع الباشا المشار إليه فى محفل المصادقة والوحدة والمباحثة وتنفيذ الأمور ، وأن يتحدثا فى شأن السلام والحرب وأن يقرأ من كتاب العقلانية والرأى الرزين والفكر المبصر لعواقب الأمور كل ماهو فى خير وصلاح المسلمين وباعثاً على علو الملك والدين [ص ٢٧٦] وقاضياً بصلاح وفلاح الدولتين الخالدتين وخيرهما. وبعد قدوم المشار إليه (ميرزا محمد على) إلى أرض الروم، اجتمع مع محمد رءوف باشا فى خلوة وعلى انفراد، ووسط حديث الأنس والمؤانسة بين الدولتين الخالدتين الأساس وفى النهاية، استقرت المحادثات على الصلح والسلام، وخُتِم الكلام بتمنيات الخير للأنام ورضا الملك العلام (الله جل جلاله) .

١٧٨- نص اتفاقية السلام ومعاهدة الصلح[١] بين الدولتين البهيتين بقلم سلالة الوزراء ثمرة السادات العظام ميرزا أبى القاسم القائم مقام :

إن الهدف والغرض من تدوين هذا الكتاب (هذه الاتفاقية) المستطاب هو أنه فى السنوات العدة هذه، وبسبب وقوع بعض الحوادث بين الدولتين المسلمتين العليتين قد تبدلت بينهما علاقات السلام والصفاء وعلائق الصداقة والألفة الأزلية بالعداوة

(١) عرفت هذه المعاهدة فى التاريخ باسم (معاهدة أرض الروم الأولى) وكان توقيعها فى عام ١٢٣٨ ه ق الموافق ١٨٢٣م . (انظر العلاقات العراقية الإيرانية : عبد العزيز سليمان نوار ، القاهرة ١٩٧٤ . ص ٢٦)

تبدلت بينهما علاقات السلام والصفاء وعلائق الصداقة والألفة الأزلية بالعداوة والخصومة وأدت إلى الحرب وتعكير الصفو بين الدولتين، وبمقتضى وحدة الجماعة الإسلامية وعدم رضا الطرفين على سفك الدماء ووقوع هذه الأنواع من الحوادث والغوغاء، فقد أُعلنت الرغبة والموافقة من قِبل الدولتين الفخيمتين على إعادة السلم والمودة وتجديد أواصر الصداقة والمحبة بينهما .

وبموجب فرمان الهمايون الحضرة العلية عالم الحشمة، مانح الملك للملك، ماسك زينة التاج والعرش، خديو الأرض والعصر، جمال الإسلام والمسلمين، جلال الدنيا والدين، غياث الحق واليقين، بطل الماء والطين، ظل الله الممدود في الأراضين، حارس الحوزة السليمانية، باسط بساط حراسة العالم، حاكم عرش سليمان، مقدرة وقوة جيش النجوم، ملجأ الإسلام، مانح زينة عرش الملوك، ملك ملوك العالم، مانح التاج الموفق، ملك ملوك ممالك إيران، الخاقان بن الخاقان المجاهد فتحعلى شاه خلد الله ملكه وإقباله قد اختص بوكالة الاتفاقية صاحب مهمة الحكم والرسالة السامية الغرة الغراء للدولة والسلطنة الدوحة العلياء للعظمة وملك العالم مالك رقاب الفلك حضرة زحل الهمة كوكب المشترى الفطنة الركن الركين لصاحب الجلالة، غصن الإقبال الرطيب الأمير الحر ولى عهد الدولة العلية إيران عباس ميرزا عز نصره هذا العبد المملوك والغلام المُفدى بروحه. [ص ٣٧٧] وكانت قد منحت وأعطيت من قِبل الدولة العلية العثمانية أيضًا بأمر وفرمان الحضرة العلية زحل المنزلة شمس الفلك السلطانى بدر الأفق صاحب التاج السلطانى ملجأ الإسلام سلطان البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين ذى الشوكة والشهامة السلطان بن السلطان بن السلطان المجاهد محمود خان أيد الله ملكه وإقباله، وكالة الاتفاقية إلى صاحب العزة المنتسب للنبالة المكتسب للجلالة متمم أمور الجمهور بالفكر الثاقب وممهد قواعد الأمور بالرأى الصائب، الصدر الأكرم السابق والى ولاية أرض الروم قائد عسكر ناحية الشرق محمد أمين رءوف باشا دام مجده .

وقد عقد هذا العبد المملوك (ميرزا محمد على المستوفى) مجلس المحادثات فى المدينة المذكورة (أرض الروم) مع جناب قائد العسكر المشار إليه وذلك بعد مبادلة

ومناولة وكالات الاتفاقية المباركة بينهما، وتحددت وترتبت معاهدة الصلح والسلام المباركة على هذا النظام:

لائحة الاتفاقية [الدستور] : إنه في تاريخ [سنة] ألف ومائة وتسع وخمسين وبموجب المصالحة والاتفاقية التي وقعت[1] فإن الحدود والخطوط القديمة والشروط السابقة من أمر الحجاج والتجار ورد الفارين وتخلية سبيل الأسرى وإقامة شخص معين في الدولتين العليتين تكون، باقية ومرعية على التمام والكمال وموضع الاهتمام بين الدولتين ولا يطرأ خلل بأركانها [الاتفاقية] على أي وجه من الوجوه. وبأن تستمر بين الدولتين شروط الصداقة والأخوة ومقتضيات الألفة والمحبة الأبدية، وبعدها يكون سيف الخلاف في الغلاف وبألا تقع بين الدولتين المعاملة المؤدية إلى تعكير الصفو وتجميد العلاقات والمنافية للسلم والصفاء. وكل ما وقع في يد دولة إيران الفخيمة في أثناء الحرب والقتال من داخل الحدود القديمة للدولة العثمانية العلية من بين القلاع والأراضي والصحراء والمدن والقرى يُسلم كاملاً إلى طرف الدولة العثمانية وقت تحرير المُصالحة من تاريخ هذه الهدنة المعتبرة إلى فترة الستين يومًا. ولمراعاة حرمة هذه المصالحة الخيرية، يُخلي سبيل أسرى الطرفين دون كتم وإخفاء وأن يعطوا كل ما يحتاجون إليه في أثناء الطريق من مأكولات وغيرها، ويوصلوهم إلى أطراف حدود الطرفين [ص ٣٧٨] .

المادة الأولى: لايجوز للدولتين العليتين التدخل في الأمور الداخلية لبعضهما ولا يعتبر جائزًا فيما بعد التدخل من قِبل بغداد والكردستان. ومن بين القرى، التي تدخل في الحدود المرتبطة بالألوية والكردستان، لا تُحمى لأي سبب من الأسباب ولا لأي وجه من الوجوه من قِبل دولة إيران العلية بالتدخل والاعتداء والتعرض على المسئولين عليها في السابق واللاحق . وفي القرى المذكورة إذا عبر أهالي الطرفين للمصيف والمشتى، فإنهم يدفعون الرسوم (الضرائب) العادية وتُبلغ المصايف والمشاتي وسائر الدعاوى التي تحدث بين الوكلاء النواب ولي عهد دولة إيران ووزير بغداد، وذلك حتى لا يبعث على إثارة المشاكل بين الدولتين .

(١) يقصد اتفاقية نادر شاه الأفشاري التي وقعها مع العثمانيين في عام ١١٥٩ هـ.ق = ١٧٤٦ م . وكانت قد وقع قبلها معهم في ١١٤٦ هـ.ق = ١٧٣٣ م اتفاقية ترسيم الحدود وأيضًا في ١١٦٠ هـ.ق = ١٧٤٧ م تنازل لهم عن جزء من العراق وأذربيجان. (انظر The Cambridge History of Islam. Vol. 1. P. 430-431)

المادة الثانية : أن تعامل [الدولة العثمانية] من أهالي إيران الأشخاص - الذين يترددون على الكعبة المكرمة والمدينة المنورة وسائر البلاد الإسلامية مثل معاملة الحجاج والزوار والتجار والمترددين من أهالي البلاد الرومية الإسلامية ، وأن يتعاملوا مع تلك الجماعة مثل أهاليهم(١) وألا تطلب منهم شيئًا (الضريبة) وسائر النفقات المخالفة لقانون الشريعة في الأصل. وكذلك لاتطلب من زوار العتبات العاليات الخيرية وغيرها ماداموا لايملكون مال التجارة، وإذا كان معهم مال التجارة يطلب منهم الجمرك (الضريبة) وفقًا للحساب ولا يطلبون الزيادة. ومن ناحية دولة إيران أيضًا، بأن تتعامل مع تجار طرف الدولة العثمانية وأهاليها على هذا الوجه وبمقتضى الشروط السابقة، وإنه فيما بعد من حق حجاج وتجار دولة إيران العلية تنفيذ وإجراء الشروط القديمة وأن يُراعوا بدقة وعناية من قِبل الوزراء العظام وأمير الحج وأمير الأمراء الكرام وسائر ضباط وحكام الدولة العلية العثمانية وبأن تُراعى أحوالهم من قِبل أمين صرة الهمايون من الشام الشريف وحتى الحرمين المحترمين ومنهما إلى الشام الشريف. ولا تخالف الشروط بأى وجه من الوجوه. وبأن تهتم بحمايتهم وإذا حدث نزاع بينهم فيراقبهم أمين صرة الهمايون، بمعرفة [ص ٣٧٩] الشخص المعتمد المُعين بينهم ، وبأن تُراعى لياقة المنزلة وإعزاز مخدرات الحرم السلطاني وحريم الأمراء العظام وسائر أكابر دولة إيران البهية اللاتى يذهبن إلى مكة المعظمة والعتبات العالية. وكذلك، بخصوص رسوم الجمرك (الضريبة) يُعامل تجار وأهالي دولة إيران البهية مثل معاملة الدولة العثمانية العلية، وأن تأخذ من أموال تجارتهم مرة واحدة أربع بيعات ضريبة من مائة بيعة (٤٪ ضريبة)، وتسلمهم التذكرة ومادامت لم تنتقل من أيديهم إلى أيد أخرى لا تأخذ منهم الجمرك ثانية. وأن لاينحصر تجار إيران فى بيع وشراء غليون شيراز (الشبك الشيرازى) الذى يحضرونه إلى دار السعادة (إسلامبول) وأن يبيعوه إلى كل شخص يرغبه، وأن يتعاملوا معاملة الصداقة مع تجار وأتباع وأهالي الدولتين العليتين، الذين يترددون على ممالك الجانبين، بمقتضى وحدة الجماعة الإسلامية، وأن يحفظوا الجميع من كل ضرر وأذى.

(١) يقصد فى ذلك أن يعامل المسئولون العثمانيون أهالى إيران القادمين للحج والتجارة وغيرها مثل معاملتهم لذويهم من المسلمين الخاضعين للحكومة العثمانية .

المادة الثالثة : كل ما كان متنازعًا فيه بين عشيرتي حيدرانلو وسبيكي وهما اليوم تسكنان في أرض الدولة العثمانية العلية ، ومازالتا في ناحيتها، فإذا اعتدوا على حدود ممالك إيران وألحقوا الضرر بها، فيدقق حكام الحدود (العثمانيون) في منعهم وتربيتهم، وإذا لم يرفعوا أيديهم عن الاعتداء والضرر ولاتمنعهم الولاية الحدودية فتوقف الدولة العثمانية العلية يدها عن حمايتهم وتحالفها معهم. وإذا عبروا إلى ناحية إيران برضاهم واختيارهم فلا تمنعهم الدولة العثمانية ولا تحميهم ولا تحالفهم ، وبعد ذلك يعبرون إلى ناحية دولة إيران البهية، وبعدها إذا رجعوا إلى الأراضي العثمانية فبالقطع لاتقبلهم ولا تحميهم. وفي حالة عبورهم إلى ناحية إيران وفي ذلك الوقت يتجاوزون حدود الدولة العثمانية العلية ويلحقون الخسارة بها، فيدقق رؤساء حدود دولة إيران العلية في منعهم واعتدائهم .

المادة الرابعة : وبموجب الشرط القديم لا يتحالف أحد الطرفين مع الفارين من الدولتين. وكذلك [ص ٣٨٠] كل شخص من بين العشائر والطوائف بعد هذا التاريخ يهرب من الدولة العلية العثمانية إلى الدولة الفخيمة إيران أو يهرب من الدولة البهية إيران إلى الدولة العلية العثمانية يجب ألا يحميا أولئك الهاربين .

المادة الخامسة : كل ما كان قد وُضِعَ تحت الحراسة في دار السلطنة (إسلامبول) وسائر ممالك الدولة العثمانية العلية من أموال تجار إيران الموافقة للشرع والسجلات تُسلم إلى أصحابها بموجب الدفاتر المدونة وبمعرفة الشريعة ومعتمد دولة إيران. وغير الأموال الموضوعة تحت الحراسة، يُسلم ما كان قد صادره عنوة بعض مسئولو الحراسة في الممالك العثمانية من الحجاج والتجار وسائر أهالي إيران في أثناء وقوع الاعتداء وذلك بعد الإفادة والإعلان من دولة إيران العلية وأن يصدر من الدولة العثمانية الفرمان طبقًا لنفس عهدة وكيلها في كل مكان وبعد الإثبات والسجل الشرعي .

المادة السادسة : كل شخص من أهالي ممالك الطرفين يموت في ممالك الدولة العثمانية العلية، فإذا لم يكن له الوارث والوصي الشرعي، يُسجل مأمورو بيت المال تركة ذلك المتوفي بمعرفة الشرع ويوصلونها إلى الديوان والسجل الشرعي، وأن

يحفظوا ذلك المال بعينه في مكان آمن لمدة عام إلى أن يأتي وارثه ووكيله الشرعي، ويتسلم الأشياء المتروكة (الموروثة) بموجب الديوان والسجل الشرعي. ويأخذون الضرائب العادية وإيجار تلك الأشياء، وإذا حُرقت تلك الأشياء وتُلفت في المدة المذكورة لا يضيع إدعاؤها (المطالبة بها) وإذا لم يصل في المدة المذكورة الوارث والوصي، فيبيع موظفو بيت المال التركة المحفوظة بمعرفة معتمد (سفير) دولة إيران العلية، ويحفظون ثمنها.

المادة السابعة : بموجب الشرط السابق ومن تأييد وتأبيد الصداقة والمودة يعتكف ويقيم كل ثلاثة أعوام شخص من الدولتين في كلا الطرفين العليين، ومن مسئولية الدولتين العليتين وتبعتهما ألا يسيئا في أثناء الحديث الذي مر على الطرفين إلى حقهما مراعاة لحرمة هذه المصالحة الخيرية .

الخاتمة : كل ما [ص ٣٨١] ذكر من لائحة وشروط ومواد فيما سبق بعاليه قد تقرر بالمحادثات على المنوال المدون. وصار مقبولاً من الطرفين بأن يُصرف النظر عن المطالبة بالأموال المنهوبة والضائعة وتضمين النفقات الجزئية من الجانبين ونسيان ما مضى قوله. وبأن يتم تبادل التصديق على الاتفاقيات وفقًا للعادة من قبل الدولتين العليتين وأن يلتقيا مع بعضهما بواسطة السفير الوسيط من تاريخ هذه الهدنة حتى مدة الستين يومًا على حافة الحدود، وتسلم وتصل إلى عاصمة الطرفين. وعلى هذا الوجه تصبح هذه الاتفاقية والمصالحة الخيرية مرعية وموضع الاهتمام بالسلام الحقيقي من تاريخ هذه الهدنة ، وأن تنطفئ من كل جهة نيران الخصومة والعنف. ألا يسمحوا بالحركات والأفعال والمعاملات المنافية للصداقة والمخالفة لهذه العهود والشروط المعقودة والمربوطة من الجانبين. وأن تُوقع وتُختم هذه الاتفاقية من قبل جناب الوكيل المشار إليه (العثماني) نظرًا للرخصة الكاملة له من قبل الدولة العثمانية في هذا التاريخ وهو سنة ألف ومائتين وثماني وثلاثين في يوم الأحد التاسع عشر من شهر ذي القعدة الشريف. الخاتمة بالخير والسعادة والحمد لله أولاً وأخيرًا وظاهرًا، تحريرًا في شهر محرم الحرام سنة ألف ومائتين وتسع وثلاثين .

١٧٩- بيان وقائع العام المبارك سنة ألف ومائتين وتسع وثلاثين هجرية المطابقة لسنة القرد التركية(١) :

فى غرة شهر ذى القعدة الحرام، أضاءت رايات جلال ملك الملوك الفريد ساحة مرج سلطانية، فقد أحضر حضرة ولى العهد إلى الركاب المبارك من أجل مشاورته فى بعض الأمور. وبالمصاحب لقدوم نائب السلطنة العلية إلى ركاب فاتح العالم، كان قد تشرف بالصدور الفرمان اللازم الإذعان بإحضار بعض أمراء النواحى. وقد انضموا فى ذلك الوقت إلى ركاب السعادة ولكن النواب ولى العهد، طرأ عليه مرض صعب على مزاجه المبارك وهو فى منزل "آق كند خلخال"، إلى درجة أنه لم يقدر على الحركة والركوب، وجلس على العرش المحمول، ووصل ملتزمو الركاب المظفر بغاية القلق والاضطراب، وانشغل الأطباء الذين كانوا حاضرين،[ص ٣٨٢] بمداواته وعلاجه. وقد فاق أثناء طلوع الصبح الصادق، وبقيت النقاهة والضعف الكلى. ولما كان نائب السلطنة قاصداً زنجان، فقد وصل خبر مرض حضرته إلى سمع مقيمي الحضرة السلطانية. فاختار الانزواء فى صبر وسكون عن ساحة خاطر أعمدة الأمن والأمان وعماد الإسلام والمسلمين. وبموجب الفرمان، أرسل محمد حسين رئيس الأطباء الخاص بالديوان والعرش المحمول إلى زنجان، ولما كان المنجمون والعالمون بالفلك أساس سعادة زحل الرفعة قد حددوا قدوم ولى العهد إلى سلطانية قبل الغروب بساعة، فبموجب الفرمان نُصبت فى المكان المسمى بمنطقة "آرخى" خيمة الإجلال من أجل قدوم ولى العهد الفريد. ونزل نائب السلطنة بإجلال فى ذلك المقام، وكان شوق اللقاء لولى العهد والقلق على مرضه يشوش ويقلق خاطر وعقل خديو العصر وأساس أمن وأمان العالمين، فقد كان فى مرج سلطانية ينتظر قدوم المقدم المسعود لابنه الذى لامثيل له، وقد أرسل حضرة السلطان ظل السلطان الأمير على خان مسرعًا إلى منطقة "آرخى" من أجل

(١) سال بيجي ئيل تركى : سنة القرد وهى السنة التاسعة من التقويم التركى الشرقى (انظر المعجم الفارسى الكبير ، ج١ ، ص ٦٧)

تفحص أحوال نائب سلطنة إيران ولكى يكتب كيفية الأحوال مباشرة ويلحق مع أخيه الجوهر العالى بمعسكر الهمايون. وقبل الغروب، الذى كان موعد حضور حضرة ولى العهد، كُلف قائد الجيش ومعه المدفعية وكافة الجيوش لاستقباله، وقد وقفت الأعلام المرفوعة على أحد جوانب الطريق، كما اصطف على الجانب الآخر الوزراء والأمراء وجميع قواد الفرسان مع فرق جيوش أبواب جمعهم. وقد اصطف بالقرب من قصر الهمايون الأمراء العظام والأمراء القاجاريون فى صفوف. وقدم حضرة ولى العهد بالسلامة وتباهى بشرف الحضور فى الخلوة السلطانية الخاصة. وقد احتضن السلطان ملجأ العالم الابن السعيد فى حضن العطف والرحمة بسبب كمال عطفه ورحمته واستراح من جديد وهدأ بسبب نعمة سلامة حضرته. وقد أسرع حضرة ولى العهد[ص ٢٨٣] من الخلوة الخاصة إلى القصر السماوى فى خدمة ملك الملوك. وفى غد ذلك اليوم، كلف نائب السلطنة بالتوقف والاستراحة فى موضع خاص من أجل إزاحة الكسل والتخلص من النقاهة والضعف. وعين جمعًا من حجاب فلك القباب من أجل خدمة وتمريض حضرته. وفى اليوم التالى أُقيمت الخيمة الخاصة بالهمايون الخاقانى بجانب القصر السليمانى وخصصها من أجل راحة ولى العهد. واستراح نائب السلطنة فى ذلك المقام. وقد تشرف جميع الأمراء العظام والوزراء والمستوفيون ومقربو الحضرة وعمال البلاط وأمناء الدولة المحترمون ومسئولو الشوكة المشهورين بسلامة ولى العهد. وقدم إلى كل واحد من الغلمان عناية لائقة ومكرمة بلا نهاية. وحيث كانت مكانته قبل قدوم المقدم المسعود لولى العهد، أن حضرة خديو المهد قد أصدر الأمر إلى جميع الأمراء بأن يسلكوا طريق الخدمة والطاعة ، وأن يرعوا روية الطاعة وينظروا إلى طاعة الأكبر بالنسبة لولى العهد كما ينبغى ويجب. فتقدم جميع الأمراء وأولاد الخاقان بقدم الإخلاص والخدمة والطاعة، وسلكوا طريق التواضع والخضوع أكثر من ذى قبل .

وعلى الرغم من أن نائب السلطنة العلية قد أمر الإخوة بالجلوس، فإنهم لم يجلسوا على بساط الأدب وتحزموا بحزام طاعة وخدمة حضرته ، ولم يفقد الأمير حسن على ميرزا أيضًا، الذى كان قد أُحضر فى تلك الأيام، رعاية الأدب مثل باقى الأمراء. وكان الملك ملجأ العالم فى كل يوم يُطيب خاطر ولى العهد بالإنعامات الجديدة

والإحسانات اللامحدودة وعطايا الخلاع الفاخرة والعنايات الوافرة وبمنحه الخيول والسيوف المصقولة، وكان يرعى ضعف ونقاهة حضرته بالتقريبات. وقد افتخر ثلاثة أشخاص من الأمراء العظام، الذين كانوا متشرفين بالحضور الخاقاني فى ركاب حضرة ولى العهد، وهم النواب الأمير محمد ميرزا وسيف الملوك ميرزا وخسرو ميرزا[1] بعطايا الخيول والسيوف [ص ٣٨٤] وقد كانوا في كل يوم، وحيث كان وقت تدريب الجيش النظامي، يقومون بتعليم الأفواج الهمايونية السلطانية الخاصة ، وكانوا يظهرون مهارتهم وخبرتهم فى قواعد العسكرية الجديدة كما ينبغى ويليق. وفى أيام قليلة أظهرت الأفواج اختلافًا كبيرًا في نظام تدريباتهم بسبب تعليم النواب محمد ميرزا وسيف الملوك ميرزا لهذه الأفواج. وقد منح الحضرة العلية الخاقانية المراحم الموفورة لهذين الأميرين فى مقابل هذه المهارة ، وقد كان الأمراء فى كل يوم يظهرون فى وجود حضرة السلطان جوهر ذاتهم فى أثناء الركوب فى مهارة تصويباتهم وتدريبهم على آداب الحرب وسائر الفنون العسكرية .

وفى تلك الأوقات، التى كان فيها نائب السلطنة فى المعسكر الهمايونى، كانت تُهيئ لعدة أيام لوازم الحفل والفرح والسعادة والسرور من أجل الاحتفال بحلاقة رأس النواب سلطان محمد ميرزا. وبعد ذلك تم عمل لوازم الطعام الشامل والضيافة للقواد وأفراد الجيش من المشاة والفرسان العسكريين، وقد جلس نائب السلطنة فى الخلوة الخاصة بأمر الهمايون، وحضر جميع الأمراء والوزراء ومسئولو دولة العصر المقتدرة وأركان حضرة فلك المنزلة في خدمة حضرة ولى العهد وطاعته، ففتح يد جوده وعطاياه، وأنعم على الأمراء المحاربين والوزراء بالفضة والذهب والخلعة المزينة بأشعة الشمس.

وفى أثناء تحرك رايات السلطنة إلى مستقر الدولة، منح فرمان حكومة طائفة قراكوزلو وخلعة إمارة تلك الحدود إلى الأمير محمد ميرزا. وفى ليلة السادس عشر من

(١) وهم من أولاد عباس ميرزا ولى العهد . (المترجم)

شهر ذى الحجة [١٢٣٩ هـ.ق]، رجع الحضرة العلية إلى دار الخلافة طهران، كما رجع النواب نائب السلطنة إلى ناحية أذربيجان .

وكان من جملة الحوادث فى هذا العام : وفاة الصدر الأعظم الحاج محمد حسين خان الإصفهانى، الذى نال الترقيات العظيمة بسبب جوهر ذاته وخبرته ومعرفته بأمور المُلك والمال منذ بداية الحال وحتى تلك الفترة، وقد فُتِحَت على وجه حاله أبواب العطف اللامحدود ، وقد مرض فى نهاية هذا العام فى دار السلطنة طهران [ص ٣٨٥] وتوفى.

وابنه نظام الدولة عبد الله خان مُقدم على جميع أقرانه وأمثاله فى خدمة ملك الملوك، وهو أمير فى إنجاز الأمور والخبرة فى العمل وذى فكر فطن وذكى .

١٨٠- بيان وقائع العام المبارك سنة ألف ومائتين وأربعين المطابقة لسنة .....(١)التركية :

بعد انقضاء شهر محرم الحرام من هذا العام، تحركت رايات إقبال الخاقان الذى لا مثيل له بغرض النزهة والصيد من دار الخلافة طهران إلى "سلطان آباد كزاز" والمدينة المذكورة هى حصن حصين وبناء متين، بناه يوسف خان قائد العراق طبقًا لأمر الخاقان الموفق. وقد أقيمت مدينة "سلطان آباد" مكان القرية المشهورة بـ "دستكرد" وهى من قرى "كزاز" الثلاث عشرة، وفى المكان المذكور وما حوله سبع قنوات كبار تجرى جميعها فى مدينة سلطان آباد ، وقد جعلوا أحياءها ونواحيها فى مقابل بعضها ونظيفة وطاهرة. وأسواقها وحوانيتها مشهودة من أهل الحرف. وبرج قلعتها مرتفع، وقد خططوا المدينة فى الأصل على أربعة شوارع وشُيدت باستحكام كامل. وقد تقدم القائد بقدم الفدائية وتقديم الطاعة وعمل الضيافات وتقديم الهدايا .

(١) لم يأت في النص الفارسي اسم العام التركي . (المترجم)

١٨١- بيان عُرس الأميرين جهانكير ميرزا وبديع الزمان ميرزا :

فى هذا العام ذى الطالع المبارك، سلك أمراء مجرة العنان، وحيث ظهر فضاء العالم كميدان سباق لجواد فلكهم المتبختر، مع بعضهم طرق التعاون والمحبة وأسلوب الصداقة والألفة فجددوا صلتهم وروابطهم مع بعضهم البعض. أجل، لقد ازدادت الدولة بالدولة والعظمة بالعظمة والمحبة بالمحبة والمساندة بالمساندة. وبسبب حُسن الوفاق والتعود على الاتفاق، سعد ملك العالم وملك الملوك الموفق ورضى عن نفسه.

وقد خطب حضرة ولى العهد للأمير جهانكير ميرزا محجوبة جلالة الأمير محمد قلى ميرزا حاكم ممالك طبرستان السكر النبات وصبيته المحترمة.[ص ٣٨٦] وقد خطب النواب الأمير على تقى ميرزا لابنه العزيز بديع الزمان ميرزا مستورة حضرة ولى العهد ابنته الكبرى، وأعدوا احتفالات العُرس والولائم، وفتحوا أبواب السعادة على وجه حال العالمين .

١٨٢- [قصة الحاج هاشم خان فى إصفهان] :

ومن الحوادث المزيدة للعبرة فى هذا العام هى أن المدعو الحاج هاشم خان وهو من أقران نظام الدولة عبد الله خان فى إصفهان، جعل جمعًا من طائفة "بختيارى" رفقاءً له. ومع أنه كان ذا ثروة وعزة حيث لم يكن فى حاجة إلى مال أى أحد، فإنه بسبب كثرة طمع أشرار بختيارى وتعلمهم السيئ وبسبب تفكيرهم الظالم وإجحافهم وطمعهم فى أموال الرعايا والأعيان والأشراف، كان يجمع غلمان الليل البختياريين أتباعه ويدور بهم فى أحياء إصفهان ويدخلون إلى منازل الأثرياء والتجار والسادات الأغنياء، فلو كانوا يدقون الباب ليلاً، كان ينفتح، فيدخلون إلى داخل البيت ويخرجون، وإذا لم يكن يفتح الباب أحد، كانوا يفتحون فجوة فى الحائط أو فى أطراف المنزل ويدخلون، وفى البداية كانوا يقولون لصاحب المنزل بالسياسة ولين اللسان: أحضر كل شىء عندك ولاتنزعج ثانيةً، فإذا أحضر صاحب المنزل كل ما عنده، نجا من زجرهم ونكايتهم وكان ينزوى فى الركن ويتضرع التحسر والنهيبة خوفًا على روحه. ولو كانوا

يرون ممانعةً من صاحب البيت وتخيلوا المضايقة منه، لكانوا يقيدون أيديه وأرجله ويجمعون كل ما كان في البيت ويرحلون .

وفي ذات ليلة، كانوا قد ذهبوا إلى منزل أحد الأعيان وحيث كان صاحبه في رحلة الحج، فدقوا كل شيء ولم يفتح الباب أحد، فصعدوا أعلى الحائط ودخلوا البيت وفتحوا الباب ودخلوا منه إلى داخله وقفلوه. وكانت زوجة ذلك الشخص (صاحب البيت) من بين سادات إصفهان العظام. وكان صاحب المنزل قد ترك – لاطمئنانه – كل أولاده وزوجته في منزله بمدينة ديار المسلمين، وأسرع هو لزيارة الحج. فأحضروا المرأة السيدة وقالوا لها: أحضري كل شيء عندك من الذهب والفضة وأدوات زينة النساء ولاتعتذري. وكانت قد قالت لهم: لأجل أي شيء وأي حق لكم في هذا المنزل ! وما شركتكم في أموالي وأدواتي؟ [ص ٣٨٧] فأخذوا السيدة الضعيفة وقيدوها، وفتحوا صندوقها أمام عينيها، وأخذوا كل شيء من أدوات النساء والمتاع والذهب الذي كان عندها، وبالإضافة إلى ذلك، استولوا على ألفي تومان نقداً كانت عندها في الصندوق ، وكانت السيدة الضعيفة (المسكينة) قد قفلت شفتيها من الصراخ والعويل مضطرة ووقعت في ركن باكية وحزينة، وجمعوا أموالها أمام عينيها ورحلوا .

وفي غد ذلك اليوم، كتبت السيدة المسكينة العريضة من إصفهان إلى بلاط ملجأ العالمين وأرسلتها إلى دار الخلافة، فوصلت إلى النظر الأشرف على يد أحد مقربي البلاط. وكان نظام الدولة عبد الله خان يعلم بهذا الوضع والحال، فأسرع إلى بلاط قبلة العالم، بنية المبادرة [قائلاً]: لم يكن عندي خبر عن هذه الأوضاع والبذاءات والسفاهات اللامحدودة. ويعرض كيفية الأحوال وأوضاع السلب والنهب والشكاوى والاستغاثات من الحاج هاشم خان في إصفهان فيرد الحضرة العلية: "إنك في كل وقت لم ترضَ عن أعمال قريبك القبيحة وأفعاله الخاطئة ، ولم يكن عندك القدرة على صده ومنعه، فلماذا قبل ذلك [لم] تُظهر وتوضح لرأينا المزين للعالم ، ولم تعرض كيفية مثل هذا دون حساب في السواد الأعظم الذي فوضته إليك، إلى موطئ العرش الأعلى. والآن رأيت أن عملاً مثل هذا لا يقبل الخياطة والترقيع وقد عُرض علينا وأصبح معلوماً لرأينا المزين للعالم هذا العمل غير المقبول، والآن تقوم بعرضه وبإظهاره" واكتفى ملك الملوك ملجأ العالم بهذا نظراً لمراعاة أن والده الوزير الحاج محمد حسن خان كان قد أدى الخدمات الكثيرة في موطئ العرش المشبه بالسماء ، ولم يهتك حرمته قبل ذلك.

وفي اليوم التالي، اقتضى رأى مزين العالم، أن يُزين مدينة إصفهان ومعه عدة أشخاص من مقربي الحضرة وملتزمي ركاب السعادة بسبب قدوم الميمنة السلطانية ، وأن يحقق بنفسه النفيسة في هذا الظلم الذي هو دون حساب.

وبالقرب من إصفهان بادر الحاج هاشم خان ومعه جمع من الأشراف والأعيان [ص ٣٨٨] في إصفهان بالخدمة والطاعة وقدموا الهدايا فصاروا موضع الإكرام والإنعام. وأصبح موكب الهمايون مُزيدًا لزينة مدينة إصفهان، كما صار بالحكم مثال القدر، الحاج هاشم خان أسير قبضة القهر والمحاكمة وانعدام (وجود) غلمانه البختياريين. الذين كانوا قوة ساعده وأدوات الإغارة والنهب على رعايا السلطنة، مثل الفضة في الأرض. وبأمر الحضرة العلية، قُطعت لحيته الخضراء، التي كانت رأس مال فتنته بيد أسنان العدل وحُفرت عيناه، التي كان يتبصص بها في البيوت ولم يبصر بها أمره وعواقب الأمور، بكزلك العدالة والعدل ، وضربوه بالأخشاب وآلة التعذيب، وصادر كل ما كان عنده لرئاسة الديوان الأعلى، ومنحه الحياة وأفرج عنه. وقد منح ولاية إصفهان إلى النواب الأمير سلطان محمد ميرزا. وكان يوسف خان قائد العراق (العجمي) هو الوزير والمشير ومدبر الأمور في خدمة الأمير، وقد توفي في إصفهان بعد قدومه إليها بشهر أو شهرين. وعين ابنه غلام حسين خان، الذي كان مفتخرًا بالمصاهرة السلطانية، مكانه كقائد للعراق، وبعد وفاته [يوسف خان] عين خسروخان على إصفهان للعمل في خدمة النواب سلطان محمد ميرزا. وأنعم على علماء وفضلاء إصفهان بلا حدود.

وقد سبقت الإشارة إلى أنهم كانوا على علم بأمور الولاية، والأمر الذي لا يكون على قانون العدالة، يعرضوه على موطئ عرش الهمايون، وبواسطة هذا النوع من العدل والمرحمة والعطف، قام أهل العالم من الصغير إلى الكبير بالدعاء للدولة المتزايدة يومًا بعد يوم وجعلوا الثناء على الحضرة العلية على ألسنتهم في الصباح والمساء. وقبع نظام الدولة [عبد الله خان] في منزله بدار الخلافة طهران نظرًا لهذا التقصير غير المنظم وتهاونه وغفلته.

١٨٣- تفويض منصب الصدر الأعظم إلى اللهيارخان القاجارى :

نظراً للجدارة والاستعداد الفطرى لفخر الأمراء الكرام اللهيارخان القاجارى الخلف الصدق للمرحوم ميرزا محمد خان أمير الأمراء، والذى تربى على العناية الخاقانية نفسها [ص ٣٨٩] وكان مفتخراً ومتميزاً بشرف مصاهرة الحضرة العلية، فقد كرمه الحضرة العلية السلطانية بتفويضه منصب الصدارة العظمى وجعله مفتخراً بها. ومرروا بقمة رأس مباهاته من أمام إيوان زحل، وهو اليوم متمكن بلا منازع على صدر ديوان الوزارة، ومتكفل بأداء مهام الخلق بالرأى الرزين والفكر البعيد. ونظراً لحسن سلوكه ورأس ماله من العلم والإدراك، يرضى جميع الوزراء والأمناء والأمراء من طريقة أسلوب حضرته ويسعدون من حسن أقواله فى بلاط صاحب العالم. فهو يعرف ويعلم لكل شخص لياقته وجدارة أصله وأساسه، ولم يكن يُعطل ويعوق عرض وإظهار أى من أمور الرعية والجيش أمام بلاط فلك الحشمة السلطانية، ويحقق كل مرام وفق المراد وهو يحقق الشهرة لأحد نخائر عصر حضرة صاحب العالم .

١٨٤- بيان وقائع العام المبارك وهى سنة الطير التركية الموافقة لسنة ألف ومائتين وإحدى وأربعين هجرية(١) :

وقع مسئولو بلاط إمبراطور روسيا فى فكرة نقض العهد وإفساد شروط المصالحة والهدنة(٢). وذلك بحجة أن عدداً من أهل كوكجة بايروان بدءوا المحادثات بشأن

(١) الواقع أن عبد الرازق الدنبلى لم يسجل أحداث عام ١٢٤١ هـ.ق كلها وقد اكتفى بالأحداث الأولى فى هذا العام وبالتحديد حتى شهر رجب من هذا العام ، وذلك كما ذكر هو بنفسه فى خاتمة هذا الكتاب حيث ذكر أن هذا الكتاب قد تمت طباعته فى أواخر شهر رجب من عام ١٢٤١ هـ.ق . وهذا العام يمثل بداية الجولة الثانية لحروب إيران وروسيا التى بدأت من عام ١٢٤١ هـ.ق وحتى عام ١٢٤٣ هـ.ق والواقع أن عبد الرزاق الدنبلى لم يتناول فى كتابه هذه الجولة الثانية من الحروب : لأنه وكما أشرنا آنفاً قد اختتم كتابه بأحداث النصف الأول من عام ١٢٤١هـ.ق تقريباً وقد تناول فقط بداية نشوب الحرب من جديد فى بداية هذا العام بين إيران وروسيا . (المترجم)

(٢) يقول عباس إقبال فى هذا الشأن : كانت معاهدة "كلستان" (الموقعة فى ١٢٢٨) مبهمة بشأن تحديد خطوط الحدود بين إيران وروسيا بمعنى أن موقعيها كفاهم أن اشترطوا أن كل ما استولى عليه الروس حتى تاريخ توقيع المعاهدة يكون ملكاً لهم ، كما لم يتضح أيضاً موقف كثير من الأراضى التى تقع على الحدود ، وكانت مراتع لعشائر قبائل الحدود. (انظر تاريخ إيران بعد الإسلام : الترجمة العربية ص ٧٧٧)

مصالحتنا (معاهدة سلامنا) واستمرت ترداداتهم ومحادثاتهم. فقال مسئولو دولة إيران بأن شروط المصالحة مستقرة وقائمة على هذا وهو أن في المصالحة كل مكان كان في يد كل شخص يبقى ثانية ، وكما كان. ولا يتخطى الطرفان حدودهما ولايعتديا على بعضهما. وكانت تلك الجماعة تقول أحياناً بالأعذار غير المقبولة وأحياناً كانت تقول بأن سلوكنا مع النواب نائب السلطنة لم يكن ينته ، وكانوا (يطلبون) أحياناً بأن ملك إيران يمنحنا ذلك المكان ويتركه لنا. ومن هذا الجانب أيضاً، كان مسئولو دولة العصر إيران يجاوبونهم بأن المناطق المشهورة بـ بالغ لوكوني وكوكجه الأخرى هي دائماً في يد مسئولي هذا الطرف [إيران] .

وفي هذا العام ذي الطالع المبارك، وحيث صار مرج سلطانية مضرباً لخيام مجلس العظمة، طلب الخاقان الموفق النواب ولي العهد للحضور [ص ٣٩٠] ولما أدرك نائب السلطنة شرف تقبيل الحضرة العلية، عرض على صاحب الشرف كيفية المحادثات وبحث مسئولي دولة روسيا عن العذر لنقض العهد وإثارة الاضطرابات. فقرر حضرة ملك الملوك بأن يتوجه من بلاط زحل إلى تلك المناطق ميرزا محمد صادق المروي مؤرخ رئاسة الديوان الهمايوني، الذي كان رجلاً متصفاً بأنه عارفاً للأصول وبليغاً ومتمرساً على أعمال السفارة وخبيراً بها ، وكان محل ثقة الخاقان صاحب عرش جمشيد وقد عُين لمرات على سفارة بغداد وخراسان وينفذ الأمور دون عيب ونقص. وبعد قدومه إلى الكرجستان يلاحظ الحدود بمرافقة مسئولي دولة روسيا. ويعلم بالنظر الممعن والتفكير أساس النزاع وسبب المشاجرة والمعركة فيما بينهم، ويعرضه على خدمة فلك الرفعة، فيصبح من المعلوم ما هو أساس النزاع؟ والمحادثات مع من؟

وتوجه ميرزا المشار إليه من تبريز إلى إيروان ومنها قصد الكرجستان. وفي أوائل الشتاء، ومع الاحتياط والحذر بأنه ربما يكون جيش روسيا على الاستعداد للقدوم وينتهز فرصة الفترة البسيطة ويبحث عن الفتنة ويمتحن نفسه في نقض العهد[1] فقد

(١) الواقع أن عباس ميرزا قد أخطأ عندما فكر في دخول الحرب مرة ثانية مع الروس بعد الهزيمة الأولى وخضوع إيران لاتفاقية "كلستان" وخاصة أن جيشه لم يكن مستعداً لحرب جديدة ، فتقول أمينة باكروان : لقد تجاوزت أفكار عباس ميرزا الوهمية حدود هذه الاحتمالات عندما اعتقد أن استعدادات جيشه وتسليحه كافية بشدة لمواجهة أشعة شمس الند المنافس له إمبراطورية القيصر . (انظر Abbas Mirza, Un Prince Rfarmateur : Emineh Pakravan, tame II, p 1.)

توجه النواب نائب السلطنة بحجة الصيد من دار السلطنة تبريز إلى كوردشت ومنها قصد الصيادين نخجوان وإيروان.

١٨٥- بيان وفاة ألكسندر باوليتش [الأول] إمبراطور روسيا ونبذة عن أحواله وأخلاقه :

فى الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول من هذا العام [١٢٤١ هـ.ق]، عقد إمبراطور روسيا ألكسندر باوليتش متاع رحيله من هذا الدير الملىء بالحسرة والندم، وكان سلطانًا عادلاً ومربيًا لرعيته. وقد أوقف أهالى موسكو، وهم قليلو الفهم وبلهاء العقل، جميعهم على طريق وعادة الدين المسيحي وهو مذهبهم. وأحضر المعلمين المهرة والعلماء من مملكتي إنجلترا وفرنسا، وفاق فى كل الآداب والصناعات. وقد سبقت نبذة عن أحواله فى أول الكتاب مع بيان أحوال دولة روسيا، وسوف تعلن للقراء والمطالعين.[ص ٣٩١] وبعد وفاته، وقع أخوه قسطنطين فى هوس التاج والعرش، ونظرًا لشدة طيشه وتهوره، فقد رفضه وزراء عاصمة روسيا وعزلوه(١)، وأجلسوا على العرش أخاه الآخر المسمى بـ تكولائي (نيقولا الأول) باوليتش كحاكم وسلطان.

١٨٦- بيان معركة النواب الأمير حسن على ميرزا حاكم إقليم خراسان مع جيش خوارزم وهزيمتهم بالتأييد الإلهى ويمن طالع ملك ملوك الدنيا الواسعة

قدم رحمن قلى طوره بن محمد رحيم خان والى خوارزم مع جمع من أوزبك قنقرات ويموت المقيمين فى خوارزم إلى رأس حدود هذه الناحية بغرض أخذ زكاة

(١) تقول أمينة باكروان : إنه قد حدثت فى روسيا عقب وفاة الكسندر باوليتش اضطرابات دموية بسبب الصراع بين إخوته على خلافته وبأن هذه الفترة تسمى بأيام ديسمبر الدموية ، وقد انتهت هذه الصراعات بتولى نيقولا الأول قيصر الإمبراطورية الروسية وبرضا من رجال دولته " (انظر: Abbas Mirza, Emimeh Pakravan, tame II, p (1)

سابور وتكه، ولما كانت طوائف تركمان صحراء القبتشاق من تكه وأخال وخرمند متفقين معه في هذا السفر، فاغتر بجمعه الكثيف، وأرسل جمعًا إلى آق دربند وجمعًا إلى مزدوران[1] وخرج حراس كلا المكانين في مظهر الدفاع والمقاومة، وقتلوا جيش خوارزم. فهُزموا ورجعوا. وقام رحمن قلي المذكور متجهزًا ومستعدًا بنفسه، وذهب مع جمع كامل والمدفعية، التي كانت ترافقه، حتى "قصر المهدي" وهو على بعد فرسخين من مشهد الرضوية المقدسة .

وبعد الاطلاع على هذه الأخبار، يرسل النواب حسن علي ميرزا جمعًا قليلاً، كان حاضرًا في خدمته، لاستقبالهم. فيقتلون جمعًا ويأسرون ما يقدر بنحو ثمانين فردًا، ويرجعون. وبعد التحقيقات اللازمة ، يقومون في المساء أيضًا بالإغارة ليلاً على ذلك الجيش الباحث عن الفتنة ويقومون بالإغارة الكاملة على أطراف معسكر جيش خوارزم.

وفي هذه الأثناء، يقدم سيد محمد خان حاكم كلات وجمع من حكام خراسان، بسبب الاستماع لهذه الأخبار إلى ركاب الأمير. ويندفع النواب حسن علي ميرزا إليه ومعه المدفعية والهاونات والسبعة أو الثمانية آلاف فرد المنعقدة له في قصر المهدي. وبعد تلاقي الفريقين وتقابل الجيشين، يتبادل الطرفان الهجوم بخطف كرة السباق من بعضهما. وبعون العناية الإلهية وقوة الإقبال [ص ٣٩٢] السلطاني المصون من الزوال، تقع الهزيمة العظيمة على الجيش المعادي ويقتلون جمعًا غفيرًا ويأسرون جمعًا آخر، ويسلك الباقون من السيف (الأحياء) طريق الفرار ويطوون مسافات من وادي دار البوار والهلاك. ويكلف النواب الأمير الجيش بتعقب تلك الجماعة المخذولة ، ولأن الجو كان شديد البرودة وكانت المعابر والمنازل مملوءة بالجليد والطين فيصبح أكثر تلك الطائفة أسرى لجيش ملجأ الظفر ويسلك قليل منهم طريق خوارزم وهم في حالة شتات وفي يوم أسود .

ولم يُعرف أي المجموعة التي كان فيها رحمن قلي وإلى أي ناحية ذهب ، وهل سمع بمثل هذا النوع من النصر والظفر الذي حدث من فيض فضل الله عز وجل. وقد رجع غلمان القبة السلطانية في فرح وسرور لاحد لهما.

(١) اسم بلدة شرق مشهد .

١٨٧- ومن مصائب هذا العام :

كانت القضية المثيرة للحزن والملل وهى وفاة ابن العم بهمن الشأن إبراهيم خان، وهو شاب ذو خلق وحسن الطبع وعطوف ووالي ولاية كرمان ومفتخر بمصاهرة خاقان الدنيا الواسعة، ومنذ بداية صباح عهد الهمايون وإلى الآن وفي عهدته إدارة ذلك المُلك الشبيه بالجنة وبتنظيم الأمور الصغيرة والكبيرة فى تلك الولاية، ولقد مرض في هذا العام باقتضاء القضاء الإلهي، وتوفى، وقد صارت حادثة مماته المؤذية للنفس باعثةً على حزن واغتمام الخاقان ذى الإقبال العالى والأمراء ذوى الجلال الجمشيدى .

١٨٨- اختتام الكتاب بعون الملك الوهاب :

بسبب يُمن التأييدات الإلهية وفيض الفضل اللا متناهي فيعهد الدولة الأبدية الشاهنشاهية، استخدم النواب ولى عهد الشهريار صاحب التاج، فى إيران جميع صناعات بلاد الفرنجة، ونشر الثروات وأنهض الصناعات الغريبة والفنون العجيبة، ومن بينها المهندسين ودار الهندسة والمدافع ودار المدفعية ودار البارود ودار [قماش] الماهوت ونظام العسكرية الجديدة وصناعة الأسلحة [ص ٣٩٣] وآلات الحرب على نظام وأسلوب أساتذة أوروبا وإيران، وقد صنعوا جميع هذه الصناعات أفضل من أساتذة هذه الفنون فى كل فن. وكان من جملة الصناعات الغريبة عمل الطباعة الذى يقال له "الباصمة "[1]. ولقد لقيت شرف الانتهاء والاختتام هذه النسخة الجديدة المسماة بـ "المآثر السلطانية" في دار الطباعة بدار السلطنة تبريز باهتمام مسئولى رئاسة ديوان حضرة ولي العهد وبسعى وأستاذية حضرة الشيخ محمد باقر التبريزى وهو من معارف هذه الولاية ، وذلك بتاريخ أواخر شهر رجب المرجب سنة ألف ومائتين وإحدى وأربعين هجرية . وإن شاء الله تعالى، سوف تُحرر صوادر أحوال الخاقان الفريد بعد هذا التاريخ في مجلد آخر وسوف تذهب إلى دار الطباعة، وسوف يستفيد منه القراء. وغير هذا الكتاب سيطبع ميرزا زين العابدين التبريزى المجلدات من الكتاب الجديد

(١) باصمة : لفظة تركية بمعنى طبع، صورة لصورة مطبوعة (انظر المعجم الفارسى الكبير : إبراهيم الدسوقى شتا ، جـ ١ ، ص ٢٧٣)

بيمن وإشفاق وألطاف سلطان الآفاق خلد الله ملكه وسلطانه وباهتمام منوتشهر خان ويحملها التجار وأهل المعاملات إلى أطراف الولايات وتباع وتشترى وهى من عزة السلطان العادل المانح والهمة العالية لملك الملوك ملجأ العالم، ولو لم تكن تلك الهمة والقدرة فإنه يفرغ الخزائن. وقد أحضر هذه الصناعات إلى إيران منذ عام وستة أشهر. وداولها بين الخلائق. والدعاء من الصغير والكبير والرعايا والبرايا والغلمان ومريدى عزة هذه العتبة أن ينتشر ظل عزة الحضرة العلية (صاحب الجلالة) قدر القدرة وظل الحشمة النواب نائب السلطنة ولى عهد إيران ، ويبقى خالداً طالما أن السماء قائمة والشمس مشرقة والقمر مُنير، بحق محمد وأله الأمجاد.

المؤلف فى سطور :

عبد الرزّاق بك بن نَجَفْلى خان بن شهبازخان الدُنْبُلى

ولد عبد الرزاق الدنبلى فى بلدة " خوى " التابعة لأذربيجان الإيرانية فى سنة ١١٧٦هـ.ق ، وقد عاش حتى العاشرة من عمره تحت رعاية والده بتبريز الذى كان حاكمًا عليها . وبعدها عاش لمدة عشر سنوات أخرى كرهينة بشيراز فى بلاط كريم خان الزندى ، ثم عاش لفترة أربع سنوات أخرى بإصفهان فى أسر على مرادخان الزندى . ولم يشغله فى شيراز وإصفهان طوال هذه الفترة سوى تحصيله للعلم والأدب ومجالسته للعلماء والاشتغال بالتأليف .

وقد عاصر عبد الرزاق الدنبلى ، فترات من أهم فترات إيران التاريخية ، فقد عاصر عهد كريم خان الزندى وأعقابه (١١٦٣ هـ .ق : ١٢٠٩هـ.ق) ، ثم عهد آغا محمد خان القاجارى مؤسس الدولة القاجارية (١٢٠٠ : ١١٢١هـ.ق) ، ثم أغلب فترة الحكم الطويلة لفتحعليشاه القاجارى (١٢١٢ هـ.ق : ١٢٥٠هـ.ق ٩ وهذه الفترات تذخر بالكثير من الحروب والأحداث المهمة فى تاريخ إيران خاصة ومنطقة الشرق الإسلامى عامة وقد دون عبد الرزاق الدنبلى أغلب هذه الأحداث كما أرخ للقاجاريين منذ بداية ظهورهم وحتى أحداث عام (١٢٤١ هـ.ق) فى كتابة « المآثر السلطانية » – موضوع الترجمة – وذلك بأمر السلطان فتحعليشاه القاجارى وولى عهده عباس ميرزا . وقد كتب عبد الرزاق الدنبلى في كثر من الموضوعات والمجالات ، فله فى النظم والنثر الكثير من المؤلفات والتى لم تحظ بالعناية الكاملة لأن أغلبها ربما قد ضاع وما طبع منها إلا القليل .

المترجم فى سطور :

د . محمد سيد أبو زيد عبدالعال

ليسانس الآداب – قسم اللغات الشرقية – فرع اللغة الفارسية ١٩٨٥م من كلية الآداب – جامعة القاهرة .

ماجستير في اللغة الفارسية وآدابها من كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٩٦ م عن المؤرخ عبد الرازق الدنبلى وكتابه " مآثر سلطانية" .

دكتوراة عن القصة القصيرة عند محمود دولت آبادى من كلية الآداب – جامعة عين شمس ٢٠٠٣ م

يعمل حاليًا مدرس اللغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب – جامعة أسيوط .

المراجع فى سطور :

آ.د. عبد الحفيظ محمد يعقوب حجاب

أستاذ مساعد اللغة الفارسية وأدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة .

- ليسانس الآداب من كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٦ م

- ماجستير عن البطولة فى شاهنامة الفردوسى من كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٨٢ م

- دكتوراة عن الأثر الإسلامى فى شاهنامة الفردوسى من كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٨٩ م.

- له عدة مؤلفات وترجمات .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر ألن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول ب. ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٢٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٢٨-	نقد الحداثة	ألن تورين	أنور مغيث
٢٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسي التدعيمي	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة . النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد علي
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائي: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣-	قبر ابن عربي يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجني (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتي	أشرف علي دعدور
١٠٧-	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من المؤلفين	محمود علي مكي
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	مني قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣- راية التمرد	سادي پلانت	أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلي
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنيتل آلكسندرو فنادوليفا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالروف البمبى
١٤٧- مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مى التلمسانى
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٩-	الأيديولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩-	العمى والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد المعاصر	بول دي مان	سعيد الغانمي
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجاني
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازي السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	جلال السعيد الحفناوي
١٩٨-	الاتصال الجماهيري	إدوين إمري وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمي سيبروك	فخري لبيب
٢٠١-	الجانب الديني للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالي	جلال السعيد الحفناوي
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدي
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجي لوقا كافاللي- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	علي يوسف علي
٢٠٧-	ليل أفريقي (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائي (شعر)	سنائي الغزنوي	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كللر	محمود حمدي عبد الغني
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد علي الناصري
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	أنتوني جيدنز	محمد محيي الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوي
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	علي إبراهيم منوفي
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية في الكون	باري باركر	علي يوسف علي
٢٢١-	شعرية كفافي	جريجوري جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراي	نسيم مجلي
٢٢٣-	العلم في مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادي
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد علي البربري

٢٢٧-	المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركي	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمري
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١-	الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمي سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣-	فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي	أرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزي (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادي	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربي مدبولي أحمد
٢٣٩-	العربي في الأدب الإسرائيلي	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاي حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١-	في انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزي	ابتسام عبدالله
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبري محمد حسن
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفي بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤-	الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق علي منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	علي إبراهيم منوفي
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوي
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	علي بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومي
٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلي رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
٢٦١-	رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	جون جريبين	علي يوسف علي
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلي	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكي
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزي (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سي. باترسون	شوقي جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية في مصر	سي. سي. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابي في مصر	جوان كول	عنان الشهاوي
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود علي مكي
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمساني
٢٧٧-	الجينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزي
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوي
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرؤوف البمبي
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامي الدهلوي	حسن نظامي الدهلوي	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمي	أنتوني كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائي	ديفيد لودج	ماهر البطوطي
٢٨٩-	ديوان منوچهري الدامغاني	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربي	روجر آلن	مجدي توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازي	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازي السيد
٢٩٩-	ثورة في التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس في الأدبين الإنجليزي والفرنسي (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيري وبهاء جاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس في الأدبين الإنجليزي والفرنسي (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيري و محمد الجندي
٣٠٢-	أقدم لك: فتجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكي
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجي هايد ومايكل ماكجنس	محيي الدين مزيد
٣١١- مقال في المنهج الفلسفي	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدي
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعي
٣١٥- جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحي
٣١٦- محاكمة سقراط	أي. ف. ستون	نسيم مجلي
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايتري اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفي برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي	دبليو بوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يوناني قديم	هانم محمد فوزي
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدي	محمود علاوي
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق علي منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامي صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراي	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	علي إبراهيم منوفي
٣٣٣- الإسلام في بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالي ساروت	فتحي العشري
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوي
٣٣٩- تاريخ الأدب في إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخري لبيب

٢٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمي
٢٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٢٤٣- العالم البرجوازي الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤- الموت في الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه نداني	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦- سحر مصر	رشاد رشدي	جمال الجزيري
٢٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨- المتصوفة الأولون في الأدب التركي (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصاري
٢٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣- الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٢٥٤- الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٢٥٥- التيارات السياسية في إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوي
٢٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعي
٢٥٧- متون هرمس	تيموثي فريك وبيتر غاندي	عمر الفاروق عمر
٢٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازي السيد
٢٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشاروني
٢٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربيني
٢٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٢٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبري محمد حسن
٢٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧- القلم الجريء	مجموعة من المؤلفين	البراق عبدالهادي رضا
٢٦٨- المصطلح السردي: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٢٦٩- المرأة في أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوي	فوزية العشماوي
٢٧٠- الفن والحياة في مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١- المتصوفة الأولون في الأدب التركي (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	علي إبراهيم منوفي
٢٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوي وآخرون	إدوار الخراط
٢٧٧- تاريخ الأدب في إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٢٧٩-	ملك في الحديقة (رواية)	ستيل باث	جمال عبدالرحمن
٢٨٠-	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٢٨١-	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٢٨٢-	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٢٨٣-	هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨٤-	القصص التي يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٢٨٥-	مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٢٨٦-	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٢٨٧-	أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٢٨٨-	مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٢٨٩-	تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٢٩١-	الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٢٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٩٣-	في قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٢٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٢٩٥-	آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٢٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٢٩٧-	أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٨-	أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٩-	أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وألن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	أقدم لك: علم الرياضيات	زيادون ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣-	أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية	جين هاثواي	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبي للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلي
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	روي متحدة	أشرف كيلاني
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعي	محمود علاوي
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باي إنكلان	ثريا شلبي
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافي
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجي كليموفسكي	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللي	باتريك كيري وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدي الجابري
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودي بورهام	عصام حجازي
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجي رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندي في بلاد الشرق العربي	شبلي النعماني	جلال الحفناوي
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابي (رواية)	صدر الدين عيني	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوي
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتي روي	فخري لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتي
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوي
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علماني
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلري	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفري سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيفوي وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيري
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيري
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزي وأوسكار زاريت	محيي الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء في الفكر السياسي الغربي	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتي	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧- التفكير السياسي والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضي والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانس روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسِرْل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِرْل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار البيغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

-٤٩٣	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
-٤٩٤	كتاب الموتى: الخروج في النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفي
-٤٩٥	اللوبي	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصري
-٤٩٦	الحكم والسياسة في أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولي	مجموعة من المترجمين
-٤٩٧	العلمانية والنوع والدولة في الشرق الأوسط	نادية العلي	مصطفى رياض
-٤٩٨	النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد علي بدوي
-٤٩٩	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
-٥٠٠	في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكي	طلعت الشايب
-٥٠١	تاريخ النساء في الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
-٥٠٢	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
-٥٠٣	مختارات من الشعر الفارسي الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
-٥٠٤	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
-٥٠٥	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
-٥٠٦	ربما كان قديساً (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمي الجمال
-٥٠٧	سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقي فهيم
-٥٠٨	المولوية بعد جلال الدين الرومي	عبدالباقي جلبنارلي	عبدالله أحمد إبراهيم
-٥٠٩	الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
-٥١٠	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدوني	عبدالرازق عيد
-٥١١	كوكب مرقّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمي الجمال
-٥١٢	كتابة النقد السينمائي	تيموثي كوريجان	جمال عبد الناصر
-٥١٣	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمي
-٥١٤	مدخل إلى النظرية الأدبية	جوناثان كولر	مصطفى بيومي عبد السلام
٥١٥	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطي دوجلاس	فدوى مالطي دوجلاس
-٥١٦	إرادة الإنسان في علاج الإدمان	ارثر ولاستون ودونا باوندي	صبري محمد حسن
-٥١٧	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
-٥١٨	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
-٥١٩	محاضرات في المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٥٢٠	الولع الفرنسي بمصر: من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
-٥٢١	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
-٥٢٢	إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	علي إبراهيم منوفي
-٥٢٣	الفن الطليطلي الإسلامي والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
-٥٢٤	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
-٥٢٥	موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
-٥٢٦	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيي الدين مزيد
-٥٢٧	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيري
-٥٢٨	أقدم لك: تروتسكي والماركسية	طارق علي وفلْ إيفانز	جمال الجزيري
-٥٢٩	بدائع العلامة إقبال في شعره الأردي	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصري
-٥٣٠	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذى حَدَثَ فى «حَدَثِ» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧- للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨- النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرص	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦- أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كراولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك. الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١-	تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكى	جون ماهر وجودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨-	أمنحوتپ الثالث	آنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩-	تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوانو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢-	ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

-٦٠٧	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
-٦٠٨	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
-٦٠٩	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
-٦١٠	العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	علي إبراهيم منوفى
-٦١١	النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
-٦١٢	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
-٦١٣	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
-٦١٤	بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
-٦١٥	عرض الأحداث التي وقعت في بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
-٦١٦	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
-٦١٧	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
-٦١٨	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
-٦١٩	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
-٦٢٠	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
-٦٢١	النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
-٦٢٢	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
-٦٢٣	نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
-٦٢٤	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
-٦٢٥	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
-٦٢٦	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق علي منصور
-٦٢٧	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
-٦٢٨	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
-٦٢٩	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
-٦٣٠	سيرتي الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
-٦٣١	مختارات من الشعر الأفريقي المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
-٦٣٢	المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
-٦٣٣	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
-٦٣٤	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
-٦٣٥	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
-٦٣٦	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
-٦٣٧	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
-٦٣٨	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
-٦٣٩	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
-٦٤٠	ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
-٦٤١	برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
-٦٤٢	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
-٦٤٣	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
-٦٤٤	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلي ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سيهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحي العشري
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جي دي موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذي لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسي
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساستري	ممدوح البستاوي
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبري التهامي
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبري التهامي
٦٦٢-	رحلة إلى الجنور	داسو سالديبار	صبري التهامي
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعي
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راي هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي	ألفن جولدنر	علي ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشي	ليلى الجبالي
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلي
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطي
٦٧١-	قل لي كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	علي عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسي للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوي
٦٧٤-	ديوان الإمام الخميني	آية الله العظمى الخميني	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٧-	تاريخ الأدب في إيران (جـ١، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٨-	تاريخ الأدب في إيران (جـ١، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٣)	وليام شكسبير	توفيق علي منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص في هذا الفصل؟	ستانلي فش	أحمد الشيمي
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكري	صبري محمد حسن

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كنا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاييم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ويفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو فرجاش	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: فالتر بنيامين	هوارد كايجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	يان هاتشباى وجوموران إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	سرة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ١)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣-	ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤-	ميراث الترجمة: حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	جامعة كل المعارف (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠-	جامعة كل المعارف (جـ٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى

٧٢٢-	الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافي أحمد القطوري
٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمني	أحمد ثابت
٧٢٤-	اليسار الفرويدى	بول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥-	الاضطراب النفسي	جون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦-	الموريسكيون في المغرب	غيرمو غوثاليس بوسنو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧-	حلم البحر (رواية)	باجين	وحيد السعيد
٧٢٨-	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس أليه	أميرة جمعة
٧٢٩-	الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية	ان جاتي	عزت عامر
٧٣١-	النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢-	قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣-	مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤-	بونابرت في الشرق الإسلامي	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥-	فن السيرة في العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكي
٧٣٦-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (مج٢)	باتريك ل. أبوت	توفيق علي منصور
٧٣٨-	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٣٩-	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٤٠-	خطابات القوة	باري هندس	مرفت ياقوت
٧٤١-	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢-	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسي
٧٤٣-	الثقافة: منظور دارويني	روبرت أونجر	شوقي جلال
٧٤٤-	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥-	المآثر السلطانية	بيك الدنبلي	محمد أبو زيد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٢٧١ / ٢٠٠٥